



الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الجزائر 2 أبو القاسم سعد الله
معهد الترجمة



استراتيجيتا الإيضاح والتضمنين في الترجمة الأدبية
من العربية إلى الإنجليزية والعكس
في ضوء المقاربات الثقافية للترجمة
دراسة تحليلية مقارنة في مجموعة من الروايات

أطروحة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في الترجمة
عربي - إنجليزي - عربي

إشراف:

أ. د. رشيدة سعدوني

إعداد الطالبة:

نرجس شحات

أعضاء لجنة المناقشة

الاسم واللقب	الرتبة	المؤسسة الأصلية	الصفة
أ.د. بثينة عثمانية	أستاذة التعليم العالي	جامعة الجزائر 2	الرئيس
أ.د. رشيدة سعدوني	أستاذة التعليم العالي	جامعة البليدة 2	مقرر ومشرف
أ.د. دليلة خليفي	أستاذة التعليم العالي	جامعة الجزائر 2	عضواً
أ.د. فاطمة عليوي	أستاذة التعليم العالي	جامعة الجزائر 2	عضواً
د. أمينة كواتي	أستاذة محاضرة أ	جامعة الجزائر 2	عضواً
أ.د. مريم بن لقر	أستاذة التعليم العالي	جامعة سطيف 2	عضو خارجي
د. مسعود بوخالفة	أستاذ محاضرة أ	جامعة باتنة 2	عضو خارجي

السنة الجامعية: 2025/2024



People's Democratic Republic of Algeria
Ministry of Higher Education and Scientific Research
University of Algiers II, Abou El Kacem Saadallah
Translation Institute



**Explicitation and Implication Strategies in Literary Translation
from Arabic into English and Vice-versa in the Light of the
Cultural Approaches to Translation
An Analytical Comparative Study in a Collection of Novels**

THESIS FOR OBTAINING DOCTORATE ÈS SCIENCES DEGREE IN
TRANSLATION
MAJOR: ARABIC - ENGLISH – ARABIC

Prepared by:
Nardjesse CHAHAT

Supervisor:
Pr. Rachida SADOUNI

Board of Examiners

Name	Affiliation	Rank	Quality
Pr. Bouthaina Athamnia	Université Alger 2	Professor	Chair
Pr. Rachida Saadouni	Université Blida 2	Professor	Supervisor
Pr. Dalila Khelifi	Université Alger 2	Professor	Member
Pr. Alliouï Fatima	Université Alger 2	Professor	Member
Dr. Amina Kouati	Université Alger 2	Maître de Conférence A	Member
Pr. Meriem Ben Lakdar	Université Sétif 2	Professor	Member
Dr. Messaoud Boukhalfa	Université Batna 2	Maître de Conférence A	Member

Academic Year: 2024-2025

إلى أرواح شهداء غزة الطاهرة

إلى كلّ المقاومين والشرفاء في هذه الأمة

شكر وعرفان

كلّ الامتنان والتقدير والشكر إلى الأستاذة الدكتورة رشيدة سعدوني التي أشرفت على هذا العمل

المتواضع، ولم تبخل طول الطريق بالنصح والإرشاد والتوجيه حتى تم العمل. شكراً لها على

إنسانيتها قبل علمها، وعلى أخلاقها قبل عملها، فقد بعثت أملاً وأحيت طموحاً وكانت خير

مثال للأستاذ الحق كما يجب أن يكون.

كل الشكر إلى الطاقم الإداري لمعهد الترجمة بجامعة الجزائر 2، لقد كانت الرحلة أسهل بفضلكم،

فجزاكم الله كل خير.

شكراً لكلّ طلبي الأعزاء على مرّ السنين، كنتم دائماً مصدر إلهام والدافع لمزيد من البحث

والتطلّع والمعرفة.

الفهرس	
أ	إهداء
ب	شكر وعرفان
ت	فهرس المحتويات
د	قائمة الجداول
01	مقدمة.....
الفصل الأول: المقاربات الثقافية للترجمة	
10	تمهيد
11	1.1. ظهور المقاربات الثقافية للترجمة وتطورها
16	2.1. أهم مدارس المقاربات الثقافية للترجمة ومنظريها
17	1.2.1. نظرية النُسق المتعددة ومكانة الأدب المترجم
24	2.2.1. المنعطف الثقافي عند أندريه لوفوفير وسوزان باسنيت
28	3.2.1. اختفاء المترجم عند لورانس فينوتي
33	4.2.1. الترجمة النسوية وإشكالية الترجمة التدخلية
39	5.2.1. الترجمة ما بعد الاستعمارية وحظوظ الحوار شمال-جنوب
42	6.2.1. قضية الهيمنة عند إدوين غينتسلر وماريا تيموكسكو
50	7.2.1. اتجاهات أخرى في المقاربات الثقافية للترجمة
56	3.1. خصوصية الترجمة الأدبية وتحدياتها
66	4.1. أهم قضايا المقاربات الثقافية للترجمة
66	1.4.1. دور الترجمة في التفاعل بين الثقافات
79	2.4.1. إشكالية الإيديولوجيا والخطاب في نظرية الترجمة
94	3.4.1. الترجمة بوصفها إعادة كتابة
104	4.4.1. تجلي صراع الأنا والآخر في نظرية الترجمة
117	خلاصة
الفصل الثاني: الإيضاح والتضمين في الترجمة	
118	تمهيد.....
118	1.2. إشكالية تعدد مصطلحات الإيضاح والتضمين في أبحاث الترجمة
120	2.2. مصطلحي الإيضاح والتضمين من المنظور اللغوي
120	1.2.2. الإيضاح

122	 التضمين 2.2.2
124	 مفهوم الإيضاح والتضمين في دراسات الترجمة 3.2
125	 مفهوم الإيضاح في دراسات الترجمة 1.3.2
126	 الإيضاح عند فيني ودارلني، جيرى ليفي، ويوجين نايدا 1.1.3.2
128	 فرضية الإيضاح عند بلوم كولكا 2.1.3.2
131	 الإيضاح البراغماتي عند كانداس سيغينو 3.1.3.2
131	 الإيضاح المرتبط بالمعايير عند راشيل وايسبرود 4.1.3.2
132	 الإيضاح بمعنى التصريح عند أوفرأس 5.1.3.2
133	 الإيضاح وفرضية اللاتماثل عند كينغا كلاودي 6.1.3.2
137	 الإيضاح بوصفه أسلوب ومنتج عند فيلما باباي 7.1.3.2
138	 الإيضاح ومعالجة النص عند بال هالتاي 8.1.3.2
140	 الإيضاح وسيلة لتجنب المخاطر عند أنطوني بيم 9.1.3.2
141	 الإيضاح عند إنجلاند ديميتروفا 10.1.3.2
142	 الإيضاح عند ريناتا كامينيسكا 11.1.3.2
143	 الإيضاح وأسلوب المترجم عند غابرييلا سالدانها 12.1.3.2
144	 الإيضاح عند فيكتور بيشر 13.1.3.2
147	 الإيضاح عند إليزابيث مورتيساري 14.1.3.2
148	 الإيضاح كأسلوب تشويه عند أنطوان برمان 15.1.3.2
153	 مفهوم التضمين في دراسات الترجمة 2.3.2
153	 التضمين عند فيني ودارلني، ويوجين نايدا 1.2.3.2
154	 التضمين عند كلاودي وكارولي 2.2.3.2
156	 التضمين عند بيشر 3.2.3.2
159	 استراتيجيات الإيضاح والتضمين في الترجمة 4.2
159	 تصنيف نايدا 1.4.2
162	 تصنيف أندرو شاسترمان 2.4.2
163	 تصنيف كلاودي 3.4.2
166	 تصنيف ريناتا كامينيسكا 4.4.2
167	 تصنيف فيلما باباي 5.4.2
168	 تصنيف مورتيساري 6.4.2
169	 تصنيف برمان 7.4.2

175	5.2. عتبات النص وارتباطها بإيضاح أو تضمين المحتوى الثقافي في الترجمة
188	 خلاصة
	الفصل الثالث: الإيضاح والتضمين في الترجمة الأدبية من العربية إلى الإنجليزية في ضوء المقاربات الثقافية للترجمة
190	 تمهيد
190	1.3. التعريف بالمدونة العربية/ الإنجليزية
190	1.1.3. رواية "الأيام"، المؤلف، والمترجمين
190	1.1.1.3. تقديم كتاب "الأيام"
195	2.1.1.3. تقديم ترجمات كتاب "الأيام إلى اللغة الإنجليزية
198	2.1.3. رواية "الزلزال"، المؤلف، والمترجم
198	1.2.1.3. تقديم رواية "الزلزال"
201	2.2.1.3. تقديم ترجمة رواية "الزلزال" إلى اللغة الإنجليزية
	2.3. تحليل عتبات النصوص المترجمة ودورها في إيضاح أو تضمين السمات الثقافية
202	 للنصوص الأصلية
202	1.2.3. تحليل مقدمات المترجمين
220	2.2.3. تحليل عناوين الترجمات وأغلفتها
227	3.3. تحليل آليات إيضاح وتضمين المحتوى الثقافي في المدونة في ضوء المقاربات الثقافية
228	1.3.3. الإيضاح والتضمين وعلاقتهما بالتفاعل الثقافي
228	1.1.3.3. التفاعل الثقافي بين إيضاح وتضمين المحتوى الخاص بالمأكل والملبس والمحيط
228	1.1.1.3.3. نماذج عن ترجمة أسماء الأطعمة
234	2.1.1.3.3. نماذج عن ترجمة أسماء الأواني والأثاث
235	3.1.1.3.3. نماذج عن ترجمة المصطلحات الخاصة بالأزياء والمظهر
239	4.1.1.3.3. نماذج عن ترجمة أسماء الأماكن
242	5.1.1.3.3. نماذج عن ترجمة أسماء متنوعة تتعلق بالحياة اليومية
246	2.1.3.3. التفاعل الثقافي بين إيضاح وتضمين المحتوى الديني
246	1.2.1.3.3. نماذج عن ترجمة مصطلحي الوضوء والصلاة
250	2.2.1.3.3. نماذج عن ترجمة عبارات مرتبطة بالقرآن والحديث
256	3.2.1.3.3. نماذج عن ترجمة مصطلحات الدعاء والذكر
258	4.2.1.3.3. نماذج عن ترجمة مصطلحات دينية متنوعة
263	3.1.3.3. التفاعل الثقافي بين إيضاح وتضمين المحتوى المتعلق باللغة وأسلوب النص

264	1.3.1.3.3 نماذج عن ترجمة المحتوى المتعلق بخصوصية اللغة العربية
278	2.3.1.3.3 نماذج عن ترجمة المحتوى المتعلق بأسلوب النص
286	2.3.3 الإيضاح والتضمين وعلاقتهما بالخطاب
286	1.2.3.3 نماذج عن ترجمة المحتوى المتعلق بالسياق التاريخي والسياسي
296	2.2.3.3 نماذج عن ترجمة المحتوى المتعلق بالآراء الفكرية والإيديولوجيا
301	3.2.3.3 نماذج عن ترجمة المحتوى المتعلق بإبراز للآخر
308	 خلاصة
	الفصل الرابع: الإيضاح والتضمين في الترجمة الأدبية من العربية إلى الإنجليزية في ضوء المقاربات الثقافية للترجمة
309	 تمهيد
309	1.4 التعريف بالمدونة الإنجليزية/العربية
309	1.1.4 رواية <i>Beloved</i> ، المؤلفة، والمترجم
309	1.1.1.4 تقديم رواية <i>Beloved</i>
313	2.1.1.4 تقديم ترجمة رواية <i>Beloved</i> إلى اللغة العربية
315	2.1.4 رواية <i>Atonement</i> ، المؤلف، والمترجم
315	1.2.1.4 تقديم رواية <i>Atonement</i>
318	2.2.1.4 تقديم ترجمة رواية <i>Atonement</i> إلى اللغة العربية
319	2.4 تحليل عتبات النص ودورها في إيضاح أو تضمين السمات الثقافية للنصوص الأصلية
321	1.2.4 تحليل مقدمات المترجمين
329	2.2.4 تحليل عناوين الترجمات وأغلفتها
334	3.4 تحليل آليات إيضاح وتضمين المحتوى الثقافي في المدونة في ضوء المقاربات الثقافية
335	1.3.4 الإيضاح والتضمين وعلاقتهما بالتفاعل الثقافي
335	1.1.3.4 التفاعل الثقافي بين إيضاح وتضمين المحتوى الخاص بالمأكل والملبس والمحيط
335	1.1.1.3.4 نماذج عن ترجمة أسماء الأطعمة
343	2.1.1.3.4 نماذج عن ترجمة أسماء الأثاث واللوازم المنزلية
348	3.1.1.3.4 نماذج عن ترجمة المصطلحات الخاصة بالأزياء والمظهر
354	4.1.1.3.4 نماذج عن ترجمة أسماء الأماكن ومصطلحات العمران
359	5.1.1.3.4 نماذج عن ترجمة المصطلحات الفنية
363	6.1.1.3.4 نماذج عن ترجمة المصطلحات الموسيقية
368	7.1.1.3.4 نماذج عن ترجمة أسماء النباتات والحيوانات

374	2.1.3.4. التفاعل الثقافي بين إيضاح وتضمين المحتوى التاريخي
374	1.2.1.3.4. نماذج عن ترجمة المصطلحات والأحداث التاريخية
380	2.2.1.3.4. نماذج عن ترجمة المصطلحات العسكرية والحربية
385	3.2.1.3.4. نماذج عن ترجمة المصطلحات الدينية
392	4.2.1.3.4. نماذج عن ترجمة المصطلحات الطبية
396	3.1.3.4. التفاعل الثقافي بين إيضاح وتضمين المحتوى المتعلق باللغة وأسلوب النص ...
396	1.3.1.3.4. نماذج عن ترجمة المحتوى المتعلق بخصوصية اللغة الإنجليزية
413	2.3.1.3.4. نماذج عن ترجمة المحتوى المتعلق بأسلوب النص
423	2.3.4. الإيضاح والتضمين وعلاقتهما بالخطاب
423	1.2.3.4. نماذج عن ترجمة المحتوى المتعلق بالسياق التاريخي والسياسي
437	2.2.3.4. نماذج عن ترجمة المحتوى المتعلق بالآراء الفكرية والإيديولوجيا
442	3.2.3.4. نماذج عن ترجمة المحتوى المتعلق بإبراز للآخر
447	 خلاصة
448	 خلاصة الدراسة التطبيقية
460	 الخاتمة
466	 قائمة المصادر والمراجع
	 المسرد
	 الملخص باللغة العربية
	 الملخص باللغة الإنجليزية
	 الملاحق

قائمة الجداول

229	الجدول 1/3: نماذج عن ترجمة أسماء الأطعمة (م1)
230	الجدول 2/3: نماذج عن ترجمة أسماء الأطعمة (م2)
231	الجدول 3/3: نماذج عن ترجمة أسماء الأطعمة (م3)
234	الجدول 4/3: نماذج عن ترجمة أسماء الأواني والأثاث
235	الجدول 5/3: نماذج عن ترجمة مصطلحات خاصة بالأزياء والمظهر (م1)
238	الجدول 6/3: نماذج عن ترجمة مصطلحات خاصة بالأزياء والمظهر (م2)
240	الجدول 7/3: نماذج عن ترجمة أسماء الأماكن
243	الجدول 8/3: نماذج عن ترجمة أسماء متنوعة
246	الجدول 9/3: نماذج عن ترجمة مصطلح الوضوء
248	الجدول 10/3: نماذج عن ترجمة مصطلحات مرتبطة بالصلاة
251	الجدول 11/3: نماذج عن ترجمة عبارات مرتبطة بالقرآن (م1)
253	الجدول 12/3: نماذج عن ترجمة عبارات مرتبطة بالقرآن (م2)
255	الجدول 13/3: نماذج عن ترجمة عبارات مرتبطة بالحديث الشريف
257	الجدول 14/3: نماذج عن ترجمة مصطلحات الدعاء والذكر
259	الجدول 15/3: نماذج عن ترجمة مصطلحات دينية متنوعة (م1)
261	الجدول 16/3: نماذج عن ترجمة مصطلحات دينية متنوعة (م2)
265	الجدول 17/3: نماذج عن ترجمة مصطلحات تتعلق باللغة المنطوقة
268	الجدول 18/3: نماذج عن ترجمة مصطلحات مرتبطة بالنحو
271	الجدول 19/3: نماذج عن ترجمة مصطلحات مرتبطة بالبيان
275	الجدول 20/3: نماذج عن ترجمة مصطلحات مرتبطة بالشعر العربي
277	الجدول 21/3: نماذج عن ترجمة عناوين الكتب
279	الجدول 22/3: نماذج عن ترجمة التقنيات السردية
282	الجدول 23/3: نماذج عن ترجمة عبارات تعكس التلون اللغوي
284	الجدول 24/3: نماذج عن ترجمة العبارات الاصطلاحية
	الجدول 25/3: نماذج عن ترجمة المحتوى المتعلق بالسياق السياسي في مصر بداية
287	القرن العشرين

290	الجدول 26/3: نماذج عن ترجمة المحتوى المتعلق بالحياة الاجتماعية في الجزائر قبل وبعد الاستقلال
293	الجدول 27/3: نماذج عن ترجمة المحتوى المتعلق بالسياق الثقافي في مصر بداية القرن العشرين
297	الجدول 28/3: نماذج عن ترجمة المحتوى المتعلق بالآراء الفكرية والإيديولوجيا
301	الجدول 29/3: نماذج عن ترجمة المحتوى المتعلق بإبراز الآخر موضوعها التعليم ..
304	الجدول 30/3: نماذج عن ترجمة المحتوى المتعلق بإبراز الآخر
336	الجدول 1/4: نماذج عن ترجمة أسماء الأطعمة (م1)
338	الجدول 2/4: نماذج عن ترجمة أسماء الأطعمة (م2)
341	الجدول 3/4: نماذج عن ترجمة أسماء الأطعمة (م3)
344	الجدول 4/4: نماذج عن ترجمة أسماء الأثاث واللوازم المنزلية (م1)
346	الجدول 5/4: نماذج عن ترجمة أسماء الأثاث واللوازم المنزلية (م2)
348	الجدول 6/4: نماذج عن ترجمة مصطلحات خاصة بالأزياء والمظهر (م1)
350	الجدول 7/4: نماذج عن ترجمة مصطلحات خاصة بالأزياء والمظهر (م2)
352	الجدول 8/4: نماذج عن ترجمة مصطلحات خاصة بالأزياء والمظهر (م3)
354	الجدول 9/4: نماذج عن ترجمة أسماء الأماكن ومصطلحات العمران (م1)
357	الجدول 10/4: نماذج عن ترجمة أسماء الأماكن ومصطلحات العمران (م2)
360	الجدول 11/4: نماذج عن ترجمة المصطلحات الفنية
363	الجدول 12/4: نماذج عن ترجمة المصطلحات الموسيقية (م1)
365	الجدول 13/4: نماذج عن ترجمة المصطلحات الموسيقية (م2)
366	الجدول 14/4: نماذج عن ترجمة المصطلحات الموسيقية (م3)
368	الجدول 15/4: نماذج عن ترجمة أسماء الأزهار (م1)
371	الجدول 16/4: نماذج عن ترجمة أسماء الأشجار (م2)
372	الجدول 17/4: نماذج عن ترجمة أسماء الحيوانات (م3)
375	الجدول 18/4: نماذج عن ترجمة المصطلحات والأحداث التاريخية (م1)
378	الجدول 19/4: نماذج عن ترجمة المصطلحات والأحداث التاريخية (م2)
380	الجدول 20/4: نماذج عن ترجمة المصطلحات العسكرية والحربية (م1)
383	الجدول 21/4: نماذج عن ترجمة المصطلحات العسكرية والحربية (م2)
384	الجدول 22/4: نماذج عن ترجمة المصطلحات العسكرية والحربية (م3)

386	الجدول 23/4: نماذج عن ترجمة المصطلحات الدينية(م1)
389	الجدول 24/4: نماذج عن ترجمة المصطلحات الدينية(م2)
393	الجدول 25/4: نماذج عن ترجمة المصطلحات الطبية
397	الجدول 26/4: نماذج عن ترجمة الجانب الشفهي للغة ومصطلحاته
401	الجدول 27/4: نماذج عن ترجمة التعابير المجازية
405	الجدول 28/4: نماذج عن ترجمة الشعر ومصطلحاته
408	الجدول 29/4: نماذج عن ترجمة عناوين الكتب والمؤلفين والإحالات الأدبية
414	الجدول 30/4: نماذج عن ترجمة التقنيات السردية في "الكفارة"
417	الجدول 31/4: نماذج عن ترجمة التقنيات السردية في "محبوبة"
420	الجدول 32/4: نماذج عن ترجمة عبارات فيها تلون لغوي
425	الجدول 33/4: نماذج عن ترجمة المحتوى المتعلق بالحرب العالمية الثانية
430	الجدول 34/4: نماذج عن ترجمة المحتوى المتعلق بتاريخ الأمريكيين السود
435	الجدول 35/4: نماذج عن ترجمة المحتوى المتعلق بالثقافة الأوروبية
438	الجدول 36/4: نماذج عن ترجمة المحتوى المتعلق بالآراء الفكرية والإيديولوجيا
443	الجدول 37/4: نماذج عن ترجمة المحتوى المتعلق بإبراز الآخر
	الجدول أ: تأثر إبراز الملامح الثقافية في المدونة العربية/الإنجليزية باستراتيجيات
449	الإيضاح والتضمين
	الجدول ب: تأثر إبراز الملامح الثقافية في المدونة الإنجليزية/العربية باستراتيجيات
450	الإيضاح والتضمين

مقدمة

تعتبر الترجمة عموماً والأدبية منها على وجه الخصوص وسيلة جيدة لربط الثقافات بعضها ببعض، ومدّ جسور التواصل بين الشعوب من خلال شخصيات الروايات وعوالمها والتي تفتح المجال للقارئ للتعرف على المختلف والغريب والاستمتاع بالنص الروائي في الوقت نفسه. لكن رحلة التعرف على هذا الآخر القادم عبر نص أدبي مترجم لا تخلو من الصعوبات والعوائق التي قد تقوض التواصل الثقافي المراد الوصول إليه. إذ تعدّ ترجمة النصوص الأدبية نوعاً من المغامرة لا يمكن التكهن بمدى قدرتها على تقديم ثقافة النص الأصلي بالشكل المطلوب، ولا بمدى اهتمامها بنوع الصورة المنقولة ودقة تفاصيلها.

ولطالما كانت فكرة ربط الطبيعة المعقّدة للبشر بتحدّيات التواصل العابر للغات مثيرة للباحثين، خاصة وأنّ التواصل بين أفراد تجمعهم لغة واحدة وثقافة واحدة لا يتأتّى بسهولة، فما بالك بمحاولة خلق رابط بين الشرق والغرب من خلال نص مترجم. والحال أنّ الترجمة في هذا العصر، وفي كلّ العصور ربما، تعدّ إحدى وسائل تمكين الثقافة والفكر، وليست مجرد أداة محايدة يمرّ عبرها النص إلى الثقافة المستهدفة. ففي عالم اليوم الصراع صراعات سرديات في المقام الأول، والسردية الأقوى تكفل لصاحبها الهيمنة بمختلف أشكالها. الأمر الذي يجعل النص المترجم مساحة لصراع الأفكار أو اتفاقها، والمسألة كلّها خاضعة للمترجم الذي لديه القدرة على إخراج النص بالشكل الذي أراد، حاملاً رسالة قد تختلف وقد تتفق مع الرسالة الأصلية.

غير أنّ المترجم لا يملك سيطرة كاملة على ما ينتجه، فهو الآخر محكوم بأعراف اجتماعية ودينية وأخلاقية وخاضع لسياسات نشر تفرض عليه معايير محددة ينبغي الالتزام بها. أي أنّ عملية الترجمة، والتي لا يمكن بأيّ حال فصلها عمّا يحيط بها من مؤثرات خارجية، تعكس بشكل أو بآخر أكثر من محتوى النصوص الأصلية وتنبئ بدرجة قد تقلّ أو تزيد عن سياق خروج الترجمات إلى النور. ويسمح الأخير، أي السياق، بدوره بفهم بعض قرارات المترجم واختياراته. ويعدّ هذا الشدّ والجذب الموجود

بين النص المترجم وسياقين ثقافيين مختلفين مساحة خصبة يمكن للباحث أن يغوص فيها ويحاول فهم ظاهرة الترجمة في إطارها.

وقد نبعت فكرة هذا البحث من ملاحظة عامة حول هيمنة اللغة الإنجليزية والثقافة الغربية وأثر ذلك على الترجمة فكراً وممارسةً. إذ يجد الدارس لتاريخ الترجمة شواهد كثيرة على علاقة التأثير والتأثر بين الترجمة وما يحيط بها من سياقات تاريخية وسياسية دينية. وقد وجدنا في مؤلفات كل من André Lefevere (أندريه لوفوفير، 1985م، 1990م، 1992م) و Susan Bassnett (سوزان باسنيت، 1999م، 2002م، 2014م) و Lawrence Venuti (لورانس فينوتي، 1992م، 1995م، 1998م) و Maria Tymoczko (ماريا تيموكسكو، 1999م، 2000م، 2002م، 2007م) الكثير من الدراسات التي تكشف الارتباط الوثيق بين الترجمة والهيمنة، وكيف يكون لمختلف القوى الفاعلة في المجتمع كلمتها فيما يُنشر وفي الصيغة التي يُنشر بها.

ولمّا كانت فكرة إخفاء الآخر ترتبط في الترجمة بأساليب معينة أكثرها انتشاراً ربما هما الحذف والتعميم، فقد رأينا أنّ دراسة هذه الفكرة في إطار مفهومي الإيضاح والتضمين (Explicitation/ Implication) قد تسمح بتحليل موضوع الدراسة بشكل أفضل وتُجَنَّب البحث الضبابية والتعميم بإعطائه حدود واضحة تلزمه بالتركيز على جوانب بعينها في التحليل.

وقد تناولت عديد الأبحاث والدراسات في الترجمة موضوع الهيمنة في الترجمة، وهو موضوع يتم في الكثير من الأحيان ربطه بمفاهيم التوطين والاختفاء والمقاومة عند فينوتي. فعلى سبيل المثال وجدت دراسة بعنوان "علاقات القوة والترجمة كإعادة كتابة في السياق ما بعد الاستعماري" (2019) (Power Relations and Translation as "Rewriting" in Postcolonial Context) أنّ النصوص الأدبية العربية المترجمة إلى الإنجليزية تكون عرضة لنوع من العنف في الترجمة والنشر ناتج عن استخدامات متباينة لاستراتيجيات التوطين والتغريب. ونفس النتائج تقريباً توصلت إليها دراسة بعنوان: "الهيمنة الإنجليزية

والأدب العالمي: دراسة لتدفق الترجمة وتداول الأدب" (2022) (The Hegemony of English and) "World Literature: A Study of Translation Flow and Literary Circulation"، حيث وجدت الدراسة أن آليات اختيار وترجمة النصوص من مختلف الثقافات إلى اللغة الإنجليزية تشجع على طمس الاختلاف الثقافي وأن هناك ضرورة لمقاومة هذا التيار بانتهاج سبل نشر وترجمة مختلفة. وتتجه جلّ الدراسات التي اطلعنا عليها في إطار هذا البحث إلى تحليل ما يحدث للنصوص عند ترجمتها إلى الإنجليزية دون محاولة مقارنتها بالنصوص المترجمة إلى اللغات الأخرى للوقوف على مدى صحة هذا الزعم.

وبالنسبة لاستراتيجيتي الإيضاح والتضمين فقد تم تناولهما أيضا في عدد من الدراسات، نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر دراسة بعنوان: "الإيضاح في الترجمة الأدبية من اللغة الإنجليزية إلى اللغة العربية: قصة حديقة النبي لجبران وترجمتها إلى العربية أنموذجا" (2018)، وهي دراسة تركز على الجانب اللغوي لمفهوم الإيضاح. في حين تتناول دراسة بعنوان: "نسقية التدمير في ترجمة روايات نجيب محفوظ إلى الفرنسية: نماذج عن نزعة الإيضاح في ترجمة روايات زقاق المدق وثرثرة فوق النيل وأولاد حارتنا." (2016) فكرة الإيضاح من حيث كونها أداة تشويه وطمس لمعالم النص الأدبي.

وجلّ الدراسات التي تم الاطلاع عليها لأغراض هذا البحث لم تحاول الربط بين فكري الهيمنة والإيضاح والتضمين باستثناء دراسة واحدة بعنوان: "اللاتناظر اللغوي والثقافي من وإلى اللغات الثانوية" (2017) ("Linguistic and Cultural Assymetry From and Into Minor Languages")، والذي

خلصت فيه الباحثة إلى أن هناك ميل عام للتوطين في الترجمة بغض النظر عن الاتجاه الذي تُترجم إليه. وقد حاولنا في هذا البحث انتهاج نفس الأسلوب بمقارنة ترجمات إلى اللغة الإنجليزية بأخرى إلى اللغة العربية قصد التمكن من الوصول إلى نتائج أكثر واقعية. فمشروع البحث الأساسي باختصار يقوم على تقصي مدى تجلّي هيمنة الثقافة واللغة من خلال مقارنة بين ترجمات بعض النصوص الأدبية إلى

اللغة الإنجليزية وأخرى مترجمة إلى اللغة العربية في ضوء المقاربات الثقافية للترجمة، مع تركيز على استراتيجيتي الإيضاح والتضمين كأدوات للمقارنة. وتتم المقارنة من خلال تحليل صورة الثقافة الأصلية التي تنقلها الترجمة في كل حالة والوقوف على أهم الاختلافات التي تؤكد أو تنفي فكرة الهيمنة المذكورة. ونظراً لتشعب هذه المفاهيم وتنوع معانيها فقد كان الاهتمام الأكبر بها في بعدها الثقافي، أي مدى إبراز أو إخفاء الآخر في الترجمة، ومختلف الأساليب المستعملة لهذا الغرض. فهذا الإبراز أو الإخفاء هو المقياس الذي سنستخدمه للتحقق من ميل الترجمة إلى فرض رؤية الثقافة المستقبلية من عدمه وكشف مدى اشتراك الثقافات المختلفة في هذا السلوك أو كونه خاصاً بالترجمة إلى اللغة الإنجليزية أكثر من سواها، وهي الحالة التي تؤكد فكرة وجود نزعة هيمنة تنسم بها الترجمات إلى اللغة الإنجليزية دون غيرها.

فهدف هذه الدراسة هو تحليل عمل استراتيجيتي الإيضاح والتضمين في الترجمة والوقوف على مدى توافقهما أو تعارضهما مع إبراز أو إخفاء السمات الثقافية للنص الأصلي. فالبحث معني بوجهين للإيضاح هما الإيضاح كأسلوب في الترجمة، وكذا الإيضاح بمعنى إظهار الثقافة الأصلية في الترجمة. ونفس الأمر ينطبق على التضمين. والغرض من هذا المزج بين المفاهيم هو محاولة تقدير مدى فعالية أساليب الإيضاح فيما يتعلق بالثقافة الأصلية على اعتبار أنّ الترجمة هي في المقام الأول محاولة لتحقيق نوع من التفاعل الثقافي.

وعليه ارتأينا أن يتناول البحث الموضوع التالي: "استراتيجيتا الإيضاح والتضمين في الترجمة الأدبية من الإنجليزية إلى العربية والعكس في ظل المقاربات الثقافية للترجمة". والذي سنحاول من خلاله الإجابة على الإشكالية الرئيسية التالية: هل تختلف الترجمة الأدبية من العربية إلى الإنجليزية عن نظيرتها من الإنجليزية إلى العربية في استخدامها لاستراتيجيتي الإيضاح والتضمين؟ وهل تميل الأولى إلى إخفاء الآخر أكثر كشكل من أشكال الهيمنة كما تفترض بعض المقاربات الثقافية للترجمة؟

والإجابة على هذا التساؤل تمر حتماً عبر الإجابة عن التساؤلات الفرعية التالية:

1. كيف تفسر المقاربات الثقافية للترجمة العلاقة الشائكة التي تربط الثقافة الأصلية بالثقافة

المستقبلية؟

2. كيف تعمل استراتيجيتي الإيضاح والتضمن في النصوص المترجمة؟ وهل يمكن أن تؤثر سلباً

على تجلّي الآخر في الترجمة؟

3. ما هو الدور الذي تلعبه عتبات النص في توجيه فهم القارئ والتأثير عليه؟ وما ضرورة دراسة

النصوص المترجمة في كليتها ضمن المقاربة الثقافية للترجمة؟

4. كيف يتأثر التفاعل الثقافي وخطاب النص باستخدام المترجم لاستراتيجيتي الإيضاح والتضمن

في الترجمة الأدبية؟ وهل يختلف هذا التأثير باختلاف اتجاه الترجمة (إلى العربية أو إلى

الإنجليزية)

وبغية الوصول إلى إجابة واضحة لهذه التساؤلات عمدنا إلى اختيار مدونة مكونة من نصين روائيين

عربيين وترجمتهما إلى اللغة الإنجليزية، ونصين روائيين إنجليزيين وترجمتهما إلى اللغة العربية. وقد تم

اختيار النصوص بعناية لما تعكسه من خصوصيات ثقافية تجعل من ترجماتها ميداناً خصباً للبحث

والتحليل. والنصوص المختارة هي:

1. "الأيام" (1929/2010م) لطفه حسين، وترجمتها إلى الإنجليزية *The Days* (2006م). والجدير

بالذكر أنّ الرواية صدرت في البداية في شكل أجزاءٍ ثلاث وتمّ ترجمة كلّ جزء على حدة من

طرف ثلاثة مترجمين مختلفين. ترجم الجزء الأول Evelyn Henry Paxton (إيفلين هنري

باكستون) بعنوان *An Egyptian Childhood* عام 1932م، وترجم الجزء الثاني Hilary

Wayment (هيلاري وايماننت) تحت عنوان *The Stream of Days: A Student at the Azhar*

عام 1948م. فيما ترجم الجزء الثالث Kenneth Kragg (كينيث كراغ) واختار له عنوان *A*

Passage to France عام 1973م. واعتمدت هذه الدراسة على نسخة الجامعة الأمريكية في

القاهرة (2006م) والتي حوت الترجمات الثلاث.

2. "الزلازل" (1974/2007م) للطاهر وطّار، وترجمها إلى الإنجليزية William Granara (وليام

غرانا) بعنوان *The Earthquake* عام 2000م.

3. *Beloved* (1987م) ل Toni Morrison (طوني موريسون)، ترجمة أمين العيوطي بعنوان

"محبوبة" عام 1987م.

4. *Atonement* (2000م) ل Ian Mc Iwan (إيان ماك إيوان)، ترجمة محمد درويش بعنوان

"الكفارة" عام 2012م.

وتسلط رواية "الأيام" الضوء على الحياة الاجتماعية والسياسية في مصر في النصف الأول من القرن

العشرين، بينما تدور أحداث رواية "الزلازل" في السنوات الأولى لاستقلال الجزائر. وكلا النصين غنيّ

بالتفاصيل الثقافية التي تفرض على المترجم تحديات من نوع خاص. ونفس الأمر يمكن قوله عن

الروايتين الإنجليزيتين *Beloved* و *Atonement*، إذ تنقل الأولى جانباً من تاريخ السود الأمريكيين

ومعاناتهم، فيما تروي الثانية قصة فتاة بريطانية شابة زمن الحرب العالمية الثانية. وجميع نصوص

المدونة دسمة بالمحتوى الثقافي، إذ قمنا في الدراسة التطبيقية بتحليل زهاء الأربعمئة مثال موزعة على

مواضيع مختلفة ومتعددة بغرض الوقوف على أكبر قدر ممكن من أوجه الثقافة التي قد تتأثر بالترجمة.

ونظراً لطبيعة الإشكالية المطروحة فقد قمنا بتطبيق منهجية تقوم على التحليل في مرحلة أولى، حيث

تتطلب الإجابة على الإشكالية الرئيسية والتساؤلات الفرعية تحليلاً لمجموعات متنوعة من الأمثلة في

الاتجاهين (إلى الإنجليزية وإلى العربية). وفي مرحلة ثانية قمنا بتطبيق منهجية مقارنة للوقوف على

طبيعة الاختلافات الموجودة في استعمال أساليب الإيضاح والتضمين وعلاقتها بالاتجاه الذي نُترجم إليه.

أما فيما يخص منهجية التوثيق فقد اعتمدنا على نظام APA الطبعة السابعة.

وتضع الدراسة عدداً من الفرضيات التي ستحاول نفيها أو تأكيدها. وأولى هذه الفرضيات تلك التي تزعم ميل الترجمات إلى اللغة الإنجليزية أكثر من غيرها إلى إخفاء الآخر والإسقاط على الذات تعكسه لغة النص واختيارات المترجم. ثانياً، تفترض الدراسة أن إيضاح وتضمين المحتوى الثقافي لا يخضع دائماً للمنطق اللغوي، فما قد يتم إيضاحه على المستوى اللساني لا يؤدي بالضرورة إلى تجلي حقيقي لثقافة النص الأصلي في الترجمة، وهو ما يتقاطع نسبياً مع أساليب التشويه عند Antoine Berman أنطوان برمان (1985م). أي أن نجاح أو فشل هذه الأساليب في الحفاظ على الملامح الثقافية الخاصة للنص الأصلي في الترجمة نسبي، كما قد يتأثر استخدامها بالاتجاه الذي نترجم إليه (إلى الإنجليزية أو إلى العربية).

ثالثاً، يفترض البحث أن الإيضاح الحقيقي يعمل على مستويات عدة، المستوى اللغوي هو فقط واحد منها. ففي الكثير من الأحيان ما يُنظرُ إليه منطقياً على أنه إيضاح تكون نتيجته زيادة درجة الصعوبة أو التعقيد، وبالتالي تضميناً مبطناً. ونظراً لتركيز البحث على مفهوم الإيضاح في ضوء المقاربات الثقافية للترجمة، فهناك إمكانية لئلا يعمل إيضاح أو طمس الثقافة أو المفاهيم الثقافية بالضرورة وفقاً لآليات الإيضاح والتضمين النصية.

رابعاً، تفترض الدراسة أن لرؤية المترجم وأسلوبه دور محوري في إظهار أو إخفاء الثقافة الأصلية في الترجمة الأدبية. فمختلف القرارات الترجمية يكون لها انعكاسات مادية على النص المترجم وعلى مدى تجلي الآخر من خلاله. أخيراً، وغير بعيد عن أسلوب المترجم، تفترض الدراسة أيضاً أن لعتبات النص دوراً لا يمكن إنكاره في تقديم الثقافة الأصلية، لكننا نعتقد أن الترجمات إلى العربية قد تختلف عن الترجمات إلى الإنجليزية في كيفية استغلالها لهذه المساحات.

وتتقسم الدراسة إلى قسمين، الأول نظري والثاني تطبيقي ويتكون كلاهما من فصلين، بالإضافة إلى خلاصة للدراسة التطبيقية، مقدمة وخاتمة. حاولنا في الفصل الأول من القسم النظري تسليط الضوء على

مفهوم المقاربات الثقافية للترجمة وبعض نظريها ومدارسها. وجاء اختيارنا للنظريات وفقاً لما نحسبه ارتباطاً موجوداً بينها وبين موضوع البحث. كما تم تخصيص جزء من هذا الفصل لتمحيص خصوصية الترجمة الأدبية. وعمدنا في الجزء الأخير من الفصل الأول لعرض بعض القضايا ذات الطابع الثقافي والتي تم مناقشتها في إطار نظريات الترجمة. وهي المواضيع التي اعتمدنا على بعضها في الدراسة التطبيقية.

أما الفصل النظري الثاني فقد خصصناه لدراسة مفهومي الإيضاح والتضمين (Explicitation / Implication)، وتم فيه التطرق لمختلف التعريفات والتصنيفات بغرض لفت الانتباه إلى نسبية المفهوم، وهي نسبية تزداد تعقيداً عند التركيز على هذين المفهومين في بعدهما الثقافي. كما أفردنا آخر جزء في الفصل لاعتبات النص، باعتبارها وسيلة من وسائل إبراز الثقافة الأصلية في الترجمة من جهة، وإحدى استراتيجيات الإيضاح البراغماتي من جهة ثانية.

القسم التطبيقي جاء هو الآخر في فصلين، اهتم الأول، وثالث فصول الدراسة، بتحليل الترجمات إلى اللغة الإنجليزية والوقوف على كيفية استعمال استراتيجيتي الإيضاح والتضمين لإبراز الثقافة الأصلية أو طمسها وذلك ضمن موضوعي التفاعل الثقافي والخطاب. وقد قمنا لهذا الغرض باختيار مواضيع متنوعة كالطعام واللباس واللغة والأسلوب والمحتوى الديني والتاريخي وغيرها حتى يكون لنتائج التحليل مصداقية أكبر. فقد اشتمل هذا الفصل على تحليل 174 مثلاً موزعة على الفئات المختلفة، وهذا للحصول ما أمكن على نتائج تحاكي الواقع ولا تحاول تزييفه.

ونفس النهج يمكن إيجاده في الفصل الأخير والذي كان التركيز فيه على الترجمات إلى اللغة العربية. وقمنا فيه بتحليل 216 مثلاً موزعة هي الأخرى بين جوانب ثقافية متنوعة. وبحيث أن الدراسة لا تكتفي بالتحليل، ولكن تحاول أيضاً رصد أوجه التشابه والاختلاف بين الترجمات إلى العربية ونظيرتها

إلى الإنجليزية، بغية نفي أو تأكيد وجود تأثير لسطوة اللغة الإنجليزية أكثر من غيرها على إيضاح ثقافة الآخر في الترجمة، فقد عمدنا إلى تقديم نتائج الدراسة المقارنة في شكل خلاصة عامة للقسم التطبيقي. لقد حاولنا في هذه الدراسة الاتجاه بالبحث نحو ميدان مقارنة الترجمات إلى لغتين مختلفتين، وهو ميدان تقلّ فيه الأبحاث، إذ لاحظنا اهتماماً أكبر بمقارنة الترجمات المتعددة للعمل الأدبي الواحد. وصحيح أنّ الوصول إلى نتائج دقيقة في هذا الموضوع يتطلب دراسة أعداد كبيرة من النصوص، لكنّ العمل على دراسة عدد قليل من النصوص له أيضاً إيجابيات، لعلّ أهمها وضع الترجمة إلى العربية ونظيرتها إلى الإنجليزية وجهاً لوجه ومحاولة الوقوف على ما يجمعهما وما يفرقهما بشكل عملي قائم على التحليل والمقارنة على أسس متشابهة. من جهة ثانية عملت الدراسة على التعمق أكثر في موضوع عتبات النص أو النص الموازي في الترجمة الأدبية، وهو أيضاً ميدان تعدّ أبحاث الترجمة الأدبية فيه قليلة، خاصة الترجمة من وإلى اللغة العربية. ونحسب أنّ الدراسات المقارنة بهذا الخصوص يمكنها أن تثري البحث الأكاديمي وتسهم في تنوعه وتوسعه. وإضافة إلى الفوائد الممكن جنيها من مقارنة هذه الأجزاء من النصوص في الترجمات المختلفة، يعدّ تناولها بالبحث حتّى على مستوى لغة واحدة مجالاً غنياً وفيه من إمكانيات البحث والتقصي الكثير.

الفصل الأول

المقاربات الثقافية للترجمة

تمهيد

يُسلط الفصل النظري الأول الضوء على المقاربات الثقافية للترجمة، وهو اتجاه يهتم بدراسة الترجمة في ضوء سياقاتها الثقافية المتعددة. وتركز جُلُّ هذه المقاربات، على اختلاف مذاهبها، على الثقافة بأوجهها المختلفة وكيفية تأثيرها على الترجمة والمترجم. ولهذا الغرض سيُخصص أول أقسام هذا الفصل لمناقشة نشأة المقاربات الثقافية للترجمة وتطورها وأهم مدارسها ومفكراتها. ويركز القسم الثاني على الترجمة الأدبية من حيث خصوصيات النص الأدبي التي كثيراً ما تضع المترجم أمام تحديات جديّة عند الترجمة. ومن ثمة، وفي آخر أقسام هذا الفصل، سيتم التطرق لبعض القضايا التي ناقشتها المقاربات الثقافية. أولى هذه القضايا هي التفاعل الثقافي والعلاقة الشائكة التي تربط الترجمة بالثقافة، فمن جهة، يُنظر إلى الترجمة كمحرض على (وسبب في) التفاعل والتواصل بين الثقافات، ومن جهة ثانية يُنظر إلى الثقافة على أنها عامل له تأثيره القوي على الترجمة والمترجم ومُتحكم حقيقي في مصير النصوص المترجمة. وثانيها هي قضية الإيديولوجيا والخطاب والتي شغلت عدداً غير قليل من المفكرين، وقد حاولنا الوقوف على كيفية تأثر دراسات الترجمة بالكثير من الأفكار والخطابات السائدة والواسعة الانتشار، وكذا تحليل الخطاب النظري للترجمة. وغير بعيد عن الإيديولوجيا، تناقش القضية الثالثة فكرة إعادة الكتابة والتلاعب في الترجمة، فيما تهتم آخر القضايا بموضوع صراع الأنا والآخر في الترجمة.

1.1. ظهور المقاربات الثقافية للترجمة وتطورها

يُجمع معظم منظري الترجمة على اتساع الآخرة بتعدد التخصصات، فتأثرها بمجالات معرفية عدة أسهم بشكل كبير في تطورها واتساع أفاق البحث فيها. وقد شهد مجال الترجمة تطوراً لافتاً منذ بدأ المفكرون في الابتعاد عن مقارنة مختلف الإشكاليات في الترجمة مقارنة لغوية ولسانية محضة. إذ دأب الباحثون في مجال الترجمة حتى وقت قريب على التركيز على النواحي اللغوية والجمالية للنص والحكم على أداء المترجم من خلال مدى تمكنه من الحفاظ على هذه المكونات في النص المترجم. لكن في العقود الأخيرة بدأ المنظرون بالاهتمام بالمناحي غير اللغوية للترجمة والتي تُسهم بشكل جدي في فهم الظاهرة الترجمية بشكل أدق وأعمق. شئنا أم أبينا كل نص أصلياً كان أو ترجمة هو نتاج تفاعل الكلمة والفكرة مع مجموع العوامل الاجتماعية والسياسية التي تحيط بها وتنتجها. وبناءً على ذلك، وتزامناً مع طي صفحة الاستعمار وبدأ الشعوب في أرجاء العالم المختلفة بإعادة ترتيب أوراقها ومحاولة فهم وبناء هوياتها الثقافية والأدبية، توسع النقاش في موضوع الترجمة ليشمل الجوانب التاريخية والاجتماعية والسياسية.

وقد بدأت نظريات الترجمة في العقود الأخيرة بإعادة النظر في العديد من قضايا الترجمة والتي ظلت لسنوات حقيقة ثابتة ومبدأً راسخاً. ولهذا الغرض نحت الكثير من مقاربات الترجمة منحى المقاربات الأدبية ونسجت على منوالها، ومثال ذلك المقاربة النسوية والمقاربة ما بعد الاستعمارية. وبدأ المفكرون في أنحاء العالم المختلفة بالدعوة إلى التعامل مع النص المترجم على أنه عمل إبداعي وأنه الأصل في اللغة الهدف، وإلى ضرورة الانتباه إلى أن معايير تقييم النصوص ظلت لقرون رهينة رؤية غربية محضة، لطالما كانت مجحفة في حق الثقافات غير الأوروبية. وكنتيجة حتمية لذلك كثيراً ما أنزلت هذه النصوص منزلة البشع والسيئ فقط لأن مضمونها غريب بالنسبة للمتلقي الغربي ولغتها، وإن كان لها شعريتها وجمالياتها المألوفة لدى قارئ النص الأصلي، غير مستساغة من منظور غربي.

ولم يجد النقاش حول الترجمة والثقافة عما كان سائداً في دراسات الترجمة عموماً من انتصار لثقافة النص الأصلي على اعتبارها العنصر الذي يتوجب حمايته أثناء عملية النقل من جهة، والتحيز للثقافة المستقبلية من جهة أخرى، كونها تتفاعل وتتأثر وقد تُشوّه هي الأخرى نتيجة لهذا الاحتكاك. غير أن النقاش ذهب باتجاه أكثر واقعية بفضل بعض المنظرين، ما مكن من الحصول على نتائج جدّ مهمة ساهمت في تطور دراسات الترجمة واتساع أفقها. فقد حاول منظّرون من أمثال André Lefevere (أندريه لوفوفير)، Susan Bassnett (سوزان باسنيت)، Lawrence Venuti (لورانس فينوتي) وغيرهم كثيرون تسليط الضوء على ظاهرة الترجمة من هذا المنظور، أي الترجمة كفعل تتقاطع عنده لغتين وثقافتين مختلفتين، مع كل التعقيدات التي قد تصاحب هكذا لقاء كهوية المترجم، طبيعة النص الذي وقع عليه الاختيار للترجمة، طبيعة العلاقة التي تربط الثقافة الأصلية بالثقافة المستقبلية وغيرها، والتي يكون لها الأثر المباشر على النتيجة النهائية للترجمة. فمن الواضح أن نظرية الترجمة باتت تولي العوامل التي تحيط بعملية الترجمة أهمية تفوق أهمية العوامل اللسانية، وهو ربما أبرز خصائص المقاربات الثقافية للترجمة.

تعتبر دراسات الترجمة (Translation Studies) عموماً، بوصفها مقاربات نظرية لظاهرة الترجمة، حديثة العهد مقارنة بمجالات أخرى تقترب منها وتتقاطع معها مثل الدراسات اللغوية والأدبية على سبيل المثال لا الحصر. وبالطبع المقصود هنا هو دراسات الترجمة بصفتها مجال أكاديمي قائم بذاته، فمن اليسير على أي مبتدئ أن يجد في كتب التاريخ، ومنذ آلاف السنين، ما يدل على أن الكثيرين اهتموا بدراسة الترجمة بوصفها مفهوم أو ظاهرة على مر العصور. غير أن التطور الحقيقي في هذا المجال يمكن رصده منذ سبعينات القرن الماضي، مع ظهور دراسات في الترجمة والدعوة لاعتبارها حقلاً معرفياً مستقلاً وليس مجرد موضوع يتم مناقشته في إطار اللسانيات التطبيقية. ولعل أهم هذه الدراسات هي تلك التي نشرها كل من Eugene Nida (يوجين نايدا، 1964م)، Hans Vermeer (هانز فرمير، 1984م)،

وEtamar Even Zohar (إيتماريفن زوهار، 1978م). وتكمن أهميتها فيما نتج عنها من ردود أفعال ودراسات أخرى حاولت إثباتها أو نفيها أو التوسع في بعض مفاهيمها. وجاءت الدراسات في بداياتها وفيه للخلفية التي ينحدر منها كل مفكر، فاعتبر البعض الترجمة ظاهرة لسانية بحتة يمكن تفسيرها في إطار اللغة وحل كل مشكلاتها في ذات الإطار. فيما عكف آخرون على إعطائها بعدا فلسفيا وأدبيا محاولين الإجابة على أسئلة فقدت الكثير من زخمها اليوم، أسئلة من قبيل إمكانية الترجمة ومعنى الأمانة في الترجمة.

عموما يمكن تصنيف بواكير نظريات الترجمة إلى صنفين، الأول توجيهي يهدف إلى تسليط الضوء على مشاكل الترجمة واقتراح حلول عملية لها، وكذا تحديد معايير الترجمة "الجيدة" والترجمة "السيئة"، أما الثاني فوصفي يهتم أكثر بتحليل الترجمات الموجودة فعلا ومحاولة تفسيرها من خلال سياقاتها التاريخية والثقافية والأدبية، وقد كان لهذه الدراسات تأثير كبير على الاتجاهات التي أخذتها نظريات الترجمة في العقود التي تلت. إذ شهدت سنوات الثمانينات والتسعينات ثورة حقيقية في مجال دراسات الترجمة من حيث الكم والكيف على حد سواء، فازداد الحقل اتساعا وتتنوع الاهتمامات لتشمل مواضيع جديدة فرضتها التغيرات التي شهدتها العالم ولا يزال. ولعل أبرز هذه التغيرات التطور التكنولوجي الهائل الذي أثر بشكل مباشر على أساليب التواصل بين البشر، وجعل الحدود التي كانت في الماضي واضحة لا غبار عليها تبدو هشة، سهلة الاختراق، يصعب في الكثير من الأحيان الحكم على بدايتها أو إلى أين تنتهي. وعرف العالم حركة غير مسبوقة لتنتقل الأفراد إلى دول مختلفة، باتجاه الغرب في غالب الأحيان، بحثا عن فرص أفضل للعيش أو بسبب الحروب. وجاءت المقاربات الثقافية للترجمة ربما كانعكاس طبيعي لكل هذه العوامل وبروز الثقافة بوصفها عنصر محرك للأحداث، دافع، وحتى محصلة نهائية. الأمر الذي دفع الكثير من المفكرين لتناول موضوع الترجمة في شقه المرتبط بالثقافة وتجلياتها المختلفة بالكثير من التفصيل والتنوع.

تُعرّف باسنيت (2007م) المقاربات الثقافية للترجمة بشكل عام وبسيط على أنها تلك التغيرات التي طرأت على دراسات الترجمة وأجبرتها على الانتقال من الاهتمام الصرف بالجانب اللغوي إلى الاهتمام أكثر بالعناصر غير اللغوية والتي لها تأثير مباشر على عملية الترجمة وكذا على منتجها النهائي. فبات من المُحتّم ربط عملية الترجمة بالسياق والتاريخ والاصطلاح وغيرها من العوامل التي أثبتت الدراسات أنها لا تقل أهمية عن مفاهيم مثل المعنى والأمانة والتكافؤ في الترجمة، وهي المفاهيم التي دأب المنظرون على تحليلها والعناية بها لعقود طويلة (Bassnett, 2007, 13). ويُلاحظ Piotr Kuhiwczak and Karin Littau (بيوتر كوهيوزاك وكارين ليتو، 2007م) أنّ هذه التحولات في نظرية الترجمة يمكن ربطها بنوع من الانفتاح التدريجي في النظريات الأدبية واللسانية عموماً. فبات من الممكن اعتماد استراتيجيات قراءة، وبالتالي استراتيجيات ترجمة، متنوعة للنصوص بما يتوافق مع التنوع الموجود في الاتجاهات الثقافية والفكرية. وكنيجة حتمية لهذا التطور، أصبح اهتمام الباحثين منصب أكثر على العوامل الإيديولوجية والثقافية التي تؤثر في الترجمة والمُترجم على حد سواء مثل الاختلاف بوجوهه المتعددة. وفي واقع الحال كان للترجمة دور مؤثر في تطور عدد من المجالات في العلوم الإنسانية أثرت فيما بعد في التطور الذي وصفناه أعلاه، ذلك أنّ ترجمة بعض النصوص أدّى إلى تغيير جذري في الاتجاهات الفكرية وهو ما حدث مثلاً بعد ترجمة دوسوسير إلى الإنجليزية وكذا نصوص الحركة النسوية الفرنسية والتي أصبح لها انتشار عالمي بعد ترجمتها إلى الإنجليزية. من جهة ثانية كان لهذا التغيّر والنشاط الكبير في نظرية الترجمة سنوات الثمانينات والتسعينات من القرن الماضي شواهد كثيرة على أرض الواقع تمثلت في ظهور الكثير من المجالات العلمية الخاصة بالبحث في موضوع الترجمة إضافة إلى تشكّل فرق بحث مهمة في أنحاء مختلفة من العالم أعطت نفساً جديداً لهذا الميدان، لدرجة جعلت ميادين معرفية على غرار اللسانيات والأدب تلتفت إلى الترجمة وتتنظر إليها بعين مختلفة (انظر

داخلية، أعادت من خلالها النظر في الكثير من منهجياتها وأهدافها. (Kuhiwczak. P and Littau. K, 2007, 2-5).

سمحت كل هذه العوامل لنظرية الترجمة بإعادة هيكلة

داخليا، أعادت من خلالها النظر في الكثير من منهجياتها وأهدافها. إذ يؤكد

ولا يجب أن يعتقد القارئ أن المقاربات الثقافية للترجمة تشترك في دوافعها وأهدافها. (Jeremy Munday (جيريماي مانداي، 2016م) أن الاختلاف في الطرح يكون أحيانا بيّنا، ببساطة لأن

الزاوية التي يُدرس من خلالها موضوع الترجمة ليست واحدة، وهو ما يفسر وصول بعض المنظرين

لنتائج متناقضة، لكن هذا لا يُعدُّ عيباً في حد ذاته بل يجب النظر إليه كوسيلة لإثراء دراسات الترجمة

وتوسيع آفاقها. إنّ مختلف الأفكار التي تناقشها المقاربات الثقافية للترجمة هي محاولات جادة لفهم ظاهرة

الترجمة بشكل أعمق، لكن هذا لا يجب أن يجعلنا نغض الطرف عن حقيقة أنّ هموم المفكرين وقضاياهم

هي ما يدفعهم باتجاه طرح معين دون سواه. فالإيديولوجيا ليست ذلك العامل الذي يُفسر كثيراً من الوقائع

في تاريخ الترجمة أو ممارستها فحسب، بل هي أيضاً ذلك الجانب في شخصية المفكر الذي يجعله

يميل، عن وعي أو بدونه، إلى تفسير الظاهرة الترجمية من منظور محدد دون سواه (انظر Jeremy

Munday, 2016, 213-214).

وبحسب باسنييت (Bassnett, 2007, 13-19)، بدأ التوجه أو المنعطف الثقافي (Cultural turn)

في دراسات الترجمة في الظهور منذ أواخر ثمانينيات وبداية تسعينات القرن الماضي، مع بداية تظن

الدارسين لضرورة الاستفادة من بعض أدوات الدراسات الثقافية والتاريخية لإثراء وتعميق دراسة الترجمة،

التي اتجهت بالفعل منذ ذلك الحين إلى طرح مواضيع مرتبطة بالإيديولوجيا والثقافة والأخلاق بشكل

متزايد. كما شهدت جل العلوم الإنسانية بحسبها ذات التوجه فباتت الاتجاهات الثقافية جزءاً لا يتجزأ من

مواضيعها ودوائر اهتمامها. وتعتبر نظرية النُسق المتعدّدة (Polysystems Theory) من بين الدراسات

التي عبّدت الطريق للتوجه الثقافي في الترجمة وأثّرت بشكل أو بآخر فيما تلاها من دراسات، خاصة فيما

يتعلق بإعادة النظر في مكانة الترجمة وأهميتها في تاريخ الأدب. كما كان لنظرية الغاية (Skopos

(theory) دور في هذا الاتجاه لاهتمامها بوظيفة النصوص المترجمة في الثقافة المستقبلية. بمعنى آخر بدأ التركيز يكون أكبر على النص المترجم على اعتباره جزء من النظام الذي يستخدمه، وهو ما أبعد شيئاً ما عن المقارنات الممنهجة والمُجَهفة في الكثير من الأحيان مع النص الأصلي. وتذكر الباحثة بعض الأمثلة عن اتجاهات البحث في الترجمة بتأثير من المقاربة الثقافية، مثل ترجمة وتأويل النصوص الكلاسيكية (الإغريقية واللاتينية)، والتي قد تأتي بالجديد إذا ما تمرت على حدود النص وأعادت بناء العوالم التي أنتجته، أو كيفية تأثير الترجمة على النظام الأدبي وعلاقة ذلك بمدى احتياج النظام للترجمة، وأخيراً وظيفة الترجمة بوصفها محرّض على التفاعل الثقافي والتي تكون ممكنة إذا ما تمّ فهم وظيفة ومكانة النصوص في أنظمتها الخاصة فهماً صحيحاً وبالتالي فهم طبيعة العلاقة التي تربط الثقافتين. بشكل عام، سمح التغيير الذي طرأ على نظرية الترجمة واهتمامها المتزايد بالجانب الثقافي بكل تعقيداته بتطور ملموس انعكس في نوعية المواضيع التي بات ممكناً تناولها وفحصها. إذ أنّ التركيز على السياق، سواء ارتبط الأخير بالثقافة الأصلية أو الثقافة الهدف، ساعد في فهم ظاهرة الترجمة بطريقة واقعية وأبعدها عن الكثير من النقاشات التي ثبت عدم جدواها.

2.1. أهم مدارس المقاربات الثقافية للترجمة ومنظريها

يستعرض هذا القسم من البحث مجموعة من النظريات والآراء الفكرية المنضوية تحت لواء المقاربات الثقافية للترجمة بهدف تمكين القارئ من التعرف على أهم الاتجاهات التي طبعت هذه المقاربات من جهة، والوقوف على مدى تشعبها واختلافها والذي يجعل محاولة سبر أغوارها مهمة شاقة من جهة ثانية.

1.2.1. نظرية النُسق المتعددة ومكانة الأدب المترجم

تكمن أهمية نظرية النُسق المتعددة في تسليطها الضوء على أهمية ومكانة النصوص المترجمة من منظور الثقافة المستقبلية ومدى تأثير نظامها الأدبي بهذه الترجمات. وتلاحظ باسنيت (2007م) أن هذه النظرية تُقارب السياق الثقافي والتاريخي بكثير من الاهتمام لدورهما المحوري في تحديد أهمية وتأثير النصوص المترجمة في أي نظام أدبي مُستقبل وهو ما يفسر حضوراً قوياً وأثراً واضحاً للترجمة في ثقافات معينة تحت ظروف تاريخية خاصة وغياب هذا التأثير بتغير الثقافات والسياقات التاريخية. فمثلاً كان للترجمة دور مهم في تطور الأدب في أوروبا الشمالية والوسطى في القرن التاسع عشر، وسمحت الصراعات السياسية والعمل على إعادة إحياء اللغات القومية بالاعتماد على الترجمة بتبوء الأدب المترجم مكانة مرموقة في النظام الأدبي للثقافة المستقبلية. وعلى النقيض من ذلك ظلت الصين لقرون طويلة تنتظر للترجمة بكثير من التحفظ واعتبرت نظامها الأدبي غني بما يكفي وليس في حاجة إلى ثقافات أخرى لدعمه أو تطويره، ولم يتغير هذا الموقف إلا بتغير طراً على السياسة الصينية في ظل العولمة والانفتاح الاقتصادي (انظر Bassnett, 2007, 16-17). ويضيف لوفوفير (1985م) أن مقارنة الأدب من منظور النُسق لها ميزات عديدة، إضافة إلى محاولتها تقديم إجابات للإشكالات التي تطرحها، تسمح هذه المقاربة بإدراج آداب العالم المختلفة ضمن النظام الأدبي دون أن تكون الأخيرة مصدر إزعاج لما يُعرف بالأدب المرموق من منظور المركزية الأوروبية، فالأدب في هذه الحالة مرتبط بكونه ظاهرة اجتماعية. وقد تم التطرق إلى فكرة النُسق قبل إيفن زوهار في عديد النظريات الأدبية على غرار الشكلائية والماركسية والتلقي وغيرها والتي يعود لها الفضل في حثّ الدارسين على مقارنة الأدب من منظور النظام (Lefèvre, 1985, 223).

يعتبر التجديد الحقيقي المرتبط بهذه النظرية هو فتحها النقاش حول موضوع مكانة الأدب

المترجم ودوره في تطور أدب الثقافة الهدف. وهو ما ساهم بعد ذلك بشكل كبير في ظهور الكثير من

الدراسات التي تربط بين الترجمة والثقافة وتُنزل الأخيرة منزلة محورية في أي محاولة تفسير علمي ومنطقي لظاهرة الترجمة. وينطلق أيتمار إيفن زوهار في نظريته هذه من واقع إهمال جلّ الدراسات الأدبية، سواء تلك التي تُعنى بالجانب التاريخي أو تلك التي تبحث تطور الأدب في ثقافة بعينها، لدور الأدب المترجم ومدى تأثيره على أدب الثقافة التي تُرجم إليها.

يطرح المفكر في مقاله 'The Position of Translated Literature within the Literary

Polysystem' ('مكانة الأدب المترجم في النُسق الأدبية المتعددة'، 1978م/1990م) قضية موقع الأدب المترجم في الأدب المتعدد النُسق للثقافة الهدف. ويلاحظ أن هذا الموقع لا يكون بالضرورة هامشياً وغير مؤثر كما قد يوحي بذلك النقات نظرية الأدب عن هذا النوع الأدبي وعدم التطرق إليه إلا اضطراراً. ويؤكد إيفن زوهار على أن الإشكال الحقيقي يكمن في الطريقة التي يتم بها التعاطي مع الأدب المترجم بحيث أنه نادراً ما يُنظر إليه بشكل عام على أنه مجموعة النصوص المترجمة إلى ثقافة ما، فعادة ما يتم التركيز على نص بعينه بالنظر إلى تأثيره أو أهميته التاريخية. إن مقارنة مجموع النصوص المترجمة بوصفها نظام جزئي يشكل مع غيره من الأنواع (مثل الشعر والمسرح والأدب النخبوي والأدب الشعبي وغيرهم) النظام الأعم وهو أدب تلك الثقافة، هذا الأدب بدوره على مستوى أعلى يمكن اعتباره أيضاً نظاماً جزئياً وأحد مكونات النظام المتعدد للثقافة الهدف، يسمح بفهم أدق لطبيعة هذا الدور في الثقافة الهدف. ولعل أهم فكرة وجب التركيز عليها هي أن هذا الدور متغير بتغير السياق وهو ما يفسر الاهتمام ببعض النصوص المترجمة والتي نجحت في مكان وزمان ما من التحرك من دائرة الهامش غير المؤثرة والتقدم نحو المركز وبالتالي إحداث تأثير محسوس على أدب الثقافة الهدف. ويبيدي المفكر استغرابه من النقات نظرية الأدب عن دراسة الأدب المترجم على اعتباره أحد مكونات الأدب في أي ثقافة وهو ما يسمح بطرح تساؤلات جادة حول قصور حقيقي في مختلف النظريات الأدبية وعجزها عن الوصول لنتائج دقيقة ما لم يؤخذ هذا المكون بعين الاعتبار (Even Zohar, 1990, 192-193). وعليه فالتركيز على دور الأدب

المترجم وتأثيره على أدب الثقافة الهدف لم يسهم في تطوير نظرية الترجمة فحسب بل سمح أيضا بفتح نقاشات جادة فيما يتعلق بتاريخ الأدب ونظرياته.

بالنسبة لأيفن زوهار يرتبط تأثير الأدب المترجم على أدب الثقافة الهدف ارتباطا مباشرا بما إذا كان موقعه هامشيا أو محوريا. ففي حال تصدر الأدب المترجم المشهد الأدبي في الأدب المتعدد النُسق للثقافة الهدف فهو يُسهم لا محاله في تجديد هذا الأدب وإثرائه من حيث المواضيع وجمالية النص. وقد يكون من الصعوبة بمكان معرفة ما إذا كان النص أصليا أو مترجما ذلك أن هذه النصوص عادةً ما تترجم من طرف كُتّاب يُنسب لهم فيما بعد دور ريادي في ظهور اتجاه أدبي معين أو تجديد في مفردات الأدب وتنوع في تجلياته. ويكون للترجمة غالباً فضل في هذه المراحل المفصلية المهمة في تاريخ أدب ما، ذلك أنه يتم إدخال أنواع أدبية جديدة ومواضيع وأسلوبية (شعرية اللغة) لم تكن من قبل من الأعراف الأدبية للثقافة الهدف. وفي مثل هذه المراحل التاريخية المهمة يعتمد اختيار النصوص لترجمتها على مدى التجديد والثورية الذي يمكن لهذه النصوص أن تقدمهما لأدب الثقافة الهدف (المرجع السابق، ص193). بعبارة أخرى، تجربنا القراءة التاريخية لتطور الأدب على إدراك أهمية الترجمة بوصفها أداة لها أهميتها في تشكيل المشهد الثقافي إذا ما توفرت الظروف لذلك، وهو ما يجعل تجاهل هذا الدور غير مبرر سواء تعلق الأمر بنظرية الأدب أو نظرية الترجمة.

ويوضح إيفن زوهار أن الأدب المترجم يمكن أن يكون على درجة من الأهمية في حالات ثلاث نوجزها فيما يلي (المرجع السابق، ص194): أولاً إذا كان الأدب المتعدد النُسق لم يتبلور بعد مثل الأدب الناشئ والذي لم يُطور بعد مفرداته الخاصة ولا يمتلك المخزون الكافي. فتكون الحاجة لبناء وإثراء هذا الأدب سببا كافيا للاعتماد على الترجمة واقتباس مواضيع وأساليب أدب الثقافة الأصل بسلاسة ودون مقاومة (هذه المقاومة تزداد شدة كلما ازداد المخزون الأدبي أهمية). ثانياً إذا كان الأدب هامشيا أو ضعيفا (في منظومة متعددة للأدب مثلاً)، فعلى الرغم من كون هذا النوع راسخ نسبياً إلا أنه لظروف

معينة لم يتمكن من تطوير مخزونه ومنافسة الآداب الأخرى المحيطة به وبالتالي يلجأ للترجمة على اعتبارها إحدى وسائل ملأ الفراغ وتعويض النقص. يلاحظ في الكثير من الأحيان عجز الأدب المنتمي لهذه الفئة عن تحقيق أي نوع من الاستقلالية بعيدا عن المؤثرات الخارجية والتي من بينها الترجمة والتي تصبح أحد أهم مصادر الإلهام، ليس فقط فيما تعلق بالمحتوى اللغوي والفكري ولكن أيضا فيما يتصل بإعادة تشكيل هذا الأدب. ثالثا وأخيرا في حال المنعطفات المهمة أو الأزمات أو الفراغات الأدبية في أدب ما. يحدث التغيير عادة نتيجة فشل منظومة الأدب في مواكبة التطور الحاصل في خطاب الأجيال الأكثر شبابة والتي تبدأ في البحث عن نماذج تشبهها أكثر في ثقافات أخرى. مثل هذه الأزمات ليست حكرا على الآداب الناشئة وغير المركزية، بل هي ظاهرة تشترك فيها كل فئات الأدب. يكون تأثير الترجمة أكثر وضوحا حين تكون هناك قناعة بأن الأشكال الأدبية الموجودة غير كافية وغير فعالة وبالتالي هناك ضرورة لجلب أشكال جديدة. وهذه الحالات التي يكون فيها للنصوص المترجمة أثر على النظام الأدبي للثقافة المستقبلية هي ما جعل كثيرا من الباحثين يلتفتون عن مقارنة النصوص المترجمة بالأصلية لرصد عيوبها ويركزون على آليات عمل هذه النصوص في محيطها ومختلف العوامل التي أدت إلى ظهورها وتداولها.

أما فيما يخص الحالة التي يكون فيها الأدب المترجم في موقع هامشي، فيرى ايفن زوهار أن هذه النصوص لا يمكنها صنع أي فارق في الأدب المتعدد النُسق للثقافة الهدف ذلك أن طريقة صياغتها ومواضيعها تقليدية وتخضع إجمالا لأدبيات الثقافة الهدف. بل إن الأدب المترجم يمكن أن يكون عائقا في وجه تجديد وتطوير الأدب الهدف، ففي حين تكون التجارب الأدبية الجديدة المكتوبة أصلا في اللغة الهدف بعيدة عن الأشكال التقليدية لمحاولتها تقديم بدائل، يعتمد الأدب المترجم بشكل أساسي على أنماط عفا عنها الزمن. وبالتالي يختفي التناغم الذي كان موجودا بين النظامين في الحالة السابقة (حين يكون للأدب المترجم دورا محوريا) وتصبح العلاقة بين الأدب المترجم والأدب الأصلي للثقافة الهدف صدامية

لإصرار الأول على النسج على منوال النماذج التقليدية للأدب الهدف ومحاولة الأخير تقديم بدائل حديثة تخاطب المتلقي بشكل أكثر فعالية. ويكون الأدب المترجم في مكانة هامشية حين لا تكون هناك تغيرات مهمة في الأدب المتعدد النظم للثقافة الهدف أو حين لا يكون ثمة رابط بين هذه التغيرات والترجمة (المرجع السابق، ص 195). وحتى في هذه الحالة، فإنّ دراسة النصوص المترجمة من شأنها أن تسلط الضوء على الكثير من التفاصيل المتعلقة بممارسة الترجمة في هذه الحقبة التاريخية أو تلك.

وقد قدم عدد من منظري الترجمة قراءتهم النقدية لهذه النظرية وما فيها من إيجابيات وسلبيات، وسوف نستعرض فيما يلي آراء كلٍّ من Theo Hermans (ثيو هارمانز) و Edwin Gentzler (إدوين غينتسليز). إذ يذهب هرمانز (1985م) إلى أن أهمية نظرية النُسق المتعددة، في مجال الترجمة الأدبية تحديداً، تكمن في ابتعادها عن المقاربة الإلزامية واعتمادها منهجاً وصفيًا. فهي لا تفرض معياراً أو شكلاً محدداً لما يجب أن تكون عليه الترجمة بل تحاول أن تتعامل مع النص المترجم كما هو وأن تفهم مختلف العوامل التي كانت وراء اتخاذ شكلاً محدداً دون سواه. فالباحث محرر تماماً من أي أفكار مسبقة عن ماهية الترجمة وعما يميّز الترجمة الجيدة عن السيئة أو حتى ما يفصل بين الترجمة واللاترجمة. من البديهي في هذه الحالة أن تكون المقاربة من ناحية الثقافة الهدف لأن المادة الأساسية التي سيتم تمحيصها هي النص المترجم. ولا يمكن إغفال أهمية الجانب التاريخي في هذه المقاربة، فتطبيق هذه النظرية يعتمد على نصوص موجودة بالفعل ويكون للسياق الثقافي الذي صاحب ظهور هذه النصوص أثر مباشر على لغتها ومحتواها. تسمح هذه المقاربة لتركيزها على الجانب العملي بالحصول على نتائج أكثر دقة فيما يخص الإستراتيجيات النصية المستعملة والتي تحدد الشكل النهائي للنص المترجم كما تسمح بالخروج بنتائج عامة حول آلية عمل النصوص المترجمة في الأدب الهدف. هذه المقاربة الوصفية للترجمة من شأنها تسليط الضوء على مدى تأثير الترجمة في محيطها الجديد (يكتسي السياق في هذا الطرح دوراً جديداً)، وكذا مدى تقبل أو رفض هذا المحيط لها. ويضيف هرمانز أن نظرية النظم

المتعددة فتحت أبواب نقاش جديدة في مجال الترجمة من حيث اختلاف المواضيع ودقة الأهداف

(Hermans, 1985/2014, 13-14).

أما غينتسليير (2001م) فيرجع اهتمام منظّرين إسرائيليين وآخرين من الأراضي المنخفضة (هولندا، بلجيكا، ولوكسمبرغ) أكثر من غيرهم بمكانة وأثر الأدب المترجم في الثقافة الهدف لأسباب تاريخية واجتماعية. فمن جهة تفتقد هذه المناطق للغات وطنية واسعة الاستعمال تسمح بوجود أدب وطني راسخ يجعل تأثير ما حوله من أدب أكثر أهمية محدودا. ومن جهة ثانية ارتباط الترجمة بشكل وثيق باشتراك أكثر من ثقافة في منطقة جغرافية واحدة وهو ما يحتم الاعتماد على الترجمة لضمان سير طبيعي للحياة السياسية والاقتصادية والمعرفية. فواقع تقاسم مجموعات عرقية مختلفة، وبالتالي ديانات مختلفة ولغات متعددة، لنفس الأرض، جعل من الترجمة وسيلة لفهم الماضي والحاضر والتعمق أكثر في ماهية الهوية (Gentzler, 2001, 107). كما يقرأ المفكر هذه النظرية على أنها بناء على ما سبق إليه مفكرون آخرون وليست بأي شكل ثورة على المفاهيم. فقد اعتمدت النظرية على الكثير من المفاهيم مثل التكافؤ والوظيفة الأدبية للتوسع في دراسة نصوص مترجمة فعلاً دراسة تاريخية ومحاولة فهم كيفية تأثير عملية الترجمة ببعض المسلّمات الجمالية ذات الطبيعة الوجدانية.

ولعل أكثر ما يميز هذه النظرية عما قبلها من نظريات الترجمة، بحسب غينتسليير، هو أنها تفترض أن ميول المترجم الجمالية وبالتالي قراراته الترجمة تتأثر بالأعراف الاجتماعية والتقاليد الأدبية للثقافة المستهدفة وليس العكس (أي تأثير النص المترجم على الثقافة المترجم إليها). ومن هنا يبدو جليا أن الإضافة الحقيقية لنظرية النُسق المتعددة هي دمجها للعنصر التاريخي والذي كان سببا رئيسا في تغيير جذري في المقاربات الترجمة والتفاتها عن الإشكاليات التقليدية. إذ حاول المنظرون طرح إشكاليات جديدة من قبيل طبيعة العلاقة بين الترجمة وأدب الثقافة الهدف وما يحكمها من عوامل وكذا محاولة وصف ما يربط مختلف الآداب ببعضها البعض والعلاقات الأدبية الداخلية لأي نظام ثقافي والتي تكون

بدورها خاضعة لأمر عدة (المرجع السابق، ص108). فقد تخلى منظرو هذه المدرسة عن محاولة وضع أطرٍ نظرية لما يجب أن تكون عليه الترجمة وذهبوا إلى اقتراح نماذج وصفية قائمة على المقاربة التاريخية. فيكون فهم الظاهرة الترجمة مرتبطة بفكرة النظام وما قد يطرأ عليه من تغييرات وبعيد كل البعد عن المفاهيم التقليدية التي يُنظر إليها على أنها جامدة وآلية (المرجع السابق، ص109).

لم يكتف غينتسليز بالوقوف على التجديد الذي أتت به هذه النظرية، بل قام بنقدها وناقش العديد من الأفكار التي تقوم عليها. فالنسق كما يصفه إيفن زوهار، والأساس الذي يتم عليه اختيار الترجمات، وكذا طريقة عملها في النظام الأدبي للثقافة الهدف توجي بتبسيط شديد للمفاهيم يستوجب المراجعة. من جهة ثانية، وعلى الرغم من أهمية إدخال عوامل غير أدبية كالرعاية، والحالة الاجتماعية والاقتصادية وتأثير المؤسسات المختلفة على النظرية، يبقى تركيز النظرية على النصوص الأدبية دون غيرها واستخلاص نتائج عامة على أساسها أحد أهم نقائصها. إضافة إلى ذلك فإن تأثير إيفن زوهار بالمدرسة الشكلية يبدو جليا من خلال وصفه لماهية النسق. ففي حين يعرف النسق على أنه خليط ثقافي غير متجانس، يلاحظ أن النظرية تقوم على فكرة أن هذا الكل يعمل بتناغم تام، فالثقافة في هذه الحالة على قدر عال من التنظيم، وهو أمر يصعب تصوره على أرض الواقع إذا اعتبرنا أن الأنظمة الفرعية المكونة للنسق في انسياب وتفاعل مستمرين مع بعضها البعض ومع عناصر من أنظمة أخرى (المرجع السابق، ص119).

لكن أكبر إشكاليات نظرية النسق المتعددة هي أنها تعتبر ما توصلت إليه من نتائج على أنها حقائق عامة تصلح لوصف الكثير من الظواهر في الترجمة والأدب دون تقديم البراهين التي تستلزمها هكذا تعميمات (المرجع السابق، ص120). كما يشير غينتسليز إلى أن الموقع الهامشي أو المحوري لمختلف أشكال الأدب في الثقافة الهدف كما يعرفه إيفن زوهار يحيل إلى إشكالية تقييم الأدب وإن كان الأخير ينفي ذلك. فصحيح أن الأدب المترجم قد يحظى بأحد الموقعين إلى أن ذلك لا ينطبق على أنواع

أخرى كأدب الأطفال والروايات البوليسية والأدب الشعبي والتي يعتبرها إيفن زوهار هامشية دائماً كونها لا تسهم في تطوير شكل أو نوع أدبي وهو ما يرجعه المنظر إلى البنية الثابتة التي تميز هذه الأشكال الأدبية وبالتالي عدم التجدد من جانب البناء الروائي. وما يدحض هذه الفرضية هو المكانة المميزة التي يحظى بها الأدب الشعبي ذو الطابع الشفوي في الكثير من الثقافات حول العالم (المرجع السابق، ص121). أدت مثل هذه القراءات النقدية لنظرية الشُّق المتعددة مع عوامل أخرى أفرزها واقع جديد بدأ في التبلور منذ تسعينات القرن الماضي إلى توجه المنظرين نحو فهم الترجمة كظاهرة ثقافية في المقام الأول وهو ما عكسه ما اصطلح عليه بـ "المنعطف الثقافي" في دراسات الترجمة.

2.2.1. المنعطف الثقافي عند أندريه لوفوفير وسوزان باسنيت

يُنسب الفضل الأكبر في ظهور وتطور ما يُسمى بالمنعطف الثقافي في الترجمة إلى المفكرين لوفوفير و باسنيت. فقد أسهمت الدراسات التي قاما بها على مدى سنوات طويلة، سواء مجتمعين أو بشكل منفرد، في وضع أهم ملامح هذا الاتجاه الفكري وفتح نقاشات جادة حول فكرة مفهوم الترجمة والتي هي أعمق بكثير من مجرد فعل لغوي يُختزل في إنتاج نص مكافئ في اللغة الهدف. فالعديد من مؤلفاتهما باتت مراجع لا غنى للباحث في موضوع الترجمة من منظور ثقافي عنها، نذكر منها مثلاً *Constructing Culture: Essays on Literary Translation* ("بناء الثقافات: دراسات في الترجمة الأدبية"، 1998م)، *Translation/History/Culture* ("الترجمة، التاريخ، الثقافة"، 1992م)، *Translation Studies* ("دراسات الترجمة"، 1980م)، و *Translation, Rewriting and the Manipulation of Literary Fame* ("الترجمة وإعادة الكتابة والتحكم في السمعة الأدبية"، 1992م). كل هذه المؤلفات ناقشت العلاقة المعقدة التي تربط الترجمة بالثقافة، أو بالثقافتين إذا أردنا تحري الدقة، وكل ما يترتب عنها من نتائج تؤثر بشكل متفاوت على ثقافة النص الأصلي وكذا الثقافة المستقبلة. فقد لفت المفكرين الانتباه إلى حقيقة أن الترجمة ظاهرة يتطلب فهمها الإحاطة بعوامل أخرى ليست بالضرورة

لغوية، نذكر منها العوامل التاريخية، السياسية، الاجتماعية، وكذا الاتجاهات الفكرية السائدة في حقبة تاريخية بعينها. ويذهب المفكران أبعد من ذلك، فالترجمة لا تتأثر بالعوامل السالفة الذكر فحسب، بل إنها قد تكون عاملاً مؤثراً بدوره في تغييرات قد تطرأ في الثقافة الهدف. إن إعطاء الترجمة أبعاداً تاريخية وأنثروبولوجية وأيديولوجية عزز من أهمية المقاربة القائمة على تعدد التخصصات كأداة ناجعة لتسليط الضوء على الكثير من الجوانب المتعلقة بالترجمة والتي سمحت بفهم أكثر واقعية للظاهرة.

والحقيقة أن تأثير الترجمة مرتبط أيضاً بالموقف الذي يتبناه كل منظرٍ تُجاه الترجمة وفهمه الخاص للدور المنوط بها. بالنسبة للوفوفير (1992م) تلعب النصوص المُعاد كتابتها، والترجمة أحد أشكالها، دوراً مفصلياً في تطور الأدب. ولا يمكن بأي حال فصل عملية إعادة الكتابة عما يحيط بها من عوامل إيديولوجية وسياسية وثقافية، وهو ما يؤدي لا محالة إلى شيء من التصرف أو التلاعب بالنصوص. وقد يكون للتصرف تأثير إيجابي على تطور أدب الثقافة المستقبلة، من قبيل إدخال أجناس أدبية جديدة أو أفكار وأساليب حديثة، إذا ما كان هناك استعداد لقبول التجديد وإرادة في التغيير. هذا الاستعداد يرتبط بشكل مباشر بالمؤسسات الفكرية والثقافية ومدى انفتاحها أو انغلاقها. وتُحدد نوعية القوى المُهيمنة ثقافياً مصير النصوص المُعاد كتابتها، فمنها ما يُرفع إلى مصاف الأدب المرموق والمؤثر، ومنها ما يمر مرور الكرام دون أثر يذكر. ولا يجب ربط مصير النصوص في الثقافة المستقبلة بمكانتها في الثقافة الأصل، فكثيراً ما تُهمش نصوص تعد مرجعية في ثقافتها الأصلية عند إعادة كتابتها والعكس، فهناك نصوص تحظى باحتفاء النقاد والجمهور في الثقافة المستقبلة دون أن تكون قد أحدثت تأثيراً يذكر في ثقافتها الأصلية (Lefevre, 1992, 1-3). وهو ما يؤكد على ضرورة التعامل مع ظاهرة الترجمة بشكل أعمق وأشمل، فمن حيث العمق يجب النظر إلى الترجمة على أنها عملية تتجاوز الدال والمدلول اللسانيين وترتبط مباشرة بالإنسان وكل ما يرتبط به من تعقيدات فكرية ونفسية واجتماعية

و دينية. أما من حيث الشمولية، فبات من المُلح وضع عملية الترجمة ضمن إطار عام يسمح بربطها بغيرها من العوامل وتحديد الكيفية والمدى الذي يكون به التأثير والتأثر.

يعتبر لوفوفير أن وظيفة أي نص مرتبطة بالثقافة التي تنتجها وقارئها، ولا يرى أي سبب لأن تُشَدَّ الترجمة، بوصفها نصاً عن هذه القاعدة. فهي أيضاً وحتماً ستخرج للقارئ في الثوب الذي يشبهه ويتناسب مع توقعاته (عمور، 2018م، ص471). ومن المعلوم أن نظريات النظم، ونظرية لوفوفير من ضمنها، هي أول من طرح فكرة أن الترجمة يجب أن تُدرس في إطار الثقافة المستقبلية لأنها المعني الأول بها. ويحدد المفكر الإطار العام لنظريته قائلاً:

‘Translation needs to be studied in connection with power and patronage, ideology and poetics, with emphasis on the various attempts to shore up or undermine an existing ideology or an existing poetics. It also needs to be studied in connection with text-type and register, and in connection with attempts to integrate different Universes of Discourse.’ (Lefevere, 2003, 10)

"يتوجب ربط دراسة الترجمة بمواضيع الهيمنة والرعاية والإيديولوجيا والشعرية، مع التركيز على مختلف محاولات دعم أو تجاهل الإيديولوجيا أو الشعرية الموجودة. كما يتوجب ربط دراستها بأنواع النصوص ومستويات اللغة، وكذا بمحاولات دمج عوالم الخطابات المختلفة" (ترجمتنا)

من الواضح أن هدف لوفوفير الأساسي هو بعث الحياة في دراسات الترجمة التي بدت وكأنها تتجه نحو طريق مسدود أواخر سبعينات القرن الماضي، ذلك أن الكثير من النقاشات حول الموضوع أصبحت تبدو سطحية ومفتعلة، والأهم من ذلك عقيمة. ويذكر المنظر تعريف أحد الفلاسفة الفرنسيين للترجمة على أنها "نص مكتوب في لغة واسعة الانتشار، يحيل إلى، ويمثل نصاً مكتوب أصلاً في لغة أقل انتشاراً"

(ترجمتنا، المرجع السابق، ص1) ليوضح أهم التساؤلات التي ينبغي لنظرية الترجمة أن تحاول الإجابة عنها والتي يمكن أن تشمل مثلاً مدى أهمية وجود تمثيل لثقافة أجنبية لأي ثقافة، وهل يعكس هذا النوع من الاحتياج قصوراً ما في الثقافة المستقبلة؟ من المسؤول عن اختيار نص بعينه للترجمة وبأي غرض؟ هل يحدد المترجم وحده النصوص التي يمكنها تمثيل ثقافة ما أم أن هناك أفراد وهيئات أخرى تتدخل في

هذه الخيارات؟ كيف يمكن لمتلقي النص المترجم أن يثق في الترجمة ويعتبرها تمثيلاً صادقاً للنص الأصلي؟ كيف يمكن ربط الترجمة بحقيقة وجود لغات تتمتع بمكانة مرموقة مقارنة بغيرها؟ وأي دور للترجمة فيما يتعلق بالنصوص ذات التأثير الواسع في ثقافة بعينها؟ (المرجع السابق، ص 1). قدم لوفوفير إجابات وتحليلات مفصلة لكلٍ هذه التساؤلات سنقوم بتسليط الضوء على البعض منها في الأجزاء الموالية من هذا الفصل سيما الجزء الذي يُعنى بالترجمة بوصفها إعادة كتابة.

وركزت باسنيت من جهتها على علاقة الترجمة بالثقافة في أعمال من تأليفها وأخرى أشرفت عليها ذكرنا بعضها فيما سبق. وتعرضت الباحثة في مقدمة كتابها *Translation Studies* ("دراسات الترجمة"، 1980م/ ط3 2002م) إلى الكثير من الأمثلة التاريخية المتعلقة بمكانة الترجمة في العالم الناطق بالإنجليزية، والتي تظهر كلها خلافاً جلياً في مقاربة الظاهرة الترجمة. وتلاحظ باسنيت أنّ أكبر مأخذ على بواكير نظريات الترجمة هو انشغالها بنقاشات لا طائل من ورائها من قبيل هل الترجمة علم أم فن والالتفات عن جوهر فكرة وموضوع الترجمة، ويكشف هذا النوع من النقاش هوساً مبطناً بالمصطلح لأسباب معيارية تقييمية تصر في غالب الأحيان على ترسيخ فكرة دونية الترجمة (المرجع السابق، ص 15). كما تشير الباحثة إلى أن تقييم الترجمات كان خاضع هو الآخر لقرون طويلة لمعايير غير مفيدة للباحثين ونابعة معظم الوقت من فرضية دونية الترجمة، وأنّ هذه العملية إذا تمت من منظور مختلف وحاولت التركيز على منهج الترجمة وصعوباتها، فمن شأنها أن تُسهم في فهم أعمق لظروف إنتاج الترجمة وتداولها (المرجع السابق، ص 20). والهدف الأهم لهذا المؤلف هو وضع بعض الأطر النظرية لفهم موضوع الترجمة، الأدبية خاصة، بما يتناسب مع ما يفرضه الواقع الجديد من تغييرات في الطرح والمنهج.

وفي مؤلف آخر بعنوان *Translation* ("الترجمة"، 2014م)، تحاول باسنيت تمحيص موضوع

الترجمة بشكل أعمق آخذة بعين الاعتبار التحولات الكبيرة والسريعة التي ما انفك العالم يشهدها. ولهذا

الغرض اختارت الباحثة أن يكون النقاش موضوعاتياً من خلال تناول علاقة الترجمة بمفاهيم مثل ما بعد الاستعمارية، نوع الجنس، العولمة، وضوح المترجم وغيرها. وتستعرض المفكرة من خلال قراءة تاريخية نقدية لأهم النقاشات المرتبطة بموضوع الترجمة على غرار ماهية الترجمة، دور المترجم، الخيانة في الترجمة، استراتيجيات الترجمة وغيرها، حقيقة الدور المحوري للترجمة والمترجم في عالم اليوم والذي لا يمكن إنكاره أو تجاهله (المرجع السابق، ص 15). وصحيح أنّ الترجمة وسيلة للنقل الثقافي، لكن هذا لا ينفي حقيقة أنّ الترجمة هي قراءة وفهم خاصين للنص، هما قراءة وفهم المترجم، ويجب الانتباه للتداعيات الإيديولوجية لهذا الأمر على خطاب النص المترجم (المرجع السابق، ص 169). وتلاحظ باسنيت أنّ أحد مشاكل الخطاب النظري للترجمة هو تركيزه على ما تتم خسارته وتجاهل فكرة أنّ الأدب والثقافة قد يستفيدان بشكل نوعي من الأفكار والمواضيع والمعلومات التي توفرها الترجمة (المرجع السابق، ص 174). وتخلص المفكرة إلى أنّ أولى خطوات تحرير الترجمة من قيودها هي التخلي عن فكرة تكافؤ الترجمة مع النص الأصلي لأنها مثالية ولا يمكن تحقيقها على أرض الواقع. كما يجب إعادة النظر في طبيعة العلاقة بين الأصل والترجمة من حيث اعتبار الأول أكثر أهمية فقط لأنه جاء أولاً، أولاً لأنّ مقارنة الأمور من هذه الزاوية غير مجدية، وثانياً لأن فكرة النص الأصلي في حدّ ذاتها هي موضوع أسال الكثير من الحبر، وثبت أنّه لا يوجد نص أصلي بالمعنى الدقيق للكلمة.

3.2.1. اختفاء المترجم عند لورانس فينوتي

من بين أهم النظريات التي اعتمدت على المقاربات الثقافية وكان لها أثر واضح على المفكرين في حقل الترجمة نظرية لورانس فينوتي حول التغريب والتوطين في الترجمة. فمثل غيره من المنظرين الذين ذكرناهم أو سنأتي على ذكرهم، يولي فينوتي أهمية بالغة للمحيط الثقافي والاجتماعي والسياسي الذي تُمارس في إطاره وظيفة الترجمة وتخرج فيه الترجمات إلى النور. ويلاحظ ماندادي (2016م) أنّ هذه النظرية تسلط الضوء على طبيعة ممارسة الترجمة على أرض الواقع، فاختيار النصوص للترجمة

تقوم به مثلاً دور النشر، والاختيار يكون خاضعاً لرؤية الناشر الخاصة. عادةً تُجبر دور النشر المترجم على أسلوب كتابة "تجاري" يضمن تسويقاً أفضل للترجمات، هذا الأسلوب يُقَرَّب الترجمة للنصوص الأصلية في اللغة الهدف، وفي حال لم يلتزم المترجم بإملاءات الناشر فالمراجعين موجودين لإعادته إلى جادة الصواب. إضافة إلى كلّ هؤلاء وكلّ آراءهم، يكون للمترجم أيضاً فكرته الخاصة عن الترجمة والتي يستمدّها من ثقافته (Munday, 2016, 224). فالترجمة لا تحدث في الفراغ ولهذا تعكس النصوص المترجمة من حيث أسلوبها ولغتها مدى سطوة الثقافة المستقبلية ومدى استعدادها لاستقبال الآخر.

اعتمد فينوتي (1995م) على دراسة تاريخية للنصوص المترجمة إلى اللغة الإنجليزية منذ القرن السابع عشر ليثبت طابعها التدجيني وفي نفس الوقت لاقتراح منهج بديل قديم جديد هو التغريب. ولا يُخفي فينوتي عدم رضاه عن واقع الترجمة ومكانتها ويؤكد أنّ نيته هي تحديد مواطن الداء ومعالجتها، معالجة تبدأ بتغيير الرؤية (Venuti, 1995, IX). ولتوضيح فكرته استعمل فينوتي عدة مصطلحات أصبحت اليوم صميمة في خطاب نظرية الترجمة مثل الاختفاء، الظهور، الشفافية، التوطين، التغريب، المتبقي، وغيرها.

يزعم فينوتي أنّ المترجمين في الولايات المتحدة وبريطانيا يتعمّدون الاختفاء من خلال اللغة التي يترجمون بها، والتي تجعل النص المترجم في تركيبه وأسلوبه لا يختلف كثيراً عن النصوص المكتوبة أصلاً باللغة الإنجليزية. فاختفاء المترجم يوحى بظهور كاتب النص الأصلي لطابع النص الشفاف و السلس، لكنّ هذا غير صحيح. والقول بأنّ المترجم يتعمّد الاختفاء قد تنقصه الدقة، لأنّه في الواقع يستهدف شكلاً معيناً للنص يجعله مقبولاً عند جمهور القراء والمراجعين والناشرين، فكأنّي بالاختفاء شرط للوجود أكثر منه خيار شخصي، وإن كان الأخير أيضاً احتمال ممكن (المرجع نفسه، ص1). وهذه السلسلة المشروطة ضمناً في الترجمة، لأنّ غيابها يؤدي إلى رفض النص، تتجلى مثلاً في استخدام لغة إنجليزية معاصرة، فصحي، تجنب استعمال الألفاظ الأجنبية، عدم السعي إلى إعادة إنتاج نفس بنية

النص الأصلي وتكييفها مع المتطلبات النحوية للغة الإنجليزية. تفتح السلسلة للقارئ الباب لولوج عوالم مختلفة دون الثقل الذي يصاحب عادة إدخال الغريب وغير المؤلف إلى النص (المرجع السابق، ص 5). فاختفاء المترجم إذاً ضرورة تمليها معايير العمل في الولايات المتحدة ويعكسها أسلوب النص المترجم ولغته.

وهناك أمرين متناقضين يفسران حالة الاختفاء المفروضة على المترجم بحسب الباحث، أولاً أن الترجمة ليست تأليفاً أو إبداعاً، فهي نوع أقل قيمة من وجهة نظر الخطاب السائد، ولهذا السبب تحديداً، أي لتدارك هذا النقص في القيمة الأدبية وإعطاء انطباع للقارئ بأنه أمام الكاتب الأصلي، وجب على الترجمة "التكرار أو التخفي" في زي النص الأصلي باعتماد الأسلوب الشفاف والطبيعي. وأخطر ما في الاختفاء هو تأثيره على نظرة المترجم لوظيفته، وقبوله بوضع لا يُنصف مجهوده، ولا يعترف به على أنه شكل من أشكال الكتابة، ليس فقط من جانب النقاد والقراء ولكن أيضاً من جانب القوانين التي تحكم مهنة الترجمة. ثانياً، إن النصوص المترجمة شفافاً يصعب تفريقها عن الأصلية لدرجة أن أغلب مراجعات النقاد للنصوص الأدبية المترجمة تتجاهل عمداً هذه الحقيقة وتتعامل معها بنفس الأسلوب الذي تنتقد به النصوص الأدبية المكتوبة أصلاً بالإنجليزية (انظر Venuti, 1995, 7-8). فكان الترجمة جرم يعاقب صاحبه لأنه أحسن عمله، فامتثال المترجم لإملاءات دور النشر يجعله فريسة سهلة للنقاد الذين قد يُصدرون حكمهم قبل القراءة.

إنّ أهم ما يجعل من نظرية فينوتي مقاربة ثقافية هو إعطاؤه تفسيراً لأسباب توطين الترجمات إلى اللغة الإنجليزية يقع خارج النص ويرتبط بالمؤسسات ودور النشر، المسؤول الأول عن طريقة تداول الكتب ونوعية الكتب المتداولة، إذ يؤكد المفكر أنّ:

'British and American publishing, in turn, has reaped the financial benefits of successfully imposing Anglo-American cultural values on a vast foreign readership, while producing cultures in the United Kingdom and the United States that are aggressively monolingual, unreceptive to the foreign, accustomed to fluent translations that invisibly inscribe foreign

texts with English-language values and provide readers with the narcissistic experience of recognizing their own culture in a cultural other.' (Venuti, 1995, 15)

"جنت دور النشر البريطانية والأمريكية من جهتها عائدات مادية من خلال فرض المعايير الثقافية الأنجلوأمريكية على شريحة واسعة من القراء الأجانب بنجاح، في حين عملت على إنتاج ثقافات تستعمل اللغة الإنجليزية حصراً في المملكة المتحدة والولايات المتحدة الأمريكية، ثقافات غير قادرة على تلقي الغريب، ثقافات تعودت على الترجمات السلسلة التي تكتب النصوص الغربية وفقاً لقواعد اللغة الإنجليزية مما يوفر للقراء تجربة نرجسية تتمثل في التعرف على ثقافتهم الخاصة عبر آخر ثقافي" (ترجمتنا)

فمن خلال الكثير من الإحصائيات عن سوق الكتب والترجمة، توصل فينوتي إلى أنَّ هيمنة اللغة الإنجليزية والثقافة الغربية تعمل على خطين متوازيين، فمن جهة هناك إقبال (وتشجيع عليه) على ترجمة الكتب من اللغة الإنجليزية إلى لغات العالم المختلفة وهو ما من شأنه ضمان تأثير هذا الفكر في شتى أصقاع الأرض. ومن جهة ثانية، لا يوجد لدى الناشرين حماس كبير لترجمة الكتب من لغات العالم المختلفة إلى الإنجليزية، والشيء اليسير الذي يتم ترجمته يُفرضُ عليه تدجين مُمنهج، تُشجع عليه الرغبة في تحقيق الرواج والربح المادي. فلا يكون لدى القارئ أيُّ سبب للانزعاج في رحلة تعرُّفه على آخر أصبح يشبهه إلى حدٍّ كبير. ويعتقد فينوتي أنَّ هذه الرغبة في بسط النفوذ دولياً ما هي إلا ذات الإمبريالية القديمة في خُلة معاصرة، وأنَّ ما يُصاحبها على الصعيد الداخلي من مقاومة ورفض للاختلاف هو بدون مبالغة نوع من "كراهية الأجانب" (المرجع السابق، ص 17).

ولأنَّ هذا الوضع أبعد ما يكون عن السلامة، وجب البحث عن الوسائل الكفيلة بتغيير نظرة الثقافة الغربية للترجمة والمترجم. وأول خطوات التغيير تبدأ بفهم صحيح لأسباب إحضار الآخر، أهمها أنَّه مختلف، وأنَّ الأسلوب الشفاف والمُدجَّن لا يمكن بأي حال من الأحوال أن يسمح بإبراز هذا الاختلاف، اختلاف لا يمكن اختزاله في فكرة أو صورة يمكن للغة الفصيحة أن تُعبِّر عنها. فالحلُّ إذاً يكمن في السباحة عكس التيار لا محالة، لأنَّ مهمة المترجم الأولى يجب أن تكون إعادة صياغة للآخر في شكل يضمن ظهوره، فالحلُّ إذاً هو "تغريب الترجمة". والتغريب عند فينوتي هو إعادة تشكيل للآخر في لغة تزرع ثوابت القارئ ومرجعياته وإلا لن يلاحظ الاختلاف. فاختيار نصوص لا تتوافق مع الرؤى

الأدبية السائدة أو اعتماد خطاب لا يساير الدارج من الأفكار كلها أساليب تغريبية، فأى انحراف وتمرد على المعايير الثقافية السائدة يُعتبر خطوة نحو معرفة حقيقية للآخر. وأبعد من ذلك، يمكن للتغريب أن يكون أداة فعالة في وجه الغزو الفكري الغربي، وهو ما يفسره المفكر فيما يلي:

'Foreignizing translation in English can be a form of resistance against ethnocentrism and racism, cultural narcissism and imperialism, in the interests of democratic geopolitical relations.' (Venuti 1995, 20)

"يمكن للترجمة التغريبية إلى الإنجليزية أن تشكل مقاومة ضد المركزية العرقية، التمييز العنصري، النرجسية الثقافية، والإمبريالية، وهو ما يخدم علاقات جيوسياسية ديموقراطية" (ترجمتنا)

فالتغريب إذاً، فكرة لها خلفيتها وأهدافها الإيديولوجية، وهو من هذا المنطلق لا يختلف عن التدجين، لكنهما مُستمدين من فهمين متعارضين للترجمة. ولا يُخفي فينوتي أنّ من بين أهداف نظريته مقاومة المد الثقافي الغربي، الأمريكي على وجه الخصوص.

في جانبه العملي يتحقق التغريب في الترجمة من خلال اللغة. فكلما تخطى المترجم عن الأسلوب السلس الشفاف لصالح لغة تحاكي تعدد الأصوات الموجود في النص الأصلي، وقام باختيارات شخصية أكثر تعكس فهمه لهذا الاختلاف وأنجع سُبُل إبرازه في غير سياقه الأصلي، كلما كان النص بعيداً عن التدجين. فزيادة على نقل النص الأصلي، تسرد الترجمة تجربة المترجم والصعوبات التي واجهها والحلول التي اختارها. ذلك أنّ أي عملية إنتاج لغوية لا يمكنها أن تخلو من آثار السياق الاجتماعي والثقافي الذي تنشأ فيه والذاتية التي تطبع رؤية الفرد وقراءته. كلُّ هذا من شأنه أن ينعكس في النص الذي قد يفقد إلى ثبات البنية النحوية والمعنوية ويوحى بوجود خلل ما. فالتغريب يسلب النص الوضوح الذي هو الأساس الذي يقوم عليه التوطين والكتابة باللغة الإنجليزية عموماً. فهو أشبه ما يكون بإعادة كتابة عنيفة (violent rewriting) تستعمل اللغة الهدف للوقوف في وجه الترجمة التوطينية الطاغية وجودها (انظر المرجع نفسه، ص 23-25). فمن الواضح أنّ فينوتي لا يجد ضيراً من اللجوء لنفس سلاح اللغة لمحاولة قلب موازين القوى وإعطاء أفضلية لبروز الغريب والمترجم في النصوص المترجمة.

ينظر فينوتي إلى التغريب على أنه أسلوب يتعمّد إظهار انحيازه لفكرة معينة أو قراءة خاصة للنص الأصلي وذلك بالجوء إلى خطاب غير متجانس يخلق للترجمة فضاءها الخاص بعكس التدجين، فالترجمة ليست مجرد تابع للنص الأصلي كما أنها لا تنتمي إلى ما هو سائد في الثقافة المستقبلة. فإذا كانت الترجمة نابعة من فهم فرد واحد واختياراته التي يتحكم بها هو وما حوله من ظروف، فلا بدّ أن إظهار كلّ هذا بدل تعمّد إخفائه يعطي المترجم شيئاً من حقه، ويسمح باستقبال الآخر بطريقة لا تمسخه، وإن كانت هي الأخرى ذاتية ومتمركزة عرقياً. يفتح هذا الأسلوب الباب أمام المترجمين والقراء على حدّ سواء لاختبار إمكانيات كتابة وقراءة مختلفة بميلها المقصود عن المعايير والأعراف الأدبية المعمول بها، الأمر الذي يلفت الانتباه إلى الاختلاف الثقافي المراد إظهاره، دون أن تكون هناك بالضرورة رغبة في الاحتفاء بالآخر، لأنّ هذا يبقى دائماً مرهوناً بالبيئة التي تُنتج فيها الترجمات (انظر المرجع السابق، ص34-42). فالتغريب عند فينوتي هو وسيلة للوقوف في وجه هيمنة اللغة الإنجليزية والخطاب السائد، ومحاولة لتغيير واقع الترجمة نحو الأفضل.

4.2.1 الترجمة النسوية وإشكالية الترجمة التدخلية

تأثرت نظرية الترجمة بالخطاب النسوي الذي برز بشكل كبير في الدراسات الاجتماعية والأدبية في أوروبا وأمريكا الشمالية، ونتج عن هذا التأثير مقارنة نسوية للترجمة قائمة أساساً على فكرة أنّ الترجمة مثلها مثل المرأة تعرضت عبر العصور لأشكال مختلفة من الإقصاء والتمييز على أسس غير منطقية. وتشير باسنيث (2007م) إلى أنّ المقاربات النسوية للترجمة أسهمت في إعادة قراءة وتقييم تاريخ الأدب وردّ الاعتبار لكلّ من النساء والترجمة، إذ أنه ولقرون طويلة تم تجاهل الدور الكبير الذي لعبته المرأة والترجمة في تطور الحركة الأدبية في الغرب بصفة خاصة. وجاءت المقاربات النسوية لتتحدى الكثير من المعتقدات الخاطئة والتي سادت لقرون بسبب تعنت المؤسسات الأدبية وتمسكها بالكثير من المفاهيم على أنها حقيقة مطلقة دون وجود أي إثبات فعلي على مدى صحة ومنطقية الكثير منها، ونفس الأمر

يمكن ملاحظته على المعايير التي حكمت نظرية الأدب لفترة طويلة. وفي هذا الصدد تؤكد باسنييت على أن التشكيك في مدى صحة ومنطقية المعايير الأدبية هو الانعكاس الحقيقي للتوجه الثقافي في الترجمة (انظر Bassnett, 2007, 16-17). فمع التغيرات التي طُبعت الحركة الفكرية في العقود الثلاثة الأخيرة من القرن الماضي بات لقاء الترجمة والفكر النسوي ممكناً لاهتمام كليهما بالدور الذي يمكن للغة أن تلعبه في ترسيخ تصورنا وفهمنا للاختلاف على مستوياته المتنوعة. وتؤكد Sherry Simon (شيري سايمن، 1996م) أن المكانة الثانوية للترجمة في الأدب وتلك للنساء في المجتمع ما هي إلا نتاج خطاب ذكوري قائم على استخدام اللغة بشكل معين أنزل بعض المعاني منزلة الحقيقة المطلقة. وبإمكان نفس السلاح، أي اللغة، إذا وُضع بين يدي المرأة أو المترجم أن يُخرج للنور خطاباً بديلاً يقدمهما بشكل أكثر إنصافاً لكليهما" (Simon, 1996, 8). وهو بالفعل ما عمدت إليه الكثير من المترجمات في كندا على وجه التحديد، رافعات شعار تغيير خطاب الترجمة من خلال تجارب ثورية في طرق الترجمة لم تسلم هي الأخرى من النقد.

وتأثرت نظرية الترجمة بالاتجاه النسوي في الثقافة عموماً وفي الأدب بشكل خاص، ويمكن القول أن الترجمة في هذه الحالة هي إحدى أدوات المشروع النسوي. وترى سايمن أن ما يناقشه منظرو هذا التيار من أفكار وما يقترحونه من استراتيجيات بديلة للترجمة تصب جميعها في إطار الدفاع عن الموقف النسوي ودعمه والترويج له في ميدان الترجمة كما في غيره من المجالات المعرفية وهو ما يعني الاتجاه بنظرية الترجمة نحو المقاربة الثقافية بجرأة أكبر (المرجع نفسه، ص ix). ونظراً لخصوصية أهدافها، أثارت العديد من المواضيع التي نوقشت في إطار هذه النظرية الجدل، إذ طرحت تساؤلات حول الطبيعة الذكورية للخطاب الذي كُتب به تاريخ الأدب وكيف أن قراءة بديلة يمكنها كشف الثغرات واللبس في هذا الخطاب سيما ما تعلق بحقيقة دور كل من المرأة والترجمة في تطور الأدب في الغرب تحديداً. من جهة ثانية يعتقد منظرو هذه المدرسة أن المترجم النسوي يقع على عاتقه إحداث التغيير وترسيخ المبادئ

النسوية من خلال "ترجمة تدخلية" (interventionist translation) تنظر للترجمة على أنها إعادة كتابة هدفها الأهم الوقوف في وجه الخطاب الذكوري باقتراح ترجمات يُسمع فيه صوت المرأة الذي قد يكون مكتوماً في النص الأصلي. فالترجمة في هذه الحالة موجودة لخدمة الإيديولوجيا بالأساس.

ويتقاطع خطاب الترجمة النسوية مع خطاب الترجمة ما بعد الاستعمارية ونظرية فينوتي عند فكرة الترجمة بوصفها أداة لمقاومة هيمنة الخطاب السائد ووسيلة لإحداث التغيير، لكن بالطبع اختلال الموازين من وجهة النظر هاته مرتبط بنوع الجنس. فهناك عدة أمثلة في تاريخ الترجمة تدلّ على أنّ خطاب الأخيرة لطالما ربط الترجمة بالأنثى. تلاحظ سايمين (1996م) أن العبارة الشهيرة "الجماليات الخائئات" (les belles infidèles) تعكس جيداً هذه الحقيقة، لأنها تُنبؤ عن الإطار الذي ظلت الترجمة لقرون، فكراً وممارسة، حبيسة له. فاللآفت في هذا التشبيه هو ربطه نجاح الترجمة بابتعادها عن الأمانة وتركيزها على جمال الأسلوب واللغة مما يوحي بأنّ هناك تعارض بين الأمرين وأنهما يصعب أن يجتمعا في نص واحد (Simon, 1996, 10). وتذهب المفكرة أبعد من ذلك، فمن المنظور النسوي تُشبّه علاقة الترجمة بالنص الأصلي إلى العلاقة التي تربط المرأة بالرجل في المجتمع، غير أنّ مبررات فرض السيطرة في الحالتين لم تعد موجودة. فالمكانة المُميزة التي حظيت بها النصوص الأصلية على أساس أنها دليل إبداع وعبقريّة لم تعد موجودة في ظلّ النظريات الحديثة التي أعادت النظر في فكرة المعنى والأصل، وهو ما سمح بإخراج الترجمة من عباءة النص الأصلي بوصفها إنتاج (production) وليس إعادة إنتاج (reproduction). والأهم من ذلك ربما هو صعوبة وضع حدود واضحة للأشياء على أرض الواقع مما جعل فهم الظواهر في إطار الثنائيات المعرفية الثابتة على غرار المعنى والحرف أو الأمانة والجمال وغيرها يبدو فيه شيء من السطحية والتبسيط (انظر المرجع نفسه، ص 10-11). فبمجرد إعادة النظر في طبيعة العلاقة التي تربط النص المترجم بالأصلي، وأنّ وجود أحدهما مرتبط بالآخر ولا مبرر

للمفاضلة بينهما، يتضح جلياً ضرورة التفكير في موضوع الترجمة من نواحي جديدة والتخلي عن خطاب عفا عنه الزمن لصالح خطاب يواكب التغيرات الثقافية والاجتماعية الحاصلة.

من جهتها تحاول Lori Chamberlain (لوري شامبرلاين، 2012م) الكشف عن الأسباب الثقافية

التي شكّلت صورة الترجمة بوصفها نوع ثانوي من الكتابة. فمن خلال بعض الأمثلة من تاريخ الترجمة تلاحظ المنظرة كيف أنّ الألفاظ والعبارات والتشبيهات التي وُصفت بها الترجمة عبر الزمن تؤكد بما لا يدعو مجالاً للشك وجود إجماعٍ حول مكانتها الثانوية، مكانة محجوزة لكل ما هو مؤنث في الثقافة. ويأتي على رأس هذه الأسباب الصراع على السلطة بين المرأة والرجل والقابع في خلفية المشهد الفكري والذي لا يُلفت إليه الانتباه كثيراً لكنه مؤثر لدرجة أنّ فهم ما حولنا لا يكتمل إلا بربطه بالنوع ذكراً كان أو أنثى. فمن المسلم به اجتماعياً أنّ قيمة العمل مرهونة بنسبة الإبداع والأصالة فيه وهي الصفات التي تضمن لصاحبها القوة وبالتالي موقع الأبوة، على اعتباره رأس السلطة في العائلة والدولة. وكما سبق الإشارة إليه أعلاه، كان للخطاب دور محوري في تشبيه الترجمة بالأنثى وبالتالي جعلها تابعة للنص الأصلي، الكاتب الأصلي، أو المترجم، "الذكر" باختصار. فالسؤال حول من يملك السلطة على النص المترجم، المؤلف أو المترجم، يعني ضمناً وجود قلق معين حيال أمانة نقل النص والإبقاء على لغته النقية، لأنّ الأمثلة المدروسة أظهرت ميل المترجمين لاستباحة النص في الترجمة، أشبه ما تكون باستباحة المستعمر لأراضي الغير (انظر Chamberlain, 2012, 258-262). تبني هذه القراءة موقفها من نظرية الترجمة بالعودة إلى التاريخ، وتخلص مثل سابقتها إلى ضرورة قلب الخطاب لتحقيق نوع من الإنصاف للعناصر المضطهدة، وهما المرأة والترجمة في هذه الحالة.

وترجم تشامبرلاين أنّ ما توصلت إليه الدراسات حول "أسطورة الأصل" وكذا إسهامات التيار

النسوي في إعادة الاعتبار لدور الترجمة تفرض على المنظرين التراجع عن الخطاب العنصري ضد

الترجمة وإعطائها المكانة التي تستحقها، ولهذا الغرض قد تكون نظرية دريدا التقويسية، سيما ما تعلق

منها بمفهوم الاختلاف (différance) نقطة انطلاق مناسبة. إذ يمكن للترجمة النسوية أن تستلهم من علاقة الارتباط بين النص وترجمته، وهي علاقة طبيعتها غير محددة تحتمل البناء كما الهدم، لتقدم نموذجها الخاص في الترجمة. فمهمة المترجم في إطار هذا النموذج هي "المقاومة"، بمعنى الوقوف في وجه الخطاب التقليدي والتدخل في الترجمة بشكل يعكس الأثر السلبي للخطاب الذكوري، أو يعطي صوتاً وبالتالي وجوداً لذلك الذي لم يُقَلْ أو قُمِعَ في النص الأصلي (انظر المرجع السابق، ص 264-266). ومقاربة الترجمة من هذا المنظور لها مخاطرها، كما أنّ تركيزها على الانتصار لقضية المرأة قد يدفعها إلى التلاعب بالنص الأصلي وكبت صوته. ولهذه الأسباب وغيرها تعرض هذا التيار في الترجمة للكثير من الانتقادات.

أما Gayatri Spivak (غاياتري سبيفاك، 2012م) فتقارب الترجمة النسوية من منظور يجمع بين ما بعد الاستعمارية وما بعد البنيوية، مما يجعل طرحها يبدو حاداً بعض الشيء. إذ تزعم سبيفاك أنه لا مجال للحديث عن حركة نسوية عالمية تحمل هموم المرأة حيث ما كانت دون إعادة النظر في معايير الترجمة وخلق حوار حقيقي يقوم على حركية لغوية متوازنة، فليس هناك مبرر للاكتفاء بالاتجاه نحو اللغات واسعة الانتشار وتجاهل لغات الأقليات. وعلى أرض الواقع، يمكن للنساء المنتميات إلى الثقافات المهيمنة إظهار اهتمام صادق بغيرهن بتعلم تلك اللغات، تماماً كما اجتهدت نساء العالم الثالث وتعلمن لغاتهن وخاطبتن بها. وهو ما تعتبره سبيفاك اختباراً لمدى قدرة الحركة النسوية على تجاوز البؤن الثقافي والجغرافي واحتواء الاختلاف بدل ادّعاء تشابه غير حقيقي، فقضايا النساء في العالم ليست واحدة. وما قد يُعتبر ظلماً في ثقافة ما قد يكون مظهراً من مظاهر العدل في ثقافة أخرى، فالحكم على الأمور يجب أن يكون مرتبطاً بفهم حقيقي للآخر وواقعه، وليس من خلال إسقاطات على الذات تضر أكثر مما تفيد (انظر Spivak, 2012, 312-322). وهذه الفكرة صحيحة إلى حدّ بعيد، فمحاولة وضع كلّ نساء العالم في سلة واحدة غير واقعية، وتحجب حقيقة أن مشاكلهن ليست واحدة، بل وحتّى فهمنّ للعالم من حولهن

يختلف باختلاف ثقافاتهن. وخير مثال على ذلك إصرار الحركات النسوية في الغرب مثلاً على تصوير زي الحجاب على أنه إخضاع للمرأة، بل إنّ غطاء الرأس قد يتسبب في عجزها عن التفكير، وهذه أحكام نابعة عن جهل تام بالاختلافات الثقافية أو ربما عن إنكار لوجود طرح مختلف لمفهوم الحرية.

تذكر سبيفاك بعض الشروط الواجب توفرها لنجاح الترجمة الثقافية النسوية، أولاً أن تكون

الترجمة قارئاً جيدة للنص، قراءة تتسم بالشغف، فبدون وجود رابط خاص بين القارئ والنص لا يمكن للترجمة أن تكون ناجحة. فالخصوصية وحدها تكفل فهم النص في بُعد البلاغي، فيما يُفضل عدم البوح به، بحيث تعجز اللغة ولا يُفيد المنطق. ولإعطاء فرصة لهذا الرابط الخاص بين القارئ/الترجمة والنص أن يُخلق يجب توفر شرط ثانٍ في الترجمة وهو المعرفة العميقة ليس فقط باللغة التي يُترجم إليها ولكن أيضاً باللغة التي يُترجم منها، وتُشدّد سبيفاك على أنّ ما تقصده بالمعرفة العميقة هو تلك المعرفة التي تدفع الفرد إلى تفضيل استعمال هذه اللغة للتعبير عما هو حميمي وخاص بالنسبة له. فالمعرفة المقصودة في هذا السياق تتجاوز تلك المتعارف عليها لأنها تصبح في هذا الإطار غير كافية. ويضع هذا الشرط الطريقة السطحية والتعميم غير المبرر للمفاهيم والإسقاط على الذات الملاحظين بكثرة في الترجمة من أدب العالم الثالث إلى اللغة الإنجليزية موضع التساؤل والنقد (انظر المرجع السابق، ص 312-322).

وهو ما يعبر عنه فينوتي بأنّ الثقافات أحياناً لا ترى الفكرة من نفس الزاوية، فيجب ألاّ تسلّم الترجمة من الثقافة المهيمنة بأنّ المشترك بين النساء يُعاش بنفس الطريقة، فأحياناً ما يكون تحريراً للمرأة في الغرب ما هو إلاّ تكبيل وتقييد في غيرها من الثقافات (Venuti, 2012, 276). ويتميز طرح سبيفاك عن سابقه باهتمامه بالاختلاف الثقافي، وإعطاء حلول على صعوبة تحقيقها على أرض الواقع تكفل نوعاً من التواصل الثقافي الصميم الذي يُبرز الآخر بأكبر قدر ممكن.

5.2.1. الترجمة ما بعد الاستعمارية وحفظ الحوار شمال-جنوب

يسمح تقصي السياق السياسي والتاريخي الذي ظهرت فيه المقاربة ما بعد الاستعمارية للترجمة بفهم أوضح لدور الترجمة المُحفز أو المُثبط لتفاعل ثقافي مُثمر. فلا يخفى على أحد كيف أنّ نهاية الحقبة الاستعمارية وما ترتب عنها من ظواهر، دوافعها في الأغلب اقتصادية، قد حتمت على الباحثين فهم الواقع الجديد من خلال قراءات تاريخية لطبيعة العلاقات شمال-جنوب ومختلف تجلياتها. وتأتي ظاهرة الهجرة الجماعية للأشخاص من بلدان الجنوب المتعثرة اقتصادياً نحو بلدان الشمال المتطورة في شتى المجالات على رأس هذه التبعات. وانكب الباحثون على إعادة النظر في مفهوم الترجمة، إذ بات من الضروري التوسع في الدراسة لتشمل فكرة أن الترجمة في عصر العولمة هي حقيقة جغرافية، وليست ظاهرة لغوية بحتة، فالكثير من الأشخاص يعتمد عليها للتعبير والتواصل في الحياة اليومية. فمثلاً يرى الكثيرون أنّ الأدب ما بعد الاستعماري المكتوب باللغات الأوروبية هو في جوهره شكلٌ من أشكال الترجمة التي تعمل على إبراز ثقافةٍ ما في غير لغتها الأصلية. فالترجمة لا يجب أن تُختزل في فكرة الانتقال من لغةٍ لأخرى ولكن ينبغي النظر إليها على أنّها أداة يُمكن الاعتماد عليها في مجالات عدة وبأشكال مختلفة.

علاوة على هذا، اهتمت الترجمة ما بعد الاستعمارية بتحليل خطاب الترجمة وإعادة قراءته في ضوء الدراسات الثقافية وبتأثير منها، فيربط Harish Trivedi (هاريش تريفيدي) وباسنيت (1999م) بين الانتقال أو العبور اللغوي (translational) والعبور الجغرافي (transnational)، بحيث يعتبر المفكران أنّ الأفراد الذين اختاروا لغة المستعمر لغة كتابة، وأرضه مكاناً للعيش "أشخاصاً مترجمين"، ولا يختلفون في معاناتهم عمّن بقي في أرضه وفُرض عليه لسان غير لسانه. وهو ما يحيل بحسب الباحثين إلى مصطلحين آخرين، كان أول من استعملهما في هذا السياق هو Homi Bhabha (هومي بابا) وهما البينية والفضاء الثالث واللذان يعبران عن الكيفية التي يمكن لكتّاب العالم الثالث التعبير بها عن هويّتهم وإسماع

صوتهم من خلال لغة هجينة قائمة على فكرة الترجمة، ذلك أن الدافع الأساسي لاستعمال أكثر من لغة هو الحاجة إلى ترجمة صادقة للذات الممزقة بين الوطن والمنفى وبين لغة الآباء ولغة الكتابة. ويكون الهدف في المقام الأول هو عكس موازين القوى واقتراح خطاب بديل. ويخلص الباحثين إلى أن التواصل الثقافي يحدث داخل النص أو منطقة التماس، وعكس المقاربة التقليدية للترجمة، يُمكن على هذا المستوى التغلب على هيمنة اللغة المُسيطرة وفرض خطاب متعدد يسمح بتعايش أكثر من ثقافة في نفس الحيز. كما أن فكرة اللغة الواحدة النقية تبدو مثالية ولا تتناسب مع عالم اليوم، أين يشعر مستعملو اللغة بضرورة استعمال أكثر من لغة أو لهجة للتعبير بوضوح عن الذات وما يؤرقها (انظر Bassnett and Trivedi, 1999, 12-14). يعتبر الأدب ما بعد الاستعماري وفقاً لهذا المنظور أحد أشكال الترجمة، بحيث سمح هذا النوع من الكتابة بهدم أسطورة هيمنة اللغة الإنجليزية خاصة من خلال إخضاعها لأساليب وجمالية لا تخصها، وهذا أشبه ما يكون بترجمة فينوتي التغريبية.

إنّ المقاربة ما بعد الاستعمارية للترجمة، مثل غيرها من المقاربات الثقافية، تهتم بالدرجة الأولى بما ميّز ويُميّز العلاقات بين اللغات وبالتالي الثقافات وهو "عدم التكافؤ". إذ يلاحظ مانداي (2016م) أنّه من خلال دراسة نوع الصورة "النمطية المُجفّة" للآخر، الأضعف اقتصادياً وسياسياً وثقافياً، التي تفرضها الترجمة إلى الثقافات المُهيمنة، أثناء الفترة الاستعمارية أو بعدها، يمكن إسقاط واقع الترجمة ومكانتها في ثقافة ما، من منظور اجتماعي وتاريخي، على مكانة المستعمرات السابقة وثقافتها، في عالم تفرض فيه الثقافة الغربية مفرداتها على غيرها (Munday, 2016, 209). وهو ما تذهب إليه سبيفاك (2012م)، إذ تعتبر أن ما يحدث في الترجمة ما هو إلا امتداد لإمبريالية غربية انتهت على الأرض لكنها لا تزال راسخة في وجدان الغرب الذي أنشأها والعالم الثالث الذي عانى من ويلاتها:

“The translator has to make herself, in the case of Third World women writing, almost better equipped than the translator who is dealing with the western European languages, because of

the fact that there is so much of the old colonial attitude, slightly displaced, at work in the translation racket.” (Spivak, 2012:320)

" يتعين على مترجمة الكتابات النسائية من العالم الثالث أن تكون أكثر جاهزية من تلك التي تتعامل مع اللغات الأوروبية الغربية. فهناك في الواقع الكثير من السلوكيات الاستعمارية القديمة، مع قليل من التصرف، حاضرة في عملية الترجمة " (ترجمتا)

فبالنسبة لسيفاك الكيفية التي تتم بها ترجمة أدب العالم الثالث إلى الإنجليزية تعكس مدى هيمنة اللغة الإنجليزية لدرجة أن هذه الترجمات في معظمها تطمس الخصائص الثقافية والأدبية للنصوص الأصلية (المرجع السابق، ص 321). ولا يمكن للترجمة أن تُغيّر هذا الواقع في غياب إرادة جديّة في الذهاب نحو الآخر وفهمه بعمق. وهو أمرٌ صعب المنال إذا كانت معرفة المترجم باللغة التي يُترجم منها والثقافة التي ينتمي إليها النص معرفة سطحية كثيراً ما يستقيها من نصوص أخرى مكتوبة في اللغة المستقبلية.

وقد يأخذ النقاش طابعاً سياسياً قد يكون حاداً بعض الشيء، وهو ما يعكسه موقف Tejaswini Niranjana (لتيجاسويني نيرانجنا) والذي يتلخص بحسب مانداي (2016م) حول فكرة عدم التكافؤ بين العالم المتحضر والعالم الثالث والذي لا يقتصر على النصوص وكيفية ترجمتها بل يتعداه لخطاب الترجمة ونظرياتها التي تقوم على نظرة أحادية الجانب تستند على الموروث الإغريقي-روماني الأوروبي في فهم اللغة والأدب وتعمل على فرضها وترسيخها من خلال ترجمة مُغالية في الإدماج (over-assimilation). فنظريات الترجمة في معظمها، وإلى غاية وقت قريب، لم تكلف نفسها عناء الخروج من عباءة اللغات الأوروبية وتاريخها، ولم تحاول فهم الظاهرة من منظور أوسع يشمل لغات وثقافات العالم كلّها. فمن الضروري إذاً محاولة مقاومة هذا الأمر الواقع وتغييره باستعمال ذات سلاح اللغة والترجمة ولكن هذه المرة بهدف ترسيخ خطاب مختلف وصورة جديدة عن الآخر. ولهذا الغرض يمكن للترجمة أن تتدخل لصالح نشر أو حجب محتوى معين، فقط من أجل مكافحة هيمنة الخطاب السائد واقتراح خطاب بديل. وهو موقف تتبناه الترجمة النسوية أيضاً (Munday, 2016, 210-211). تلعب الإيديولوجيا في هذه المقاربة دوراً محورياً، ويصبح للمترجم، كما في الترجمة النسوية، مهمة الانتصار لفكرة تحرير ثقافات

العالم من برائن الإمبريالية الغربية، وهي المهمة التي قد تتعارض مع مبادئ صميمة في الترجمة كنقل المعنى والمحافظة على الرؤية الأساسية للنص.

6.2.1. قضية الهيمنة عند إدوين غينتسلر وماريا تيموكسكو

لقد شارك المفكران غينتسلر و Maria Tymoczko (ماريا تيموكسكو) في إثراء نظرية الترجمة بالكثير من المؤلفات التي ناقشت مواضيع متنوعة. ففسّر غينتسلر (2007م) مثلاً كيف تأثر خطاب الترجمة بفلسفة نظرية التقويض (التفكيكية)، إذ أفادت نظرية الترجمة من الأخيرة بشكل لافت، وأسهمت في اخذها مساراً مختلفاً فتح الباب أمام ظهور مدارس فكرية جديدة متداخلة الاختصاصات وكذا خطاب نظري مُتجدد. إضافة إلى اعتماد التقويضيين على مفهوم الترجمة في تفسير طبيعة اللّغة، وجدوا أنّ لا غنى للأصل عن الترجمة كما لا غنى للترجمة عن الأصل. كما أنّ التشكيك في ثبات المعنى واعتباره أمراً نسبياً ومتغيراً، وصعوبة تحديد ما هو أصلي، جاءت كلّها لتزعزع ليس فقط كثيراً من الثوابت في عالم الترجمة ولكن أيضاً لتتقد توجهات وأنماط تفكير ظلت لقرون مهيمنة (انظر ص 346-348). غير أنّ منظري الترجمة في تقديره لم يكونوا موفقين بنفس القدر عند تطبيقهم لمبادئ نظرية التقويض، ذلك أنّ محاولة تطبيق هذه المبادئ لا تنفصل عن الانتماء الفكري لمن يحاول تطبيقها وبالتالي يكون منهج التحليل ومُخرجاته رهينة مدرسة فكرية معينة، الأمر الذي قد يحدّ من فائدة هذا الاتجاه في تطوير نظرية الترجمة من جهة وصعوبة فصلها عن مفهوم السيطرة أو الهيمنة من جهة ثانية (Gentzler, 2002, 197). كما أنّ الشك قد لا يكون خيار المترجم الأفضل، فهو من الناحية العملية يحتاج للفصل في الأمور وأخذ قرارات بشأن الترجمة.

وهو ما يذهب إليه غينتسلر في ملاحظته أنّ طبيعة مهمة المترجم تتناقض إلى حدّ ما مع اللّعب على المعاني وتعددتها الذي يعتمد التقويضيون، ففي نهاية المطاف يتحتم على المترجم أن يُفاضل بين

ما هو موجود من معاني ويأخذ أحدها. وهي مهمة تكمن صعوبتها في إيجاد سبيل بين عدم ثبات المعنى وضرورة تثبيته في الترجمة وتداعيات ذلك على طبيعة المحتوى النظري والسياسي الناتج والذي سيكون بالضرورة منحازاً إلى اتجاه وفكر معين (المرجع السابق، ص 200). ويضيف الباحث أنّ ذلك انعكس على مجموعة من نظريات الترجمة التي تعتمد التقويض إطاراً نظرياً دون أن تطرح نفس المشروع الفكري. ويذكر غينتسلر نظرية فينوتي مثلاً على تفضيل الموقف الإيديولوجي على التلاعب اللفظي والحيل اللغوية، و Suzanne Jill Levine (سوزان جيل ليفين) مثلاً على الحالة المعاكسة (المرجع نفسه، ص 204). وبين هذا وذاك، يجد المنظر أن غاياتري سبيفاك كانت أكثر توفيقاً من غيرها في الجمع بين الأمرين في نظريتها وممارستها للترجمة (المرجع نفسه، ص 206). ويعتقد المفكر أنّ سبيفاك نجحت من خلال استراتيجيتها الجوهرية الانتقائية (selective essentialism) في تحقيق التوازن المنشود بين الثقافتين الأصلية والمستهدفة، فمن جهة أماطت الستار عن مشاكل الخطاب الغربي، خاصة فيما يتعلق بتمثيل الآخر، ومن جهة ثانية قدمت صورة عن الآخر واقعية، حقيقية في زمانها ومكانها، تؤصل لفكرة الاختلاف دون أن تكون نمطية أو سطحية (المرجع نفسه، ص 213). إنّ النتائج التي توصل إليها غينتسلر تعكس مدى تعقد المشهد في نظرية الترجمة مع حلول الألفية الثالثة، وصحيح أنّ منهج سبيفاك والذي زاوج بين النظرية والتطبيق يعدّ ناجحاً بفضل الترجمات التي قامت بها، لكنّ هذا النوع من الترجمات الثقافية يتطلب وقتاً وجهداً مضاعفين قد لا يكونا متاحين في سوق العمل.

ويجد غينتسلر أنّ الترجمة لا تكتفي في الإطار ما بعد البنيوي، التقويضي، بوصفها ذلك الانتقال من كينونة لغوية وثقافية متجانسة إلى كينونة أخرى بذات التجانس، لأنّ هذا الوصف لا يعكس الواقع. فالיום هناك وعي أكبر بتعدد الأصوات الموجود في النص الواحد والتلون والتنوع الثقافي الذي يُشكل المرجعية الثقافية لمعظم المجموعات العرقية في العالم. والمترجم لا يمكن له أن ينسلخ عن ذاته، ولا عن واقعه أثناء الترجمة. كلّ هذا سمح بإعطاء الترجمة معنأً أعمق، ودوراً محورياً في تشكيل الوعي

وبناء الثقافة، وهو دورٌ على أهميته لا يخلو من مخاطر الأدلجة والتلاعب. وهذا بالضبط ما يضع بين يدي المترجم سلطة ثقافية، يُعاد من خلالها تشكيل صورة الآخر بحيث تُرسخ ما هو موجود أو تقاومه، ويرتبط هذا برؤية المترجم ومشروعه. لقد سمح التقويض للترجمة بأن تنفتح على كلّ الاحتمالات التي تتيحها اللّغة، وأن تكون فعلاً إبداعياً بامتياز، وبالتالي فتح الباب واسعاً أمامها للمشاركة الفعلية في التغيير، ولا أدل على ذلك من الترجمة النسوية في كندا، والتي استطاع منظروها إحداث تغييرات ملموسة على المشهد الأدبي والخطاب السائد بفرض شكل جديد للترجمة لا يخفي انحيازه ولا أهدافه. ضمن هذا الإطار النظري يمكن تجاوز المقاربة التي تختزل الترجمة في ساحة تتنافس فيها ثقافتين على الريادة إلى مقارنة أعمق ترى في الترجمة وسيلة ممتازة لفهم العلاقة المعقدة التي تربط الثقافات بعضها ببعض، والانفتاح بشكل تدريجي على رؤى أخرى ممكنة لهذا العالم، لا تتناغم بالضرورة مع الرؤية الغربية (انظر المرجع السابق، ص 216-218). من الواضح أنّ التطورات السريعة والمتلاحقة جعلت المستحيل ممكناً، فلم يعد هناك موضوع لا يمكن لنظرية الترجمة تناوله وهو أمر إيجابي من حيث التعمق في المفاهيم بشكل جدي بعيداً عن النقاشات العقيمة، لكنّه مع ذلك لا يخلو من مخاطر الضبابية والأدلجة الناتجة عن مقارنة تقويضية محضة لا تأخذ خصوصية المجال بعين الاعتبار.

أما في مصنفهما *Translation and Power* ("الترجمة والهيمنة"، 2002م)، فيسلط تيموكسكو وغينتسلر الضوء على كيفية ارتباط ظاهرة الترجمة بفكرة القوة والهيمنة من جوانب متعددة. فكثيراً ما يُشار إلى الترجمة كأحدى وسائل القوى العظمى لبسط نفوذها وتعزيز مكانتها، وبالتالي مقاربتها بوصفها أداة استعمارية همها الرئيسي ترسيخ الوضع القائم والوقوف بوجه كل ما من شأنه تهديد هذه المكانة والقوة. لكنّ هذا لا يجب أن يُدّلس على حقيقة أن الترجمة قد يكون لها دور مغاير في صراع السيطرة هذا، فقد يكون لها دور فعّال في الوقوف في وجه الخطاب السائد ومقاومته من خلال خطاب بديل. وعليه يجب أن يُنظر إلى التحيز على اعتباره سمة أصيلة في الترجمة، فالانتقائية التي تطبع عمل المترجم عموماً

هي تحديداً ما يسمح بالقول بأن الترجمة هي شكل من أشكال ممارسة بسط النفوذ بطريقة عملية. كما أنّ التحيز هو ما يتيح للترجمة أن تكون فعلاً يُعبر عن انخراط صاحبه في قضية معينة وعن التزامه بها. ويمكن للباحث أن يستشف طبيعة العلاقة التي تربط المترجم بسياقه السياسي والاجتماعي وبالتالي الخطاب المهيمن من خلال تمحيص ترجماته وخياراته الترجمية. وربما يكون لاعتبات النص المختلفة الدور الأهم لهذا الغرض، فكثيراً ما تكون المقدمات والهوامش مرآة صافية تعكس فهم المترجم لواقعه وكيفية تطبيقه لهذا الفهم عملياً من خلال فعل الترجمة (Tymoczko and Gentzler, 2002, xvii-xviii). ولا تكتفي مقارنة ممارسة الترجمة من هذا المنظور باختزال دور المترجم في أداة يوجهها الغير وتخضع لضغوطات المؤسسات الأدبية أو السياسية وهيمنتها، بل إنّ قدرة المترجم على إحداث الفارق وتغيير اتجاه موازين القوى من خلال إدراكه للقوة التي يمتلكها باعتباره وسيط ثقافي وتسخيره لكل الأدوات المتاحة له للعمل على تقييم الاعوجاج والشطط الذي ما انفك الخطاب المهيمن يسوقه على أنّه حتمية لا مفرّ منها (Tymoczko and Gentzler, 2002, xviii).

من جهة أخرى يحاول غينتسler (2017م) لفت انتباه الباحثين إلى أنّ تنوع استراتيجيات وصف وتقييم الترجمات ليس مفيداً في ذاته ولكن ينبغي أن يكون أداة لفهم كيفية تبني الثقافة المستهدفة لما حملت الترجمات من أفكار، لأنّ هذا هو السبيل الأنجع لقياس مدى تأثير الترجمة على الاتجاهات الفكرية والأدبية، وبالتالي مدى أهميتها. فمن الأهمية بمكان في هذه الحال تجاوز النص المترجم والتركيز على طبيعة التأثير اللاحق للترجمة وهو ما يصطلح على تسميته "تحليلية ما بعد الترجمة" (post-translation analysis)، إن مثل هذا الطرح من شأنه إمطة اللثام عن الدور المحوري الذي لعبته وتلعبه الترجمة في الكثير من التحولات السياسية والاجتماعية والأدبية للثقافة المستهدفة، وهو ما يُسهّم لا محالة في تغيير الفهم العام لماهية الترجمة وطبيعة وظيفتها (Gentzler, 2017, 3). كما يعتبر غينتسler أنّ التغيرات السريعة والمتلاحقة في عالم اليوم فرضت على المترجمين تغييراً مشابهاً في أساليبهم وأهدافهم،

وباتت فكرة الهيمنة، أكثر من أي وقت مضى، المحرك الأساسي والمتحكم الأول في شكل النصوص المترجمة ومضمونها، فالمضمون الديني أو السياسي أو الأكاديمي، أو أي نوع آخر، لا يمكن أن يُقدم لقارئه قبل أن يُمرر في مصفاة الإيديولوجيا، ويخرج منها مقبول ثقافياً (المرجع السابق، ص5). وينقل هذا الطرح الترجمة إلى مستوى مختلف وأكثر مواكبة لما يحدث على أرض الواقع، إذ أنّ التطور التقني الحاصل والذي تزداد وتيرته كلّ يوم يحتم على الباحثين إعادة النظر في الحدود التي رسمت في الماضي لمعنى كلمة "مُترجم"، ففي عالم اليوم اتخذت الترجمة أشكالاً لا حصر لها وجب التنبيه لها وشملها بالبحث والدراسة.

بالرجوع إلى التاريخ، يزعم غينتسلر أنّ الكثير من التحولات التاريخية المهمة، سياسية كانت أو أدبية يمكن اعتبارها نتيجة مباشرة وبعدية للترجمة وهو ما يُبرر في رأيه ضرورة التفات الباحثين في إطار دراسات ما بعد الترجمة إلى أمرين مهمين: أولاً تمحيص ظروف إنتاج وعمل الترجمات والنصوص الأصلية على حدّ سواء، فما يسبق أو يُواكب الترجمة لا يقل أهمية عما يليها في هذا الإطار النظري. ثانياً، وفيما يخص النتائج اللاحقة للترجمة، والتي يكون من المفيد للغاية تحليلها، فهي ظواهر من قبيل ظهور أو إدخال أجناس أدبية وأساليب تعبيرية جديدة لثقافة معينة، أسباب انفتاح أو انغلاق ثقافة معينة على غيرها وعلاقته بالترجمة، ثورة المجموعات العرقية التي تمثل أقلية ورغبتها في فرض وجودها من خلال اللغة، المجتمعات المتعددة الألسنة وآليات التواصل، ظاهرتي الهجرة والتهجير وما ينتج عنهما من طرق تواصل مبتكرة (المرجع السابق، ص4). كلّ ما سبق ذكره كثيراً ما يسبقه فترة ازدهار للترجمة، ويُحيل دون شك، إلى فهم دور ومكانة الترجمة بطريقة تختلف كلياً عن المؤلف قراءته في عدد غير قليل من النصوص، والتي عادة ما تُنزل الترجمة منزلة الهامشي والثانوي وبالتالي ما لا يمكنه التأثير.

إنّ مقارنة الترجمة بوصفها فعلاً تواصلياً ممتد في الزمان، له ما قبله وما بعده، ويُفهم في إطار تاريخي يشمل كل النصوص وليس النصوص المترجمة فحسب يحتاج إلى منهج متعدد التخصصات

حتى يتمكن من البوح بكل أسرارهِ، وهو أمر على جاذبيته يبدو بالغ التعقيد في جانبه التطبيقي لشدة اتساعهِ. من وجهة نظر غينتسler، هذه المقاربة على اتساع أفقها تبدو أكثر واقعية لأنها ببساطة تحاول مواكبة التطور السريع والمذهل لآليات التواصل في عالم اليوم والتي وفرتها تكنولوجيا تزداد دقة وفعالية يوماً بعد يوم. إن نظرية الترجمة إذًا مطالبة بالانتباه لما يحدث حولها وتقديم شكل جديد من الخطاب يُحاكي هذا الواقع المختلف في كل تفاصيله عما سبقه. تحتاج نظرية الترجمة للتخلي عن صرامة المصطلحات والأطر لصالح مقاربة أكثر سلاسة وأكثر تفتحاً على منتجات هي من صميم الترجمة، كونها أشكال متنوعة من إعادة الكتابة، لكنها لا تستجيب بالضرورة للتصور التقليدي لماهية النص المترجم، مثل الاقتباس بوسائله المتنوعة. إنَّ ما يحدث على مستوى وسائل التواصل الاجتماعي والتطبيقات المختلفة يؤكد أنَّ الخطاب النظري متأخر مقارنة بالتحول الحاصل على أرض الواقع، بحيث تحررت فكرة إعادة الكتابة بشكل لافت من قيود النص الأصلي، مما فتح الباب واسعاً أمام الإبداع الفردي، خاصة بين الأجيال الشابة التي عادة ما يكون لديها جرأة أكبر في التجريب. في هذا الواقع الجديد تحتاج الترجمة أن تكون وسيلة لضخ الجديد من الأفكار وأساليب التعبير القادرة على إنعاش الثقافة وإفراز التغيير الإيجابي دون الالتفات كثيراً للحدود الوهمية التي تفصل الثقافات والدول، لأنَّ العالم اليوم متداخل بشكل يصعب معه الحديث عن التجانس في أي ثقافة كانت (المرجع السابق، ص8). ومن هذا الجانب تكون دراسة الترجمة قد خطت خطوة جديدة نحو كونها ممارسة بالأساس، وأنَّ أي وصف نظري للظاهرة اليوم يجب أن يحاكي الأوجه المتعددة لهذه الممارسة والتي أفرزتها التطورات التقنية الهائلة في المقام الأول.

إنَّ أهم ما يجمع غينتسler وتيموكسكو هو قناعتهما بضرورة الثورة على أنماط التفكير في الغرب وعدم التسليم لفرضية أنَّ الأخيرة هي السبيل المثالي الوحيد، والمنطقي ربما، للإجابة على أسئلة الواقع الملحة. فكل الباحثين يجد أنَّ نظرية الترجمة من شأنها أن تتطور أكثر إذا التفتت أكثر للأصوات القادمة

من خارج أوروبا والولايات المتحدة الأمريكية (Tymoczko, 2007 and Gentzler, 2017). ومثل غينتسler، تعتقد تيموكسكو (2007م) أنَّ نظرية الترجمة عليها أن تتوسع لتشمل مفاهيم وتصورات أخرى لفكرة الترجمة التي تحصرها الرؤية الغربية في فكرة النقل. إنَّ هيمنة الرؤية الغربية على نظرية الترجمة تعود لأسباب تاريخية مرتبطة بالأساس بالدول الأوروبية، أي أنَّها رؤية نابعة من حاجة محلية تم تعميمها وفرضها بالقوة. فالدول الغربية لديها ليس فقط هيمنة اللغة، بل أيضاً هيمنة عسكرية واقتصادية تُجبر الأقل منها قوَّة على الخضوع وتبني خطاب لا يشبهه ولا يمثله، فيناقض الواقع في هذه الحالة المنطق. وهو ما يبعث على الشعور بالقلق والتوجس لعدم إمكانية إبقاء الإيديولوجيا بمنأى عن أي تفسير لمختلف ظواهر الترجمة وحصرها في نطاق جغرافي ضيق في حين أنها تنتشر في شتَّى أصقاع العالم ولكن بأشكال مختلفة. وتجد تيموكسكو أنَّ هناك ضرورة لإدخال تقاليد الترجمة الموجودة في مختلف أنحاء العالم دائرة البحث والتقصي في نظرية الترجمة، كما يتحتم على الأخيرة التخلص من مركزيتها الأوروبية حتى تتمكن من إعطاء تفسير للظاهرة يرقى لأن يكون عاماً وشاملاً، وهو ما من شأنه التأثير ليس فقط على أساليب التدريس والتدريب بل أيضاً على خطاب الترجمة الذي سينفتح أكثر من خلال تبني مقاربات وفهم للترجمة غير موجود في الثقافات الأوروبية مثل الأهمية المحورية للموروث الشفوي في الكثير من الثقافات الإفريقية والآسيوية والذي يختلف عن الموروث المكتوب الذي يبني عليه الغرب فهمه وتصوره للأشياء. زيادة على ذلك، يسمح تغير التصور والفهم لماهية الترجمة وطبيعة دور المترجم بإعطاء الأخير مساحة أكبر ليكون فاعلاً كفرد من خلال وظيفته (Tymoczko, 2007, 8). يمر أي تغيير جذري في نظرية الترجمة حتماً وبالضرورة عبر التخلي عن النظرة الأحادية الأوروبية وتبني منهج أكثر شمولية واحتواءً لمختلف تقاليد الترجمة في العالم. لأن فهم الترجمة بطرق مختلفة يسمح بفهم وتفسير الظواهر بمرونة أكبر، وبالتالي يفتح مجالاً أوسع للمترجم للإبداع والتأثير.

إنَّ أهمية، وربما خطورة، دور الترجمة في عالم اليوم خاصة من وجهة نظر تيموكسكو (1999م) تكمن في أنَّها وسيلة للتواصل يتم من خلالها تلقي الاختلاف وهي ذات الوسيلة التي يُؤخذ بها القرار بشأن هذا الاختلاف، بأن يُصان أو يُستباح أو يُحظر أو يُقدَّر. وهو ما يفسر الارتباط الوثيق بين الترجمة والثقافة، فإذا حمل النص تصوراً وفهماً خاصين لماهية الثقافة والقومية والهوية الأصلية فإنَّه سيتعرض حتماً للتغيير، لأن المترجم لا يشترك مع الكاتب في هذا التصور، بل إنَّ له تصوره الخاص عن هذه الثقافة المطبوع بخلفيته الثقافية وفهمه لهويته. وتزيد صياغة هذا التصور في لغة جديدة لها أسلوبها الخاص في التعبير من الهوية بين العالمين. ولقارئ النص المترجم أيضاً تأثيره على طبيعة الصورة الثقافية التي يتلقاها ويفهمها بناءً على ما لديه من تصورات مسبقة ومخزون وتراكمات. وبحسب تيموكسكو يتعدى تأثير عملية النقل هذه صورة الثقافة الأصلية ليطل الثقافة المنقول إليها والتي تتفاعل مع هذا المنتج وتتشكل به. وهذا الطرح هو ما يُبرر الارتباط الوثيق بين دراسة الترجمة والدراسات الثقافية، إذ أنَّ دراسة الترجمة تسمح بفهم أكبر لطبيعة العلاقة الموجودة بين الثقافتين (Tymoczko, 1999b, 17-18). ما يعني أنَّ ظاهرة الترجمة شديدة التعقيد، ولذا كان لزاماً العناية أكثر بهذه الجوانب، غير اللغوية في معظمها، والتي يكون لها بالغ الأثر على المنتج النهائي للترجمة. وهو ما يُشير أيضاً إلى أنَّ وظيفة الترجمة ممزوجة بعناصر كالهيمنة والإيديولوجية والتي تُخرجها حتماً من إطار الموضوعية والحياد الذي كثيراً ما سوقت له بعض سرديات الترجمة وتضعها في إطارها الواقعي كوظيفة تتأثر بما حولها وتؤثر فيه.

وقد اعتمدت تيموكسكو (1999م) على تحليل ترجمة نصوص إيرلندية إلى الإنجليزية في القرون الثلاثة الماضية لتأكيد فرضيتها بأنَّ الترجمة في الحقبة الاستعمارية لا يجب أن يُشار إليها على اعتبارها أداة لترسيخ وجود المستعمر كأمر واقع وزيادة بسط نفوذه فحسب، فالمثال الإيرلندي يؤكد وجود علاقة قوية بين الترجمة والحركات الوطنية المقاومة لسطوة المستعمر البريطاني. وقد دلت التحليلات المعمقة

لترجمة نصوص إيرلندية من العصر الوسيط إلى الإنجليزية على أنَّ الأخيرة زاخرة بالمحتوى السياسي والإيديولوجي، وهو ما يؤكد أنَّ المترجمين، منذ قرون مضت، كانوا على وعي بأهمية القوة التي بين أيديهم ولم يتوانوا في استغلالها لخدمة القضية التي يؤمنون بها. وتؤدي دراسة الترجمة في هذا الإطار الأوسع إلى فهم أدق لأصل نوعية صورة الثقافة الإيرلندية السلبية التي دأب المستعمر على ترويجها من جهة، وتلك التي حاول الإيرلنديون صنعها لأنفسهم من خلال الترجمة من جهة ثانية، وهي الصورة التي تُجد إرثهم الحضاري وتُركز على خصوصيتهم واختلافهم. وهذه المقاربة سيكون لها دون شك انعكاساتها ليس فقط على نظرية الترجمة ولمكن على النظرية ما بعد الاستعمارية التي غالباً ما تُركز على الترجمة بوصفها أداة لبسط نفوذ المستعمر (المرجع السابق، ص 21). ويشبه هذا الطرح في منهجه ما ذهبت إليه باسنيث سابقاً بحيث دعت إلى الانتباه لما يمكن جنيته في الترجمة من إيجابيات بدل التركيز على الخسارة المصاحبة للترجمة والتي هي جزء من ممارسة المهنة لا يمكن تلافيه. ومن نفس المنطلق تدعو تيموكسكو إلى التخلي عن الخطاب المجرّم للغرب والمركز على استغلايته لشعوب العالم لصالح خطاب أكثر إيجابية يركز على إمكانيات المقاومة والتغيير التي تمتلكها الترجمة. وهذه المقاربة على جاذبيتها قد لا تكون بالسهولة نفسها لدى الذين عانوا من الآثار المدمرة للاستعمار على الهوية والثقافة، فتيموكسكو باحثة أمريكية بنهاية المطاف، قد تنور على السائد من الأفكار وقد تتعاطف، لكنّها لن تعرف أبداً المعاناة التي دفعت باحثي العالم الثالث للتركيز المستمر على ازدواجية معايير الخطاب الغربي المهيمن.

7.2.1. اتجاهات أخرى في المقاربات الثقافية للترجمة

لا يمكن في هذا الفصل أن نستعرض بالتفصيل كل المنظرين الذين اهتموا بالمقاربات الثقافية للترجمة لسببين اثنين: أولاً، لأنَّ معظم الباحثين في موضوع الترجمة في العصر الحالي، وبغض النظر عن خلفياتهم المعرفية واتجاهاتهم الفكرية قد تعرضوا لجانب من الجوانب الثقافية في أبحاثهم. ثانياً، لأنَّ تشعب واتساع مفهوم وموضوع الثقافة في حدِّ ذاته فتح المجال واسعاً أمام الباحثين للتطرق لعدد غير

محدود من المواضيع. وهو ما حتم اختيار بعض المنظرين فقط، اختيار يرتبط بالأساس بتنوع القضايا التي يطرحها المنظرون بغرض تسليط الضوء على المفهوم بأوضح طريقة ممكنة. ولا يسعنا في نهاية هذا القسم إلا أن نُشير في عُجالة إلى بعض الدراسات التي اهتمت بمواضيع تتقاطع مع أهداف البحث.

أولى هذه الدراسات هي كتاب *The Translator's Turn* ("منعطف المترجم"، 1991م) لـ Douglas Robinson (دوغلاس روبنسون)، وهو المؤلف الذي أثار الكثير من الجدل، ليس فقط بسبب محتواه ولكن أيضاً بسبب أسلوبه الذي على ما يبدو لم يكن أكاديمياً بالقدر الكافي. وقد قدّر روبنسون أن بعض منظري الترجمة تسرع في الحكم على الكتاب بسبب لغته التي تعتمد صاحبها أن تكون بسيطة ومفهومة لعموم القراء، والبعض الآخر ربط بساطة الأسلوب بسطحية الأفكار، فجاء تقييمه مبنياً على قراءة غير صحيحة لمضمون الكتاب (انظر Robinson, 2015b, 303-305) الذي أراد صاحبه في المقام الأول أن يُبرز فكرة "تجسيدية الترجمة" في محاولة للتشكيك في مدى صحة المقاربة التي تربط الترجمة دائماً بالتأويل وبالتالي بالعقل والمنطق والتجريد. يعتقد روبنسون أن ما يميل المنظرون لاعتباره فعلاً ناجماً عن إعمال العقل مثل اختيارات المترجم المختلفة أو قرارات الهيئات والمؤسسات فيما يخص المشاريع التي تُترجم قد يكون له أسباب أبعد. فما يتم تفسيره على أنه المعنى الأقرب أو المؤلف الأنسب يكون في الغالب بتأثير من الوعي الجمعي وتقييمه لما هو صحيح وملائم أو ما أسماه "الأثر التقييمي المشترك" (shared evaluative affect). فسواء تعلق الأمر بالمترجم أو غيره من الفاعلين في حقل الترجمة، لا يمكن إنكار تأثر الأفراد بما تقرّه الجماعة عادة على أنه جيد/سيء، مقبول/غير مقبول، صحيح/خاطئ، وما إلى ذلك (Robinson, 2011, IX). أي أنه بات من الضروري فهم الترجمة على أنها ظاهرة مرتبطة بمحيطها بشكل واعٍ أو غير واعٍ، وأن قرار المترجم لا يجب أن يُفهم على أنه عملية ذهنية تم فيها وضع الاحتمالات الممكنة والمفاضلة بينها، لأنّ حدس المترجم واحساسه لهما قدر كبير من

الأهمية في خياراته النهائية، وهذين الأخيرين يرتبطان بتصورات المجموعة التي ينتمي إليها. وإن كان من الصعوبة بمكان تفسير طبيعة هذا الارتباط غير المادي فإنه لا يمكن مع ذلك إنكار وجوده.

ومن المعروف عن روبنسون نقده للعديد من نظريات الترجمة بما فيها المقاربات الثقافية للترجمة في مؤلفات عدة منها *What is Translation* ("ما هي الترجمة"، 1997م)، *Translation and Empire* ("الترجمة والإمبراطورية"، 1997م)، و *Western Translation Theories from Herodotus to*

Nietzsche ("نظريات الترجمة في الغرب من هيرودوت إلى نيتشه"، 1997م) وغيرها. وبينما كان هدف روبنسون في البداية تقريب نظرية الترجمة في خطابها ومضمونها لما يحدث فعلياً أثناء الترجمة، وذلك لأنه يُعرّف نفسه بصفته مترجماً محترفاً قبل أن يكون مُنظراً، وهو ما دفعه ربما لتأليف أحد أكثر كتبه رواجاً بين الدارسين والمتدربين *Becoming a Translator* ("كيف تكون مترجماً"، 1997م، ط2 2003م) والذي حاول من خلاله أن يجمع بين ما يسميه التعلم الفطري أو الطبيعي الذي يمكن أن يحصل حتى دون وعي من المتعلم والتعلم المنهجي المنظم الذي تتصف به دروس الجامعة (ص 2). لكن فيما بعد بدا أن روبنسون مهتم أكثر بمجال الترجمة والإدراك، ومثال ذلك كتابه *Priming Translation: Cognitive, Affective, and Social Factors*, 2023 ("تحضير الترجمة: العوامل الذهنية والشعورية والاجتماعية"، 2023)، الذي يحاول فيه إلقاء الضوء على العلاقة المتشابكة، المعقدة، وغير الملموسة في الغالب التي تربط آلية عمل الدماغ بالجانب الوجداني للفرد المترجم وكيفية تداخل مختلف العوامل الاجتماعية مع الإثنين. كما كان لانتقاله إلى هونغ كونغ للتدريس هناك أثر على اهتمامه برؤية الشرق للترجمة، وقد حاول في كتابه *The Dao of Translation: An East-West Dialogue*, ("طاوية الترجمة: حوار بين الشرق والغرب"، 2015a) أن يركز على أوجه التشابه بين ما كان يطرحه قدماء المفكرين الصينيين وما يطرحه بعض منظري السيميائية والسيميولوجيا في الغرب في العصر الحالي للوقوف مرة أخرى على سمة التعقيد التي تطبع فهمنا لكيفية تشكل وعمل العادات اللغوية والثقافية (ص viii). وما

يلفت الانتباه في مؤلفات روبنسون هو تنوع الزوايا التي حاول من خلالها تحليل مفهوم الترجمة، وهو ما يوحي برغبة ملحّة لديه في فهم هذه الظاهرة من جوانبها المختلفة.

من جهتها أثرت Mona Baker (منى بيكر) دراسات الترجمة بمؤلف تبرز أهميته اليوم أكثر من

أي وقت مضى، في هذه الفترة العنيفة على الشعب الفلسطيني، وهو *Translation and Conflict: A Narrative Account* ("الترجمة والصراع: حكاية سردية"، 2006م)، والذي حاولت من خلاله الكشف عن

الدور المحوري للترجمة في إدارة أي صراع. فقد شهد العالم طيلة العام المنصرم على صراع السرديات بين الشرق والغرب، وانتشر مقطع فيديو للصحفية المصرية رحمة زين وهي تصرخ في وجه صحفية من قناة CNN الأمريكية: 'Say the truth....we are misrepresented you own the narrative' ("قولي الحقيقة...نحن لا نُصور بشكل صحيح في إعلامكم..أنتم تملكون السردية" (ترجمتنا)،

https://www.youtube.com/shorts/mTIwg0BRig8?feature=share) فقد أدرك الجميع أن من يملك القوة يفرض سرديته، وأن الفائز في الصراع هو من تنجح سرديته في إقناع المتلقي. حين يكون للصراع طابع دولي، كما هو حال الصراع الفلسطيني الإسرائيلي، يكون الاعتماد على الترجمة أساسياً لترجيح كفة أحد الطرفين وذلك بتمكين رواية على حساب أخرى. تُلاحظ بيكر، أن دور الترجمة لا يقتصر على فترة الصراع وما قد ينتج عنها من مفاوضات لإنهاء الأزمة، ولكن الأخطر من ذلك ربما هو دورها في نشر أو قمع الروايات التي تُشكل فيما بعد البيئة الحاضنة للصراع وتحت على خلق استقطاب معين يتدرج شيئاً فشيئاً ليُصبح صراعاً عنيفاً. وتكمن صعوبة السيطرة على الصراعات المحتملة في طبيعة السرديات التي تتغلغل إلى ثقافة معينة، والتي كثيراً ما تكون في أشكال غير ملحوظة مثل الأفلام والرسوم المتحركة والنصوص الأدبية وغيرها (Baker, 2006, 2). باختصار، تُنبه بيكر إلى أن للترجمة دوراً في صناعة الصراع وسيلته السردية يسبق وقد يتجاوز في أهميته دورها أثناء وبعد الصراع.

وغير بعيد عن هذا الإطار، حاول Michael Cronin (مايكل كرونين) إعطاء تفسير لظاهرة

الترجمة في بعدها الثقافي في مؤلفات عدة نخص بالذكر منها: *Translation and Globalization*

("الترجمة والعولمة"، 2003م)، و *Translation and Identity* ("الترجمة والهوية"، 2006م). في الأول

يحاول كرونين فهم الدور المستجد للترجمة في ظل التغييرات التي أفرزتها العولمة دون أن يُغفل إبراز أهميتها للمتخصصين وغير المتخصصين في عالم اليوم أكثر من أي وقت مضى. أي أن هناك ضرورة لمقاربة الترجمة ليس فقط من باب الضرورة والحاجة ولكن أيضاً كموضوع يستحق البحث والاهتمام

(Cronin, 2003, 3). فصحيح أن التقدم التكنولوجي وقر للمترجم العديد من الوسائل المساعدة التي تساهم

لا محاله في تحسين ظروف عمله بشكل عام، لكن الانتقال من الواقع إلى العالم الافتراضي غير أيضاً في طبيعة عمل المترجم وخلق له تحديات من نوع جديد. فالمترجم مطالب بمقاومة ما تفرضه عليه وتيرة التغيير المتسارعة من ميل إلى استنساخ الرؤية الغربية والتغاضي عن الاختلافات الموجودة بين الشعوب سواء في طريقة التعبير عن احتياجاتها أو في كيفية تحقيقها. فالترجمة تساعد بالتأكيد على توضيح

مفهوم العولمة، وفهم صعوبات البشر في العيش في هذا العصر الذي يتسم بتعدد الثقافات والقوميات، طبعاً على اعتبار أن مهمة الترجمة الأولى هي الوساطة اللغوية والثقافية (المرجع نفسه، ص6). فالعولمة

أشبه ما تكون بسلاح ذي حدين، قد تكون سبباً في طمس الاختلاف وفرض منطق الأقوى على الأضعف، كما قد تكون دافعاً للتأكيد على تنوع النسيج الثقافي في العالم، وهو التنوع الذي يثري البشرية ويُسهّم في تطورها.

أما في مؤلفه الثاني، "الترجمة والهوية" (2006م)، فيواصل كرونين تعمقه في فكرة علاقة

المحلي بالعالمي في إطار دراسات الترجمة. إن موضوع الهوية والذي يتصدر المشهد في معظم

الدراسات الثقافية يتطلب انتباهاً خاصاً إذا ما أراد المرء الخروج بفهم صحيح لأبعاده الحقيقية في عالم

يبدو على عجلة من أمره. وحاول كرونين رصد حالات مختلفة تُبرز الارتباط الوثيق بين مفهومي الترجمة

والهوية في العصر الحالي خاصة، وكيف تستطيع الترجمة أن تسهم في جعل العالم مكاناً أفضل للعيش من خلال خطاب معتدل جامع. ففي عالم اليوم الذي يحكمه المال والاقتصاد، أصبحت ظاهرة الهجرة منتشرة بشكل يُبرر طرح تساؤلات عن كيفية تغيير هوية المهاجر بتغيير مكان الإقامة، وأي تأثير لهذه الظاهرة في إعادة تشكيل هوية البلدان المهاجر إليها، في هذه الحالة تصبح الترجمة وسيلة إدماج للمواطنين المهاجرين وهو ما يزيد من حجم المسؤولية الملقاة على عاتق المترجم (4, Cronin, 2006). فيما يتعلق بهوية المترجم وعلاقة ذلك بعمله، يلاحظ كرونين أنَّ فترات الحروب والصراعات قد تفرض على المترجمين خيارات صعبة وتُغيّرهم كأشخاص. لكن عموماً يبدو كرونين متقائلاً بالدور الذي قد تلعبه الترجمة في ربط المحلي بالعالمي بشكل إيجابي وتوجيه النقاش حول الهوية باتجاه بناء بعيداً عن تأجيج الصراعات (المرجع نفسه، ص 5). وهو الاتجاه الذي لمسناه عند باسنييت وتيموكسكو سابقاً، وإن كان بالنسبة لمواقف نظرية أخرى.

ونشر Sameh Hanna (سامح حنا، 2016م) دراسة بعنوان *Bourdieu in Translation Studies*

("بورديو في دراسات الترجمة")، اهتم فيها بالسياق الثقافي والاجتماعي الذي تم فيه إنتاج وتلقي الترجمات العربية لبعض من مسرحيات شكسبير. بحيث حاول الباحث تطبيق بعض مفاهيم نظرية بورديو في علم الاجتماع لتحليل مختلف أساليب إنتاج وتلقي النص المسرحي والأسباب التي تقف وراء تفضيل أسلوب بعينه، وكذلك فهم طبيعة العلاقة التي تربط المترجم المسرحي بالعناصر الأخرى من السلسلة الإبداعية على غرار الممثلين والمنتجين وحظه من النجاح (أو الفشل) المادي والمعنوي للعمل (1, Hanna, 2016). من الواضح أنَّ حنا يسعى إلى محاولة فهم الرابط الموجود بين النص ومحيطه والذي ينعكس دون شك على مُنتج الترجمة النهائي.

باختصار، يمكن القول بأنَّ المقاربات الثقافية للترجمة في مجملها تهدف إلى فهم ظاهرة الترجمة في سياقها الاجتماعي والثقافي، وهي لا شك مقاربات أكثر واقعية لأنها تربط الترجمة بالإنسان ومحيطه،

وهذا ربما ما يجعل المهمة صعبة ومعقدة. بدأ المنظرون بالاهتمام بهذا الطرح منذ تسعينات القرن الماضي، وشهد العقدان الماضيان زخماً كبيراً من حيث الكم والكيف في الأبحاث التي تتضوي تحت لواء المقاربات الثقافية. فمن الملاحظ أنَّ الباحثين وجدوا الكثير من محاور البحث التي يمكن تطويرها، والكثير من القضايا التي يمكن إعادة النظر فيها بسبب التطور الحاصل في مجالات معرفية أخرى مثل الأنثروبولوجيا، وعلم النفس، وعلم الاجتماع، واللسانيات والأدب على سبيل المثال لا الحصر. وقد دأب المفكرون على تمحيص علاقة الترجمة بالأدب ورصد ما يميز الترجمة الأدبية عن أنواع الترجمة الأخرى، وهو ما سنحاول التطرق إليه فيما يلي.

3.1. خصوصية الترجمة الأدبية وتحدياتها

يتفق جل العاملين في حقل الترجمة، وإن اختلفت أسبابهم، على أن ترجمة النصوص الأدبية ميدان مستقل بذاته، تحكمه معايير وأسس لا تنطبق على غيره من أنواع النصوص المختلفة. نحاول فيما يلي تسليط الضوء على أهم خصائص الترجمة الأدبية وكذا مختلف التحديات التي يواجهها المترجم العامل بهذا الميدان. إن عبارات من قبيل 'استحالة ترجمة الشعر'، و 'صعوبة الترجمة الأدبية مقارنة بمن سواها' أصبحت مألوفاً لدرجة لم يعد التوقف عندها وتحليلها ضرورة بالنسبة للكثيرين، بل باتت من المسلمات. حاول الكثير من المفكرين رصد أهم ما يميز هذا الحقل الترجمي عن غيره وكذا الغوص في صعوباته وأساليبه بنية تزويد الباحثين والعاملين على حد سواء بأدوات ومفاتيح من شأنها تذليل بعض عقباته.

ويتعلق أول هذه العوائق بحدود المفهوم في حد ذاته، فتصور الشيء جزء لا يتجزأ من فهمه.

بحيث يزعم José Lambert (جوزي لامبيرت، 2001م) أنه من الصعوبة بمكان وضع تعريف دقيق

لمصطلح 'الترجمة الأدبية' بالنظر إلى عدم توفر القواميس والمعاجم المختصة على تعريفات محددة

لمفهوم 'الأدب' و'الترجمة' المكونين لهذا المصطلح على حد سواء. فلا يمكن فصل أي تعريف للأدب عن الثقافة التي تنتجها بمكوناتها الأساسية ألا وهما اللغة والهوية. ويزداد الأمر تعقيدا بالانتقال لمفهوم الترجمة الذي قد يتداخل مع مفاهيم أخرى مثل الاقتباس أو إعادة الكتابة. كما أن واقع الحال يشير إلى أن الترجمات كثيرا ما تقرأ على أنها نصوص أصلية، ومثال ذلك القصص الخيالية وأدب الطفل، والعكس صحيح، فأحيانا، ولأسباب متعلقة بظروف اجتماعية وسياسية معينة، تُقدّم نصوص أصلية على أنها ترجمات. ويعد الوعي بوجود هذه النصوص وظروف إنتاجها مفيدا للغاية عند دراسة تطور أدب بعينه (انظر Lambert, 2001, 130-1). بعبارة أخرى يرى لامبيرت أن أي تعريف للترجمة الأدبية يجب أن يجيب أولا على الإشكاليات الآنف ذكرها، فصعوبة التعريف مرتبطة بصعوبة تحديد ما هو أصلي وما هو مترجم.

إنّ أحد الحلول الممكنة لمعضلة وضع تصور واضح لمفهوم الترجمة الأدبية هو إيجاد نموذج نصي لها يشمل ما يمكن اعتباره خصائص عامة موجودة في النص المترجم حصراً. بحيث يذهب هرمانز (2007م)، اعتماداً على نظرية هالفارسون، إلى اقتراح نموذج يقوم على اعتبار النص المترجم نصاً أدبياً لديه خصائص وطبيعة تميزه عن غيره. وهو حل، وإن بدا منطقياً، كثيراً ما اصطدم برفض المؤسسات الأدبية إيلاء هذه النصوص أي أهمية تذكر وبالتالي دراستها والتعمق أكثر في فهم ما يميزها عن غيرها، وحينها فقط يصبح التفكير في تحديد تعريف واضح وواحد للمصطلح أمراً مشروعاً (Hermans, 2007, 79). وما زاد من صعوبة تطبيق هذه الفكرة ابتعاد المنظرين في مجال دراسات الترجمة لسنوات طويلة عن هذه المنطقة تحديداً، فلم يُعنى الكثيرين بالتعمق في المفهوم ودراسة أبعاده المختلفة عكس ما هو الحال بالنسبة لمفاهيم أخرى كالتكافؤ أو المعنى مثلاً. وجدير بالذكر في هذا السياق أن المنعطفات الهامة التي شهدتها الدراسات الأكاديمية في مجالي الأدب والترجمة على حد سواء، وأواخر القرن العشرين وبداية القرن الواحد والعشرين، وبروز مدارس فكرية جديدة تدعو إلى إعادة

قراءة الأدب والتاريخ والتحرر من هيمنة الفكر الأوروبي ذي المرجعية الإغريقية الرومانية، هي من جعلت إعادة النظر في أهمية الأدب المترجم ومدى تأثيره في مختلف آداب العالم أمراً ممكناً (المرجع نفسه، ص 81). ويرتبط تجاهل نظرية الأدب للأدب المترجم بفكرة دونية الترجمة، فما لا قيمة له لا يستحق الاهتمام أو الدراسة.

ثانياً، من المعلوم أن النصوص الأدبية ليست وحدة متجانسة يمكن التطرق إليها بشكل مجمل، فخصائص النص الشعري والنص الروائي ليست واحدة وعليه فإن تحديات الترجمة ستختلف حتماً باختلاف طبيعة النص. ويجد Antoine Berman (أنطوان برمان، 1985م) أن تحديات ترجمة الشعر والرواية ليست واحدة، فالنص الشعري يفرض على المترجم أخذ شعرية اللغة وتقاليدها بعين الاعتبار لدرجة ترجمة الشعر نثراً في بعض الحالات، في حين يجد مترجم النص الروائي نفسه أمام صعوبات من نوع مختلف. من ذلك مثلاً أن الرواية كثيراً ما تلتقط كل اللغات واللهجات الموجودة في مجتمعها، ما يفقدها القالب الشكلي ويوحي بفقدان الكاتب السيطرة على بنية نصه ووجود خلل على مستوى الكتابة. فالمترجم في هذه الحالة مُطالب بإنتاج نص يحافظ على هذا التلون اللغوي والشكلي، وهو أمر وإن بدا فكرةً ممكنةً، إلا أنه من الجانب العملي شديد الصعوبة إن لم يكن مستحيلاً. والمفارقة من وجهة نظر برمان تكمن في أن ترجمة الروايات قليلاً ما تثير الجدل الذي تثيره ترجمة الشعر، ويرجع السبب في ذلك إلى سهولة ملاحظة أثر أساليب الترجمة على النص الشعري مقارنة بالنص الروائي، زد على ذلك اعتبار الشعر في ميزان الأدب جنساً أرقى من الرواية. غير أن هذا لا ينفي حقيقة أن لأساليب الترجمة انعكاس مباشر على شكل الرواية المترجمة النهائي (Berman, 1985, 70). ويلفت برمان الانتباه إلى حقيقة قد تكون غائبة عن أذهان البعض وهي أن خطورة الترجمة الأدبية تكمن في الأثر غير المحسوس لأسلوب الترجمة، الذي يتغلغل في مفاصل النص الأصلي ليحطم بناءه ويهدم جماليته.

ثالث صعوبة يمكن ذكرها تتعلق بطبيعة النص الأدبي. فالترجمة الأدبية تهتم في المقام الأول

بالأعمال الأدبية، أي أنها:

« Les traductions dites "littéraires" (.....) s'occupent d'œuvres, soit de textes tellement liés à la langue que l'acte de traduire devient ici fatalement un travail sur les signifiants, un travail où, selon des modes variables, deux langues entrent en commotion, et d'une certaine manière s'accouplent. » (Berman, 1985, 68)

"تهتم الترجمات الموسومة بـ "الأدبية" بالأعمال الأدبية، أي بنصوص وثيقة الصلة باللغة المعبر بها لدرجة يصبح معها فعل الترجمة حتماً عملاً على الدال، عمل تدخل فيه لغتين في حالة صدام، وفقاً لأنماط متغيرة، وبطريقة ما تقترن هاتين اللغتين ببعضهما البعض." (ترجمتنا)

فالارتباط الوثيق بين الدال والمدلول في النصوص الأدبية، يجعل الألفاظ والتراكيب ليست مجرد أوعية

حاملة للمعنى، ولكن هي المعنى في حد ذاته. ويبدو أنه لا مفر من حدوث صدام وتناظر بين اللغة

المنقول منها واللغة المنقول إليها حتى يصبح اللقاء ممكناً. ويزعم برمان أن الترجمة الأدبية، الكلاسيكية

منها على وجه الخصوص، قد عرفت اتجاهين اثنين أحدهما مرتبط بترجمة النصوص الشعرية والآخر

مرتبط بالنصوص النثرية. إذ يميل المترجمون إلى التحسين الشعري (poétisation) عند ترجمة الشعر،

وإلى التحسين البلاغي أو التتميق (rhétorisation) عند ترجمة النثر. فتصبح الترجمة أشبه بإعادة كتابة

للنص وفقاً للمعايير الأدبية للغة الهدف. هذان الاتجاهان، وإن كانا أبرز في الترجمة الكلاسيكية،

موجودان في كل ترجمة أدبية. وحقيقة أنهما ملحوظان بشكل أقل لا ينفي أثرهما على النص في الترجمة،

وهو ما يحيل إلى فكرة الترجمة المتمركزة عرقياً، فكل هذه التحسينات تتم بهدف إعطاء النص صفة

القبول والمقروئية وبالتالي محاولة وضعه بنفس مكانة النصوص الأصلية (انظر المرجع السابق، 73-

74). ويدفع هذا الأمر باتجاه التوقف عند ماهية النص الأدبي وخصائصه الأسلوبية التي تؤهله لأن

يكون أدباً ذا قيمة أو أن يُصنف في خانة الأدب الضعيف الذي يفتقد إلى الذوق والحس الفنيين. وهو ما

يحيل إلى إشكالية أخرى وهي عدم وجود إجماع حقيقي حول معايير الأدب الجيد، فقد ظلت المعايير

المطبقة في العالم الغربي، إلى وقت قريب، مفروضة بشكل أو بآخر على النقد الأدبي في شتى أنحاء

العالم. غير أن التغيرات السياسية التي طرأت على خارطة العالم منذ أواخر ثمانينات القرن الماضي ألقت بظلالها على المشهد الثقافي والأدبي، فتعالت الأصوات الداعية للاحتفاء بالاختلاف واعتبار الإبداع في الأدب أمراً ثقافياً صرفاً، وهو ما يجعل فكرة المعايير العامة التي يُقَيَّم من خلالها النص الأدبي عبثية بعض الشيء. فالأمر ببساطة أن الجمال متعلق بمن ينظر إليه، فما قد يُعد بلاغة وفصاحة في ثقافة معينة قد يُحسب قبحاً وركاكة في غيرها.

وتتعلق العقبة الرابعة بمكانة الترجمة الأدبية، فمن الملاحظ إجحاف خطابي نظرية الترجمة ونظرية الأدب في حق الترجمة الأدبية، بحيث يَصِرُ كليهما على تجاهل أهميتها. في هذا السياق يُلاحظ روبنسون (2017م) أنَّ مجرد الثورة على بعض الأفكار في الترجمة، والتي أصبحت لشدة تداولها مُسلمات وتوصيفاً دقيقاً للواقع، يسمح بفهم الترجمة الأدبية من منظور مختلف. ومن هذه المسلمات أنَّ النص الأدبي المترجم أقل قيمة من النص الأدبي وأنَّ كلَّ نصٍ أدبي يُترجم لنص من نفس جنسه. يزعم المفكر أنَّ النص المترجم قد يتفوق أدبياً على النص الأصلي، وأنَّه من الممكن عدم التقيد بجنس النص في الترجمة، الأمر الذي يُخول، حسب رأيه، اعتبار النصوص المترجمة جنساً أدبياً مستقلاً بذاته (Robinson, 2017, 440-441). هذا النوع من النصوص يمكن بكل سهولة التعرف عليه من خلال هويته الروائية (الخيالية)، ليس فقط لأنه "تقليد" لنص روائي في الأصل، ولكن أيضاً لأنه يُعطي غالباً "الانطباع" لقارئه بأنه بدوره نص أصلي. وما يجعل هذا النص أدبياً هو أنَّه يُقلد مضموناً أدبياً وفي الوقت نفسه يحاول محاكاة تقنيات وأسلوب كاتب النص الأصلي أو الأسلوبية المعتمدة في اللغة الهدف، ويعتمد الأمر على خيارات المترجم بالدرجة الأولى (المرجع السابق، ص450). وقد حاول روبنسون تحديد معالم هذا الجنس الأدبي وتحديده بوصفه مفهوم من خلال التعريف التالي:

"literary translation is an imitative genre in which the writer— in this case the target author, or translator — takes as his or her *secondary* model the contents of the source text (the meanings and style of words, sentences, paragraphs, chapters, stories, lyrics, plays, etc.) and as her or his *primary* model the source author's literary strategies, including both the (meta)fictional strategies attendant on imitation

(creating/undermining the illusion of originary reality) and the prosodic and other rhetorical strategies that are traditionally marshaled to intensify the reader's aesthetic experience. Those strategies may or may not be localized as modeled on the source author: they may more broadly and more eclectically be various admixtures of source-cultural and target-cultural feelings (icoses) of literariness, and will always be channeled more or less transformatively through the translator's own literary imagination and ambitions." (Robinson, 2017, 459)

"إنّ الترجمة الأدبية هي نوع أدبي قائم على المحاكاة، وفيه يتخذ الكاتب . في هذه الحالة الكاتب الهدف أو المترجم . محتويات النص الأصلي بوصفها نموذج ثانوي (معاني وأسلوب الكلمات، الجمل، الفقرات، الفصول، القصص، كلمات الأغاني، المسرحيات، إلخ). فيما يتخذ الاستراتيجيات الأدبية للكاتب الأصلي بوصفها نموذج أولي. ونعني بالاستراتيجيات الأدبية الروائية منها والناجمة عن التقليد (ابتكار/تجاهل وهم الحقيقة الأصلية)، وكذا العروضية والأساليب البلاغية الأخرى التي تستعمل عادة لإثراء تجربة القارئ الفنية. ويمكن لهذه الاستراتيجيات أن تظهر في الترجمة كما استعملها الكاتب الأصلي، لكنّ هذا ليس حتمياً، فأحياناً وبشكل مجمل وانتقائي قد تكون عبارة عن مزيج من الحس الأدبي للثقافة الأصلية ونظيره في الثقافة المستهدفة. وغالباً ما يتم توجيه هذه الاستراتيجيات وتحويلها وفقاً لذائقة المترجم وطموحاته الأدبية." (ترجمتنا)

وهو بهذا يعيد للمترجم شيئاً من السيادة على النص، ويُنصف دوره على اعتباره مبدع ومشارك في الحركة الأدبية وليس مجرد قناة يعبر من خلالها النص إلى الثقافة المستهدفة. وما يلفت الانتباه في هذا التعريف هو أولويات المترجم والتي تأتي في مقدمتها، وحتى قبل محتوى النص وجنسه، حرفية المترجم بوصفه كاتباً قادراً على إعادة كتابة النص بما يتوافق مع رؤية صاحب النص الأصلي وأدواته، وهذا لا يعني بالضرورة الرجوع إلى التقاليد الأدبية للغة الأصل لأنه دائماً مرتبط بفهم لأدبية النص خاص بالمترجم وخاضع دون شك لتأثير خليط من أدبيات وشعرية اللغة الأصل واللغة المستهدفة على حدٍ سواء.

أما خامس صعوبات الترجمة الأدبية فتخص اختلاف فهم المفكرين لماهية الترجمة الأدبية باختلاف المدارس التي ينتمون إليها. فتطور النقاش حول الترجمة الأدبية كان مرتبطاً بالتطور الحاصل في مجالات أخرى من العلوم الإنسانية، ويمكن رصده على ثلاثة محاور أساسية ذكرها هرمانز (Hermans, 2007, 85-91) وهي المحور اللساني، الوظيفي، والتدخلي نلخصها فيما يلي. على المستوى اللساني انتقل التفكير في الترجمة الأدبية من الرؤية البنيوية إلى الرؤية البراغماتية وهو ما يمكن تفسيره ببساطة بالانتقال من الاهتمام بالصرف بما يوجد به النص من معاني إلى ربط النص بما حوله وإشراك

المتلقي في بناء المعنى. لكن ربما تكون دراسات الترجمة القائمة على المدونة هي أبرز تطور لساني للترجمة الأدبية بحيث سمحت المعالجة الآلية للنصوص المترجمة بتوسيع النقاش حول الخصائص العامة للنصوص المترجمة مثل الإيضاح. كما أنَّ هذا النوع من الدراسة أثبت نجاعة فيما يخص رصد أسلوب المترجم وطابعه الخاص في نصوص مختلفة. على المستوى الوظيفي، لم تستفد الترجمة الأدبية كثيراً من نظرية الغاية التي تعتبر أنَّ وظيفة النص المترجم وطبيعة الجمهور المستهدف هما من يحدد استراتيجيات الترجمة الأنسب، لكنها استقادت أكثر من الدراسات الوصفية التي اهتمت بفهم ودراسة النصوص المترجمة باعتبارها جزءاً من المنظومة الأدبية للثقافة المستهدفة. في هذه المقاربة يكون للجانب التاريخي أهميته في ربط النصوص بسياقاتها وبالتالي فهم أفضل لخيارات المترجم الأسلوبية والإيديولوجية وهو ما خلع عن الترجمة عباءة الحياد والموضوعية. هذه الدراسات مهدت الطريق لفهم أعمق للترجمة على أنها أداة فاعلة للتغيير الفكري والسياسي والتي تجلت في أعمال باسنيت، لوفوفير، وغيرهم. أخيراً، على المستوى التدخل، عرفت مقاربة النصوص المترجمة بتأثير مما بعد البنيوية والتقويض تغيراً جذرياً تجلّى خاصة في الترجمة النسوية وما بعد الاستعمارية. بحيث توسع النقاش ليشمل اختلال موازين القوى، الصراع، الهيمنة، صورة الآخر في الترجمة وغيرها. وهي تدخلية لأن مسؤولية المترجم الأخلاقية تُحتم عليه تبني موقف من الصراع يتجلّى في طبيعة النص المترجم والخطاب حول الترجمة على حدٍ سواء.

وترتبط العقبة السادسة بوجود فجوة بين ممارسي الترجمة الأدبية ومنظريها جعلت الانطباع السائد لدى كثير من العاملين بالترجمة أنَّ القليل من الفائدة يُرجى من النظريات لأنها منفصلة عن الواقع بشكل ما. غير أنَّ باسنيت (2005م) تعتقد أنَّ انصراف المترجمين المحترفين عن النتائج التي توصلت إليها نظريات الترجمة قد يؤدي إلى إنتاج ترجمات أدبية بها الكثير من أوجه القصور، فخبرة المترجم وحدها لا تكفي ومن المفيد أن يُلم بشيء من المعارف النظرية لتحسين عمله. وتعطي باسنيت أمثلة كثيرة لتوضح كيف أنَّ الزاوية التي يختارها المترجم بصفته قارئ لفهم ومقاربة النص تنعكس مباشرة على نوعية

النص المترجم، وتفسر ربما أسباب الإقبال على هذا الأخير أو الالتفات عنه. ثم إن مسؤولية المترجم تُجاه النص الأدبي لا تقل بسبب تعدد إمكانيات التأويل بل تزيد. فحتى وإن تغير الفهم تُجاه طبيعة النص والقارئ، يبقى المترجم مطالباً بالانتباه إلى رسالة النص وخصوصياته الأسلوبية وكيف تُوظَّف الأخيرة لدعم الرسالة وتوجيه فهم القارئ وعلاقة كلِّ هذا بالسياق التاريخي والثقافي. ففي حال أصر المترجم على إهمال الجانب الساخر أو اللغة الكثيفة أو الشكل العام للنص لأنه قدَّر أنها غير ملائمة أدبياً أو ثقافياً، فإنه دون شك سيُضَرَّ بالنص وقد يُغير رسالته (انظر Bassnett, 2005, 83-85). إنَّ انتباه المترجم لما يحدث أثناء الترجمة، وفهمه لانعكاسات بعض القرارات والأساليب على جمالية النص المترجم ورسالته تُسهم حتماً في إنتاج ترجمات أفضل وأكثر قدرة على محاكاة أدبيات النص الأصلي في حدود ما تسمح به الثقافة المستقبلية.

بالنسبة لترجمة الرواية، كثيراً ما يُغفل المترجم أنَّ الأخيرة وحدة متكاملة وأنَّ بنائها وأجزائها تخضع لرؤية شاملة. وتشير باسنيث إلى أنَّ عدم فهم كيفية عمل النص ككل، وكيفية ترابط أجزائه المختلفة واشتراكها في صنع المعنى هو ما يخلق عند قارئ النص المترجم شعوراً بعدم تماسك النص وتفككه، لأن المترجم ببساطة عمل على ترجمة النص منفصلاً لأجزاء. فعلى ما يبدو هناك أيضاً صورة نمطية تتعلق بالرواية تجعل تعامل المترجم معها يختلف عن تعامله مع النص الشعري، فيقل تركيزه على الروابط الموجودة بين الشكل والمضمون وينصب اهتمامه الأكبر على نقل المحتوى في غالب الأحيان، وهو ما قد يؤدي إلى الإخلال بكيفية عمل النص على مستويات عدة والاكتفاء ببعد واحد عن وعي أو عن غير وعي (المرجع نفسه، ص114). كما أنَّ عدم انتباه المترجم لإيقاع النص وشفرته الخاصة والتعامل معه على أنَّه وحدة قابلة للتقطيع كيفما كان على الرغم من التطور الكبير الذي عرفته الدراسات الأدبية يؤكد زعم باسنيث أنَّ المترجم، القارئ في هذه الحالة، مُطالب بمواكبة آخر المستجدات في الدراسات الأدبية وعدم الاكتفاء بمقاربة النص الروائي بطرق عفا عنها الزمن، قد تُضرَّ النص المترجم

أكثر مما تنفعه (المرجع السابق، ص118). ومن هذا المنطلق يصبح رأب الصدع بين نظريات الترجمة وتطبيقاتها ضرورة يتعين على الجميع وضعها نصب الأعين لتحقيق تغيير نوعي في النصوص الأدبية المترجمة.

أخيراً، حقيقة أنّ الترجمة الأدبية، رغم اهتمامها أساساً بالنصوص الأدبية، هي عملية شديدة الارتباط بمحيطها. إذ ينظر Peter Bush (بيتر بوش، 2001م) للترجمة الأدبية على أنها شكل من أشكال الإبداع تحدده مجموعة من العوامل الاجتماعية والثقافية المتداخلة والمعقدة. وهو ما يفرض على المترجم الأدبي أن يكون إما في حالة توافق أو صراع مع مختلف الأنواع الأدبية للثقافة الهدف وكذا المعايير التي يتم من خلالها تقييم الأعمال الأدبية من حيث الجودة والأهمية. ومن المسلمّ به في هذا السياق أن مهمة المترجم تزداد صعوبة كلما تعلق الأمر بالأنواع الأدبية التي تعتلي الهرم والتي يُنظر إليها على أنها مرموقة، مثل الشعر والمسرح، مقارنة بأنواع أخرى مثل الأدب الشعبي أو أدب الطفل. وتجدر الإشارة هنا إلى أن هذه المسلمات تلقت نقداً لاذعاً في إطار نظريتي ما بعد الحداثة وما بعد الاستعمارية، فأهمية النوع الأدبي تختلف من ثقافة إلى أخرى، وفكرة أن الشعر أرقى أنواع الأدب هي عرف أوروبي بحت وليست حقيقة تشترك فيها كل آداب العالم. وعادة ما تُهمل هذه التصنيفات الأدب الشفوي على الرغم من أهميته البالغة في الكثير من الثقافات، خاصة الإفريقية منها (Bush, 2001, 127). كما يشير بوش إلى أن المفهوم الحقيقي للترجمة الأدبية يتجاوز فكرة الحدود الجغرافية والوطن والهوية وهو ما يجعله، بشكل من الأشكال، مصدر إزعاج وقلق لأدب الثقافة الهدف الذي ينظر إلى ما لا يشبهه ولا يخضع لمعاييره على أنه عامل تشويه وتشويش. ويضيف أنّ عمل المترجم الأدبي تتقاطع عنده الثقافات وتلتقي، فطبيعة مهمته هي إذابة الحواجز اللغوية والسياسية والدينية وغيرها، وهي كلّها حواجز وهمية عززها خطاب عاطفي يصل أحياناً درجة التعصب عن الأنا والآخر. ومن ناحية أخرى، إن المنتج الذي يقدمه هذا المترجم، وإن عدّه البعض غريباً وغير ملائم، لم يكن ليتوفر لقارئ اللغة الهدف غير

المجيد للغة النص الأصلية بطريقة أخرى. فهذا المنتج الذي لا يخضع لمعايير الثقافة الهدف لديه في الحقيقة من يستهلكه وإلا لما رأى الناشر ضرورة للتعاقد مع المترجم ونشره (المرجع السابق، ص128). فالترجمة الأدبية هي الوحيدة القادرة على إضفاء الكثير من المعنى على علاقة الأنا بالآخر بسلاسة ودون توتر أو قلق وربما لولاها لما كان لهذه العلاقة وجود أصلاً. فالنص المترجم واقع ملموس من شأنه أن يحث القارئ على إعادة النظر في مواقف سابقة ويعطي معنى وقيمة لما كان من قبل مجهولاً أو غير مفهوم (Grossman, in Dilevko & all, 2011, XIII). فربط الترجمة الأدبية بالواقع قد ينزع عنها ثوب التعقيد والصعوبة الذي ما انفك المنظرون يحصرونها فيه، ويفتح للباحثين مسارات جديدة تحثهم على ربط الخصائص اللغوية والأدبية بالمحيط الثقافي والسياسي للخروج بفهم أشمل لطبيعة هذا المجال.

إن ما ورد من آراء نظرية حول ماهية الترجمة الأدبية وخصوصياتها وصعوباتها يسمح باستخلاص نتيجتين اثنتين: أولاً صعوبة الإجماع على تعريف واحد للترجمة الأدبية، وهو أمر يسهل تفسيره لارتباطه بحقيقة أن المنطلقات الفكرية ليست واحدة بين من يلبس النص الأدبي ثوب القداسة وبين من يتعامل معه بشكل براغماتي. فمن يضع النص الأدبي في منزلة المقدس الذي يجب أن يكتب وفق أدبيات بعينها ويكون استعمال اللغة فيه خاضعاً لمعايير لا يسمح بالخروج عليها، تكون نظريته إلى الأدب المترجم أقرب إلى الازدراء والدونية. أما من ينظر إلى الأمور بواقعية أكثر فيمكنه أن يرى مزايا الترجمة، فالأدب المترجم هو نافذة القارئ على العالم ووجوده سببه بالأساس استحالة قراءة النصوص في لغتها الأصلية، ويتسم مفهوم الترجمة الأدبية في هذه الحالة بشيء من المرونة والتفتح. ثانياً، وفيما يتعلق بتحديد طبيعة النصوص وعدد العناصر التي يجب إدراجها تحت مسمى الترجمة الأدبية حتى يمكن الزعم بأن التعريف شامل لكل أوجه المفهوم. فما الأدب إلا تجل من تجليات الثقافة، خليط من كل شيء،

التاريخ، الدين، اليومي، المحيط....، الكثير من التفاصيل التي تنبئ بصعوبة، إن لم نقل استحالة، الوصول إلى اتفاق حول حدود هذا المجال والزاوية الأنسب لفهمه والتأصيل له.

4.1. أهم قضايا المقاربات الثقافية للترجمة

سنحاول في هذا القسم الأخير من الفصل النظري الأول مواصلة النقاش الذي بدأ في القسم الثاني والمتعلق بمنظري المقاربات الثقافية للترجمة ومدارسها. وسيكون التركيز منصباً، كما يوشى به العنوان، على أهم القضايا التي تناولها المنظرون في إطار هذه المقاربات ومدى تكامل أو اختلاف رؤاهم حولها. وجب التنويه في هذا المقام أنه كان لزاماً اختيار بعض القضايا فقط، في حدود ما تسمح به هذه الدراسة وهي: الترجمة والتفاعل الثقافي، الترجمة والإيديولوجيا، الترجمة بوصفها إعادة كتابة، وأخيراً الترجمة وصراع الأنا والآخر.

1.4.1. دور الترجمة في التفاعل بين الثقافات

سبق الإشارة في معرض تقديم المقاربات الثقافية للترجمة إلى أن الدور الذي تلعبه الترجمة بوصفها وسيطاً ثقافياً من شأنه جعل التواصل بين الثقافات ممكناً هو أبعد ما يكون عن السهولة والبساطة، لتدخل وتداخل الكثير من العوامل جميعها غير ثابت. وهو ما يُفسر ربما ما عبّر عنه David Katan (ديفيد كتان، 2014م) بقوله:

‘Clearly, the task of translating cultures has so far not been successful.’ (Katan, 2014, 2)

"من الواضح أن ترجمة الثقافات لم تكَلِّ بالنجاح حتّى يومنا هذا." (ترجمتا)

ففي عالم اليوم لا مفرّ من النظر إلى الثقافة على أنها كيان حيوي يكون للأفراد والسياق فيه دور مفصلي في فهم وتأويل النصوص. ويؤكد كتان أن في هذا العصر يتحتم على المترجم أن يُوجّه ترجمته بالاتجاه الذي يجعل التواصل الثقافي أيسر وأكثر سلاسة وذلك بأخذ الاختلافات في الرؤية والتوقعات والقيم بين

الثقافات بعين الاعتبار. فالنص في حد ذاته ما هو إلا جزء من المعنى الذي لا يكتمل إلا بإضافة ما يلزم من معلومات ضرورية عن طبيعة القراء والظروف الاجتماعية التي ينمُّ فيها التلقي وغيرها. وعليه يبقى نجاح مهمة الوساطة الثقافية مرهوناً بـ "الكفاءة الثقافية" للمترجم، أي مدى قدرته على بناء تصور كامل عن العوالم التي يُنقل منها وإليها بحيث تكون قراراته الترجمانية مفيدة للتواصل الثقافي (انظر Katan, 1988-91). فتدخل الكثير من العوامل المتغيرة في عملية التفاعل يُصعّب المهمة ويجعل المترجم مطالب بمجهود إضافي إذا كان مدركاً لأهمية دوره في الوساطة الثقافية.

فما الترجمة إلا مجموعة قرارات ينجم عنها استعمال عدد من الاستراتيجيات التي تسمح بتجسيد تلك القرارات واستبعاد أخرى يُنظر إليها على أنها لا تخدم أهداف المترجم. فعملية الترجمة، بحسب تعبير Christina Shaffner (كريستينا شافنير، 1995م)، أشبه ما تكون بسفينة تعبر النهر، فضفتي النهر تمثلان ثقافتَي النص الأصلي والنص المترجم، والسفينة تُعبّر عن النص، فيما يمكن اعتبار المترجم ربان السفينة والمسؤول الأول عن رُسوّها بأمان على الضفة الأخرى. ما يمكن استخلاصه من هذا التشبيه هو أن الكثير من العوامل من شأنها التأثير سلباً أو إيجاباً على الشكل النهائي للنص المترجم. فكلما توفرت معلومات أكثر عن الجهة المسؤولة عن اختيار النصوص التي يتم ترجمتها، أسباب الترجمة إلى لغة س بعينها، من هو المترجم وما مدى تأثر عمله بمخزونه الثقافي وميوله الشخصية، كيف يتم تلقي النص المترجم في الثقافة الهدف وهل يتم استعماله لأغراض مشابهة للنص الأصلي أم لأغراض مختلفة، كلما كان من الممكن فهم النص المترجم بشكل معمق وكذا تفسير الكثير من قرارات المترجم التي كانت تبدو لأول وهلة مبهمة وغير مستساغة (Shaffner, 1995, 7). فالإحاطة بالسياق العام الذي تم فيه إنتاج النص المترجم من شأنها إلقاء الكثير من الضوء على أسباب خروج النص بشكله النهائي هذا وليس بأي شكل آخر.

والترجمة من وإلى اللغة العربية ليست بمنأى عما يطرأ حولها من تغيرات، ولا تملك الشعوب العربية رفاهية الاستغناء عما يُنتجه غيرها لأنها تابعة اقتصادياً وثقافياً. غير أن هذا لا ينفي وجود خلافات جوهرية بين المفكرين حول حدود وكيفية الاستفادة من الترجمة حتى لا تكون لها نتائج سلبية على الثقافة العربية. يُرجح عبده عبود (1995م) أن العالم العربي يعيش ما يمكن تسميته "عصر الترجمة" بالنظر للدور المحوري للأعمال المترجمة في بناء المشهد الثقافي العربي. غير أن هذه الحقيقة الجلية لم تمنع وجود تيارين متعارضين حول طبيعة دور الترجمة في الحركة الثقافية. فهناك من ينظر إلى الترجمة نظرة المتفائل، فيتوسم خيراً فيما قد يعود على الثقافة العربية من مكاسب بفضل الترجمة. إذ تعد الأخيرة وسيلة من وسائل إنعاش الثقافة واتصالها بما حولها من ثقافات. بيد أن هناك من يُشكك في براءة هذا الدور ويتوجس منه، فمن شأن الترجمة أن تتحول إلى معول من معاول هدم الثقافة والهوية العربية بالانفتاح المبالغ فيه على كل ما هو قادم من الغرب. ولا يرتبط هذا الاستقطاب بالضرورة بالإيديولوجيا، أي مدى كون المفكر محافظاً أو ليبرالي، بل ربما يكون للمنظور الذي تُقهم به الترجمة وما يرتبط بها من قضايا ونوع التفاعل الثقافي الناجم عنها السبب الأهم في تباين الآراء هذا (ص 10-11). إن وجود صراع حول دور الترجمة في بناء الهوية الثقافية ليس حِكراً على العالم العربي، فهو موجود في كل أرجاء العالم، قد يأخذ أشكالاً مختلفة، وقد تنقص حدته أو تزيد، لكنّه بالتأكيد حاضر وبقوة، ليس اليوم فحسب بل على مرّ العصور.

والطريقة التي تُستقبل بها الثقافة العربية في الغرب لا تخرج عن هذا الإطار وإن كانت تستعمل حججاً تبدو في ظاهرها عقلية منطقية ولكنها في الحقيقة تخفي من ورائها نظرةً فوقية واستحقاراً للغير. بحيث يزعم Said Faiq (سعيد فايق، 2004م) أن ترجمة النصوص العربية إلى اللغات الأوروبية لم تكن عموماً في صالح الثقافة العربية لإصرار دور النشر على ترجمة نصوص بخصائص معينة (نسوية مثلاً)، وإصرار النقاد والمترجمين على صورة نمطية لهذه الثقافة يتم تذكر القارئ بها كلما سنحت

الفرصة، من خلال مقدمة أو هامش مثلاً، وكذا ممارسة نوع من العنف مع النصوص لرفع حظوظ مقروئيتها لدى المتلقي الغربي بإخضاعها للأدبيات الغربية. توحى كل هذه الأمور بوجود رفض غربي لإمكانية تغيير صورة العرب أو تطورها، وكأنها محكومة بتلك الصورة الاستشراقية التي سوقت لها ترجمات ألف ليلة وليلة. بهذه الطريقة يكون الظلم واقع ليس فقط على الثقافة العربية التي يُعاد بناؤها، أو بالأحرى هدمها، باستعمال الترجمة ولكن أيضاً على المتلقي الذي يُفرض عليه فهم معين وصورة مجتزأة عن الآخر (انظر 4-5, 2004, Faiq). وهذا الحكم على الطريقة التي تُستقبل بها الثقافة العربية في الغرب أبعد ما يكون عن رأي فردي، فما من ضرورة ليكون المرء متخصصاً ليستنتج أنّ هناك شيء سياسي وإيديولوجي وراء هذه الترجمات ابتداءً من اختيار النصوص الأصلية وانتهاءً بالشكل الذي تُقدم به إلى القارئ.

وفي محاولة لرصد نوع العلاقة التي تربط اللّغات الأوربية (المسيطرة) بلغات أقل انتشاراً يؤكد Richard Jacquemond (ريتشارد جاكمون، 1992م) على ضرورة أخذ السياق السياسي والاقتصادي بعين الاعتبار. إذ أن الإحصائيات تؤكد على أن الترجمات المنشورة ما بين اللغات الأوربية تفوق بمراحل تلك المنشورة ما بين اللغات غير الأوربية أو ما بين اللغات غير الأوربية والأوربية وهو أمر له مبرراته السياسية والاقتصادية (Jacquemond, 1992, 139). وقد قدّم جاكمون دراسة تاريخية مهمة لتوضيح هذه المبررات فيما يتعلق بثنائية اللّغتين العربية والفرنسية، وبين الأدب الفرنسي ونظيره المصري على وجه الدقة، وما ميز الترجمة بينهما في مراحل تاريخية مختلفة نوجزها فيما يلي.

تميزت الترجمة من الفرنسية إلى العربية إبان حكم محمد علي باشا باهتمامها بنوعية النصوص التي من شأنها أن تعود بالنفع على الحياة الفكرية في مصر وبناء مصر الحديثة كما كان يطمح إليها محمد علي وهو ما يُفسر ندرة الترجمات الأدبية في هذه الفترة. فيما بعد، بدأت تظهر أولى الترجمات من الأدب الفرنسي، ترجمات في معظمها للشعر والمسرح مع التفات عن جنس الرواية. وتعود أسباب

الاهتمام بالمشرح دون الرواية إلى تقاطع الأول في بعض خصائصه مع الموروث الشفوي والحكاية الشعبية وشخصية الحكواتي في التراث العربي. أي أن ما يبدو في ظاهره جنس غربي بحث اقتبسه الأدب العربي نتيجة احتكاكه بالغرب يمكن فهم ظروف ظهوره وانتشاره الواسع في مصر مقارنة بالدول العربية الأخرى بعناصر موجودة أصلاً في الثقافة المصرية، جعلت من المسرح تطوراً منطقياً ومقبولاً لأشكال فنية أخرى كمشرح العرائس والحكاوي (المرجع السابق، ص 141).

وتميز النقل الأدبي إلى غاية منتصف القرن العشرين بالتدجين والطبع بالطابع المحلي، دون الشعور بالحاجة إلى إعلام القراء غالباً أن ما بين أيديهم اقتباس أو ترجمة، وهو ما يُمكن فهمه على أنه استقلالية للأدب العربي بعيداً عن التأثير الغربي. ولم يتغير هذا الاتجاه في الترجمة إلا بتغير في الاتجاه الفكري في مصر، إذ مع بدأ إرسال بعثات دراسية إلى أوروبا ظهرت طبقة مثقفة في مصر تميل إلى النموذج الغربي وتحاول تطبيقه في مصر. فترجمت كلاسيكيات الأدب الفرنسي من طرف أدباء مهمين من أمثال طه حسين مع الحرص على "إغناء" النص العربي بالأساليب السردية الفرنسية للتأكيد على قدرة اللغة العربية على التطور والتجديد. وفي هذه الفترة يبدو من الواضح أن النصوص المترجمة جاءت غريبة في مواضيعها ولغتها مما يدل على اتجاه الترجمة نحو الخضوع للثقافة الغربية وانفتاح أكبر على تبني مختلف أشكالها، فقد شهدت سنوات الخمسينات والستينات انتعاشاً في حركة الترجمة بتشجيع من الدولة التي كان من أهدافها تشجيع مختلف أطياف الشعب على التعلم. لكن حركة الترجمة عادت لتتراجع بعد ذلك لأسباب عدة أهمها انصراف الدولة عن الشأن الثقافي والعزلة التي عرفتتها مصر على خلفية توقيع معاهدة السلام مع إسرائيل. وفي سنوات الثمانينات تجدد الاهتمام بالترجمة لكن هذه المرة بالنصوص غير الأدبية، خاصة تلك التي تهتم بالتاريخ المصري أو الاستشراق، وكأن اهتمام الحركة الفكرية في مصر بات منصبا على ذاتها لا على أي إنتاج فكري غربي. في هذه الفترة يمكن فهم الترجمة على أنها محاولة للتعرف على صورة الأنا من منظور الآخر (انظر المرجع السابق، ص 142-146). إجمالاً

تأرجحت الترجمة من الفرنسية إلى العربية في مصر بين التبعية الثقافية للغرب حيناً والتحرر الثقافي القائم على ترسيخ معالم الهوية العربية المصرية مع دور محوري للغة العربية أحياناً، وكثيراً ما ترجح الكفة للحالة الثانية.

بالمقابل، وفيما يتعلق بترجمة النص الأدبي المصري إلى الفرنسية، يلاحظ جاكمون أن سوق الكتاب في فرنسا لا يبدو مهتما كثيراً بترجمة الأدب المصري أو العربي عموماً. ويُرجح أن تكون شعبية الروايات المكتوبة باللغة الفرنسية لروائيين من المغرب العربي ولبنان أحد أهم أسباب التفات دور النشر في فرنسا عن ترجمة الأدب العربي عموماً، والمصري على وجه التحديد. فالروايات المذكورة تتيح للقارئ الفرنكفوني فرصة اكتشاف الثقافة العربية (جزائرية، مغربية، لبنانية. إلخ) في نصوص مكتوبة أصلاً بلغته. وهو ما يحيل مرة أخرى إلى فكرة سطوة اللغة وكيف أنه حتى وإن كنت تعبر عن ذاتك، فيُستحب أن يكون ذلك في لغة غير لغتك الأم. وعلاوة على هذا، من الواضح أن هناك علاقة وثيقة بين النجاح التجاري والأدبي لهذه الأعمال ونوعية الصورة -النمطية- التي تحاول جاهدة ترسيخها عن العالم العربي والعرب (المرجع السابق، ص148).

وبالعودة إلى ترجمة الأدب المصري إلى الفرنسية تشير الكثير من الدلائل على أن جودة النصوص ومدى نجاحها في ثقافتها الأصلية لا يعني بالضرورة حصولها على فرصة الترجمة. فهيمنة الخطاب الاستشراقي حول طبيعة العرب المعقدة وعالمهم الغريب، جعل أي نص غير مؤيد لهذه الأفكار ولا يسبح بالضرورة في فلك هذا التيار غير قادر على اقناع النقاد ولا دور النشر ولا حتى القراء ربما، في حال توفره لهم. فمثلاً إعادة طباعة ونشر وترجمة "ألف ليلة وليلة" يدل على نجاح وشعبية لا يمكن إنكارهما، كما يدل أيضاً على رواج لصورة "الشرق" التي يسوق لها العمل والتي لا يمكن لها أن تخرج عن الإطار العام الذي يتفق عليه "ضمنياً" جل النقاد والمتخصصين. وما يزيد الطين بلة هو اعتقاد المترجمين أن هذا الآخر لا يمكن فهمه مباشرة كما هو مُعبر عنه بل يجب توضيحه وتفصيله وإزالة أي

لُبس في المعنى فيه قبل تقديمه للقارئ، وهو ما يجعله مختزلاً ومجتزاً ويُجبر القارئ على فهم النص على وجه بعينه دون إعطائه فرصة الاختيار بين مختلف المعاني الممكنة (المرجع السابق، ص 149-150).

يبدو أن الأعمال التي يتم اختيارها للترجمة يجب عليها اجتياز اختبار المقروئية، فحتى تكون

هذه النصوص مستساغة بالنسبة للقارئ الفرنكفوني وجب عليها أن تؤكد للقارئ صحة كل ما عرفه

وسمعه عن هذا الآخر المتخلف والمنغلق على ذاته وعالمه البدائي الغريب. وبالتالي يتم ضرب

عصفورين بحجر واحد، فمن جهة تترسخ كل تلك الصور السلبية والأحكام المسبقة عن ثقافة الآخر،

والتي تقتقد لأدنى شروط المنطق، ومن جهة ثانية يكون القارئ قد تأكد بما لا يدعو مجالاً للشك أنه جزء

من الثقافة الأفضل والمنظومة الأقوى والفكر الأصح، فيزداد شعوره بالفخر وقناعته بتفوقه هو ودونية

الآخر. فمن بين أولى الروايات التي عرفت طريقها للنشر في فرنسا كانت "الأيام"، والتي تكمن جاذبيتها

في كونها تسوق لفكرة أن الغرب هو الأفضل وأن أي أمل للأمة المصرية بالنهوض ينبغي أن يمر عبر

استتساخ كل ما وصل إليه الغرب، وفرنسا تحديداً بالنسبة لطفه حسين، في مجالات التعليم والمعرفة

والاقتصاد، وحتى السياسة. أما بالنسبة لروايات نجيب محفوظ، فليس فوزه بجائزة نوبل للأدب السبب

الوحيد لاهتمام دور النشر الفرنسية بترجمة أعماله، فالسبب الأهم ربما هو البنية النصية لروايات محفوظ

والتي لا تختلف كثيراً عن النصوص الكلاسيكية في الأدب الفرنسي. ويُرجح الباحث أن شكل الرواية عند

محفوظ، والذي ينسج على منوال الرواية الغربية هو ما مكّنه دون سواه من الفوز بهذه الجائزة المرموقة.

فدور النشر، ولأنّ لها رفاهية الاختيار، تبحث في هذا الآخر، غالباً، عما يشبهها (المرجع السابق،

ص 153). ويخلص الباحث في الأخير إلى أن تلقي الأدب العربي المترجم إلى الفرنسية سيظل رهين

طبيعة العلاقة الموجودة بين العالمين العربي والغربي، فإن لم يكن هناك تغير حقيقي في الطريقة التي

ينظر بها كل طرف للآخر، وبالتالي تغير في سياسات دور النشر وفي طبيعة الخطاب السائد، لن يكون

هناك فرصة حقيقية للقارئ الفرنسي لتلقي الأدب العربي بشكل أفضل دون ستار الإيديولوجيا الذي يحجب

الكثير من الحقائق ويُفوت على القارئ إمكانية التعرف على ما لا يشبهه بشكل أكثر واقعية دون الحاجة إلى استغلال أساطير الماضي وأوهام الحاضر.

فأَيَّ محاولة لا اعتبار الترجمة وسيلة ضرورية، بل وحيوية للثقافة من أجل البقاء والتطور ستصطدم بعوائق كثيرة يمكن إرجاعها في الغالب إلى نظرة أيّ ثقافة لنفسها ونظرتها لغيرها. ويُعَدُّ كتان (2009م) ثلاثة أسباب من شأنها تعقيد مهمة الوساطة الثقافية للترجمة. أما السبب الأول فمتعلق بمفهوم الثقافة نفسه، وهو مفهوم غير واضح المعالم، لا نعرف من أين يبدأ ولا إلى أين ينتهي. كما أنه مفهوم يزداد اتساعاً مع مرور الزمن، ففي الماضي كان يُحيل إلى ميادين المعرفة المختلفة مثل الآداب والفنون، ليُضاف إليه فيما بعد نمط العيش، ثمّ القوى والأفكار الفاعلة في المجتمع، وليس من الواضح الحد الذي قد يتوقف عنده هذا الامتداد. أما السبب الثاني فمرتبط بعلاقة اللغة بالثقافة، ويختلف فيه دور الترجمة باختلاف الطريقة التي تُفهم بها هذه الثنائية. فإذا اعتُبرت اللغة والثقافة كيانين مستقلين، فإن الترجمة تعمل بشكل آلي وانسيابي لأن اللغة قادرة على التعبير على الثقافة والخصوصيات الثقافية دون عوائق كبيرة. أما إذا اعتُبرت اللغة والثقافة شيئاً واحداً، أي أنّ اللغة ليست مجرد وعاء، فإن الترجمة حتماً ستتأثر ويُصبح المعنى أمراً نسبياً يحدده القراء وفقاً لسياق التلقي وهو ما يفتح مجالاً للتلاعب. وآخر هذه الأسباب هو ما يطلق عليه كتان اسم "مِصفاة الثقافة" وعلاقته بالترجمة. والمِصفاة أربعة أنواع: وظيفية، ثقافية، فردية، ولغوية، يحاول الأفراد من خلالها تنظيم فهمهم المشترك للعالم من حولهم، وهو فهم كما نعلم جميعاً أبعد ما يكون عن الموضوعية، ويعتمد نجاح مهمة المترجم الوسيط على مدى قدرته على توظيف المِصفاة بشكلٍ فعّال (انظر Katan, 2009, 74-6). وما يمكن ملاحظته فيما يخص هذه الأسباب هو أنّها جميعاً تخضع لتقدير الفرد وتتغير بتغيّره، وهو ما يفسر تباين النتائج المحصل عليها فيما يخص التفاعل الثقافي عبر الترجمة باختلاف المترجمين واللغات المترجم منها وإليها.

تذهب شافنير (1995م) بهذا الاتجاه في تفسيرها لظاهرة الترجمة، فبالنسبة لها الترجمة ظاهرة شديدة التعقيد يتطلب فهمها الاعتماد على مجالات معرفية أخرى مثل علوم الاتصال وعلم النفس. فالنص المترجم، وإن كان مبنيًا على النص الأصلي، فهو نتاج ثقافة مختلفة وله وظيفة في الثقافة الهدف قد تشبه وظيفة النص الأصلي وقد تختلف عنها. وحتى وإن تشابهت وظيفة النصين فإن آليات عملهما ليست بالضرورة واحدة إذا ما أخذ الاختلاف الثقافي بعين الاعتبار. ومن هذا المنظور، يمكن للنص المترجم على المدى البعيد أن يسهم في بناء وتشكيل هوية الثقافة الهدف. ويكون لعوامل مثل اختيار النص وطريقة تأويله وفهمه وكذا الاتجاه العام لدور النشر والهيئات الثقافية دورا مهما في تحديد شكل هذه المساهمة (Shaffner, 1995, 1-2). يضع هذا التعريف الترجمة موضع الشريك الكامل في صناعة الثقافة على المدى البعيد، وزيادة الوعي بهذا الدور لا بد له من تغيير الخطاب حول الترجمة وطبيعة وظيفتها.

فهذا الترابط الوثيق بين مفهومي الترجمة والثقافة يجعل المترجم مطالب بالإصغاء أكثر لمحيط نصه. فالمترجم، كما يلاحظ كتان (2009م)، قد يجني الكثير من الفائدة إذا أخذ بعين الاعتبار حقيقة أن الثقافة لا تعمل على مستوى واحد ولكن على مستويات عدة، بعضها جليّ وبين وبعضها الآخر مُضمّر، وعليه في كلّ مرة أن يكون على وعي بأيّ هذه المستويات أكثر تأثيراً على الترجمة ويُحدّد استراتيجياته وفقاً لذلك. فليست كلّ الملامح الثقافية خاصة، بل منها ما قد يكون عاماً وموجوداً في كل الثقافات، ولا يحتاج المترجم لإطالة التأمل حتى يُترجمه، وتزداد المهمة صعوبة عندما يتعلق الأمر بترجمة المصطلحات الثقافية، والتي تتطلب دون شك مجهوداً أكبر (Katan, 2009, 78). ويذكر كتان ثلاثة أنواع من الإجراءات يمكن للمترجم الاعتماد عليها لهذا الغرض نوجزها فيما يلي: أولاً، إجراءات التغريب، والتي تنقل ببساطة المصطلح على حاله إلى اللغة الهدف. في ظاهر الأمر يبدو هذا الاختيار مفيداً من حيث أنه يبرز ثقافة النص الأصلي في اللغة الهدف، لكن مع ذلك يجب توخي الحذر، فمالم

يُؤخذ هدف الترجمة وسياقها بعين الاعتبار، يكون هذا الأسلوب سبباً في تشويه هذه الثقافة نتيجة ترسيخ بعض الصور النمطية. أي أنّ من المهم أن يكون هناك وعي بما قد يترتب على هذا الاختيار من آثار على النص المترجم. ومع الاستعمال المتواتر يُصبح بعض الغريب معترفاً به في اللغة الهدف، كأن نستخدم في الفرنسية "le caire" مكافئاً لـ "القاهرة"، وعلى المترجم أن يكون على علمٍ بمختلف التحديثات، لأن هذا الغريب وإن كان معروفاً فهو غير ثابت. ثانياً، إجراءات التفسير المسهب والتي تهدف إلى إطلاع القارئ على السياق بإضافة بعض الألفاظ بطرق مختلفة، ويعتمد نجاح الترجمة في هذه الحالة أيضاً على مدى وعي المترجم بطبيعة قراء نصه واحتياجاتهم والتي تُحدد أيّ المواضيع في النص التي تتطلب تفسيراً. وأخيراً توجد أيضاً إجراءات الإدماج والتي يُستخدم فيها المكافئ الأقرب في اللغة الهدف سواء تعلق الأمر بالألفاظ أو العبارات. ونتيجة هذا النوع من الإجراءات، مثل سابقتها، غير مضمونة، إذ يبقى الأمر مرهوناً بوعي المترجم وتقديره (انظر المرجع السابق، ص 79-81). هذه الإجراءات في مجملها كفيلة بتحقيق تفاعل ثقافي نسبي مع الثقافة الأصلية، حتّى مع كلّ التحفظات التي ذكرها الباحث، فمجرد لجوء المترجم إليها يعني وعيه بمهمته في الوساطة الثقافية. ويبقى بعد ذلك مدى التوفيق في الترجمة خاضعاً للظروف الخاصة بكل نص.

وإن كانت مهمة المترجم واختياراته شيئاً ما محسومة على المستوى الظاهر من الثقافة فإنها أكثر صعوبة وتعقيداً على المستوى الخفي أو الباطن، لأنها تضع عالمين مختلفين وجهاً لوجه. فالمُضمن وما يحمله أسلوب الخطاب من معاني إضافية للنص هو في الحقيقة مبني على العرف وما اتفق افراد المجموعة على التواصل به، هو ببساطة ما هو مناسب لهم ولقيمهم ولمحيطهم، وليس المقصود التعميم وإنما إعطاء وصف عام لأنه لا الثقافة كيان نقي ولا المجموعة التي تنتمي إليها كلّ متجانس. ولهذه الأسباب تحديداً، يرى كتان (2009م) أنّ ترجمة مثل هذه الملامح النصية تتطلب الإحاطة والمعرفة العميقة بثقافة النص الأصلي وكذا الثقافة التي يُترجم إليها. فمهمة الوساطة تستوجب تكييف هذه الملامح

بما يناسب فهم وتوقعات المجموعة التي تُترجم لها، مجموعة عالمها مختلف، قيمها مختلفة، وبالتالي معتادة على أسلوب خطاب معين يجعل التواصل ممكناً. وقد تستفيد الترجمة من الدراسات المقارنة للأساليب البلاغية بين اللغات لأنها قادرة على الكشف عن نماذج التواصل التي تفضّلها كل ثقافة (Katan, 2009, 81-83). غير أنّ هذا المسعى قد يصطدم أحياناً بإصرار الثقافة المستقبلية على تمثيل الآخر بشكل سلبي، وهو حال صورة الثقافة العربية في مرآة الغرب والتي كما يلاحظ فايق (2004):

“The representations of Arabs and Islam by and/or for the West are not just accounts of different places, cultures and societies, but more importantly, they are projections of the West’s own fears and desires masqueraded as objective knowledge: consider for instance how the words *jihad* and *fatwa* have been injected with meanings that reinforce the centuries-old clichés.” (Faiq, 2004, 9)

إنّ الصورة التي يرسمها الغرب، أو تُرسم له، عن العرب والإسلام ليست مجرد وصف لأماكن وثقافات ومجتمعات مختلفة، بل إنها في المقام الأول انعكاس لمخاوف هذا الغرب ورغباته يخفيها وراء حجاب المعرفة الموضوعية: وأبسط مثال على ذلك هو المعاني التي تمّ إلصاقها بمصطلحات مثل *جهاد* و*فتوى* بغرض ترسيخ صور نمطية عمرها قرون. (ترجمتنا)

فالأمر إذاً لا يتعلق فقط بمحاولة تقزيم الآخر في الترجمة بدافع من غطرسة أو شعور بالفوقية، ولكنّه يحمل أيضاً دلالات عن شعور بعدم الاطمئنان وربما الخوف. في مثل هذه الحالة تُصبح مهمة الترجمة أصعب إن كانت تطمح لمقاومة هذا التمثيل وتصحيحه بما تراه تمثيلاً أكثر إنصافاً. فهيمنة شكل من أشكال الخطاب تقف عائقاً أمام ترجمة أي خطاب "منافس"، ليس بسبب خطر محتمل من هذا المنافس ولكن لأنّ فهمه للعالم مختلف وخاص به.

وهذا الاختلال في العلاقة بين الغرب وباقي العالم، وجد في الأدب ما بعد الاستعماري أرضاً خصبة لمناقشته وفهمه. وكان للترجمة حظ وافر من هذا النقاش لما احتدم الجدل حول دور الأدب واللغة التي يجب أن يكتب فيها وعلاقة ذلك بنوع الحوار والتواصل الثقافي المراد بلوغه. ويزعم Paul Bandia (بول بانديا، 2006م) أنّه لم يتحقق إجماع حول فكرة بعينها، سيما في سياق الأدب الإفريقي. فهناك من ينظر إلى الكتابة باللغات الأوروبية بشكل إيجابي على أنّها وسيلة لمقاومة هيمنة الخطاب الغربي وتجلي الآخر وفهمه وهو ما ذهب إليه مثلاً تشينوا أوشيبي. أما فريق آخر فيرى أن اللغة هي إحدى

تجليات القوة والنفوذ، ومن أراد أن يكون قوياً وأن يفرض لغته وثقافته كان لزاماً عليه أن يُعبر في لغته هو لا في لغة غيره. وهو الرأي الذي قال به فرانس فانون ونجوجي وا تيانجو. ويبنّي نجوجي موقفه على فكرتين أساسيتين: أولاً، منطقية التوجه للقارئ الإفريقي بلغاته المحلية حتى يتحقق له الفهم، وثانياً، استحالة نجاح لغة في التعبير عن واقع غير واقعها. وحتى يكون التواصل الثقافي ممكناً بين العالمين يمكن الاستعانة بالترجمة. فيكون بهذا قد تم ضرب عصفورين بحجر واحد، فرض وجود الثقافة المحلية من جهة وضمان تواصلها مع الغير من خلال الترجمة من جهة ثانية (Bandia, 2006b, 373-374).

والغرض من التعرض للأدب ما بعد الاستعماري في نقاش يخص التفاعل الثقافي في الترجمة هو أن هذا التيار الأدبي يعتبر بشكل ما نوعاً من الترجمة، تُترجم فيها الثقافة إلى نص، كما أنه مهموم بقضايا السيطرة والتمثيل والبروز وكلها قضايا اهتمت بها المقاربات الثقافية للترجمة.

وصحيح أن فكرة التوجه لكل متلقٍ باللغة التي يفهمها أمر لا ضرر منه وهو حل يُحافظ على الثقافة دون أن يعزلها غير أن مدى نجاح هذه التجربة يبقى غير واضح. بالمقابل يجب الانتباه إلى أن الرسالة التي يحتويها النص الأصلي قد تختلف عن تلك التي يحتويها النص المترجم. ويذكر بانديا (2006b) رأياً لافتاً لأحد المفكرين حول فكرة التوجه لكل متلقٍ باللغة التي يفهمها، والتي تضرب بموقف نجوجي الأشهر، " تحرير العقل " عرض الحائط. والحقيقة أنه لا يجب أن يُخاطب المتلقي الغربي وفقاً لتوقعاته. ففهم الرسالة الحقيقية للنص يستوجب إنزال اللغات الأوروبية من عليائها ومحاولة رصد الحقائق بعيداً عن زاوية المُتَحَكِّمِ والمُسيطر. أي أن التواصل الذي تتيحه الترجمة لا يمكن أن ينجح إذا ظلّت الرؤية نفسها والمعتقد ذاته، فالكتابة بالشكل الأوروبي دون إحداث تغييرات تُذكر يعني تبني الفكر والمنطق الأوروبيين وهو ما يجعل احتمال إيصال النصوص المترجمة للألم والغضب الذي يُميز الأصل ضعيفاً. ولا أدل على ذلك من أن ترجمة بعض أعمال نجوجي إلى الإنجليزية توحى بأنه لم يتمكن من التحرر الفعلي من براثن هيمنة هذه اللغة، وأن ما كان بالأساس ثورة على هذه اللغة والحضارة لم يزدّها

إلا قوةً وظهوراً (المرجع نفسه، ص 375-376). ويشكك هذا الرأي في جدوى محاولة إسماع صوت الآخر من خلال لغة تبرز طريقتها في التعبير جانباً من الإمبريالية المُراد التخلص منها. وعموماً هذا النوع من النقاش، على جديته، لا يسمح بالتوصل لنتائج ملموسة على أرض الواقع، بسبب التباين العميق في وجهات النظر.

على صعيد آخر تلاحظ تيموكسكو (1999م) أن الترجمة قد تستفيد أحياناً من النظرة الدونية للنص المترجم، فتحقق تفاعلاً ثقافياً بين الثقافة الأصلية والثقافة المستقبلة كان يصعب تحقيقه عبر قنوات أخرى. فمن محاسن هذه النظرة المُجحفَة أنها أقل صرامة مع النصوص المترجمة مقارنة بالنصوص الأصلية. فما قد يُقبل في إطار الترجمة قد يُستهجن في إطار الأدب المكتوب في اللغة الأصلية. فمن المعلوم أنه كلما كان الأدب عريقاً ومرموقاً كلما زادت مقاومته للأشكال الأدبية الجديدة وتجارب الكتابة غير المألوفة، غير أن الترجمة الأدبية كثيراً ما تكون السبيل لإدخال ألفاظ وتراكيب جديدة للغة الهدف دون أن تكون محط هجوم وانتقاد. بيد أن بقاء هذه الألفاظ والتراكيب واستمراريتها بوصفها جزءاً من اللغة الهدف يبقى مرهوناً بعوامل تتجاوز النص، نذكر منها المناخ العام ومدى استعداد الثقافة الهدف للانفتاح على غيرها على سبيل المثال (Tymoczko, 1999a, 33). وطرق التفاعل مع النصوص المترجمة ومدى تأثيرها في منظومة الثقافة الهدف هي في الحقيقة ما يجب التعمق في دراسته، لأنها تؤكد بشكل عملي وواقعي الحركية الدائمة للغات وتأثرها بما يحدث حولها، والترجمة جزء منه.

باختصار، التفاعل الثقافي الذي تتيحه الترجمة هو واقع لا يمكن إنكاره. فالشعوب تأخذ من بعضها البعض وهكذا يسير ركب الحضارة بأن يرفع البعض ويخفض البعض الآخر، فتتطور أمم وتترجع أخرى. غير أن الأمر لارتباطه بالإنسان يُصبح بالغ التعقيد، فالفائدة التي يجنيها البعض من الترجمة ليست مجانية، وهناك فاتورة يجب أن تُدفع. أحياناً يكون تشويه صورة الثقافة المنقول منها أو حتى قرار اختيار لغة تعبيرها عن ذاتها "أضراراً جانبية" لهذا التفاعل الذي يميل في الغالب نحو الطرف

الأقوى. لكنّ هذا لم يُثنِ البشر عبر العصور عن الاعتماد على الترجمة لأنها ضرورية، ولأنّ المعارف والآداب المأخوذة من خلالها تُسهم في بناء وتشكيل الثقافة المنقول إليها.

2.4.1. إشكالية الإيديولوجيا والخطاب في نظرية الترجمة

إنّ المُتمعن في تاريخ البشرية يُمكنه بسهولة ملاحظة كيف ظهرت واختفت الكثير من التيارات الفكرية والسياسية والدينية على مرّ العصور، وكيف كان لبعضها عظيم الأثر ليس فقط في محيطها الجغرافي ولكن في شتّى بقاع الأرض فيما ذهب البعض الآخر طي النسيان دون أثر يُذكر. وتلفت Maria Caldenza Pérez (ماريا كالدانزا بيريز، 2014م) الانتباه إلى أنّ الإيديولوجيا تتكشف على أرض الواقع من خلال الممارسات الاجتماعية، ففهم بعض الأفراد للواقع وحكمهم على ما يناسب أو لا يناسب مجتمعاتهم من أفكار وممارسات وسياسات، ونجاحهم في إقناع العامة بها وتبنيها ما هي إلّا بعض من هذه الممارسات. وتلاحظ بيريز أنّ ما يعتبره مجتمع أو ثقافة عادة إيديولوجيا يرتبط بما هو دخیل وليس جزءاً من صميم الأفكار والعادات الشائعة وهو بالطبع ليس أمراً صحيحاً ولكنه دليل على الطريقة التي تتفشى بها الأفكار في المجتمعات والتي تدفع بالأفراد للاعتقاد بأن ما درجوا عليه وعرفوه هو الصواب. ولسبب ما، وربما بإيعاز من الدراسات الثقافية ولسانيات تحليل الخطاب النقدي، تزعم بيريز أنّه كثيراً ما يُنظر إلى الإيديولوجيا بعين الريبة، على اعتبارها مرادفاً للتلاعب والتآمر والسيطرة على العقول، ويختص بها مجال السياسة أكثر من غيره. لكن في الواقع يمكن إيجاد الإيديولوجيا في شتّى مناحي الحياة، ولا يجب ربطها دائماً بفكرة فرض السيطرة بشكل غير محسوس، وإن كانت الأخيرة إحدى أهم إفرزات عصر العولمة. عموماً تميل جُلّ تعريفات المصطلح إلى إبراز جانبه السلبي بوصفه وسيلة لتوجيه الأفراد والجماعات، ولكنها يمكن أن تُحيل أيضاً إلى تلك المعايير التي تحكم النظام الثقافي وتكون مسؤولة عن أنماط التفكير السائدة وكذا آليات التقييم (انظر Maria Caldenza Pérez, 2003/2014, 1-6). والحقيقة أنّ

تمحيص آليات ظهور وعمل وحتى اختفاء بعض التيارات الفكرية كثيراً ما يكشف عن تدليس للحقائق لخدمة أهداف بعينها، وهذا ربما ما أكسب المصطلح سمعته السيئة على أنه مرادف لخداع الشعوب.

وحتى لا تنتשב الخطى وتنتيه بين تعريفات المصطلح الكثيرة، سيكون التركيز على المصطلح فيما يتعلق بخطاب نظرية الترجمة: كيف تأثرت نظرية الترجمة ببعض التيارات الفكرية وما ترتب على ذلك من نتائج من جهة، وكيف أثر خطاب نظرية الترجمة، وهو شكل من أشكال الإيديولوجيا، على كل من الباحثين والعاملين في المجال من جهة ثانية. وتشير بيريز (2014م) إلى أن الاهتمام الذي أبدته وتبدية المقاربات الثقافية للترجمة بفكرة الإيديولوجيا وكيفية تأثيرها في ميدان الترجمة خصوصاً يُنبئ بانتقال الباحثين إلى مستوى أعمق وتقريباً غير مرئي لدى العوام. أي أن التفكير وتحليل ما يحيط بالترجمة من ظروف وربطها بالطريقة التي تبرز بها في النص من شأنه أن يُعطي قراءة مختلفة كلياً عن تلك التي تُوفرها الدراسة اللغوية الصرفة. فتاريخ الترجمة حافل بالأمثلة عن أولئك الذين دفعوا حياتهم ثمناً للخطاب السائد (دينياً أو سياسياً) الذي أصدر حكمه بالإعدام على أعمالهم، فقط لأنها مختلفة من منظور معين (اللغة، الفكرة، الموضوع.....). تشير مثل هذه الأحداث إلى الحد الذي قد تصل إليه سطوة الإيديولوجيا، وكيف يمكنها أن تؤثر على حياة الأفراد. في الأحوال العادية لا تحتاج الإيديولوجيات لهذا القدر من العنف ليحكم سيطرتها وتحقق ما ترجوه من نتائج، لتنوع أدواتها وتعدد أساليبها. والحقيقة أن اللغة أهم هذه الأدوات على الإطلاق، لدرجة أن اللسانيين اليوم يعتبرون أنه لا يمكن لأي استعمال للغة أن يخلو من التلاعب أو المناورة.

منذ مطلع التسعينات ومع التحولات التي عرفت دراسات الترجمة عكف الكثير من الباحثين على تناول مفهوم الإيديولوجيا وتداعياته على ظاهرة الترجمة ووظيفة المترجم. ففي عام 1992م، صدر كتاب *Rethinking Translation: Discourse, Subjectivity, Ideology*، ("إعادة التفكير في الترجمة": الخطاب، الذاتية، الإيديولوجيا) وهو مجموعة من المقالات، أشرف عليها لورانس فينوتي، تشترك في تسليطها

الضوء على موضوع الترجمة من منظور نقدي وفلسفي يسعى لطرح تساؤلات جدية حول الكثير من الثوابت والمعايير الموجودة في حقل الترجمة أوفي محيطه وتؤثر بشكل واضح على وظيفة المترجم ومنتوجه ومنها على سبيل المثال الخطاب، الذاتية، والسياسة، وانعكاساتها جميعاً على طريقة فهم واستقبال الآخر القادم عبر الترجمة.

ويذكر فينوتي مثلاً عن تغول خطابات بعينها في مجال الترجمة يتعلق بدور النشر في الولايات المتحدة الأمريكية والتي لا تعطي المترجم حق الملكية الفكرية لترجمته، بل تبقى هذه الملكية لصاحب النص الأصلي حتى بعد الترجمة. فعلى أرض الواقع هناك إجماع على أن كاتب النص الأصلي مبدع أما المترجم فمجرد ناسخ، فالى غاية وقت قريب كانت فكرة الأصل والتأليف طاغية، وصُنفت بموجبها الترجمة من أقل أشكال الإبداع. والجدير بالذكر أن هذه الرؤية استمرت لقرون، منذ عهد الإغريق، وهو ما جعل أي طرح بديل يُقابل بالاستهجان والرفض. لدرجة أن الكثير من المترجمين لا يرى ضيراً من هكذا تصنيف ويعتبره منطقياً. وهذا دليل على مدى سيطرة بعض الأفكار وترسخها لدرجة قد تحجب حقائق أخرى أهم وأفيد (Venuti, 1992, 3). إن هذا المثال دليل قاطع على السطوة التي قد يمتلكها الخطاب على الأفراد، والتي تتسبب في استمرار أوضاع غير منطقية لسنوات بل وحتى قرون. فخطورة هيمنة الخطاب تكمن في قدرتها على شل العقل حرفياً.

وقد عمل المفكر على بلورة آرائه حول الخطاب من خلال مؤلفين مهمين في دراسات الترجمة

وهما *The Translator's Invisibility: A History of Translation* ("اختفاء المترجم: تاريخ

الترجمة"، 1995م) و *The Scandals of Translation* ("فضائح الترجمة"، 1998م)، وكلاهما يدعو إلى

إعادة النظر في مكانة الترجمة وموضوعها، ويحاول كشف الغطاء عن خطورة الهيمنة الثقافية واللغوية

للإنجليزية على غيرها من الثقافات. يرى فينوتي (1992م) أن هذه الهيمنة يصاحبها تهميش مُعتمد

للترجمة في التدريس والنقاش الأكاديمي، ذلك أن أي فهم حقيقي للترجمة في سياقها الاجتماعي

والإيديولوجي من شأنه زعزعة عرش النفوذ الثقافي الأمريكي وتهديد وجوده. فقد كان للترجمة على مرّ العصور تأثير كبير على مجريات الأحداث التاريخية وعلى الكثير من التغيرات الفكرية والأدبية قاطبها تجاهل تام لها من حيث كونها موضوع بحث ودراسة مستقل. وهو ما يوحي بوجود تناقض عجيب، فكيف للمهم أن يُهمش، أن يُدس؟ ومن أهم جروح الترجمة التي فتحتها فينوتي في مؤلفاته والتي صارت محط اهتمام الباحثين الذين حاولوا إما نفيها أو تأكيدها تلك المتعلقة بالمترجم وظروف عمله والتي يسمُها المفكر باختفاء المترجم، وكذا ثنائياته الأشهر التوطين/التدجين والتغريب، بحيث يصف المصطلح الأول أساليب الترجمة السائدة، والثاني تلك التي يجب أن تسود من وجهة نظره (Venuti, 1992, 4). أسهمت أعمال المفكر في إحداث تغيير محسوس في خطاب نظرية الترجمة يمكن رصده في طبيعة مواضيع البحث وتنوعها.

يؤدي رضوخ المترجم لإملاءات النقاد والقراء ودور النشر، حسب فينوتي، إلى إنتاج ترجمات يُقاس نجاحها بمدى اقتراب لغتها من لغة النصوص الأصلية. ولا يخفى على القارئ الارتباط الوثيق بين اللغة والأفكار، فهذا النهج في الترجمة يطبع النص المنقول بطابع الثقافة المستقبلية، وبالتالي يُحول اتجاهه الأصلي. والعجيب في الأمر، أن هذا المجال، أي الترجمة، الذي يعي الجميع وجوده ولا يُحبذ الكثيرون التطرق إليه، هو المسؤول عن تشكيل صورة ثقافة في ثقافة أخرى، مع كل ما تشتمل عليه هذه المهمة من أخطار تتراوح بين التجاهل والصور النمطية. ولا أدلّ على ذلك من أن دراسة الأدب المقارن والأدب "العالمي" في الغرب تعتمد غالباً على ترجمات تعمل كأنها نصوص أصلية، دون أن يكون ذلك إشكالاً، فهناك حاجة إلى الترجمة لكن لا ضرورة لإعطائها الأهمية المُصاحبة لذلك عادةً بتواطؤ من الدوائر الأدبية والأكاديمية (المرجع نفسه، ص5). أي أن الفكر السائد الذي رسخ لقرون النظرة الدونية للترجمة، هو نفسه الذي استعملها أداة فعالة لإرساء الكثير من المغالطات وتضليل المتلقين لأسباب غير بريئة غالباً.

ويضيف المفكر أنّ هذا الوضع غير السوي الذي يجد المترجم نفسه مجبراً على التعامل معه يتسبب فيه عدم التكافؤ بين موازين القوى والتي تعمل دائماً لصالح الطرف المهيمن، وهو في عالم اليوم الثقافة الغربية واللغة الإنجليزية. فسواء تعلّق الأمر بالترجمة من أو إلى اللغة الإنجليزية فالنتيجة واحدة، بسطاً للسيطرة وغزو ثقافي. عند الترجمة من الإنجليزية إلى لغات أقل انتشاراً، يزعم فينوتي أن المؤسسات الثقافية ودور النشر تعمل بشكل فعّال من أجل استغلال هذه الأداة، التي في ظاهرها تكون وسيلة لنقل المعارف والعلوم، لكن في باطنها سلاح لنشر الأفكار والقيم الغربية وتسويقها على أنها أفضل ما يمكن أن يحلّ على البشرية، تماماً كمن يدس السمّ في العسل. ويجب فهم الأمر في إطاره الاقتصادي أيضاً، فمن يملك السيطرة المادية على سوق النشر، ومن يخصص جزءاً من ميزانيته لنشر ثقافته في سائر أنحاء العالم، هو بالتأكيد من له الكلمة الفصل في نوعية الأفكار التي يُحاول تعميمها ونشرها. وليس من الصعب تصور أن ذات الأمر يحصل عند الترجمة من لغات أقل انتشاراً إلى اللغة الإنجليزية، بحيث يبدأ فرض السيطرة من مرحلة اختيار النصوص التي "تصلح" للترجمة، فالاختيار لا يكون عبثياً وحتماً لن يكون بسبب القيمة الأدبية أو الفكرية للنصوص حصراً. بل إنّ ما يُحرك الاختيار في المقام الأول هو مدى ملائمة هذه النصوص من الناحية الفكرية، أي أنّ النص مهما بلغت أهميته لن يكون له حظوظ في الترجمة مالم يستجيب لإملاءات الخطاب السائد. ومن أهم شروط الأخير، علاوة على الاختيار، الشفافية، أي نوعية اللغة التي يتوجب استعمالها في الترجمة، والتي يُفضل أن تُظهر الغريب في ثوب صاحب المنزل (المرجع السابق، ص 5-6). فالهيمنة الثقافية تلقي بظلالها على كلّ تفصيل من تفاصيل عملية الترجمة وتجعل مجرد التفكير بالثورة على هذه الأوضاع ضرباً من التهور والمغامرة غير محسومة العواقب.

ومن بين الحلول التي يقترحها فينوتي تبني بعض ما جاءت به النظريات ما بعد البنيوية والتفكيكية إطاراً نظرياً بديلاً لدراسة الترجمة ونقلها من حالتها الشفافة إلى حالة مرئية وذلك اعتماداً على

فكترتين أساسيتين، أولاهما أنَّ "الأصل" غير موجود، وأنَّ النصوص المكتوبة في لغتها الأصلية ما هي إلا شكل من أشكال الترجمة المفتوحة على احتمالات أو معان عدة وأنَّ أحد هذه الاحتمالات فقط يبقى ممكناً عند الانتقال من لغة إلى أخرى، كما أنَّ الترجمة بوصفها كتابة في لغة ثانية هي نص جديد ويجب أن يُدرس من هذا المنظور وليس على أنه تابع للنص الأصلي، فأهم ما في هذه الفكرة هو تحطيمها للقيد الذي طالما ربط مصير الترجمة بالنص الأصلي وقدَّر قيمتها بمدى اقترابها أو ابتعادها عنه. ثانياً، حقيقة وجود رابط وثيق بين اللغة ومحيطها وكيف يتأثر استعمال اللغة بالمحيط الذي تتواجد فيه، فالهياآت العلمية والثقافية والسياسية والدينية كلُّها لها دور في التأسيس لفهم واستخدام معين للغة، تُصبح فيه الإحالات والتشبيهات جلية وإن كانت مُضمرة، وما الترجمة إلا نص أُنتج في سياق اجتماعي وتاريخي سترك بالتأكيد بصمته عليه (انظر المرجع السابق، ص 8-10). ومن خلال هذا الطرح يُحاول فينوتي التشكيك في فعالية نظريات الترجمة الموجودة آنذاك، ويدعو صراحة إلى خطاب ترجمة بديل يأخذ بعين الاعتبار خطورة بسط اللغات المسيطرة لرؤاها على غيرها من الثقافات. ويؤكد الباحث على أنَّ فهم ظاهرة الترجمة بشكل مُعمَّق وواقعي يمرُّ حتماً عبر توسيع أفق الدراسة ليضمَّ مجالات على غرار تحليل الخطاب، التاريخ، الأنثروبولوجيا واتجاهات فكرية متنوعة مثل ما بعد الاستعمارية والنسوية. فهناك ضرورة ملحة لمقاربة مفهوم الترجمة من زوايا مختلفة دون التردد في اقحام ما قد يبدو للوهلة الأولى غير ذي صلة مثل السياسة والاقتصاد. فتحقيق تغيير حقيقي لواقع الترجمة والمترجم يبدأ دون شك بتغيير النظرة المبسطة، والعقيمة أحياناً، التي يُحمل عليها موضوع الترجمة. فالترجمة يجب أن تتحول من فضاء للإدماج إلى فضاء يَحْي فيه الاختلاف، وهو أمرٌ ممكن إذا تبنى المترجم ترجمة "مقاومة" تخرق عمداً القواعد اللغوية وتتهل من تقنيات سرد ما بعد الحداثة وغيرها لنسج خطاب غريب يتحدى الثقافة المهيمنة، ويُقدم نصاً تجريبياً لا يخلو هو الآخر من طعم الإيديولوجيا (انظر المرجع نفسه، ص 11-12). وقد دعم

فينوتي كلّ آرائه بأمثلة من الماضي والحاضر تؤكد كلّها صعوبة الوضع وضرورة التحرك لتغييره. غير أنّ هذا لم يمنع مفكرين آخرين من تقييم مواقفه النظرية ونقد نقاط الضعف فيها.

إذ يجد غينتسلر (2002م) أنّ استعمال المصطلحات التفكيكية والتقويض إطاراً نظرياً لم يكن مكتملاً تماماً عند فينوتي خاصة فيما يتعلق بفكرة "الترجمة التعسفية"، والتي يقترحها فينوتي استراتيجية في الترجمة تسمح بالتصدي للخطاب السائد. ويعتبر غينتسلر أنّ فينوتي حين اقترض المصطلح الفرنسي لم يتمكن من الحفاظ على الجانب الخداعي والتلاعبى والمتردد الذي يتضمنه. فتعريفه وإن اعتمد على المصطلح التفكيكي لا يبتعد كثيراً عن التعريفات التقليدية واضحة الحدود والمعالم (انظر، Gentzler, 2002, 200-203). وصحيح أنّ المهتمين بميدان الترجمة وجدوا في خطاب فينوتي النظري ما فيه إثارة للجدل والتساؤلات لكن هذا لا ينفي أثر أفكاره على الباحثين في هذا المجال، وأبسط مثال على ذلك هو كم الأبحاث المنشورة في الجزائر وحدها حول التغريب والتوطين وفي هذا ربما إشارة إلى قوة طرحه وتماسك مشروعه الفكري.

وتطرح Rosemary Arrojo (روز ماري أروجو، 2014م) أيضاً تساؤلات عدّة حول الكيفية التي تأثر بها الخطاب حول الترجمة بمجموعة من التصورات حول أبدية المعنى وأصالة الإبداع، ظلّت لسنوات طويلة حقيقة لا يمكن دحضها، وصوّرت الترجمة مرادفاً للموت والخسارة، موث الإبداع وخسارة المعنى. تعتقد أروجو أنّ ما يُسمى بـ "نظام التمثيل"، هو المسؤول عن ترسيخ فكرة استحالة التساوي من حيث القيمة الأدبية بين الأصل والترجمة، وهو ما يفسر المكانة المتدنية التي لطالما حظيت بها الترجمة في خطاب المفكرين والأدباء. وقد استعانت في تحليلها بقصة قصيرة للكاتب الأمريكي إدغار آلان بو بعنوان 'The Oval Portrait' ("الصورة الشخصية البيضوية") تناقش من خلالها صورة الترجمة في الأدب، وكذا مقالات للكاتب نفسه وفرويد حول ماهية الكتابة الإبداعية، وقداسة النصوص الأصلية مقارنة بالترجمات الناقصة والمشوّهة. لتخلص إلى أنّ نظريات اللّغة يجب أن تنتبه إلى هذه الحقيقة وتبدأ

في تغيير خطابها بما يُناسب العالم الذي نعيش فيه، وأنَّ الإبداع له وجود في كلّ أشكال الكتابة (انظر Arrojo, 2014, 167-180). فإصرار الخطاب النظري حول الترجمة لقرون طويلة على التعامل مع النص المترجم باعتباره تابعاً للنص الأصلي، وفي الكثير من الأحيان صورة مشوهة عنه، شغل الباحثين عن اكتشاف زوايا أخرى لمقاربة النصوص المترجمة، كأن يُنظر إليها على أنَّها الحل وليس المشكلة، وأنَّ وجودها بالأساس هو بدافع الاستجابة لحاجة معينة في الثقافة الهدف في المقام الأول.

واهتمت تيموكسكو من جهتها بموضوع الإيديولوجيا، ولديها في الحقيقة الكثير من المقالات والكتب التي تسلط الضوء على دور الإيديولوجيا في توجيه نظرية الترجمة وعمل المترجم على حدِّ سواء. ولم تكف تيموكسكو (2014م) بنقد الخطاب الكلاسيكي حول الترجمة ولكن التفتت أيضاً إلى بعض الإشكالات التي يطرحها تبني المنظرين، في إطار المقاربات الثقافية خاصةً، لفكرة الترجمة بوصفها فضاءً بَيْنياً، واعتباره وصفاً دقيقاً لحال الترجمة ومكانتها الهامشية في كلّ الثقافات، ووضع المترجم كرحالة بين الثقافات دون الانتماء الكلي لأيٍّ منها. إذ تعتقد المفكرة أنَّ المفهوم على جاذبيته وشعبيته بين الباحثين ليس دقيقاً بما يكفي لوصف واقع الترجمة في ظلِّ التحولات الفكرية الراهنة. أولى الإشكالات التي يطرحها هذا المفهوم هو أنَّ نشأته مرتبطة تاريخياً ببعض اللغات الأوروبية، أي أنَّ فكرة الانتقال الفعلي من مكان إلى مكان لممارسة فعل الترجمة والتي طبعت فيما بعد معظم تعاريف الترجمة بوصفها انتقالاً من لغة إلى أخرى، هي في الحقيقة فكرة عن الترجمة لا تنطبق على تقاليد الترجمة في مناطق أخرى مثل الصين والهند والعالم العربي وإفريقيا، وبالتالي لا يمكن تعميم الفكرة والاستناد إليها نظرياً. ويدعم هذا الطرح حقيقة أنَّ مصطلح الترجمة في الإنجليزية والفرنسية (translation/traduction) استُعمل في البداية للتعبير عن فكرة حمل شيء من مكان إلى مكان، لكن هذا أيضاً لا ينطبق على باقي اللغات مثل العربية، إذ يحيل المصطلح فيها إلى السيرة الذاتية أيضاً (انظر Tymoczko, 2014, 181-192). وبعيداً عن صحة المرجعية التاريخية للفكرة، هناك الكثير من المؤشرات الموضوعية التي تُنبئ بحدود

نجاعة هذا الطرح وفائدته بالنسبة لنظرية الترجمة. فافتراض أنَّ الترجمة هي تلك المنطقة الرمادية التي يلتقي فيها الأصل والصورة والتي تختزل دور المترجم في دور المتفرج أو الشاهد على الأحداث دون أن يكون له أي تأثير حقيقي فيها، وهو ما تذهب إليه شيري سايمن، أو الزعم بأنَّها فراغ يقع فيه المعنى إبان انتقاله من نظام لغوي إلى نظام لغوي آخر كما هو الحال عند سبيفاك، هي كلها أفكار قابلة للنقد ويمكن إيجاد بعض العلل فيها. إذ يمكن القول بأنَّ هذه الأفكار التي تستند نظرياً على بعض المبادئ ما بعد البنيوية، مثل فكرة الفضاء البيني المستمدة من أحد هذه المبادئ والمتعلقة بفهم الظواهر على أنها سلسلة من الحالات تتموضع بين حالتين قصويتين، ولا يجوز قصرها على قطبيها المتناقضين، قد تكون تجاهلت بعض التفاصيل المهمة عن واقع الترجمة وطبيعة مهمة المترجم. فقد استفادت نظرية الترجمة كثيراً من ثورة ما بعد البنيوية على فكرة النص الأصلي والمعنى الثابت، لكنَّ هذا لا يمنع بالمقابل اعتبار أنَّ فكرة الفضاء البيني أقلَّ فائدة. فاللغات ما هي إلا أنظمة تعمل داخل أنظمة أشمل تضمُّ المترجم على اعتباره فرداً وأيضاً جزءاً من النظام الثقافي، وعمل المترجم يكون مرتبطاً إما بنظام اللغة الأصلية أو المستقبلية أو نظام يشمل كليتهما، وهو ما ينفي فكرة عمل المترجم في مكان ما بين اللغتين. بقليل من التمعُّن، نجد أنَّ الإصرار على فهم الترجمة بوصفها فضاءً بينياً هو خطوة إلى الوراء ولا يختلف كثيراً عن فكرة فصل المعنى عن الحرف لأفلاطون. وتخلص تيموكسكو إلى ضرورة الحذر من شكل الخطاب هذا وتبعاته السلبية على نظرية الترجمة أولاً لأنه يقوم على أفكار تخص فقط بعض اللغات والثقافات الأوروبية ولا تنطبق على غيرها، وثانياً لأنَّ عمل المترجم لا يمكن بحال من الأحوال فصله عن محيطه الاجتماعي والثقافي، وهو ما يجعل فكرة الفضاء البيني مثاليةً بعض الشيء كما يُرْسَخ فكرة المترجم على أنَّه شخص مهمش في ثقافته وغير منتمٍ كلياً لأي ثقافة، وهو ما ينفية الواقع (انظر Tymoczko, 2014, 192-201).

ببساطة، الترجمة موجودة في قلب النظام الثقافي وليس في أيِّ مكان خارجه. ومحاولة الثورة على النفوذ الثقافي للغات الأوروبية من خلال عزل المترجم عن محيطه قد يكون له نتيجة عكسية، كما أنَّه يحُدُّ من

دوره بوصفه عنصراً فاعلاً يمكنه أن يُحدث الفارق ويكون سبباً في التغيير. إنّ محاولة الثورة على خطاب الترجمة السائد، جعلت الباحثين في سعي دائم لتشريح ظاهرة الترجمة اعتماداً على ما استجد من معارف في مختلف العلوم الإنسانية، الأمر الذي نتج عنه تلوّن وتنوع في المواضيع المطروحة، لكنّ هذا لا يضمن بالضرورة أنّ هذا البديل هو الأفضل أو أنّه خالٍ من العيوب.

ودائماً في إطار إشكاليات خطاب الترجمة، يلاحظ غينتسلر وتيموكسكو (2002م) أنّ منظري الترجمة في معرض نقاشهم حول موضوع الهيمنة، في بدايات المنعطف الثقافي خاصة، كانوا يميلون إلى تفسير خيارات المترجم على أحد احتمالين لا ثالث لهما، فهو إما مُدجّن يعمل على طمس خصائص النصّ آلياً وبشكل متعمد وإما مُغربّ يقف في وجه الخطاب السائد بتعمّد إدخال الغريب إلى نصه وثقافته. وهو اتجاه متعصب إلى حد ما في قراءة الواقع يحاكي الاستقطاب السياسي الذي تلا الحرب العالمية الثانية والذي قسم العالم إلى شرق وغرب، أحرار ومستعبدين، وطغاة وثائرين. لكنّ الترجمة، وإن كانت ساحة لصراع الخطابات المختلفة والمتناقضة أحياناً، غالباً ما تعمل على التفاوض وتحقيق توازن معين بين التيارات المتباعدة، فهي متواجدة أكثر في المنطقة الرمادية وليست بيضاء أو سوداء كما يحلو للمنظرين أن يصنفوها. إن فكرة الهيمنة معقدة للغاية ولا يمكن بأي حال اختزالها في الحكم على المترجم بالانتماء لأحد معسكرين لأنه ببساطة ينتمي لكليهما. فصحيح أن للمترجم سلطة النيابة عن شخص أو مجموعة والحديث على لسانهم، لكنّ هذه السلطة ليست مطلقة بل محكومة بضوابط أخلاقية. وما يزيد الوضع تعقيداً هو أنّ الحكم على أيّ الأطراف تخدمه الترجمة أكثر مرهون بالزاوية التي ننظر منها للأمر وهو ما يجعل الحكم دائماً نسبي ويسهل الاعتراض عليه. إضافة إلى كلّ هذا يجب الأخذ بعين الاعتبار أنّ الترجمة أيضاً خطاب، صحيح أنّه قائم بالأساس على مجموع الخطابات الموجودة في النصّ الأصلي، لكنّ هذه الخطابات رهينة خيارات المترجم وآرائه، وهو من سيُحدد درجة قربها من أو بعدها عن خطابات النصّ الأصلي. وعلى هذا الأساس لا يمكن حصر الترجمة في أفعال ومفاهيم واضحة بارزة

المعالم والحدود لأن هذه المقاربة غير واقعية. فالترجمة تُسهم، مثل غيرها من أشكال الكتابة، في تشكيل المعرفة والثقافة، ومن الطبيعي أن تتخذ عمداً طابعاً انتقائياً، وأن تقترح بُناها وتصوراتها الخاصة وحتى أن تتجاهل الحقائق أو تُزيّفها بما تراه ملائماً وما تعتقده صواباً (انظر، Tymoczko and Gentzler, 2002, xviii-xxi). وينطلق موقف المنظرين هذا من قناعتهم بأن الصراع والصدام بين الثقافة المنقول منها وتلك المنقول إليها لا يمكن تجنبه، لكن أدواته قد لا تكون بالضرورة واضحة جلية كما يصر البعض على رؤيتها.

وهناك من المفكرين من يعتقد بأن انفراط عقد التواصل بين العاملين في الترجمة ومُنظريها خلق نوعاً من القصور في خطاب الترجمة، فمن البديهي أن تقوم الفكرة أو النظرية على أساس التجارب الفعلية للأشخاص. بيد أنه في حقل الترجمة، كثيراً ما تُنعت مساهمات الممارسين للترجمة بالمفرطة في الذاتية، وبالتالي غير صالحة للخطاب الأكاديمي. بالمقابل هناك اعتقاد سائد لدى ذات الممارسين أن لا فائدة حقيقية تُرجى من نظريات الترجمة التي تؤمن بقدرتها على توجيه المترجمين إلى أنجع أساليب الترجمة، متجاهلة خبراتهم وتراكم تجاربهم. وقد يكون أحد أسباب هذه القطيعة هو صعوبة تطبيق أو "ترجمة" ما توصلت إليه النظريات على أرض الواقع، والنظريات في حد ذاتها تتغير وتتأثر بغيرها وبالنتائج العملية لتطبيقها (7, 2007, P and Littau. K, Kuhiwczak). وهو ما يفسر ربما النقد اللاذع الذي طال أهم نظريات الترجمة المعاصرة على يد دوغلاس روبينسون في كتابه *What is Translation* ("ما هي الترجمة"، 1997م). إذ يطرح المفكر عديد التساؤلات حول أهم ما جاءت به هذه النظريات دون اعتماد خطاب نُخبوي، وهو ما يجعل كتابه متاحاً لشريحة أوسع من القراء. فعلى دسامة المادة العلمية المقدمة، تُعدّ تجربة الكاتب العملية محركاً أساسياً للكثير من النقد الموجه لهذه الفكرة أو تلك (Gentzler, 1997, xiv-xv). ويُقسّم روبينسون المقاربات النظرية في الترجمة إلى نوعين: المنهجية (systemic) والسردية (anecdotal)، وكلاهما ينظر للترجمة من زوايته الخاصة ووفقاً لمرجعياته الفكرية.

فأما النوع الأول فيخص المقاربات العلمية التي تحاول الوصول إلى نتائج عامة حول الترجمة سواء تعلق الأمر بالمكان (مناطق مختلفة حول العالم) أو الزمان (حقبات تاريخية متباينة)، ويتميز خطابها بالتجريد المفرط. في حين يهتم النوع الثاني بالتجارب الشخصية للأفراد ويعمل على إبراز تلك الجوانب من الترجمة التي يُهملها غالباً النوع الأول. ومن البديهي أن يكون هناك نوع من التوتر والاحتكاك بين المدرستين (المرجع السابق، xxii). ولم يسلم أيٌّ منها من عين روبنسون الناقدة، وفيما يلي مثالين اثنين عن نقد المدارس الفكرية للترجمة، الأول يخص نظريات النُسق، لوفوفير على وجه التحديد، والثاني يتعلق بالمدرسة التغريبية ممثلة في لورانس فينوتي. فما يمكن استخلاصه على هذا المستوى هو أن كلَّ المدارس الفكرية أثّرت ميدان الترجمة وساهمت في اتساعه لكن هذا لا يمنع وجود بعض العيوب في منهجها أو خطابها.

يرى روبنسون أن الخطاب الكلاسيكي، "المركزي"، للترجمة نادراً ما عبّر عنه بوصفه مترجماً مُمارساً للمهنة، وهو ما جعله يتوسم خيراً في الخطاب البديل، "اللامركزي"، الذي جاءت به نظريات الترجمة المعاصرة خاصة تلك المنصوية تحت لواء الدراسات الثقافية. لكنه سرعان ما تفتّن إلى أن خطاب الأخيرة، وأثناء محاولته الثورة على تعسف الثقافة المهيمنة، خلق نوعاً آخر من التعسف في الاتجاه المعاكس. فبالنسبة للمفكر هناك عدّة إشكالات يمكن رصدتها في نظرية النُسق ومفهوم إعادة الكتابة عند لوفوفير أهمها اكتفاؤه بوصف الظواهر دون اتخاذ موقف منها، أو التزامه الحياد، حياد بطعم الانتصار للمركزية الأوروبية، يقول روبنسون. فالإطار النظري الذي ينتمي إليه لوفوفير يملّي عليه سلوكاً معيناً يمكن اختصاره في الموضوعية العلمية والابتعاد قدر الإمكان عن الانطباعات الشخصية، أي أن "النظام" يضع على المفكر أيضاً قيوداً ويجبره على التحرك (أو التفكير) ضمن نطاق معين لا يُسمح بتجاوزه. إضافةً إلى ذلك يبدو مشروعا طرح تساؤلات حول مفهوم "النظام"، والذي تقوم عليه النظرية، ومدى واقعية ثباته واستقراره وحدوده التي يفترضها المُنظّر، والحال أنه يُفسر ظواهر في تغيرٍ وحركةٍ

دائمين، يصعب معها وضع نقطة بداية أو نهاية لها. فالنظام يجب أن يُفهم على أنه أداة تساعد على فهم الواقع دون أن يكون لها وجود فعلي فيه. كما وأنَّ اعتبار المترجم جزء من نظام الثقافة المستقبلية حصراً (لأنَّ نظريات النظم المتعددة تنتظر للترجمة على أنَّها شأن يخص الثقافة المستقبلية فقط) هو أمر ليس محط إجماع لدى منظري الترجمة (انظر المرجع السابق، 28-36). وليس روبنسون الوحيد الذي نقد فكرة ثبات النظام التي تقوم عليها نظريات النسق المختلفة، فقد سبق التطرق لنقد مشابه وجهه غينتسلر لطرح إيفن زوهار.

إنَّ إخضاع نظرية النسق، بوصفها نظاماً، لتحليل مماثل للكيفية التي حلَّ بها لوفوفير النظام الأدبي يسمح بالوصول إلى بعض النتائج التي قد تستحق التأمل. يرى روبنسون أنَّ اعتماد لوفوفير على خطاب علمي أكاديمي محايد يجعل تحديد انتمائه الإيديولوجي أمراً صعباً، عكس التغريبيين أو ما بعد الاستعماريين الذين لا يجدون حرجاً في التعبير عن قناعاتهم وآراءهم الخاصة، ومع ذلك يقترح تصنيفه في مكان ما بين فينوتي ونايدا، فهو أكثر تحفظاً مقارنة بالأول وأكثر تفتحاً إذا ما قورن بالآخر. لكن تبني منظري مدرسة النظم للخطاب الأكاديمي المتوازن وإصرارهم على أنَّ آراء المفكرين الشخصية لا مكان لها في دائرة البحث العلمي قد يُبرر التساؤل حول "رعاة" (مفهوم مرتبط بنظرية لوفوفير) هذه المدرسة، هيئات علمية تفرض شكلاً محدداً من الخطاب وبالتالي الفكر، أي أنَّ الإيديولوجيا قد تكون الدافع وراء الحياد الظاهر. ويرى روبنسون أنَّ فكرة النظام المتجذرة في الفكر الغربي، وليس في نظرية لوفوفير فحسب، قد تكون لها مخاطرها نظراً لطابعها الإقصائي. أولاً، لأنَّ الفكر لا يُؤخذ بعين الاعتبار إلا إذا كان ضمن نظام معين وثانياً لتقييدها إرادة الفرد، الذي يجد نفسه مجبراً على التفكير وفق تيار معين بتأثير من الخطاب/النظام السائد بترويجها لفكرة التعميم (انظر المرجع السابق، ص 37-42). فما يحاول روبنسون التنبيه إليه هو أنَّ الأفكار أشبه بالدواء، تفيد عند استعمالها للداء الصحيح وبالجرعة المناسبة. فلا أحد يمكنه أن يُنكر الخطوات المهمة التي خطتها نظرية الترجمة بفضل مدرسة النظم

المتعددة، لكنّ هذا لا يعني بالتأكيد أنّها وحدها قادرة على تفسير ظاهرة شديدة التعقيد مثل الترجمة. فقد تكون مفيدة لفهم بعض الجوانب دون أن تكون حلاً سحرياً لكل المعضلات.

أما فيما يخص المدرسة التغريبية في الترجمة والتي سبق شرح خطوطها العريضة أعلاه، فقد دفعت روبنسون إلى طرح تساؤلات من نوع مختلف. مثلاً لماذا يحثُ فينوتي على استعمال أساليب التغريب في الترجمة الأدبية دون غيرها من النصوص بغية إبراز الآخر/المختلف، أليس هذا شكلاً من أشكال الإقصاء، ألا يوحي هذا ضمناً بأنّ الثقافة مكانها النص الأدبي حصراً؟ علاوة على هذا، تخبر صفحات التاريخ بأنّ التغريب كان غالباً مرادفاً للنخبوية، فهو أسلوب يفرض على القارئ صعوبات قد تمنعه أصلاً من تلقي النص، وفينوتي على وعي تام بهذه الحقيقة لكنه مع ذلك يجده الأسلوب الأنسب لعكس الأثر المدمر للتوطين في الترجمة على التنوع الثقافي. ثم إنّ أسلوب فينوتي في الكتابة الأكاديمية الذي تميّزه الفصاحة والسلاسة يبدو مناقضاً لرؤيته التغريبية، فاللغة التي يكتب بها تختلف كلياً عن تلك التي يدعو المترجم لاعتمادها، طبعاً يختلف السياق، لكن هل يكفي لتبرير ازدواجية الخطاب هذه؟ فتقديم الحجج حول ضرورة تحول المترجم للتغريبية لمقاومة هيمنة خطاب اللغة الإنجليزية في لغة إنجليزية مثالية قد يثير بعض الشكوك حول مدى التزام المنظر بهذه الأفكار أو ربما أيضاً حول كم السيطرة الذي هو على استعداد للتنازل عنه. كما يلفت روبنسون إلى نقطة أخرى لا تقل أهمية وهي أنّ سلاسة النص يحكم عليها القارئ، وبما أنّ القارئ ليس واحداً فحتماً سنكون أمام أحكام مختلفة، أي أنّ الحكم على طبيعة اللغة في النص يبقى أمراً نسبياً، فما يكون سهلاً مستساغاً عند قارئ ما، قد يجده قارئ آخر صعب وغامض (انظر المرجع السابق، 97-111). تختلف عيوب نظرية فينوتي عن سابقتها من وجهة نظر روبنسون، لكنّ هذه القراءة النقدية تشير لأمر مهم وهو مدى قدرة هؤلاء الباحثين على الوقوف الفعلي في وجه الخطاب السائد، فطرحهم النظري مفهوم لا لبس فيه، لكنّه مع ذلك يوحي بأنّ الالتزام بهذه المبادئ وتطبيقها على أرض الواقع يبقى نسبياً.

وقد تختلف الاتجاهات والمدارس، لكن يُجمع باحثون كثر، على غرار باسنيث وبايكر وغيرهم، أنَّ عدم تمتع ثقافات العالم بنفس القدر من الحظوظ والانتشار يدفع الأفراد المتواجدين وسط صراع ثقافي متشابك من أجل السيادة إلى إعادة النظر في علاقتهم بمختلف القوى من أجل الاستمرار والبقاء. وفي مثل هذا العالم يحتاج المترجم لا شك لخلق عباءة الحياد وإعلان انحيازه لهذا الطرف أو ذاك لأسباب قد تكون سياسية، أخلاقية، فكرية، والقائمة تطول. يمكن إعطاء بعض الأمثلة عن مفكرين لم يجدوا حرجاً من التأكيد على أنَّ انتماءاتهم الإيديولوجية طبعت مقاربتهم لموضوع الترجمة. فينوتي مثلاً يرى أنَّ الوقوف في وجه امبريالية اللغة الإنجليزية يمر حتماً عبر تبني المترجم لأسلوب التغريب في الترجمة. أسلوب يهدد عرش اللغة المسيطرة ويُخرج القارئ من منطقة راحتته (Katan, 2009, 87-88). كما قامت الدنيا ولم تقعد في بريطانيا بعد قرار منى بايكر تطبيق ما أسمته بالمقاطعة الأكاديمية للباحثين الإسرائيليين لأسباب سياسية، وأوضحت بايكر أنَّ موقفها يُعبر عن إدانتها للممارسات والسياسة الإسرائيلية المدعومة من الولايات المتحدة، وأنَّ الأفعال يجب أن يُردَّ عليها بالأفعال (حسن، 2018م). وعلى الرغم من هامشية موضوع الترجمة في المشهد الثقافي العام إلا أنَّ موقف بايكر لاقى هجوماً واسعاً ونقداً لاذعاً من طرف بعض زملائها في الميدان، غالباً لأنَّ الجزء الأهم في القصة هو أمريكا وإسرائيل وليس الترجمة. وأيضاً المقاربة النسوية في الترجمة حاولت وقف مدِّ الخطاب الذكوري من خلال ترجمة تُوظف خطاباً معاكساً لكنّها في الوقت نفسه لا تقل تشدداً عنه. وما هذا إلا فيض من غيظ، لكن المجال لا يتسع لسرد جميع الأمثلة. ولعلَّ الإشكال الأكبر في مسألة عدم حياد المترجم هو أنَّ الحدود الأخلاقية الواجب الوقوف عندها غير واضحة، ناهيك على أنَّ ما هو أخلاقي في حدِّ ذاته يبقى أمرٌ نسبي وثقافي".

3.4.1. الترجمة بوصفها إعادة كتابة

سنحاول في هذا القسم تناول موضوع الترجمة من حيث كونها إعادة كتابة عند لوفوفير. ويتقاطع هذا الطرح في الكثير من تفاصيله مع نظرية النُسق المتعددة، إذ أنه هو الآخر يتبنى فكرة النظام وكيفية عمل النصوص في إطاره. ويوجز مانداي (2016م) فكرة النظرية ببساطة في الدور المحوري الذي يلعبه الأشخاص والمؤسسات في ترسيخ اتجاه فكري معين أو ملمح لغوي جمالي وذلك اعتماداً على النصوص المُعاد كتابتها (Rewrites/Rewriting). فإعادة الكتابة لها دائماً دوافع إيديولوجية، واستعمالها للغة لا يخلو من "التلاعب" بالألفاظ والتراكيب بغرض خدمة تيار فكري أو أدبي ما. والترجمة من هذا المنظور جزء من منظومة فيكون تأثيرها مقيداً بالعوامل التي تحكم المنظومة وكيفية تفاعلها مع أشكال أخرى من النصوص المُعاد كتابتها (Munday, 2016, 199). ويعتبر لوفوفير من أوائل المنظرين الذين دعوا إلى وضع الترجمة في سياقها التاريخي والسياسي للخروج بفهم حقيقي وجاد للظاهرة.

ويُلاحظ لوفوفير (1985م) أنَّ:

"Rewriting, then, in all its forms, can be seen as a weapon in the struggle for supremacy between various ideologies, various poetics. It should be analysed and studied that way." (Lefevere, 1985, 234)

"يمكن النظر لإعادة الكتابة بكل أشكالها على أنها سلاح يمكن استعماله في صراع الريادة بين الإيديولوجيات والشعريات المختلفة. وعليه يجب أن تحلل الترجمات وتُدرس من هذا المنطلق." (ترجمتنا)

وتلخص هذه العبارة من المقال المُعنون بـ Why Waste our Time on Rewrites ("لما هدر الوقت على ما هو مُعاد كتابته") إحدى أهم النقاط التي تناولها منظرو مدرسة التلاعب أولاً والمقاربات الثقافية فيما بعد، ألا وهي البعد السياسي والأدبي لكتابة وإعادة كتابة النصوص. إذ يرى الباحث أنه أن الأوان لنظرية الأدب أن تتخلص من هيمنة التأويل أو النقد، والذي بنظرة الخبير المتفحص يمارس نوعاً من الدكتاتورية الفكرية، تكون أهم أدواتها فرض أدبيات أو شعرية لغة ما على أنها مقياس للجمال والإبداع وهو مرتبط مباشرة بالأداة الثانية ألا وهي تقديس المعيارية. فتكون النصوص التي تحترم الأدبيات

والمعايير أدباً راقياً وما سواها أدباً أقل رُقي. ويكمن خطر هذا الطرح في قدرته على تشكيل الوعي بالتشجيع على ميول فكرية وثقافية بعينها أو شيطنة ما لا يوافق هواه، إضافةً إلى التأثير على الذوق العام للقراء. وترافق هذه العوامل النص منذ نشأته، وهي أيضاً حاضرة في كلّ النصوص التي تُكتب بعد ذلك (Rewritings) بإيعاز مباشر أو غير مباشر من النص الأول ومن أمثلتها الترجمة، النقد الأدبي، نصوص المناهج التعليمية، النصوص التاريخية، منتخبات الأدب وغيرها. وكل هذه النصوص يجب النظر إليها على أنها نتاج السياق التاريخي والسياسي الذي رأت فيه النور، لا على أنها محض إبداع أو دراسة علمية موضوعية. فمثلاً تُمكن دراسة النص المُترجم، بعيداً عن مقارنته بالنص الأصلي، على اعتباره نصاً جديداً كُتب في اللغة الهدف في زمان ما ومكان ما، من فهم أدق لبعض الخيارات الترجمة (انظر Lefevere, 1985, 217-219). فهناك إذاً ضرورة ملحّة من وجهة النظر هاته إلى إعادة التفكير في مختلف أشكال إعادة الكتابة ودورها في تطور النص الأصلي من ناحية ثقافية بحثية، يُفهم فيها جزء كبير من هذه النصوص بالتمعن في السياق التاريخي والأدبي.

وربما يكون لوفوفير هو أول من اقترح استعمال مصطلح "إعادة الكتابة" بالمعنى الذي جاء فيما سبق ولكنه قطعاً ليس الوحيد. فالكثير من المنظرين في حقل الترجمة استعمل ذات المصطلح للتعبير عن أفكار تشبه تلك التي يطرحها لوفوفير، لكن بشكل مختلف يتناسب مع المنظور الذي تتم من خلاله الدراسة. عموماً اهتمت مختلف المقاربات الثقافية للترجمة بهذه الفكرة فنجدتها في المقاربة النسوية ضمن ما يُسمى بـ "مشروع الترجمة" و"الترجمة التدخلية"، وفي المقاربة ما بعد الاستعمارية من خلال خطاب الترجمة ودوره في إعادة كتابة الشرق؛ دوافعه، والصورة المُختزلة الناجمة عنه وأثره على الطريقة التي يتم بها تلقي الاختلاف، ومؤخراً في دراسات ما بعد الترجمة (Post-Translation Studies, 2017). بحيث يستعمل غينتسler المصطلح للتعبير عن أشكال مختلفة من الترجمة المتطرفة التي في الغالب يحمل أصحابها مشاريع فكرية هي المحرك وراء نوع الترجمة المعتمدة، وبالنسبة للباحثين تكون هذه النوعية من

النصوص أكثر إخبارية وفائدة من النصوص العادية لأنها تُحاول نقل رسالة واضحة، ناهيك على أنّ "التطرف" في الترجمة هو أمر لا يمكن تجنبه، لكنّه يزيد وينقص باختلاف النصوص واختلاف مشاريع أصحابها (Gentzler, 2017, 7). أي أنّ فكرة إعادة الكتابة حاضرة ضمناً في عدد غير قليل من خطابات الترجمة، لكنّ الاهتمام بتسليط الضوء عليها عند لوفوفير بالذات يعود للعرض المفصل للمفهوم الذي توفره كتاباته.

يعتبر لوفوفير التأويل مفهوم محوري، ويعني اقتراح قراءة للنص من ضمن عدّة قراءات ممكنة. والفكرة على جاذبيتها قد تكون خطيرة حين يتعلق الأمر مثلاً بقراءة ناقد أدبي، ففي هذه الحالة، وبإيعاز من المؤسسات الأدبية المتحكمة في المشهد الأدبي تُفرض هذه القراءة بالقوة. مع أنّها في الحقيقة واحدة من عدّة قراءات مقبولة، ولا شيء باستثناء طبيعة المحيط الذي تظهر فيه هو ما يكفل لها البروز والتأثير، وهو ما يعبر عنه لوفوفير بقوله أنّ "التأويل، وهو قراءة للعمل الأدبي بغرض الكتابة عنه أحياناً أو إعادة كتابته إلى حد معين أحياناً أخرى، لم يكن يوماً نتاج دراسة ومعرفة جادة فحسب، فطالما كانت هذه الدراسة والمعرفة الجادة في خدمة شيء آخر" (ترجمتتا 217, 1985, Lefevere). ومن أمثلة ذلك الطرق المختلفة لتأويل النصوص وفق المذاهب الأدبية المعروفة، ويعتمد تقييم النصوص فيها على مدى استجابة النصوص لمعايير متفق عليها ضمناً، وعادة ما تكون هذه القراءات وقتية، صالحة في ظرف زمني ومكاني بعينه (المرجع نفسه، ص 217). وتلاحظ تيموكسكو (1995م) أنّ النص لا يجب أن يُختزل في هيئته الأولى التي ظهر عليها، إذ عادة ما تنتج عنه نصوص تخدمه بأشكال مختلفة وتعطيه نفساً جديداً وربما حتى وظيفة مغايرة. ومن أمثلة هذه النصوص الاقتباس، النقد، وبالتأكيد الترجمة، وكلّها من ضروب إعادة الكتابة التي يكون لها أثر مباشر على الاتجاهات الفكرية والأدبية التي تُنتج فيها (Tymoczko, 1995, 12).

في واقع الحال يكون لعوامل مثل الإيديولوجيا والقناعات والمعايير الأثر الكبير في الشكل النهائي للنص الأصلي وكل النصوص المنبثقة عنه، وهذا أمر مفهوم، فمن الطبيعي أن تتلون النصوص بالدارج من الأفكار والقناعات في هذه الثقافة أو تلك. لكن المشكلة من وجهة نظر لوفوفير تكمن في ادّعاء الموضوعية ومحاولة إيهام القارئ أن بواث علمية وأدبية بحثه أدت إلى خروج هذا العمل أو ذاك إلى النور في هذا الثوب تحديداً دون سواه، ومثال ذلك نصوص النقد الأدبي التي لا غبار على انخراط أصحابها ضمن منظومة ثقافية لها مرجعيتها وأهدافها، وإصرارهم مع ذلك على الظهور بمظهر الناقد الموضوعي. بعبارة أخرى، حتى يكون النقد الأدبي مقنعا للمختصين وغير المختصين المهتمين بالأدب وجب عليه في الظاهر ارتداء ثوب الموضوعية التي يُشترط وجودها في أي دراسة علمية، وفي الباطن جاز له بأي أسلوب شاء أن يُسوق لإيديولوجيته ومرجعياته الأدبية والفكرية (Lefevere, 1985, 218-9).

انطلاقاً من هذا التحليل لماهية النقد باعتباره شكلاً من أشكال التأويل، ومكانته المحورية في دراسة الأدب، الذي يخضع لمفردات العصر الذي يرى فيه النور، يدعو لوفوفير إلى اعتبار النقد "محاولة للتأثير على تطور أدب ما باتجاه معين، ويصادف أن يتوافق هذا الاتجاه مع إيديولوجية وأدبيات المذهب النقدي المسيطر في حقبة معينة. وبهدف ترسيخ أيديولوجية أو أدبيات بعينها لن يجد الناقد حرجاً في إعادة كتابة التاريخ بما يتوافق مع رؤيته ولن يدّخر جهداً لحمل القارئ على تلقي النص من منظور معين" (ترجمتنا، المرجع نفسه، ص 218-219). إنّ إعادة النظر في طبيعة النصوص المعاد كتابتها وإنزال النصوص الأصلية من مكانة القداسة التي ليس لها مبرراتها المنطقية مكنّ المفكر من سبر أغوار النصوص المترجمة من منظور مختلف كلياً.

إنّ مقارنة الدراسات الأدبية بشكل فعّال وأكثر فائدة قد يكون من خلال التحرر من هيمنة النقد الأدبي ووضع النص الأدبي وما أُعيد كتابته نتيجة له تحت مجهر الباحث، وبالتالي الانتباه أكثر للدور الذي قد تلعبه مختلف النصوص التي يكون أهم أسباب وجودها هو ارتباطها بشكلٍ من الأشكال بالنص

الأدبي أو "النص الأول". فمحاولة فهم تطور الأدب من منظور اجتماعي وثقافي أكثر واقعية قد يسمح بقراءات جُذ مختلفة للنصوص ويُفسر بشكل أفضل كيف أثّرت نصوص بعينها في تطور الأدب، وما طبيعة العوامل، بعيداً عن إبداع الكاتب، التي قد تدفع النص نحو دائرة الضوء أو تُزج به إلى غياهب النسيان. ويؤكد لوفوفير في هذا الصدد على ضرورة التعامل مع النص بمختلف تجلياته، من كتابة وإعادة كتابة (من أشكال إعادة كتابة النص النقد الأدبي، الاقتباس، والترجمة) على أنه ليس فقط نتاج دراسة وإبداع، بل يكون للسياق الذي أنتج فيه دور محوري في شكله النهائي. وتحت مظلة مصطلح السياق يمكن الحديث عن مفاهيم مثل الإيديولوجية، الأدبيات المسيطرة، قوة البرهان، ميول الكاتب وغيرها. وبالنسبة للمفكر تساعد فكرة النظم على الوصول لنتائج منطقية وواقعية في آن. فمحاولة فهم الأدب في نطاق مجموع العوائق التي قد تُواجه كاتب النص الأول أو كُتاب النصوص الناجمة عنه أو القراء، وردود أفعالهم تجاهها، واختياراتهم الناجمة عنها، تسمح بتحليل متسق وعميق وتصل إلى إجابات أكثر عملية يمكن الاعتماد عليها للوصول إلى إطار نظري يفسر النص الأدبي بوصفه ظاهرة اجتماعية ويخرجه من عباءة الطرح الأوروبي القائم على التأويل والذي كثيراً ما أغفل، بقصد أو عن غير قصد، هذا الجانب من المعنى. وتُسهم دراسة الأدب في إطار فكرة النسق أو النظام في فهم أفضل لظاهرة شديدة التعقيد وهي الكتابة والقراءة وإعادة الكتابة في الأدب. والنظام الذي يريده لوفوفير هو وحدة تتفاعل فيها مجموعة من العناصر المترابطة والتي تشترك في بعض الخصائص التي تميزها عن عناصر أخرى يُنظر إليها على أنها لا تنتمي للنظام. يُؤثر النظام في محيطه ويتأثر به وهو ما يجعله نظاماً ديناميكياً غير جامد (انظر المرجع السابق، ص 223-225). لقد حاول لوفوفير من خلال هذا الاتجاه الفكري أن ينقل البحث في الترجمة من النص إلى ما حول النص، ومن اللساني الصرف إلى اللساني الثقافي المتفاعل في محيطه، وكان لهذا التحول أثره الواضح على نظرية الترجمة.

يُعتبر الأدب أحد الأنظمة الفرعية التي تقوم عليها الثقافة باعتبارها النظام الأشمل. ويفرق لوفوفير بين نوعين من العوامل التي تؤثر على النظام وتُحدد توجُّهه، النوع الأول داخلي مُتعلق بالنظام الأدبي في حدِّ ذاته وهو الشعرية، أما النوع الثاني من العوامل فخارجي ويرتبط أكثر بالنظام الأشمل، المجتمع أو الثقافة، وكيفية تفاعله مع الأدب الذي هو أحد مكوناته، ويسميه لوفوفير الرعاية (Patronage). وتتعلق الشعرية بمواصفات النص الفنية ومقروئيته وغالباً ما يتحكم بها النقد الأدبي، فيرفع بعض النصوص إلى مصاف العبقرية والإبداع المطلق ويُنزل البعض الآخر منزلة العادي وما لا يستحق التوقف عنده. ولهذا التصنيف تداعياته، إذ يميل الكُتَّاب إلى اتباع النمط المقبول نقدياً مما قد يضر بالتجارب الأدبية التي فيها نوع من الجرأة. وما يجري على النص يجري على إعادة الكتابة، فالترجمة مثلاً ستخضع بالتأكيد لأدبيات الثقافة التي تُترجم إليها وتُكيّف النص وفقاً لذلك، أي أنّ القصور الذي قد نجده في بعض الترجمات من ناحية إغفالها جانباً ثقافياً أو جمالياً في النص لا يجب رده دائماً إلى عجز اللغة المستهدفة عن التعبير عنه، فكثيراً ما يكون القرار متعلقاً بالمعايير والإيديولوجية لا باللغة. بالنسبة للترجمة قد يرتبط هذا المفهوم بتصور مُسبق عن وظيفتها في الأدب الهدف وكذا نوعية النصوص التي يقع عليها الاختيار للترجمة دون سواها، فيُصبح الاختيار، ومن اختار، ولماذا عوامل لا تقل أهمية عن المعايير الجمالية، بل قد تزيد إذا ما أخذ بعين الاعتبار تأثيرها المباشر على التوجُّه العام، الذوق، والفكر. وتأثير المعيارية قد يكون في بعض الأحيان صادماً (المرجع السابق، ص 226-227)، وهو ما يعكس قدرة الخطاب السائد على تقرير مصير النصوص لدرجة تغليب السيء على الجيد، مع ضرورة الانتباه إلى أنّ ما يُنعت بالسيء كان من منظور المرحلة جيداً.

أما النوع الثاني من العوامل فهو متعلّق بالمحيط الذي تُنتج فيه النصوص وكيفية عملها، ويخص القوى التي تتحكم في عملية إنتاج ونشر النصوص. وتكون سياسية واقتصادية واجتماعية يتحكم بها فرد واحد (أو هيئة واحدة) أو مجموعة من الأفراد (مجموعة من الهيئات). ولهذه القوى القدرة على الترويج

لفكر معين من خلال تكثيف النشر حوله، كما أنّها هي من يُرسّخ أهمية بعض النصوص على حساب أخرى من خلال إدراجها في مناهج التدريس أو ترجمتها للغات مختلفة (انظر المرجع السابق، ص 227-229). ومن أمثلة هذه القوى في هذا العصر دور النشر، الهيئات العلمية والثقافية، الأحزاب السياسية، المؤسسات الإعلامية ومواقع التواصل الاجتماعي. وتلعب كلّها بشكل مباشر أو غير مباشر دوراً في توجيه الذوق العام باتجاه معين، فمثلاً شهدت السنوات الأخيرة إقبال شباب القراء في مختلف أنحاء العالم على روايات الرومانسية السوداء (Dark Romance) بتأثير مباشر من مواقع التواصل الاجتماعي. وفي الترجمة يمكن الإشارة مثلاً إلى نوع الأدب الجزائري المكتوب بالفرنسية أو المترجم إليها الذي تُفضله دور النشر الفرنسية وعلاقته بنوع الصورة "النمطية" التي تحاول الكثير من الدوائر السياسية والفكرية في فرنسا ترسيخها عن الجزائر. فتُختار المواضيع لا لأهميتها عموماً، ولكن لمدى مخاطبتها للقارئ الفرنسي وقدرتها على جذب اهتمامه.

ولهذه المقاربة أثرها الإيجابي على النص المترجم من وجهة نظر لوفوفير. فاعتباره إعادة كتابة في سياق مختلف تماماً عن سياق النص الأصلي يُتيح الفرصة لفهم أفضل لبعض جوانب الترجمة قد لا يتأتى بالاعتماد على مقاربة المعنى أو التأويل. كما أن مقاربة النص المترجم بوصفه جزءاً من النظام الأدبي ومحاولة فهم كيفية ارتباطه بباقي عناصر النظام تكون مفيدة أكثر في فهم طبيعة النظام الأدبي ومدى انغلاقه على نفسه أو انفتاحه على آداب أخرى. ويعمل النص المترجم في وجود العديد من العوائق يُجملها لوفوفير في تلك الناتجة عن واقع أن الترجمة مرتبطة بنص أصلي له لغته وخطابه ومصطلحاته التي تخص نظاماً أدبياً مختلفاً، وتختلف أيضاً أساليب نقلها. بالإضافة إلى عائق شعرية اللغة المُستقبلة والذي هو أوضح في حالة ترجمة الشعر الذي كثيراً ما يُكيّف وفقاً لما هو مألوف (المرجع السابق، ص 235). ويؤدي اختلاف الظروف التي تعمل فيها النصوص المترجمة إلى اختلاف مصائرهما في الثقافة المُستقبلة، فقد يتمكن بعضها من تحقيق النجاح مدفوعاً بإشادة من النقاد أو شعبية بين القراء، وهو

ما يُشجع على ظهور نصوص أخرى بسببها قد يكون منها ترجمات جديدة تحاول "تصحيح" سابقتها. قد تكون الترجمة في بعض الحالات جريئة تقدم لغة أدبية مختلفة، فتكون سبباً في إدخال بعض التجديد على النظام الأدبي، إن كان هناك رد فعل إيجابي وتشجيع من الدوائر النقدية والكتاب. ولا تصل الترجمة الجريئة وحدها لأي مكان إن كان النظام الأدبي مكتفياً بذاته ومنغلقاً عليها وهو حال الثقافات المهيمنة مثلاً. وعليه يكون تأثير النصوص المترجمة على الأدب المستقبلي نسبياً ومرهوناً إلى حد كبير بطبيعة القوى المتحكمة في النظام من نُقاد وسلطة وأفراد والتي قد تراها بعين الرضى حيناً، فتكون بمثابة عامل من عوامل تغيير النظام الأدبي المستقبلي وتطويره، وبعين السخط أحياناً، فتُصبح سبباً في تدهور الأخير وانحطاطه (انظر المرجع السابق، ص 236-237). ويُمكن ربط هذه الفكرة بسهولة بنظرية النظم المتعددة التي سبق التطرق إليها أعلاه، إذ يولي كلا المنظرين أهمية قصوى لفكرة النظام وكيفية عمل النصوص من خلاله ومختلف العوائق الداخلية والخارجية التي تؤثر على شكل النصوص المترجمة ومصيرها.

ويرتبط مفهوم التلاعب في الترجمة بفكرة إعادة الكتابة، بإمكانية إعادة الكتابة هي ما يُتيح فرصة التلاعب، وهو ما يذهب إليه منظرو مدرسة التلاعب في الترجمة. في البداية استعمل المصطلح في إطار "مدرسة التلاعب" والتي تضم مجموعة المفكرين الذين ساهموا في تأليف كتاب *The Manipulation of Literature: Studies in Literary Translation* ("التلاعب في الأدب: دراسات في الترجمة الأدبية"، 1985م)، وهو أمر له مبرراته، فقد تمكن هؤلاء المنظرون من دحض فكرة ثانوية الترجمة وقدموا عدة براهين على كون الترجمة أداة مهمة كثيراً ما تم استعمالها لتوجيه المجتمعات وبالتالي فرض اتجاه فكري معين (Gentzler in Lefevere & Bassnett, 1998, X). ويزعم هرمانز (1985م) أن معظم الدراسات الأدبية ونظرياتها أهملت دور الأدب المترجم في التطور الفكري والرؤية الأدبية عند شعوب العالم المختلفة. فيذهب جل المفكرين إلى ربط هذا التطور بما تنتجه أي ثقافة في لغتها الأصلية

ويُغفلون إلى حد كبير حقيقة أن احتكاك أي ثقافة بغيرها من الثقافات، عبر الترجمة مثلاً، قد يكون له من التأثير ما يتخطى بمراحل تأثير الإنتاج الفكري المحلي (Hermans, 1985/2014, 7). ويهدف هذا الاتجاه عموماً لإعادة النظر في نظريتي الأدب والترجمة على حدّ سواء فيما يتعلق بالمكانة الهامشية للأدب المترجم في الثقافة الهدف من جهة، وفيما يخص تأثير السياق الثقافي على النصوص المترجمة من جهة ثانية. وقد فتح هذا النقاش الطريق لتطور آخر لافت في نظرية الترجمة وهو المنعطف الثقافي. ويعتبر هرمانز أنّ النظرة الدونية للأدب المترجم لها مبرراتها، فالكثير من المفكرين في مجال الأدب يميلون إلى اعتبار مفهومي الإبداع والأصالة وجهان لعملة واحد، فالإبداع غير ممكن خارج إطار اللسان أو اللغة. ونتيجة لهذه المقاربة يُصبح تقييد الأدب بلغته سبباً في فهم جد محدود لمعنى الأدب الوطني أو الأدب كونه أحد مكونات الهوية لأي شعب من الشعوب. ويفرض هذا الاتجاه اعتبار اللغة إحدى تجليات الهوية ويحيطها بنوع من القداسة يصبح معه الحديث عن ترجمة أدب لغة ما شكلاً من أشكال المساس بمقدسات تلك اللغة أو الثقافة (المرجع نفسه، ص7). ويؤدي حرص النقاد الشديد على تصنيف النصوص، ونزعتهم التقييمية في النقد الأدبي، إلى الالتفات عن الأدب المترجم وعدم إيلائه أي اهتمام في مجال الدراسات الأدبية الأكاديمية. فقد يُجمع المنظرين على أنّ أنواع الأدب المختلفة في تنافس مستمر على ريادة المشهد الأدبي وبالتالي التأثير على توجهاته الفكرية، غير أنه، على ما يبدو، لا مكان للأدب المترجم في صراع الريادة هذا (المرجع نفسه، ص8). وعلى المفكرين في هذه الحالة، إن أرادوا الثورة على هذه المفاهيم وإعطاء الأدب المترجم حقّه أن يقدموا طرحاً بديلاً يثبت أن لا مانع حقيقي ينفي صفة الإبداع عن النص المترجم طالما مادته الأساسية هو الآخر هي اللغة. كما يستلزم الأمر إعادة نظر جدية في معايير النقد الأدبي للنصوص وإخراجها من جمودها ومركزيتها الأوروبية.

وفي سياق متصل، يرى هرمانز أن النقد الأدبي لطالما تعامل بنوع من الازدواجية مع الأدب المترجم. فمن جهة لا يمكن تجاهل حقيقة أن الأدب المترجم جزء لا يتجزأ من تكوين أدب أي لغة. ومن

جهة ثانية، يؤدي الإصرار على مقارنة الأدب المترجم بالأدب الأصلي لأي لغة من الناحية الجمالية إلى اعتباره أدباً من الدرجة الثانية يفتقر إلى الإبداع والعبقرية اللذان يميزان النصوص الأصلية (المرجع السابق، ص8). وعليه ففكرة التعامل مع الأدب المترجم بشيء من الجدية تبدو غير منطقية بالنسبة لناقد أدبي يصر على التعامل مع جميع النصوص من منطلق واحد وإخضاعها كلها لمقاييس فنية وجمالية لا تخدم في معظم الأحيان الأدب المترجم. ويستثني هارمانز الأدب المقارن الذي أبدى اهتماماً أكبر بالأدب المترجم، غير أن التركيز غالباً ما يكون على مدى تأثير كاتب أو نص بعينه على أدب ما. وحتى حين يتعلق الأمر بتأثر أدب بأدب آخر من حيث المواضيع والأفكار، لا يُنظر إلى المترجم ونصّه إلا نظرة الوسيط أو همزة الوصل التي تجعل الاتصال بين مختلف آداب العالم أمراً ممكناً. وفي كل الأحوال لم يرقى هذا الاهتمام أبداً إلى التركيز على مجموع النصوص الأدبية المترجمة على أنها صنف من أصناف الأدب وجب التعمق في دراسته ودراسة مدى وكيفية تأثيره على الأدب الذي تُرجم إليه. ويتحمل منظرو الترجمة المسؤولية الأكبر في الطريقة التقليدية التي يتم بها تناول موضوع الترجمة والخضوع لتيار فكري بعينه دون جدال أو طرح بديل. فالإصرار على النظر إلى النص الأصلي على أنه المرجع، واختزال النص المترجم في مجرد نسخة يتم الحكم على جودتها بحسب قربها أو بعدها عن الأصل، يحسم نتيجة النقاش ويجعلها متوقعة وغير ناجعة. ويسهم التركيز في دراسات الترجمة على أسئلة من قبيل: ما هي الترجمة؟ هل الترجمة ممكنة؟ وما هي الترجمة الجيدة؟ على حصر النقاش في ركن ضيق وعدم التشجيع على تناول مختلف لموضوع الترجمة (المرجع نفسه، ص9-10). ومواجهة هذا الواقع تتطلب تغيير طريقة التعامل مع النصوص المترجمة والتركيز عليها بوصفها نصوصاً مستقلة بذاتها.

هذه هي الأجواء التي ميزت السياق العام الذي بدأ فيه منظرو مدرسة التلاعب بطرح أفكارهم ووضع إطار نظري يقارب الترجمة الأدبية بشكل غير تقليدي أواخر سبعينات القرن الماضي. ويولي هؤلاء المنظرون، بحسب هارمانز، أهمية خاصة للترجمة الأدبية ويركزون في دراستهم على النص

المترجم ودوره في الثقافة المُترجم إليها من منظور وصفي وظيفي. كما تعتبر محاولة فهم مختلف العوائق التي تصاحب انتاج وتلقي أي ترجمة، علاقة الترجمة بأنواع أخرى من النصوص المعالجة، وكذا مكانة ودور الترجمات في أدب معين أو حين التفاعل بين الآداب المختلفة من أبرز المواضيع التي نوقشت في إطار هذه المدرسة. ومع التطور الذي شهدته جُل العلوم الإنسانية، برز مفهوم التلاعب، في بُعديه الإيجابي والسلبي، على أنه ركيزة لا يمكن للباحث تجاهلها في مسعاه لفهم ظاهرتي الثقافة والترجمة والنظام المعقد اللتان تعملان من خلاله. فقد أصبح من المعلوم اليوم أن ما كان يُعدّ علمياً موضوعياً لنص أو فكرة، ما هو إلا خليط من تأثير قيم المجتمع التي تُوجه الحكم على ما هو جيد وما هو دون المستوى، ومن تراكم خبرات لدى الفرد توجهه إلى اختيارات معينة (المرجع السابق، ص 10-11).

ومشكلة التلاعب الثقافي، وهو أمر طبيعي وموجود في كل الثقافات، أنه يتخفى جيداً، فلا يمكن رصد إلا اليسير منه نظراً لتداخل عوامل كثيرة في حدوثه، وهو ما يجعل إمكانية ملاحظته والوعي بوجوده ضئيلة.

4.4.1. تجلّي صراع الأنا والآخر في نظرية الترجمة

لم يغيب الصراع والاستقطاب يوماً عن خطاب نظرية الترجمة، واتخذ أشكالاً ومصطلحات متعددة كالانتصار للنص الأصلي مقابل الانتصار للنص المترجم، الحرف مقابل المعنى، التغريب مقابل التوطين، الذكورية مقابل النسوية، وحتماً الأنا مقابل الآخر. وطبعت الثنائية الأخيرة النقاش ما بعد الاستعماري عموماً، لكن يبدو أن طبيعة موضوع الترجمة جعلت المنظرين في هذا الميدان يهتمون، أكثر من غيرهم ربما، بالطريقة التي يتجلّى بها الصراع عبر اللّغة/اللّغات. يندرج هذا الصراع في إطار تاريخي، إذ أن علاقة غير متكافئة لطالما ربطت الشمال المتحضر القوي بالجنوب المتخلف الضعيف. وهذه العلاقة التي امتدت لقرون، ممثلة خاصة في فترة الاستعمار البريطاني والفرنسي، بشكل مادي، همجي، على الأرض، مازالت مستمرة، لكن بمفردات مختلفة وشكل متطور من الاستعمار، قد يُسميه

البعض عولمة، هيمنة اقتصادية، ولا يهم المسمّى بقدر ما تهم الممارسات، والتي لا نراها اختلفت كثيراً عن غطرسة وعلو المستعمر في القرون الماضية.

يربط كل من باسنيث و تريفيدي (1999م) بين نظرة الاستعلاء والتجاهل التي لطالما ميزت الخطاب الأوروبي وحقيقة أن أولى الدعوات لإعادة النظر في الكثير من الأفكار الراسخة في نظرية الترجمة جاءت من منظرين من خارج القارة العجوز. ففي الفترة الاستعمارية كانت الترجمة أحد أهم وسائل التواصل بين أصحاب الأرض والمستعمر لكنها أبدا لم تحمل نفس المعنى ولا ذات المغزى. ففي حين اعتمد عليها المستعمر غالبا للترهيب أو الترغيب حتى يفرض وجوده ويحقق المزيد من الأهداف التوسعية، حاول صاحب الأرض، قليل الحيلة، إبراز اختلافه وحماية نفسه بها. حتى أن الكثير من كتاب أمريكا اللاتينية ربط بين فكرة تبعية المستعمر للمستعمر واعتباره نسخة مشوهة عنه تفتقر للإبداع والكمال وبين رواج فكرة أن الترجمة أقل شأنًا من النص الأصلي شكلا وموضوعا لدرجة تُقَدِّد النصوص الكثير من جمالها وعمقها حين تُترجم (Bassett and Trevi, 1999, 2-3). وترى تيموكسكو (1999م) أن هذا النوع من الخطاب غالبا ما يركز على ما تمت خسارته من معان وجماليات في رحلة الترجمة ويستبعد تماما احتمالية أن الترجمة قد تكون سببا في إثراء النص وتحسينه. فمن منظور مختلف يمكن اعتبار الترجمة سببا في إثراء اللغة الهدف باستخدام الاقتراض مثلاً، وشكلاً من أشكال التوسع الناتج عن التفاعل الثقافي، وهو ما يفسر عدم مطابقة بنية النصوص المترجمة للنماذج المتعارف عليها في اللغة الهدف (Tymoczko, 1999a, 25). ويعيب كثيرون على الخطاب ما بعد الاستعماري في الترجمة جانبه الإيديولوجي المتعصب، وهذا النقد فيه جانب من الصحة، لكنّه كثيراً ما يصدر عن مفكرين لم يذوقوا أبداً مرارة الاستعمار (تيموكسكو 1999، روبنسون 1997)، وبالتالي لا يمكنهم تقدير عمق الضرر الذي لحق الكثير من شعوب العالم إلا بشكل نظري.

ونتيجةً لهذا الماضي المؤلم، ومع انقضاء الحقبة الاستعمارية، يبدو من البديهي أن أولى الأصوات التي تعالت ضد الهيمنة الأوروبية على نظرية الترجمة هي أصوات من المستعمرات السابقة. ولأن الجرح لم يندمل بعد، كثيراً ما اتسمت هذه الأصوات بالراديكالية وأحياناً التعصب سواء تعلق الأمر بإعادة قراءة التاريخ أو بالطرق البديلة التي يمكن اتباعها في الترجمة. حتى أن الأمر وصل أحياناً للدعوة إلى الحد من الترجمة إلى الثقافات المسيطرة أو التوقف نهائياً عن ذلك بحجة أن هذا الفعل يساهم لا محالة في استمرارية الفكر الإمبريالي وترسيخه (انظر 3-5, 1999, Bassenett and Trevidi). ويمكن للجزائريين فهم هذه المواقف لأنهم مثل غيرهم من الشعوب عانوا ويلات الاستعمار ومورست عليهم كل أشكال العنف، ليس اللغوي بأقلها حدة. لكن هذا لا يجعل من المقاطعة الثقافية حلاً مناسباً، أولاً لأنها غير واقعية، وثانياً لأنها لا تغير الواقع الذي تُحاول الثورة عليه.

وكان الأدب ما بعد الاستعماري أحد أكثر المواضيع إثارة للجدل، المكتوب منه باللغات الأوروبية خاصة، نظراً لإشكالية الثقافة ولغة التعبير عنها التي تحقّق. والجدير بالذكر أن الكثير من منظري الترجمة اعتبروا هذا الأدب نوعاً من الترجمة، فالنصوص ما بعد الاستعمارية تزخر بتفاصيل الثقافات التي تكتب عنها وإرثها الأدبي والذي عادة ما "يُترجم" في النصوص على شكل ألفاظ وعبارات من لغات الثقافة المحلية أو بمحاكاة أساليب في الكتابة غير معهودة في الأعراف الأدبية الغربية. ويبدو أن الأدب ما بعد الاستعماري يتقاطع في الكثير من تفاصيله مع الترجمة الأدبية، وقد رصدت تيموكسكو (1999م) أوجه التشابه والاختلاف بين هذين النوعين من النصوص الأدبية والتي نوجزها فيما سيأتي (انظر 23-29, 1999a, Tymoczko). يحاول النص في الأدب ما بعد الاستعماري عادة التعبير عن ثقافة ما في غير لغتها، وهو ما يجعله أشبه بالترجمة منه بالأدب. ومن جهة ثانية تبدو فكرة التعبير عن الثقافة في حد ذاتها تحدٍ حقيقي للكاتب الذي سيختار حتماً من هذه الثقافة ما يناسب قناعاته ويلائم الرسالة التي يود بعثها للقارئ. وهو الحال في الترجمة، فكثيراً ما يجد المترجم نفسه في وضع الاختيار

بين أيّ المعاني سينقل وأيها سيترك. وسواء بالنسبة للمترجم أو الكاتب لا يمكن فصل الاختيار عن صاحبه، فالمرء يختار وفقاً لما يراه صواباً وما يتماشى مع رؤيته للحياة عموماً. كما يمكن ملاحظة أن كلا النوعين من النصوص ينحو إلى تبسيط المفاهيم المرتبطة بالثقافة خاصة، على اعتبار أن المتلقي في الحالتين قد يجد صعوبة في فهم هذا النوع من المحتوى. فكثيراً ما يؤخذ على الأدب ما بعد الاستعماري ميله إلى الإيضاح وإرشاد القارئ فيما يراه الكاتب مجهولاً أو غير مفهوم، وهو ما يتقاطع فيه هذا النوع الأدبي مع الترجمة الأدبية والتي كثيراً ما تُنتقد لعجزها عن تمكين المتلقي من الإبحار في عالم النص المترجم دون عوائق من قبيل الهوامش الموضحة أو الإضافات في متن النص والتي تؤثر بشكل مباشر على القيمة الأدبية للنص من وجهة النظر هاته والتي تتبنى فكرة أن الأدب الجيد يلمح ولا يصرح، وأن التوجيه المباشر ليس أحد وظائف الأدب. وواقع الحال أن هذه السمات تنطبق على الأدب الغربي ولا تعتمدها بالضرورة ثقافات العالم الأخرى، والتي لكلٍ منها فهمها الخاص لماهية الأدب وبالتالي لما هو مقبول وما هو مستهجن. هذا من جهة، ومن جهة ثانية يبدو من السهل نعت هذه النصوص بالرديئة في حين أن المترجم أو الكاتب غالباً ما يجد نفسه بين مطرقة الغموض والصعوبة وسندان الإيضاح والتوجيه، فإن اختار الشكل الأدبي أثار ذلك على مقروئية النص، وإن آثر المقروئية نُعت نصه بالسوء.

إنّ الترجمة مجال يقوم على وجود لغتين وثقافتين، لكنّ هذا لم يمنع المنظرين من الاختلاف حول ما إذا كان يجب الحفاظ على ثقافة النص الأصلي أو التركيز على نجاح عملية التواصل من خلال الترجمة. ويؤكد بانديا (1995م) على أنه وعلى مدار سنوات طوال ركزت أغلب نظريات الترجمة على محاولة فهم الظاهرة الترجمية من خلال اللغات الأوروبية، ولم تحظى اللغات غير الأوروبية إلا بالقليل من الاهتمام ولأسباب غير لغوية في معظم الأحيان. وخلصت العديد من هذه الدراسات إلى الفروق الواضحة بين اللغات الأوروبية وغيرها مع الإشارة تلميحا أو تصريحاً إلى تفوق اللغات الأوروبية على غيرها وما يرافق ذلك من خطاب مركزي أوروبي حول التحضر والتقدم اللذان هما حكر على القارة

العجز دون سواها. وحتىّ اهتمام نايدا و تابير باللغات غير الأوروبية في إطار ترجمة الكتاب المقدس يُرجعه المفكر لأسباب غير تُرجمية بالدرجة الأولى، ذلك أنهما أرادا في المقام الأول إيجاد أنجع السبل لنقل المعتقدات المسيحية للمجتمعات البدائية (Bandia, 1995, 489). ومن كل ما سبق يبدو جليا أنّ حتى ما يبدو في ظاهره اهتماما باللغات غير الأوروبية ما هو إلا طريقة مبتكرة لترسيخ فكرة أسبقية اللغات الأوروبية وتطورها مقارنة بلغات العالم الأخرى.

وبالطبع يتعين في هذا السياق ذكر العلاقات التاريخية شديدة التعقيد التي ربطت ولا تزال تربط مختلف المستعمرات في إفريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية بالمستعمر الأوروبي. فقد اتسم الخطاب الاستعماري بالفوقية وادعاء التحضر وأنّ أحد أهم أسباب الوجود الاستعماري هي التنوير، والأخذ بيد الشعوب قليلة الحيلة. فهذه الشعوب، كما يرى المستعمر، غير قادرة على استغلال ثرواتها ولا إدارة اقتصادها بشكل لائق لأنها شعوب تفتقد للحضارة. وتلاحظ باسنييت (2002م) أنّه بالنسبة للكثير من المفكرين نفس نظرة الاستعلاء طغت لسنوات طوال على نظرية الترجمة التي تجاهلت حتى وقت قريب كل ما هو غير أوروبي. حتىّ أن النصوص التي تُترجم من لغات تلك المستعمرات إلى اللغات الأوروبية يتم التعامل معها من نفس المنطلق فتُشوّه وتُدجن وكأن قيمتها الحقيقية استمدتها من الثقافات دور النشر إليها وترجمتها إلى لغة، وبالتالي ثقافة، أرقى. وفي هذا السياق تورد الباحثة مثال الكاتب والمترجم البريطاني إدوارد فيتزجيرالد الذي نقل رباعيات عمر الخيام من الفارسية إلى الإنجليزية. ففي معرض حديثه عن الشعر الفارسي وترجمته، لا يجد الكاتب حرجا من لفت انتباه القارئ إلى أنه منح نفسه الكثير من الحرية أثناء نقله للشعر الفارسي، فشعراء الفرس ليسوا على ذلك القدر من المهارة الذي قد يثني المرء عن خوض هكذا مغامرة، وأنّ القليل من الإبداع كاف لترجمة هكذا نصوص تفتقد للجمال والشعرية (Bassnett, 2002, 14). لقد كشفت القراءة النقدية التاريخية للكثير من النصوص الأدبية المترجمة على

اتجاه واضح نحو تجاهل الاختلاف في الترجمة، وهو ما أعطى مصداقية للباحثين الذين تبنا النهج ما بعد الاستعماري.

ولا يمكن تناول فكرة الترجمة ما بعد الاستعمارية دون التطرق لطرق تجليها في الأدب ما بعد الاستعماري والنقاش حوله، والذي كانت الترجمة أحد أبرز مواضيعه. كان السجال حول موضوع اللغة مستعراً في سياق الأدب الإفريقي ما بعد الاستعماري كونه غالباً ما يُكتب بلغة المستعمر لاعتبارات تاريخية تمّ التطرق لبعضها فيما سبق. ويشير بانديا (2006م) إلى أنّ هذا الأدب لم يتعامل مع اللغات الأوروبية المختلفة بنفس الأسلوب، فقد لوحظ مثلاً أن اللغة الإنجليزية يتم توطيئها أو إضفاء الطابع المحلي عليها ومثاقفتها بقدر أكبر من اللغة الفرنسية، التي يميل من يكتبون بها إلى احترام أدبياتها الصارمة بعض الشيء. ويُردّد هذا الاختلاف إلى أن المستعمرين الفرنسي والبريطاني لم يُحاولوا فرض لغتيهما بنفس الطريقة إبان الحقبة الاستعمارية، إذ يبدو أنّ فرنسا كانت أحرص على ترسيخ استعمال لغتها دون السماح للسياق المختلف بالتأثير عليها (Bandia, 2006a, 350). وانعكست هذه الحقيقة التاريخية في لغة الأدب ما بعد الاستعماري في إفريقيا، فكانت النصوص الإنجليزية ربما أكثر قدرة على التلون بالثقافة المحلية من نظيرتها الفرنسية، غير أنّ هذا يبقى حكم عام ولا يمكن تأكيده بصفة قطعية. ولا يخفى على القارئ في هذا الصدد أن التطرق للأدب الإفريقي المكتوب باللغات الأوروبية في الحقبة ما بعد الاستعمارية يأتي لارتباطه الوثيق بالكثير من الإشكاليات التي هي من صميم الدراسات الترجمة، خاصة في بعدها الثقافي. بحيث يصفه بانديا على أنه الفضاء الذي تلتقي فيه التقاليد الشفهية للثقافات الإفريقية بالموروث الأوروبي المكتوب، وبالتالي تزامن الكتابة بوصفها عملاً إبداعياً يُنتج نصاً أصلياً مع عملية ترجمة متواصلة قد تكون مقصودة أو غير مقصودة للثقافة الإفريقية (المرجع نفسه، ص350). إن ميل الكتاب والمفكرين من القارة السمراء للكتابة باللغات الأوروبية في الفترة الاستعمارية يمكن تفسيره على أنه انصياع للأمر الواقع ومحاولة استغلاله بأفضل شكل ممكن لإيصال صوت

المظلوم والدفاع عن قضية عادلة. غير أن تغيُّر الوضع بعد انتهاء هذه الفترة جعل استمرار اقبال الأدباء على استعمال هذه اللغات مصدراً للانتقاد اللاذع وحتى التشكيك في مدى انتمائهم ووطنيتهم. ويضيف بانديا أنَّ لهذا الخيار اللغوي ما يبرره، مثل نوعية التعليم الذي تلقته هذه الفئة وصعوبة الانتقال من أداة تعبير لأخرى من الناحية العملية. ويعد الاختلاف الجوهرى في الكيفية التي تستعمل بها هذه اللغات أكبر دليل على محاولة تطويعها و"ترجمتها" لتلائم سياقاً مغايراً تماماً لسياقها الأصلي (المرجع السابق، ص350). ففي كثير من جوانبه، يعدّ هذا النوع الأدبي أحد أشكال الترجمة، ويسمح تناوله بإثراء النقاش حول ظاهرة معقدة هي ظاهرة تعايش لغتين أو ثقافتين في نص واحد وطبيعة المفاوضات اللغوية التي تُفرض على الكاتب المترجم.

فالتجربة الأدبية الإفريقية التي اختارت اللغات الأوروبية وسيلةً للتعبير، في الحقبة ما بعد الاستعمارية، لا يجب أن تُختزل في عملية ترجمة للتراث الشفهي الإفريقي ومرجعياته الثقافية إلى لغات تم تطويعها لتعبر عنه بشكل يُشبهه ويُمثله. ويرى بانديا أنَّ عملية التطويع في حد ذاتها جانب مهم من هذه التجربة التي تشبه في تفاصيلها عملية الترجمة بين لغتين. فالمجهود المبذول على مستوى اللغة وإعادة تشكيلها لتستجيب لحاجات مختلفة وتخطب قارئاً يراها لغة أجنبية يجب أن يُقرأ على أنه تجربة فنية وإبداعية تختلف باختلاف أصحابها وطبيعة العلاقة التي تربطهم بثقافتهم الأم من ناحية واللغات الأوروبية من ناحية ثانية. ففكرة البحث عن فضاء ثالث، وقاسم مشترك تتقاطع عنده الهوية الإفريقية واللغات الأوروبية هو ما يُبرر اعتبار هذه التجربة شكلاً من أشكال الترجمة. كما أن استعمال اللغات الأوروبية خارج الديار وتجنيد لها لتكون صوت الآخر يتيح لها فرصة أن تكون لغة الأقلية كما هي لغة الأغلبية فتصبح لغات عالمية بمعنى الاحتواء لا الإقصاء (انظر المرجع السابق، 352-354).

إن ترجمة مثل هذه النصوص، التي تعتبر في حد ذاتها وكما أشرنا آنفاً شكلاً من أشكال الترجمة، من لغة أوروبية إلى لغة أوروبية أخرى يطرح العديد من الإشكالات لعلَّ أبرزها الإشكال الأخلاقي.

فمن المعروف أن من بين أهداف هذا الشكل الأدبي مقاومة الهيمنة الفكرية الأوروبية باستعمال اللغات التي كانت في الماضي سلاح المستعمر لإخضاع الشعوب وتزيم ثقافتها من أجل تقديم تجربة فنية فريدة وثورية. فكأنني بالسحر ينقلب على الساحر، ويظهر نفس السلاح لكن في وجه المستعمر هذه المرة، فيقابل بلغته التي يعرفها لكن في ثوب جديد يجعله يستغربها ولا يستسيغها. وعليه بات لزاماً على المترجم لهكذا نصوص متخمة بالمرجعيات الثقافية والسياسية والأدبية أن يتبع أساليب تضمن وصول هذه الصرخات لا كتمانها، أساليب تسلط الضوء على الشكل الهجين للغة وعلى التنوع الثقافي الذي يطبع الخطاب. يعتقد بانديا أن الكيفية التي تترجم بها هذه النصوص تُحدد ما إذا كان النص المترجم استمراراً للنص الأصلي ووسيلة مقاومة للهيمنة الغربية وتحرير للعقل أو على النقيض من ذلك يعيد ترسيخ تلك الهيمنة وتكبيد ذلك العقل. نعم، ففي حال قرر المترجم التركيز على الجانب اللساني دون سواه، يكون لا محالة قد حكم على النص بالإعدام، فتحوّل اللغة الهجينة إلى لغة سليمة نقية ويصير التنوع في الخطاب إلى خطاب أحادي سائد (المرجع السابق، 359-360). ويختصر بانديا طبيعة التحدي الذي يواجهه المترجم بقوله:

"The desire to decolonize through translation does not only contend with the colonial desire to dominate, but also with the inherent characteristic of language to signify according to its own signifying structures." (Bandia, 2006a, 60)

"إنّ الرغبة في التحرر عبر الترجمة لا تصطدم بالرغبة الاستعمارية في الهيمنة فحسب، بل أيضاً بخصوصية اللغة وميلها للدلالة على المعنى وفقاً لتراكيبها الخاصة." (ترجمتنا)

فالعامل على الحفاظ على الوظيفة السياسية للنص، بوصفه شكلاً من أشكال المقاومة والتحرر من هيمنة الرؤية الأوروبية، من خلال الترجمة سيصطدم لا محالة برغبة الجهة المقابلة في بسط نفوذها مدعومة في ذلك بنوع من التشدد الطبيعي الذي قد تبديه اللغة المنقول إليها تجاه أي محاولة لفرض أساليب تعبير غير معهودة.

وتذهب Samia Mehrez (سامية محرز، 1992م) إلى أن التزايد المستمر للنصوص الموسومة

بالهجينة، أو الأدب ما بعد الاستعماري، فرض على نظرية الترجمة إعادة النظر في ماهية "النص

الأصلي"، وأثبت أن الاعتماد على المقاربة اللسانية والمكافئ اللغوي غير مجدٍ نظراً للخصوصية الشديدة لهذه النصوص (Mehrez, 1992, 121). فالأدب المغربي المكتوب بالفرنسية مثلاً لا يمكنه أن ينفصل عن سياقه العربي الإسلامي، فهو نص متعدد اللغات ومتعدد الثقافات. وبغض النظر عما إذا كان قرار الكتابة باللغة الفرنسية اختيارياً أو إجبارياً، فإن الكتاب المغاربة غالباً ما يتفقون على أن الكتابة باللغة الفرنسية تهدف لتقديم بديل ثقافي وتاريخي. وتجد محرز أنّ رواية الأدبية الجزائرية آسيا جبار L'amour, la fantasia ("الحب، الفنتازيا") والتي تتحدى فيها الكاتبة السردية الاستعمارية والمجتمع الذكوري لجزائر ما بعد الاستقلال تعدّ مثلاً جيداً للنص الأدبي الذي يشهد صراعات نفسية وفكرية، تكون فيه اللغة الفرنسية هي الوسيلة التي بواسطتها تواجه ظلم الماضي والحاضر في آن واحد. وعلى الرغم من الوضعية الصدامية التي اختارتها الأدبية لنفسها فيما يتعلق بجذورها الجزائرية نجدها قد وضعت قارئ نصها أمام حتمية التعامل مع هذا الثقافة ومحاولة فهمها لأنها في واقع الحال متغلغلة في تفاصيل النص اللسانية، وبنائه المعنوي. ولأن نص جبار يحمل بين ثناياه الكثير من معاني وأشكال الترجمة فإن أي محاولة لنقله للغة أخرى ستعرضه لامحالة لخطر حجب الصراع النفسي والثقافي الذي هو السبب الأول لوجوده (المرجع نفسه، ص 126-127). يفترض هذا الطرح وجود تعارض بين لغة جبار واللغة الأدبية الفرنسية وهو ما نشك في صحته. فحقيقة أنّ دور نشر فرنسية هي من تولت نشر روايات الأدبية تجعلنا نميل إلى فكرة أنّ لغة جبار الأدبية لم تكن صادمة بالقدر الذي صورته محرز. كما أنّ الروائية تم اختيارها عضواً في الأكاديمية الفرنسية المرموقة، وسيكون من الغريب أن ينبع هذا الخيار من أي موقف مناهض بشكل معلن لأدبيات هذه اللغة.

وفي هذا الصدد يرى جاكمون (1992م) أنّ الأدباء الذين اختاروا لغة الآخر ليُعبروا بها، خاصة الفرنكوفونيين منهم، قد اختاروا ضمناً نوعية اللغة التي يكتب بها وفقاً لما تفرضه دور النشر من قيود على النصوص من حيث مواضيعها ولغتها وكذا توقعات القارئ الفرنكفوني. فيروي طابعها الهجين ظماً

القارئ لكل ما هو غريب عنه، في حين تكون المغامرة اللغوية محسوبة بدقة فلا تتجاوز الحد الذي يصبح معه فهم القارئ ومتعته مهددين. ناهيك على أن هذه النصوص في معظمها تُرسيخ صورة الآخر الطاغية المنغلق العاجز عن حل مشاكله، التي لطالما سَوَّقَ لها الغرب. من جهة ثانية لاحظ الباحث أن الترجمات من الفرنسية إلى العربية الصادرة عن دور نشر في دول المغرب العربي "مُفرنسة" أكثر من نظيرتها الصادرة عن دور النشر المصرية. وهو ما يمكن فهمه على أنه تبعية أعمق للمستعمر القديم وبالتالي تأثر أكبر بالثقافة والأدب الفرنسيين. ونتيجة لاختلاف استراتيجيات الترجمة بين هذه الدول وكذا مدى تأثرها باللغات والثقافات الغربية، يمكن للقارئ أن يلاحظ اختلافات في بناء النصوص التي تشترك كلها، نظرياً، في كونها مكتوبة باللغة العربية (Jacquemond, 1992, 145). فلا يجب إغفال الجانب المادي في النقاش، لأن دور النشر، في الغرب خاصة، عنصر أساسي في دورة حياة الكتب، وتقرض منطقها على أدق تفاصيل ما يُنشر، من الاختيار إلى الطبع النهائي مروراً بالأشخاص والمواضيع واللغة. غير أن النزعة المحلية والسعي الحثيث إلى تبجيل ثقافة أو هوية بعينها قد لا يبدو منطقياً في إطار نظرية الترجمة التي هي بالأساس لقاء بين لغتين وثقافتين. ففكرة الوطنية والمبالغة في محاولة ترسيخها أدت إلى إغراق في المحلية والخصوصية ورفض كل ما هو مختلف لدرجة التعصب أحياناً. ويرى بانديا (1995م) أن الارتباط الوثيق بين فكرتي الثقافة والوطن وكذا سعي كل ثقافة لفرض نفسها على الثقافات الأخرى شجع الانتشار الواسع لمصطلحات مثل 'الأنا' و 'الأخر' والتي لا يكاد يخلو منها نص ما بعد استعماري. وبحيث أن الترجمة تسعى في المقام الأول إلى مد جسور التواصل بين مختلف اللغات والثقافات فإن من المهم الوقوف على مدى تأثير هذه الأفكار على نظرية الترجمة واتجاهاتها. ويمكن اعتبار الاستقطاب طويل الأمد بين منظرين يدافعون عن النص الأصلي (دعاة النهج المصدري) وآخرين يدافعون عن النص الهدف (دعاة النهج الهدفي) نابعاً من نزعة عرقية، ذلك أن كلا الفريقين يحاول الدفاع عن مقومات لغة أو ثقافة بعينها سواء تعلق الأمر باللغة الأصل أو اللغة الهدف

(Bandia, 1995, 490). وتفسر باسنيت (2002م) الظاهرة على أنها نوع من الصراع النفسي وإيديولوجي، فهناك من المترجمين من ينظر إلى النص الأصلي ولغته على أنهما عائق بالنسبة للمترجم الذي كثيراً ما يجد نفسه مجبراً على إنكار ذاته وكبت الصوت المبدع داخله حتى لا يُشوش على صوت الكاتب الأصلي وإبداعه. وفي هذه الحالة يمكن النظر إلى ثقافة النص الأصل على أنها الأقوى وبالتالي فهي تمارس شكلاً من أشكال الاضطهاد على المترجم الذي يجد نفسه مقيداً وغير قادر على إعطاء النص الشكل الذي يرضيه. وعلى النقيض من ذلك، يوجد صنف من المترجمين، ولأسباب أبعد ما تكون عن الموضوعية، يرى أن للمترجم كامل الحرية في التعامل مع النص بما يراه مناسباً، ففي النهاية لا يمكن للترجمة للغة مسيطرة إلا أن تفيد النص وترفع من شأنه. وهي فكرة متسقة مع ما كان رائجاً في الحقبة الاستعمارية عن تفوق كل ما هو أوروبي على ما سواه. وهنا تكون الثقافة التي يُترجم إليها النص هي الحلقة الأقوى، الأمر الذي يمنح المترجم ثقة وحرية قد تفقدان النص المترجم هويته إن زادتاً عن الحد (Bassnett, 2002, 14). وفيما تبدو فكرة الحفاظ على الثقافة واللغة أمراً مبرراً ومشروعاً من حيث المبدأ، إلا أن واقع الترجمة في الوقت الحالي وحالة التأثير والتأثر التي تمس كل اللغات تجعلنا نميل إلى الاعتقاد بأن الترجمة، كما السياسة، هي فن الممكن. فيجب على المترجم التحلي بالوعي الكافي الذي لا يجعله مشاركاً في أي نوع من أنواع هدم اللغة أو الثقافة، وفي الوقت نفسه التحلي بالشجاعة والذكاء الكافيين لاتخاذ قرارات حاسمة إذا استدعى الأمر.

إن ربط الترجمة ما بعد الاستعمارية الدائم بفكرة الصراع التاريخي والترويج لحرب لسانية تدور رحاها بين صفحات الكتب قد يحجب عن الباحثين الكثير من الأمور التي لا تقل أهمية والتي هي ربما أكثر واقعية. ويقترح بانديا (2012م) وضع حدّ لهذا الجدل، والتحول بالنقاش إلى مواضيع أخرى أكثر نفعاً للمستعمرات القديمة التي هي اليوم أمام تحديات من نوع مختلف تتجاوز فكرة المواجهة مع الآخر وأنجع سبل التغلب عليه. فنظرية الترجمة مطالبة بالانتباه إلى أن الزج ببعض مفردات اللهجات المحلية

في النصوص الأدبية المكتوبة باللغات الأوروبية في الماضي كان بهدف المواجهة والتحدي، أما اليوم فإن تواجد أكثر من لغة وأكثر من صوت في النصوص الأدبية هو في الحقيقة انعكاس لتنوع موجود على أرض الواقع وثورة ربما على فكرة المجانسة، التي تتحقق باستعمال اللغة الفصحى دون اللهجات مثلاً، والنخبوية الناتجة عنه. إن مثل هذه النصوص تضع المترجم أمام نوع قديم/ جديد من التحديات، قديم من حيث اعتماد النصوص الأدبية على أكثر من لغة وأكثر من لهجة، وجديد من حيث دوافعه وكثافته (Bandia, 2012, 422-23). ويواصل بانديا نقاشه حول الخيارات المتاحة أمام المترجم في الظروف التي تم التطرق إليها آنفاً نوجزه فيما يلي (انظر المرجع نفسه، ص 425-430): يجد المترجم نفسه أمام طريقتين؛ إما ترجمة وفق نهج المجانسة تختزل التنوع وتحجبه، وإما ترجمة وفق نهج التباين ولها هي الأخرى تداعياتها على الترجمة لكنها تحاول الحفاظ على التلون اللغوي في النص المترجم. ومن خلال تحليل مثال من الأدب الإفريقي ما بعد الاستعماري يلاحظ بانديا أنّ بنية النص وتداخل لغات ولهجات مختلفة في تكوينه يجعله شكلاً من أشكال الترجمة التي تقترض تعدداً لغوياً عند قارئها وتُعوّل عليه لتلقي رسالة النص دون عناء يذكر لأن التنوع الموجود في النص ما هو إلا رصد للتنوع الموجود على أرض الواقع. واتباع المترجم لنهج المجانسة في ترجمة مثل هذه النصوص، أي الاعتماد على أحادية اللغة لن يكون بالتأكيد ناجحاً، إذ أنه يقوم على فرضية أحادية لغة المتلقي، وهي فرضية تُنم عن شيء من التبسيط لا يراعي طبيعة العصر، أين تمتزج أكثر من لغة عند الاستعمال لدى الشعوب بشكل تلقائي. ويكون الإصرار على اتباع نهج المجانسة، في هذه الحالة مجرد ترسيخ لفكرة هيمنة اللغة. في حين أن الترجمة القائمة على نهج التباين تحاول المحافظة على هذا التلون اللغوي الذي يعطي للنص معناه اعتماداً على أساليب متعددة منها اقتراض بعض الألفاظ المحلية مع شرحها، ترجمة الأمثال وغيرها من العبارات التي تعكس الموروث الشفهي ترجمة حرفية تسمح للقارئ بالانفتاح على هذا الجانب من الثقافة، ترجمة العامي والمبتذل بما يلائمه في اللغة الهدف لما له من أهمية في بناء المعنى العام للنص

وغيرها. إن ترجمة هذا النوع من النصوص يجب أن تحاكي التلون اللغوي الموجود في النص الأصلي والذي هو بالأساس محاولة للوقوف بوجه الخطاب السائد والمعيارية.

إنّ الكثير من النقاشات حول الأنا والآخر والإخفاء المتعمد الذي تمارسه الترجمة من خلال تكريس هيمنة اللغة الإنجليزية مبررة ومفهومة لكنّها تجعل من الترجمة أداة صراع وتُخفي بدورها إمكانية أن تكون الترجمة سبباً للقاء الثقافات على اختلاف ألوانها. لكنّ واقع اليوم المرير لا يحث أحداً على التناؤل، فمع كل التغيرات الحاصلة والتقدم التقني المخيف، تُنبؤ الصراعات الموجودة بأنّ صفحة الاستعمار لم تطو نهائياً، وأنّ الإمبريالية الغربية لا حدود لها. ولأنّ الحال كذلك، فلا ضير أن تخدم الترجمة مرّة مصالح المستضعفين وتعبّر عنهم وهي التي خدمت الهيمنة الغربية لقرون. وتبدو الدعوات للحوار الثقافي اليوم، والترجمة إحدى أدواته، دعوات جوفاء بدوافع إيديولوجية ولا أمل يُرجى منها مالم يكن هناك تحول حقيقي على مستوى الحلقة الأضعف -الآخر- يفرض على الأطراف الأخرى - المهيمنة- حملها على محمل الجد.

خلاصة

يمكن القول، بعد تناولنا في هذا الفصل لجوانب متعددة من موضوع المقاربات الثقافية للترجمة، أنّ الأخيرة كان لها أثر بالغ على تصحيح وإعادة النظر في الكثير من المواقف النظرية غير المؤسسة حول الترجمة. فأحد أهم أسباب ظهور المقاربات الثقافية وتطورها هو رغبة الباحثين في تقصي دور السياق الثقافي في تحديد ملامح النصوص المترجمة. وبعد تسليط الضوء على بعض المدارس الفكرية المنضوية تحت لواء المقاربات الثقافية وهي على الترتيب: نظرية النسق المتعددة، المنعطف الثقافي، فينوتي واختفاء المترجم، الترجمة النسوية وإشكالية الترجمة التدخلية، الترجمة ما بعد الاستعمارية وحظوظ الحوار شمال-جنوب، قضية الهيمنة عند إدوين غينتسلر وماريا تيموكسكو، وغيرها من الاتجاهات، تأكد لنا أنّه من الصعوبة بمكان الوصول إلى فهم واحد لظاهرة الترجمة، وأنّ هذا التنوع في الطرح الذي قد يصل حدّ التعارض هو ما يفتح المجال للدارسين لفهم أوسع وأعمق لموضوع الترجمة. كما وجدنا أنّ خصوصية الترجمة الأدبية تفرض على المترجم تحديات مرتبطة بطبيعة النصوص الأدبية وهو ما يلفت الانتباه إلى جانب آخر من تعقيدات ظاهرة الترجمة. وتمحور الجزء الأخير حول بعض القضايا التي اهتمت بها المقاربات الثقافية وهي على التوالي: التفاعل الثقافي، الإيديولوجيا والخطاب، إعادة الكتابة، وصراع الأنا والآخر، وهو نقاش كشف تنوع المواضيع التي تنضوي تحت لواء المقاربات الثقافية وسمح بالتعمق في فكرة الترجمة.

الفصل الثاني

الإيضاح والتضمنين في الترجمة

تمهيد

نسعى من خلال هذا الفصل النظري الثاني إلى إلقاء الضوء على أسلوب الإيضاح والتضمن في الترجمة على اعتبارهما العنصر الثاني الذي يقوم عليه البحث. ولهذا الغرض سيتم أولاً مناقشة إشكالية تعدد مصطلحات الإيضاح والتضمن في أبحاث الترجمة وأسباب اختيار هذين المقابلين العربيين على وجه الخصوص. وفي سياق متصل يتطرق القسم الثاني لمختلف المعاني المعجمية والاصطلاحية لمصطلحي "الإيضاح" و"التضمن". وفي مرحلة ثالثة يُسلط الضوء على هذين المفهومين من منظور الترجمة. بعد ذلك نحاول مناقشة بعض استراتيجيات الإيضاح والتضمن المستخدمة في الترجمة. ويهتم آخر قسم من هذا الفصل بدور عتبات النص في الترجمة، وطبيعة وظيفتها الإيضاحية.

1.2. إشكالية تعدد مصطلحات الإيضاح والتضمن في أبحاث الترجمة

يعتمد هذا البحث على مصطلحي "الإيضاح" و"التضمن" وهما المقابلين العربيين للمصطلحين الإنجليزيين "explicitation" و"implication" على الترتيب. ولأنَّ الهدف من الدراسة هو بالأساس محاولة فهم كيفية عمل هذه الأساليب حين يتغير اتجاه الثنائية اللغوية مع التركيز على البُعد الثقافي، وبعد الاطلاع على بعض الأبحاث السابقة والتي اختلفت في وصف المقابل العربي للمصطلح الإنجليزي "explicitation" بين "الإطناب" و"الإظهار"¹ و"التصريح"² و"الإيضاح"³ و"الإفصاح"⁴، "الإضافة"⁵

1. بن سليم، أمينة. *الإظهار في ترجمة أدب الطفل: حكايات أمي الإوزة* لشارل بيرو أنموذجاً. رسالة دكتوراه. جامعة الجزائر 2. 2021.

2. صوميا، عبدلي. التغيرات التصريحية في العلاقات الاتساقية بالتكرار. مذكرة ماجستير. جامعة الجزائر 2. 2013.

3. لطفي، غسان. "تسقية التدمير في ترجمة روايات نجيب محفوظ إلى الفرنسية: نماذج عن نزعة الإيضاح في ترجمة روايات زقاق المدق وثرثرة فوق النيل وأولاد حارتنا". *مجلة العلوم الإنسانية، المجلد ب، عدد 46، ص.ص 365-351*, 2016.

الكناني وآخرون. "الإيضاح في الترجمة الأدبية من اللغة الإنجليزية إلى اللغة العربية. قصة حديقة النبي لجبران وترجمتها إلى العربية أنموذجاً". *مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية. المجلة العربية للعلوم ونشر الأبحاث. عدد 5، مجلد 2، 2018*.

4. فرغال، محمد وسماته، عبد الله. "الإفصاح مقابل الإبهام: أدوات الربط في الترجمة بين العربية والإنجليزية". *Al-Balqa for research and Studies, Al-Ahliyya, Amman University, Vol.(19) N°(2), 2016/2017*.

فإننا نعتقد أنَّ اختيار مصطلح "الإيضاح" هو الأنسب لأهداف البحث. ذلك أنَّ الاهتمام بهذا الأسلوب لا ينطلق من أسباب بيانية ولغوية صرفه، بل إنَّ الجانب الثقافي له دور محوري يجعل اختيار المصطلح بما يخدم فكرة ظهور أو طمس الثقافة الأصلية في النص المترجم مبرر منطقيًا ومنهجيًا.

والجدير بالذكر أنَّ إشكالية تعدد المصطلحات لم تُطرح بنفس الشدَّة بالنسبة لمصطلح التضمن (باستثناء دراسة استعملت مصطلح "الإبهام"⁶ وأخرى مصطلح "الإيجاز"⁷ للتعبير عن فكرة "التضمن")، عكس مصطلح الإيضاح، وقد يكون السبب في ذلك قلة الدراسات التي اهتمت بهذا الأسلوب في الترجمة، فأكثر الدراسات التي تم الاطلاع عليها تهتم بترجمة المضمن في النصوص، وليس التضمن على اعتباره خيار قد يلجأ إليه المترجم.

ولا يوجد في معجم المورد (البعلبكي، 2007م) مدخلًا خاصًا بالاسم "explicitation"، لكنَّ المقابل العربي للفعل "explicit" هو البين، الواضح، الجلي والمُحدَّد، الصريح وغير المتحفظ (ص 327). كما يحتوي ذات المعجم على مدخل خاص بالاسم "implication" وليس "implication" ويُقابلها في العربية "تضمن" و"مُضمَّن". والفعل منه "implicit" ويقابله في العربية ضمني ومفهومٌ ضمنيًا (ص 453). وأيضاً في المعاجم أحادية اللغة الإنجليزية لا توجد مداخل للمصطلحين المذكورين إلا في موقع yourdictionary والذي يورد التعريف التالي:

5. مسلم، أسماء خلف عبد اللطيف. "استراتيجية الإضافة في الترجمة الأدبية" ترجمة روية زقاق المدق لنجيب محفوظ إلى اللغة الفارسية نموذجاً". مجلة كلية الآداب، جامعة سوهاج، عدد 59، 2021.

6. فرغال، محمد وسماته، عبد الله. "الإفصاح مقابل الإبهام: أدوات الربط في الترجمة بين العربية والإنجليزية". Al-Balqa for research and Studies, Al-Ahliyya, Amman University, Vol.(19) N°(2), 2016/2017.

7. الكنانى وآخرون. "الإيضاح في الترجمة الأدبية من اللغة الإنجليزية إلى اللغة العربية". قصة حديقة النبي لجبران وترجمتها إلى العربية أنموذجاً. "مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية. المجلة العربية للعلوم ونشر الأبحاث. عدد 5، مجلد 2،

'(rare, possibly nonstandard) The process or fact of becoming explicit or of causing to be explicit; that which makes something explicit.' (yourdictionary.com)

"(نادر، غالباً غير فصيح) عملية أو حقيقة أن يصبح الشيء واضحاً أو التسبب في جعل الشيء واضح؛ ما يجعل الشيء واضح." (ترجمتنا)

كما تم البحث عن هذه المصطلحات في المعاجم الخاصة بالمصطلحات دون نتيجة، وهو ما يدل على

أن استعمالهما مرتبط بحقل الترجمة غالباً. وبينما تستعمل اللغة الفرنسية لفظ "explicitation" على نحو

عام وخاص، نلاحظ أن اللغة الإنجليزية تستعمله فقط اصطلاحاً. ونفس الأمر يمكن أن يُقال على

مصطلح "implication". ويحمل المصطلحان معنى تَقْصُّد جعل الشيء واضحاً أو مُضمناً.

2.2. مصطلحا الإيضاح والتضمنين من المنظور اللغوي

يهتم هذا الجزء من البحث بتقصي مختلف المعاني المعجمية والاصطلاحية التي أوردتها المعاجم

فيما يخص مصطلحي الإيضاح والتضمنين، وهي معانٍ وإن كانت تخص اللغة وليس الترجمة ولكنها

تفسّر أسباب اختيارها والاعتماد عليها في هذه الدراسة.

1.2.2. الإيضاح

ورد المعنى المعجمي للفظ الإيضاح في لسان العرب (ابن منظور، ج2، 1993): "وَضَحَ الشيءُ

يَضِحُ وُضوحاً وَضَحَةً وَضَحَةً وَاتَّضَحَ: أي بان، وهو واضح ووضّاح" (ص 364-366). ولم ترد كلمة

"إيضاح" باللفظ في لسان العرب، فيما نجدها في معجم اللغة العربية المعاصرة (عمر، 2008م) والذي

يعرّف "الإيضاح" من "أوضح"، "يوضح"، الأمر أظهره وأبانه فزال غموضه وتعقيده. ومنه أيضاً إيضاح

النص المبهم أي شرحه وتفسيره، وإيضاح القضية أي تقديم الحجة التي تدعم الرأي. والأمر "الواضح" هو

الأمر البين، الظاهر الجلي الذي لا يمكن إخفاؤه" (ص 2455). ويشير القاموس المحيط (الفيروز

آبادي، 1998م) إلى أن "وَضَحَ الأمر فهو واضح ومُتَّضِح أي بان، ومنه أيضاً "المُتَوَضِّح" أي من

يظهر" (ص 246-247). والوضّاح حسب "الرائد" هو المنكشف المنجلي من الأمور، وأنّ تُوضّح الشيء هو أن تجعله واضحاً (مسعود، 1992م، ص 865-866).

أما فيما يتعلق بالمعنى الاصطلاحي، فيورد المعجم المفصّل في علوم اللّغة (التونجي والأسمر، 2001م) مصطلح الإيضاح على أنّه مرادف للتوضيح، ويعني في هذه الحالة "تقليل الاشتراك الحاصل في المعارف بالوصف" (ص 214)، بمعنى إضافة وصف للفظ حتى لا يلتبس المعنى. ويرد المصطلح أيضاً مرادفاً للتفسير، وفي هذه الحالة يأتي بمعنى "الّ يستقل فهم مغزى أول الكلام إلّا بتفسير يأتي بعد الشرط" (ص 192). ومن أنواعه تفسير الإيضاح وهو أن يُلحق معنى واضح بمعنى فيه شيء من التورية (ص 192). والجدير بالذكر أنّ المعجم لم يخصص مدخلاً لمصطلح الإيضاح بشكل مستقل، لكن وأثناء البحث وجدنا مصطلحاً شديداً الارتباط بالإيضاح وهو الإطناب. ففي علم المعاني يُحيل الإطناب إلى "زيادة اللفظ على المعنى لفائدة، كتثبيت المعنى أو توضيحه، أو تأكيده، أو دفع الإبهام، أو نحو ذلك" (المرجع السابق، ص 73). ومن أنواعه الإطناب بالإيضاح بعد الإبهام أين يتم صياغة المعنى في شكلين، أحدهما مبهم والآخر موضّح بغرض تأكيد المعنى (المرجع السابق، ص 73) ويشير معجم المصطلحات البلاغية وتطورها (مطلوب، ج1، 2006م) إلى أنّ أول من وضع هذا المصطلح هو ابن أبي الاصبع المصري، وفرّق بين "التفسير" و"الإيضاح"، إذ أنّ الأول يُراد به تفصيل المجمل، فيما يعني الأخير رفع الإشكال الذي قد يأتي به شيء من اللبس في أول الكلام. فبخلاف التفسير، لا يزول الإبهام إلّا بما يُضاف في آخر الكلام في الإيضاح، وإلا تعرّس فهمه (ص 367). وهو أيضاً، كما سبق الإشارة إليه، من أساليب الإطناب التي يُؤتى بها بعد الإبهام لإحداث أثر في نفس المخاطب، إذ أنّ ما يكون في أول الكلام غامضاً ومجماً يجعل المرء توقفاً لمعرفة المزيد، فيكون الإيضاح سبباً في استقرار الفهم. كما أنّ المعرفة بالشيء بعد حجبها تكون أمتع من المعرفة المباشرة به. كما يُراد به أحياناً تقخيم الأمر وتعظيمه نحو قوله عزّوجل: "وقضينا إليه ذلك الأمر أنّ دابر"

هؤلاء لمقطوعٌ مُصبحين" (الحجر، 66)، فالجزء الثاني من الآية هو إيضاح الغرض منه تعظيم أمر العقاب الإلهي لقوم لوط بعد إصرارهم على المعصية (ص 228).

ويرد مصطلح الإيضاح في موسوعة كشّاف اصطلاحات الفنون والعلوم (التهانوي، 1996م) مقابلًا للمصطلح الإنجليزي "clearness" والمصطلح الفرنسي "clarté". ويعني أن "تري في كلامك خفاء دلالة، فتأتي بكلام يبين المراد ويوضحه" (ص 263)، وهو من أنواع إطناب الزيادة، سبق التعرض له أعلاه، مع ملاحظة أنّ هذه الموسوعة تضع تفصيل المجمل وإجمال المفصل من الإيضاح ولا تستثنيهما، مع التحفظ على كون الأخير أقرب إلى الأطناب. وعلى الرغم من التقارب الموجود بين "التفسير" و"الإيضاح" إلا أنّ المؤلف يميل إلى اعتبار "التفسير" أشمل من "الإيضاح"، فأحياناً لا يتوفر شرط الإبهام ومع ذلك تكون هناك إضافة (المرجع السابق، ص 294).

2.2.2. التضمن

ورد المعنى المعجمي للفظ "التضمن" في لسان العرب (ابن منظور، ج 13، 1993) ضمن معنى الفعل "ضمّن" وليس في مدخل مستقل: ضَمِنَ الشيء أي تضمّنه، كأن تقول مضمون الكتاب كذا وكذا (ص 257)، وفهمت ما تضمّنه كتابك أي ما اشتمل عليه وكان في ضِمْنِه (ص 261). أما معجم اللغة العربية المعاصرة (عمر، 2008م) فيعرّف "التضمن" على أنّه "الإفادة بطريق الإشارة والاستنباط" (ص 1370) كأن تقول تضمّن النص خطاباً نسوياً، أي في النص إشارات تسمح لنا بأن نستنبط وجود الخطاب المذكور. والفعل منه "ضمّن"، أي جعل الشيء في الشيء وأودعه فيه (ص 1371)، كأن تقول ضمّن الكاتب نصّه بعض الأبيات من الشعر الجاهلي. وقد يُجمع على "تضمينات" أو "تضامين" والتي تحمل ثلاث معانٍ متقاربة، الأول أن يأخذ المؤلف نصّاً ويدخله في مؤلفه بلفظه ومعناه، والثاني أن يُقتبس المعنى من نصٍّ ويُوظف في نص آخر، والمعنى الأخير هو إشراب كلمة معنى كلمة أخرى

للتعدى تعديتها (ص 1371). ويرتبط في معناه باللفظ "ضمني" وهو ما ينطوي عليه الأمر دون تصريح به (ص 1371). ويضيف القاموس المحيط (الفيروز آبادي، 1998م) على ذلك أنَّ المُتضمَّن من الكتاب هو ما اشتمل عليه الأخير (ص 1212).

وتوفرت المعاجم على عدد لا بأس به من التعريفات الاصطلاحية للتضمنين. منها ما ورد في المعجم المفصل في علوم اللغة (التونجي والأسمر، 2001م)، وهو تعريف مفصل لمعنى "التضمنين" وأنواعه في اللغة. فقد يخص التضمنين اللفظ ويكون بمعنى إعطاء (إشراب) لفظ معنى لفظ آخر وإعطاؤه حكمه في التعدية واللُزوم ويسمى أيضاً التضمنين النحوي أو اللغوي. في علم البديع يُقصد بالتضمنين استخدام الشاعر لببيت أو شطر بيت من شعر غيره في شعره، وهو بهذا المعنى شكلٌ من أشكال التناص. وفي علم العروض يُحيل المصطلح إلى تعلق قافية بيت بالبيت الذي يليه (ص 182).

والتضمنين حسب معجم المصطلحات البلاغية وتطورها (مطلوب، ج2، 2006م) قد يُقصد به وجود المعنى دون وجود اللفظ الدال عليه في الكلام (ص 261)، وهو نوعان، النوع الأول هو ما كان يدلُّ عليه الكلام دلالة الإخبار، أي أنَّ هناك إفادة مباشرة من الكلام أُشير لها ولم يُصرح بها. والنوع الثاني هو ما كان يدلُّ عليه الكلام دلالة القياس، وفي هذه الحالة تكون الإفادة من الكلام غير مباشرة (ص 262). ويشير المعجم إلى أنَّ القزويني فرَّق بين "الاقتباس" و"التضمنين"، فالأول يختص بالقرآن والحديث دون سواهما، فيُضمَّن النص شيئاً من القرآن مثلاً دون أن يُراد به النص القرآني في حدِّ ذاته. أما الثاني فهو التضمنين البديعي المذكور آنفاً (ص 264). كما يذكر المعجم أنَّ السيوطي يعتبر التضمنين نوع من المجاز إذا استُعمل لفظ مكان آخر لتضمُّنه معناه، ونوع من الإيجاز إذا تحقق المعنى مع غياب اللفظ الدال عليه (ص 264).

ويأتي التضمنين في موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم (التهانوي، 1996م) بوصفه

مقابلاً للمصطلح الإنجليزي "implication" والمصطلح الفرنسي "inclusion". ونجد فيه تفصيلاً

للتضمنين اللغوي، إذ أنه في الحروف والأفعال يبرز في استخدام فعل مكان فعل آخر فيجمع بين المعنيين وذلك بأن يتعدى بحرف ليس من عادته التعدي به. ففي هذه الحالة يحتاج المتلقي إما لتأويل معنى الفعل أو الحرف ليُحصَل المعنى. وورد في الموسوعة مثال على هذا النوع من التضمنين في الآية: " عينا يشرب بها عباد الله " (الإنسان 6)، فبتعدي الفعل "شرب" بالحرف "ب" بدل "من" يكون قد أُضيف معنى جديد للفعل مثل التلذذ. ونجد نفس الأمر في الأسماء، فحين يُضمَّن اسم معنى اسم آخر، يكون قد اجتمع فيه المعنيين (ص 469).

والنتيجة التي يمكن الخروج به بعد عرض كل هذه التعريفات المعجمية والاصطلاحية لكل من الإيضاح والتضمنين هي أنّ الأول ببساطة يصف ظاهرة لغوية تقوم على إضافة معلومات وألفاظ بغرض رفع لبس محتمل في المعنى، بينما يشير الثاني إلى الظاهرة اللغوية العكسية أين يحمل لفظ واحد أكثر من معنى يتعين على المخاطب استنباطه والانتباه له. وبينما يتقاطع معنى مصطلح الإيضاح في البحث نسبياً مع المعاني المذكورة، فإن مصطلح التضمنين في الدراسة يحيل أكثر لفكرة الإخفاء والطمس، أي أنّ احتمالات الاستنباط تكون ضعيفة.

3.2. مفهوم الإيضاح والتضمن في دراسات الترجمة

يهتم هذا القسم من البحث بمناقشة أسلوبَي الإيضاح والتضمن في إطار نظرية الترجمة، والمصطلحين مستعملين في هذه الدراسة بوصفهما مقابلين للمصطلحين الإنجليزيين "explicitation" و "implication" على الترتيب. إن هذين الأسلوبين، وإن اختلفت الاصطلاحات بشأنهما، يُشكِّلان مجتمعين ما نَصِّفه بالترجمة، فما الترجمة إلا إيضاح وتضمن. لقد اهتم الكثير من المنظرين بهذين الأسلوبين وقدموا تصنيفات مختلفة، ومسميات متنوعة لهما. كما قاربوهما من جوانب لسانية أو ثقافية أو مزيج بين هذا وذاك. يتطرق هذا القسم من البحث لمختلف هذه الآراء مع التركيز أكثر على كيفية عمل

أسلوبى الإيضاح والتضمن على اعتبارهما ناقلين للثقافة ومحرضين على الفعل التواصلى. وقد أفضت عملية جمع وتحليل المادة العلمية الخاصة بهذا الموضوع إلى وجود عدد غير قليل من الأبحاث التي تناولت مفهوم الإيضاح في الترجمة، لكن فقط عدد قليل جداً من الأبحاث ركز على مفهوم التضمن. ولهذا السبب يتعذر تقديم عرض مفصل للمفهومين بشكل متوازن، لأنه، على ما يبدو، حتى بالنسبة للباحثين فإن ماهية مفهوم التضمن مضمنة حرفياً في مفهوم الإيضاح على أنها نقيض الأخير ونفيه، وهذا ما سيتوضح للقارئ بعد الاطلاع على المعلومات التي تمكنت الدراسة من جمعها وتحليلها.

1.3.2. مفهوم الإيضاح في دراسات الترجمة

يستعرض هذا القسم من الفصل تطور مفهوم "الإيضاح" والذي انتقل من كونه مرادفاً لمصطلح "الإضافة" إلى أن أصبح اليوم مصطلحاً يشتمل معاني أوسع دون أن يكون هناك إجماع بين الباحثين حول تعريف واحد واضح له. فكثيرون حاولوا دراسته، لكن كل بحسب نظريته وفهمه لمعنى الإيضاح. ويرى Viktor Becher (فيكتور بيشر، 2010م) أن الدراسات حول الإيضاح على كثرتها غير متجانسة، فبعضها لا يقدم أي تعريف محدد للإيضاح، والبعض الآخر لا يلتزم في تحليله بالتعريف الذي وضعه (Becher, 2010, 16). وتوصلت الدراسة لنتيجة مشابهة، خاصة فيما يتعلق بضبط المفهوم، إذ أن الكثير من الدراسات اهتمت بتحليل الإيضاح دون أن تتفق على تعريف واحد له. لكن هذا لا ينفي حقيقة أن أغلب الدراسات تقارب المفهوم على أنه أسلوب في الترجمة يحاول إفهام القارئ بالاعتماد على طرق مختلفة.

من وجهة نظر Elisabet Titik Murtisari (إليزابيت تيتيك مورتيساري، 2016م) فإن الخلل الذي أشار إليه بيشر سببه تعدد طرق الفهم لما هو واضح وما هو مضمن. فهناك من ينظر إليهما على أنهما فئتين متباينتين لهما حدود واضحة، فيُعرّف الأول بالاعتماد على وجود الصياغة اللفظية، وهو ما تسميه

مورتيساري "الإحالة المشفرة"، أي بضرورة استعمال الألفاظ للتعبير عن المعاني، فيما يُستدلّ على الثاني بغياب هذه الصياغة اللفظية، "الإحالة المستنبطة" (Murtisari, 2016, 65). ويتنافى هذا التحليل مع ما توصلت إليه الدراسات اللسانية فيما يخص وضع حدود واضحة للمعاني ضمن تصنيفات لأنها تتداخل فيما بينها بشكل يتحدّى أيّ نظام. ولهذا السبب تقترح الباحثة الانتقال من الحديث عن الوضوح الصرف إلى الحديث عن "درجة" الوضوح في مادة ما، تماشياً مع ما توصلت إليه الأبحاث حول لسانيات النص والخطاب. ومن هذا المنظور يرتبط تحليل درجة الوضوح بتحليل عناصر في النص تُجملها مورتيساري في: التشفير، الإخبارية، الخصوصية، الارتباط بالموضوع، التركيز، والتوكيد (المرجع السابق، ص 66). ونلاحظ هنا أنّ محاولة فهم الإيضاح بهذه الطريقة تبدو أكثر واقعية لأنها تأخذ بعين الاعتبار فكرة أنّ درجات الإيضاح تختلف من حالة إلى أخرى وليست إما موجودة أو غير موجودة.

1.1.3.2. الإيضاح، عند فيني وداربلني، جيري ليفي، ويوجين نايدا

تم التطرق لمفهوم الإيضاح من طرف العديد من الباحثين في حقل الترجمة، وتشير Renata Kamenicka (ريناتا كامينيسكا، 2007م)، أنّ أولى تعريفات هذا الأسلوب في الترجمة جاءت من طرف كل من Vinay و Darblnet (فيني وداربلني، 1958م)، Jerry Levy (جيري ليفي، 1963م)، و Eugene Nida (يوجين نيدا، 1964م) على التوالي (ص 45). فيعرف فيني وداربلني الإيضاح على أنه "عملية إدخال تفاصيل محددة في اللغة الهدف تأتي مضمنة في اللغة الأصلية، على أنه يمكن فهم المعنى من خلال السياق أو الوضعية." (ترجمتا، 1972, 9, Vinay et Darblnet) وقد اعتبر الباحثان الإيضاح عيباً يرتبط بنقص في كفاءة المترجم أو بمشكلة في الترجمة (الكناني وآخرون، 2018، ص 103). وتزعم مورتيساري أنّ هذا التعريف يخص الإيضاح الذي يرفع درجة الدقة والإخبارية في النص المترجم مقارنة بالنص الأصلي، بحيث يمكن استخلاص المعلومات التي تظهر في النص المترجم من السياق النصي والثقافي للنص الأصلي. كما يدخل أيضا الجانب البراغماتي تحت مظلة هذا التعريف لأن الهدف هنا هو

توفير محتوى لغوي يمكن للقارئ فهمه دون اللجوء إلى السياق. فالإيضاح هنا يكون نتاج المعاني التي تم استخلاصها من السياق، الأمر الذي يمنح النص المترجم دقة أكبر ومعلومات أكثر (Murtisari, 2016, 67). وعلى الرغم من ذلك يعتمد هذا التعريف بشكل أساسي على المعنى اللساني ويحصر المفهوم في استعمال النص المترجم للألفاظ بحيث ضمن النص الأصلي المعاني. ويتعارض هذا مع حقيقة أن المترجم في الكثير من الأحيان قد يتسبب في حجب معاني النص الأصلي في خضم محاولاته لتفسيرها بالإفصاح عن بعض المعلومات. أي أن الإضافة المادية للمفردات لا تضمن إيضاح المعنى بمفهومه العميق ولكنها تشير فقط إلى إجراء لغوي.

ويفرّق ليفي (2011م) بين الإيضاح في المعنى والإيضاح في الشكل. فينظر إلى الأول على أنه ميل المترجم إلى إيضاح ما يأتي مُضمناً في النص الأصلي، مع التشديد على أن المعاني المضمنة لا تقل أهمية عن تلك المصرح بها في بناء النص (Levy, 2011, 115). أما الثاني فهو الميل إلى الإطالة ومثال ذلك حرص المترجمين على إيضاح الروابط المنطقية بين الأفكار التي عادةً ما تترك مُضمنة في الأعمال الإبداعية وهو الأمر الذي قد يؤثر سلباً على القيمة الفنية للنص المترجم (المرجع نفسه، ص117-118). ويلاحظ ليفي أن المترجم ينزع إلى إيضاح ما يربط مختلف أجزاء النص الأصلي وأفكاره ضمناً، ويحرص على تعليل أي انقطاع في تسلسل الأفكار أو تغيير في وجهة النظر، ويعمل على جعل العبارات سلسلة، كل هذا سعياً وراء تقديم نص يفهمه القارئ (المرجع نفسه، ص117-118). إن تعريف ليفي يختلف عن سابقه من حيث كونه ناجم عن دراسة عملية موضوعها الأساسي الترجمة الأدبية. وقد استعرض هذا المفهوم بغرض نقد الترجمة والتنبيه للضرر الذي قد يطال الجانب الفني للنص عند إصرار المترجم على هذا الأسلوب في الترجمة. والجدير بالذكر أن أحد أهداف الدراسة العملية لهذا البحث هي الوقوف على مدى قدرة الإيضاح اللغوي على تحقيق إيضاح ثقافي، أي ضمان تجلّي ثقافة النص الأصلي في الترجمة.

واستخدم نايدا (1964م) مصطلح "إضافات"، وهو مصطلح عام يعبر عما يمكن إضافته بصفة "شرعية" للنص المترجم، وفيه أنواع كثيرة ذكر منها التحديد الإجباري للمفهوم، الإضافات التي تفرضها الفروقات اللغوية من الناحية النحوية، تكملة العبارات التي جاءت محذوفة في النص الأصلي، الإسهاب الذي يرافق الانتقال من المضمن إلى الموضح، الاستجابة إلى المتطلبات البلاغية للغة الهدف، وغيرها (Nida, 1964, 227). ومثل فيني وداربلني، يقصد نايدا الإيضاح الذي يسمح باستخراج المعلومات من النص أو السياق (Murtisari, 2016, 68). وما يمكن ملاحظته هو الطابع اللساني أو اللغوي البحت لهذا التعريف من جهة، وافتقاره للدقة من حيث الفصل بين مفهومي الإيضاح والإضافة من جهة ثانية. فكثيراً ما يُستعمل المصطلحين لوصف الفكرة نفسها، لكن الأصح هو أن الإضافة هي واحدة من تجليات الإيضاح المتعددة.

2.1.3.2. فرضية الإيضاح عند بلوم كولكا

يرتبط استخدام مصطلح الإيضاح في خطاب الترجمة النظري ب "فرضية الإيضاح" (Explicitation Hypthesis) وهو مفهوم ناقشته Blum-Kulka (بلوم كولكا، 1986م) في إحدى مقالاتها. وقد عرفت دراسة الأيضاح في الترجمة تحولاً واضحاً بعد نشر هذه الدراسة تجلّى في ظهور الكثير من الدراسات والأبحاث التي حاولت التوسع فيه أو نقده. وتعتبر بلوم كولكا أول من حاول تقديم دراسة منهجية عن هذا المفهوم الذي تصفه كما يلي:

"The process of interpretation performed by the translator on the source text may lead to a TL text which is more redundant than the SL text. This redundancy can be expressed by a rise in the level of cohesive explicitness in the TL text. This argument may be stated as "the explicitation hypothesis", which postulates an observed cohesive explicitness from SL to TL texts regardless of the increase traceable to differences between the two linguistic and textual systems involved. It follows that explicitation is viewed here as inherent in the process of translation." (Blum-Kulka, 2000, p300)

قد تتسبب عملية تأويل النص الأصلي التي يقوم بها المترجم في إنتاج نص هدف أكثر إسهاباً من النص الأصلي. ويمكن أن يتجلى هذا الإسهاب في ارتفاع مستوى وضوح الاتساق في النص المترجم. كما يمكن التعبير عن هذه القضية بـ *فرضية الإيضاح*، والتي تسلم بملاحظة وضوح في الاتساق عند الانتقال من اللغة الأصلية إلى اللغة الهدف، وذلك بغض النظر عن الاختلافات اللسانية والنصية الموجودة بين النظامين اللغويين المعنيين. وعليه يمكن استخلاص أن الإيضاح جزء أصيل من عملية الترجمة. (ترجمتنا)

باختصار تشير بلوم كولكا إلى أن النصوص المترجمة تميل للإطناب مقارنة بالنصوص الأصلية

وهو ما يمكن لمسه من خلال إيضاح أدوات الاتساق في النص والمسؤولة عن ترابط مختلف أجزاء النص وأفكاره، لتخلص إلى أن الإيضاح هو من صميم عملية الترجمة وأحد مبادئها. وتكمن أهمية أدوات الاتساق في كونها هي من تحدد مدى تماسك النص أو عدمه، ولها دور في تشكيل أسلوب النص وبناء معناه. فالتغير في المعنى الناجم عن تغير في الاتساق، وبالتالي تغير في الوظيفة، أثناء الترجمة قد يكون له بالغ الأثر على المعنى العام للنص. أما التغير في الانسجام فقد يكون سبباً في تغيير المعنى في الترجمة وحتى خسارته نهائياً (Blum-Kulka, 2000, 300-304). شكّل هذا التعريف اللساني المحض أولى مراحل اهتمام الباحثين بهذه الظاهرة في الترجمة ومحاولة فهمها، أما فيما عدا ذلك فهو غير مفيد كثيراً لوصف الطبيعة المعقدة للإيضاح في الترجمة وكذا عملها على مستويات عدة للنص وليس على المستوى اللساني حصراً.

وتتظر بلوم كولكا إلى الترجمة بوصفها عملية على النص وليس على أجزائه المنفصلة، وهو ما يحتم تناولها بالدراسة من منظور تحليل الخطاب. فالترجمة فعل تواصل بالدرجة الأولى وهو ما يسمح بفحصها اعتماداً على مناهج علوم الاتصال. وتفرق الباحثة بين نوعين من التغيرات التي يمكن أن تمس معنى النص المترجم، الأولى مرتبطة بالقارئ وتحدث نتيجة الاختلاف الثقافي لمتلقي النص المترجم وبالتالي يصعب تجنبها، والثانية مرتبطة بالنص وتنتجها عملية الترجمة بحد ذاتها وقد يتسبب فيها أحيانا الاختلاف بين الأنظمة اللغوية، لكن غالباً ما تكون خيارات المترجم الناجمة عن نقص في الوعي أو

الفهم وراء ذلك (انظر المرجع نفسه، ص 309-313). وبخلاف نايدا وفيني وداربلني، كان تركيز بلوم كولكا على الإيضاح الناجم عن التغيرات التي تطرأ على النص المترجم من حيث البنية، مع اهتمام خاص بزيادة عدد المفردات أو الإطناب (Murtisari, 2016, 69). وحصر الباحثة للمفهوم في فكرة الإطناب جعل فرضيتها موضع نقد عدد من الباحثين.

وقد جاء الانتقاد الأكبر لهذه الفرضية من بيشر (انظر Becher, 2011, 25-27) الذي حدد ثلاث أسباب (مشاكل) تجعل فرضية كولكا مرفوضة وهي: أولاً افتقاد الفرضية لدليل علمي واضح وهو ما يجعل ما يترتب عليها من نتائج فاقدة للمصداقية، ثانياً تعارض هذه الفرضية مع أحد أهم مبادئ البحث العلمي وهو أن تتسم الفرضيات بالدقة والبساطة فلا تعتمد على الكثير من المتغيرات وهو ما يجعل التعامل معها أسهل والنتائج المتحصل عليها أصح. ثالثاً اعتبار بلوم كولكا أن الإيضاح استراتيجيية أصيلة في الترجمة دون أن توضح ما إذا كان المترجم يلجأ إلى استخدامها عن وعي منه أو عن غير وعي، وهو ما جعل استعمال الباحثين لفرضيتها مُربك فمنهم من اعتمد الاحتمال الأول ومنهم من فضل الثاني، وهو بالطبع ما يطرح تساؤلات كثيرة حول مدى صحة نتائج دراسات عدة. طبعاً الإيضاح المراد هنا هو إيضاح نصي بحث، أي أنه يهتم بالتغييرات الحاصلة على البنية النصية ويبني على أساسها. وسيتبين لنا لاحقاً أن الإيضاح على هذا المستوى لا يُسهم بالضرورة بفهم أفضل، أو تجلّي أكبر للثقافة الأصلية في الترجمة كما نريد تقصّيها. وتعتقد كامينيسكا أن أهم خلل في فرضية بلوم كولكا هو افتراضها أن الإيضاح مصطلح يُجمع على تعريفه كل من يهتم بدراسته والحقيقة أن للمفهوم الكثير من الأبعاد التي جعلت الباحثين يُلقون عليه الضوء، كلٌ حسب خلفيته المعرفية (Kamenicka, 2007, 47). غير أن ما يحسب لهذه النظرية هو لفتها الانتباه لهذا المفهوم، بحيث حثت الباحثين على التعمق أكثر في دراسة مختلف جوانبه.

3.1.3.2. الإيضاح البراغماتي عند كانداس سيغينو

في عام 1988م نشرت Candace Séguinot (كانداس سيغينو) دراسة بعنوان 'Pragmatics and Explication Hypothesis' ("البراغماتية وفرضية الإيضاح") نقدت فيها ما اعتبرته نقائص في فرضية بلوم كولكا واقترحت تعريفاً أكثر دقة من وجهة نظرها لهذا المفهوم. ف"فرضية الإيضاح"، بحسب سيغينو، تختزل المفهوم في فكرة الإطناب وهذا ليس بالأمر الصحيح، كما أن الأمثلة المقدمة دليلاً على صحة هذه الفرضية يمكن بسهولة إرجاعها إلى الفرق في الخصائص الأسلوبية بين الفرنسية والإنجليزية (ص 106-107). ويمكن تعريف الإيضاح بشكل أدق على أنه "الإضافات في النص المترجم التي لا يمكن ربطها بالاختلافات البنيوية أو الأسلوبية أو البلاغية بين اللغتين. بعبارة أخرى، لا بد من وجود إمكانية لترجمة صحيحة لكن أقل دقة أو أقل وضوحاً لإثبات وجود الإيضاح، فهذه هي الطريقة الوحيدة التي تسمح بالفصل بين الاختيارات المرتبطة باللغة على اعتبارها نظام وتلك التي تنتج عن عملية الترجمة" (المرجع نفسه، ص 108، ترجمتها). وتزعم سيغينو أن الإيضاح يمكن أن يتخذ ثلاثة أشكال، أولاً التعبير عن شيء في الترجمة لم يرد ذكره في النص الأصلي، ثانياً أن يكون شيء قد جاء مضمناً أو يمكن افتراض معناه في النص الأصلي موضحاً في الترجمة. وأخيراً أن يُعطى عنصر في النص الأصلي أهمية أكبر في الترجمة من خلال اختيار اللفظ أو التوكيد (المرجع نفسه، ص 108). يمكن اعتبار تعريف سيغينو أشمل من سابقه لأخذه بعين الاعتبار كل أنواع الإضافة، كما وأنه يفسر المفهوم من وجهة نظر النص المترجم (Murtisari, 2016, 73). لكنّه مع ذلك لا يخرج عن الإطار اللساني للمفهوم، وبالتالي يبقى هو أيضاً تفسيراً محدوداً لمعنى الإيضاح الذي ترمي إليه هذه الدراسة.

4.1.3.2. الإيضاح المرتبط بالمعايير عند راشيل وايسبرود

تشير Lynn Overas (لين أوفرأس، 1998م) إلى رفض الباحثة Rachel Weissbrod (راشيل وايسبرود، 1992م) من جهتها فكرة أن الإيضاح جزء لا يتجزأ من عملية الترجمة، وتعتبره مرتبطاً

بالمعايير وبالتالي يتغير بتغير الظروف التاريخية ومكانة الأدب المترجم في الثقافة الهدف (Overas, 1998, 19). وبحسب بيشر فقد وجدت وايسبور أن المترجمين لا يستعملون الإيضاح لذات الأغراض، ففي حين يكون مترجمي الأدب الأكثر التزاماً بالمعايير، وبالتالي الأعلى قيمة، مدفوعين برغبة في الارتقاء بأسلوبهم ليكون على مستوى أدبيات لغتهم، يحاول مترجمي الأدب الأقل التزاماً بهذه المعايير، وأقل قيمة منطقياً، تحسين مقروئية النص. فالفئة الأولى من المترجمين تستعمل الإيضاح بتأثير من المعايير الأدبية المعمول بها في اللغة الهدف، أما الفئة الثانية فتستعمله للتبسيط، لأن قارئ هذا النوع من الأدب ليس مؤهلاً بالقدر الكافي وسيكون من الجيد تذليل كل الصعوبات التي قد تعيق فهمه (انظر Becher, 2011, 49-50). بالنسبة لأهداف البحث تكمن أهمية هذا التعريف في ربطه لمفهوم الإيضاح بالسياق، وهو أمر مهم من حيث أنه يُخرج المفهوم من إطاره النصي البحث، ويربطه بالمناخ الذي تظهر فيه الترجمة.

5.1.3.2. الإيضاح بمعنى التصريح عند أوفراس

في سياق متصل، وفي محاولة لتأكيد أو نفي ما جاء في "فرضية الإيضاح"، تقترح أوفراس (1998م) تعريف الإيضاح على أنه طريقة في الترجمة يتم فيها نقل ما جاء مضمناً ويمكن استنباطه من السياق النصي في النص الأصلي بشكل أكثر تصريحاً في الترجمة (Overas, 1998, 4). واعتمدت أوفراس على مدونة إلكترونية قارنت فيها بين نصوص إنجليزية وترجمتها إلى النرويجية والعكس لتخلص إلى أن الإيضاح ينتج عن متطلبات تأتي من النص الأصلي والنص المترجم على حد سواء، وهو ما يؤكد فرضية الإيضاح. وتعتقد أوفراس أن المترجم الواعي قد يُفصل القليل من الإطناب على خسارة المعنى. وأن الرغبة في إنتاج نص مُتسق المبنى مُنسجم المعنى هو أمر طبيعي في الترجمة لكن ينبغي الحذر من المبالغة في استعمال الإيضاح. وترى الباحثة بأن الدراسات القائمة على تحليل المدونات ثنائية اللغة ومقارنتها من شأنها أن تكون مفيدة لنظرية الترجمة تماماً مثل الدراسات الوصفية (المرجع نفسه،

ص19). وعموماً لا يختلف طرح أوفراس عن طرح بلوم كولكا من حيث حصره لفكرة الإيضاح في المعنى اللساني الصرف.

ويعيب فيكتور بيشر (2010م) على هذه الدراسة كونها لم تلتزم بالتعريف الذي وضعته للإيضاح في الأمثلة المدروسة، والتي كان منها حالات لإيضاح معبر عنه لفظاً في النص الأصلي. ومثل بلوم كولكا، تُعرّف أوفراس الإيضاح على أنّه مبدأ عام للترجمة بكثير من الغموض يجعل من الصعوبة بمكان فهم طبيعته الحقيقية (Becher, 2010, 12). وبغض النظر عن العيوب التي رصدها بيشر في كثير من أبحاث الإيضاح، وأبرزها تحديد المفهوم بدقة، فإنّ ما تهدف الدراسة إليه هو توسيع النقاش حول مفهوم الإيضاح وتحريه من قيود النص وإعطائه أبعاد تواصلية. فالسياق، أكثر من اللفظ أو النص، هو وحده ما يُحدد ما إذا كان الإيضاح وقع فعلاً، أو أنّه زاد النص إبهاماً.

6.1.3.2. الإيضاح وفرضية اللاتماثل عند كينغا كلاودي

من أهم المساهمين في النقاش حول مفهوم "الإيضاح" الباحثة المجرية Kinga Klaudy (كينغا كلاودي)، التي نشرت العديد من الدراسات حول الموضوع. وتُعرّف كلاودي (1998م) الإيضاح على أنّه تلك التقنية في الترجمة التي يتم من خلالها إبراز معلومات في النص المترجم وردت مضمنة في النص الأصلي. وتلاحظ الباحثة أن بعض الدراسات اعتبرت الإيضاح مرادفاً للإضافة وبعضها اعتبر الأول أشمل وتنضوي تحته الإضافة وبعضها الآخر قال بالعكس (Klaudy, 1998, 80). وبحسب Klaudy and Karoly (كلاودي وكارولي، 2005م) يتجلى الإيضاح مثلاً عند الانتقال من معنى عام في النص الأصلي إلى معنى أخص أو أكثر دقة في الترجمة، أو عند الانتقال من معنى مجمل في مفردة واحدة في النص الأصلي إلى معنى موزع على عدة مفردات في الترجمة، أو عند ظهور عناصر ذات معنى في الترجمة لم يكن لها وجود في النص الأصلي، أو عندما تقسم جملة أو عبارة في النص

الأصلي إلى عدة جمل أو عبارات في الترجمة (Klaudy and Karoly, 2005, 15). والتطور اللافت في أبحاث كلاودي عموماً هو محاولتها تقديم إطار نظري يصف عمل الإيضاح في النصوص المترجمة، ومقاربتها للمفهوم من أكثر من جانب كما سيتبين في الفقرات الموالية.

فمثلاً تقترح كلاودي (2009م) "فرضية اللاتماثل" (Asymmetric Hypothesis) والتي طورتها

من خلال دراسة مقارنة لنصوص مترجمة من بعض اللغات الهندوأوروبية (الروسية، الإنجليزية، الألمانية، والفرنسية) إلى اللغة المجرية (والتي تنتمي إلى مجموعة اللغات الأوغرية) والعكس. ومفادها باختصار أن بعض عمليات الترجمة التي ينتج عنها الإيضاح من لغة "أ" إلى لغة "ب" يوازئها تضمين في اتجاه الترجمة المعاكس (من لغة "ب" إلى لغة "أ")، فالعلاقة بين الإيضاح والتضمنين هنا تناظرية. يكون الإيضاح في هذه الحالة مرتبطاً بالاختلافات بين الأنظمة اللغوية وهو ما يجعله أيضاً إجبارياً يفرضه الانتقال من نظام لغوي "أ" إلى نظام لغوي "ب". في حين أن بعض عمليات الإيضاح من لغة "أ" إلى لغة "ب" لا يوازئها بالضرورة تضمين في اتجاه الترجمة المعاكس، فالعلاقة بين الإيضاح والتضمنين هنا غير تناظرية. في هذه الحالة تفترض كلاودي أن الإيضاح هو مبدأ عام في الترجمة بغض النظر عن طبيعة اللغات المعنية بالعملية وأي فروقات قد تكون موجودة بينها، وهي بهذا تؤكد فرضية بلوم كولكا لكن بمنهج أكثر دقة وتفصيل أكبر للمفاهيم. بالنسبة لكلاودي، يميل المترجمون، حين يكون الخيار متروكاً لهم، إلى الاعتماد على عمليات تنقل المعنى على وجه الدقة بدل التعميم، والإضافة عوض الحذف، وتقوية وإبراز المعنى بدل تقليله. وعلى ما يبدو يجد المترجمون صعوبة أكبر في تنفيذ ترجمات بتضمنين المعنى (Klaudy, 2009, 290). لقد قدمت كلاودي من خلال هذه الفرضية القائمة على تحليل الترجمات وصفاً دقيقاً لآليات الإيضاح في النصوص المترجمة، وسمحت بتعمق أكثر في البحث.

ولا تنظر كلاودي إلى الإيضاح على أنه أحد أساليب نقل المعنى في الترجمة فحسب، بل هو فئة شاملة تنضوي تحتها العديد من العمليات تذكر منها: الخصوصية المعجمية، التقسيم المعجمي، الإضافة المعجمية، الخصوصية النحوية، التحسين النحوي، والإضافة النحوية (المرجع نفسه، ص 286). وترجع كلاودي ميل المترجم إلى الإيضاح إلى أربعة أسباب ذكر ثلاثة منها نايدا وهي: افتراض المترجم أن كل ما هو مذكور في النص الأصلي يجب أن ينقل بشكل ما في الترجمة، وإضافة عناصر من اللغة الهدف في النص المترجم لتقويم المعنى، وأخيراً حقيقة أنه على خلاف كاتب النص الأصلي، لا يمكن للمترجم أن يتنبأ بنوعية الخلفية المعرفية للجمهور المستهدف (المرجع السابق، ص 299). أما السبب الرابع فهو أشبه بـ "مبدأ التعاون" عند جرايس. فالترجمة هنا عملية تواصلية يمكن لمبدأ التعاون فيها أن يتحقق عن بعد لأن المتلقي غير متوفر في الحين. ولضمان نجاح التواصل مع المتلقي يعتمد المترجم لإيضاح المعاني وتسهيل المقروئية. ولا يعتمد المترجم كثيراً على خيال القارئ، بل يفضل الطريق الآمن: إيضاح أكثر وتضمنين أقل، حتى وإن منح الأخير نتائج أفضل في بعض الحالات (المرجع نفسه، ص 299). وبمناقشة كلاودي لمختلف أنواع الإيضاح ودوافع المترجم لاستعماله تكون قد فتحت أمام الباحثين أبواباً عدّة لمقاربة هذا المفهوم.

في نظر كلاودي (2000م) لا يتجلى الإيضاح في النص المترجم بالضرورة بعدد أكبر من الكلمات، أي بنص أطول. ويمكن إرجاع أسباب استعمال الإيضاح إلى اختلاف الأنظمة اللغوية، واختلاف المعايير والتقاليد الأدبية. والمعلومات المضافة في الترجمة قد تكون موجودة في النص الأصلي، أو تم استنباطها من السياق، أو اعتمد فيها المترجم على معارفه ومعلوماته العامة (Klaudy, 16, 2000). ولا تشاطر كلاودي (1993م) سيغينو الرأي فيما يخص إقصاء الإضافات الناتجة عن الاختلافات البنوية والأسلوبية والنصية والبلاغية من دائرة المفاهيم التي تندرج تحت مظلة الإيضاح على اعتباره مبدأ عام في الترجمة، فهي وإن كانت إجبارية فإنها تحمل في طياتها إظهاراً أكبر للمعنى وتسهم

بالتالي في رفع درجة التصريح في النص المترجم بشكل عام (Klaudy, 1993, 5). وقد حاولت كلاودي من خلال كل ما سبق ذكره تقديم نقاش شامل حول مفهوم الإيضاح، ويبدو أنها نجحت نسبياً في مسعاها، فلأبحاثها أثر واضح على من تناول الموضوع بعدها من باحثين.

وحاولت كلاودي (2017م) التوسع في "فرضية اللاتناظر" وربطها بالبعد الثقافي ومفهومي "التغريب" و"التوطين" عند فينوتي نوجزها فيما يلي. تقوم الدراسة على تقصي نوع العلاقة بين "التغريب" و"التدجين" من جهة و"الإيضاح" و"التضمن" بوصفهما عمليتين غير متوازيتين، من جهة ثانية، ومدى تأثير مكانة اللغة (مسيطرة/غير مسيطرة) على هذه العلاقة. ولهذا الغرض قارنت الباحثة بين نصوص مترجمة من اللغات المجرية والفنلندية (لغات غير مسيطرة) إلى اللغات الإنجليزية والروسية (لغات مسيطرة). وتفترض كلاودي أن الترجمة من لغة غير مسيطرة إلى لغة مسيطرة سيغلب عليها التدجين لأن معرفة متلقي النص المترجم المحدودة بثقافة النص الأصلي تدفع المترجم إلى بذل مجهود أكبر للإفهام. فيما يغلب التغريب على الترجمة في الاتجاه المعاكس لأن الهدف من ورائها هو توسيع الآفاق الثقافية والمعرفية للمتلقي من خلال أفكار ومفاهيم جديدة تمر حتما عبر اقتراض بعض كلمات تلك اللغة. وتكون العلاقة بين التغريب والتدجين تناظرية إذا كان التدجين في الترجمة من لغة غير مسيطرة إلى لغة مسيطرة يوازيه تغريب في الاتجاه المعاكس. ولا تكون تناظرية إذا لم تتحقق هذه المعادلة (انظر Klaudy, 2017, 30-32).

ومن المهم في هذا النوع من الأبحاث معرفة مدى التقارب الموجود بين اللغات والثقافات المعنية بعملية المقارنة لأن التوطين/التغريب يزداد حدة بزيادة الاختلافات اللغوية والثقافية. وعليه تعرّف كلاودي "اللاتناظر الثقافي" (Cultural asymmetry) على أنه وجود حركة باتجاه واحد لتدفق المعلومات بين الثقافتين (من المسيطرة إلى غير المسيطرة)، مع تميز الثقافة المسيطرة بالإشعاع أي بقدرتها على التأثير في غيرها من الثقافات فيما تبدي الثقافة غير المسيطرة استعداداً أكبر لتقبل مفاهيم غريبة عنها (المرجع

نفسه، ص32). وأشارت النتائج المحصل عليها إلى أن التوطين موجود بنفس القدر عند الترجمة من لغة مسيطرة إلى لغة غير مسيطرة. فالعلاقة بين التغريب والتدجين، مثل العلاقة بين الإيضاح والتضمنين، ليست تناظرية. وعليه يمكن القول إنه إذا كان المترجمون على المستوى اللغوي يفضلون أساليب الإيضاح على التضمنين فإنهم على المستوى الثقافي يميلون إلى اتباع أساليب التدجين أكثر من أساليب التغريب (المرجع نفسه، ص35). ويمكن القول أنّ كلاودي عرّفت شكلاً جديداً من الإيضاح، هو الإيضاح الثقافي، ولهذه الفكرة أهميتها الخاصة في هذه الدراسة التي تحاول تقصي أثر هيمنة اللغة الإنجليزية في النصوص المترجمة.

7.1.3.2. الإيضاح بوصفه أسلوب ومنتج عند فيلما باباي

تذهب Vilma Papai (فيلما باباي، 2004م) إلى أن الإيضاح بوصفه عملية يختلف عن الإيضاح بوصفه منتج، وتُعرّف الأول على أنه استراتيجية في الترجمة قد تطال شكل أو محتوى النص الأصلي فتعمل على إزالة ما فيه من غموض في الترجمة وتُحسّن وتزيد من تماسكه النصي، إلى جانب إضافة معلومات لغوية وغير لغوية موجودة في النص الأصلي. ويكون المترجم مدفوعاً لاستعمال هذه الاستراتيجية برغبة في تقديم نص يسهل على القارئ تلقيه. أما الثاني، أي الإيضاح على اعتباره منتج، فتعرفه باباي على أنه تلك الخاصية النصية التي تميز النص المترجم عن النص غير المترجم من حيث مستوى الوضوح. وتظهر هذه الخاصية في استعمال بعض العناصر اللغوية بشكل أكبر في الترجمات وكذا في إضافة معلومات لغوية وغير لغوية للنصوص المترجمة (Papai, 2004, 145). وينقل هذا التعريف النقاش حول الإيضاح خطوة أخرى إلى الأمام، فالتمييز بين عملية ومنتج الإيضاح يجلب إلى الواجهة فكرة مقارنة النصوص المترجمة مع النصوص غير المترجمة للوقوف على الخصائص الأسلوبية التي قد تميز الأولى عن الأخيرة، والإيضاح أحد هذه السمات.

8.1.3.2. الإيضاح ومعالجة النص عند بال هالتاي

في دراسة بعنوان 'Explication, Redundancy, Ellipsis, and Translation' ("الإيضاح، الإطناب، الحذف، والترجمة") قام Pal Heltai (بال هالتاي، 2005م) بتحليل مصطلح الإيضاح ليكون أشمل من المفهوم اللساني الذي يربطه عادة بالإطناب في الترجمة. ودعا هالتاي الباحثين لمقاربة المفهوم على اعتباره مرادفا لعملية إزالة الغموض وتسهيل معالجة النص. يلاحظ هالتاي أن الإيضاح اللغوي أحيانا لا يكون كافيا ولا يؤدي بالضرورة إلى إمكانية معالجة النص، كون الأخيرة تكون مرتبطة بعوامل أخرى مثل التكرار والاعتیاد والسياق وكذا المحيط المعرفي لمتلقي النص المترجم. ومع ذلك يُقر هالتاي بصعوبة إخضاع هذه الفكرة للاختبار العملي كونها مرتبطة بالكثير من العوامل غير القابلة للقياس والتعميم (Heltai, 2005, 67). لفتت هذه الدراسة انتباه الباحثين إلى أن وجود إيضاح نصي، يمكن لمسه وتحليله، لا يعني بالضرورة أن النص المترجم بات من السهولة معالجته وفهمه من طرف المتلقي. فالإيضاح الحقيقي يعمل على مستويات عدة، المستوى اللغوي هو فقط واحد منها. وهو ما تذهب إليه هذه الدراسة، ففي الكثير من الأحيان ما يُنظرُ إليه منطقياً على أنه إيضاح تكون نتيجته زيادة درجة الصعوبة أو التعقيد، وبالتالي تضميناً مبطناً. ونظراً لتركيز البحث على مفهوم الإيضاح في ضوء المقاربات الثقافية للترجمة، فهناك إمكانية لئلا يعمل إيضاح أو طمس الثقافة أو المفاهيم الثقافية بالضرورة وفقاً لآليات الإيضاح والتضمن النصية.

بعد تقديمه لدراسة معمّقة لمفهومي الإطناب والحذف يخلص هالتاي إلى أن فكرة ربط الإيضاح بالإطناب وعدمه بالحذف يجب أن تدقق. فالإطناب يمكن أن يُسهّم في رفع درجة وضوح النص وبالتالي سهولة تلقيه بإعطاء القارئ وقتاً أطول لمعالجة المعلومات الموجودة في النص لأنه لا يحتاج وقتاً لمعالجة ما يتكرر من معلومات، كما يفيد في حال خانت الذاكرة القارئ، وقد يقلل من المجهود الذي يبذله القارئ عادة لاستنباط المعلومات المضمنة. لكن هذا لا يعني أن الإطناب مفيد في كل الحالات،

فأحياناً تؤدي المبالغة في استعمال الإطناب إلى إعاقة فهم النص وخرق مبدأ الاقتصاد في التواصل. ونظراً لارتباط الإيضاح بالتواتر والعادة فإن المتلقي قد يجد سهولة في فهم ما تم حذفه لأنه ألف فهمه مضمناً وربما أدى التصريح به إلى لبس في الفهم. ويكون كل هذا محكوماً بالسياق والمتلقي، فما هو مضمن بالنسبة لمتلق معين في سياق معين قد يصبح إطناباً إذا ما تغير المتلقي والسياق (المرجع نفسه، ص 68). ويربط هلتاي بهذه الطريقة بين الإيضاح والتلقي، وهو ما يعطي المفهوم عمقاً أكبر، لكن في الوقت نفسه يُصعّب على الباحثين تطبيق هذه الأفكار بشكل عملي نظراً للمتغيرات الكثيرة التي تحكم العملية التواصلية.

يؤكد هالتاي أن الإيضاح في الترجمة له أسباب كثيرة ولا يجب حصره في المفهوم اللساني. فأحياناً تفرض الاختلافات بين الأنظمة اللغوية على المترجم اللجوء إلى الإيضاح أو التضمن ليطوع النص بما تقتضيه القواعد النحوية والأسلوبية للغة الهدف، وقد لا يكون هذا إيضاحاً بالمعنى الحقيقي إذا لم يسهم في سهولة تلقي النص. ويسعى المترجمون عادة إلى جعل الترجمات أكثر إيضاحاً لحرصهم على تقديم نص سهل الفهم واهتمامهم برأب صدع الهوية الثقافية الموجودة بين النص الأصلي وقارئ الترجمة. وفي هذه الحال أيضاً، لا يمكن الجزم بأن مجهودات المترجم ستكلل بالضرورة بالنجاح الذي يبقى مرهوناً بمدى مقروئية النص. فأن يضيف المترجم مثلاً "الشاعر الكبير" لاسم معين لن يجعل متلقي النص المترجم يعرف أكثر مما يعرفه قارئ النص الأصلي عن هذه الشخصية (المرجع السابق، ص 71). إنَّ ما خلاص إليه هالتاي في دراسته يثور على التفسيرات اللسانية الخالصة وولفت انتباه الباحثين إلى ضرورة أخذ عوامل إضافية بعين الاعتبار للإحاطة بكل تعقيدات الإيضاح.

9.1.3.2. الإيضاح وسيلة لتجنب المخاطر عند أنطوني بيم

يعتقد Antony Pym (أنطوني بيم، 2005م) أنه من الممكن إيجاد تفسير مقنع لظاهرة الإيضاح إذا ما نظر إليها الباحثون من منظور التواصل وتجنب المخاطر اللذان يُعدّان أبرز أسباب لجوء المترجم إليها. ولا يجب الإصرار على إيجاد هذا التفسير في إطار لغوي بحث ولا النظر إلى المعنى على أنه شيء ثابت يسهل إيضاحه أو تضمينه (Pym, 2005, 29). ويعيب بيم على "فرضية الإيضاح" ربطها للمفهوم بالإطناب الطارئ على النص المترجم، والذي يوحي بأن هذه الإطالة لا فائدة تُرجى من ورائها. بيد أن فحص عدد من العوامل غير النصية قد يساعد على فهم أفضل وأكثر منطقية لأسباب لجوء المترجم لهذا الأسلوب (المرجع نفسه، ص31). فأتثناء قيام المترجم بعمله، عادة ما يضع في الحسبان أشياء يجب أن يفعلها وأخرى يجب أن يتجنبها. فليس من مصلحة المترجم مثلاً أن يتفاجأ بعد أن يُنهي عمله برفض الناشر دفع أجره، أو اتهام القراء له بسوء الترجمة. ولتجنب مثل هذه المخاطر قد يلجأ المترجم للإيضاح وغيره من الأساليب بغية إنتاج نص يحظى برضى جميع الأطراف. هذا هو الإطار الذي يحاول بيم من خلاله فهم فكرة الإيضاح، ولهذا الغرض يعرّف نوعين من النتائج عادة ما يحصل عليها المترجم، النوع الأول، هو ذلك الذي يخشاه أي عامل بهذا المجال، والذي يعيق التعاون بين مختلف الشركاء في العملية التواصلية (المترجم، القارئ، الناشر)، أما النوع الثاني فعلى العكس من ذلك يحفز العملية التواصلية ويضمن الفائدة لجميع الأطراف. وحتى يضمن المترجم الحصول على النوع الثاني من النتائج عليه تقليص هامش المجازفة قدر المستطاع وإنتاج نص وفق معايير معينة (المرجع السابق، ص34). من هذا المنظور يكون بيم قد أدخل السياق الذي يعمل فيه المترجم دائرة العوامل الواجب أخذها بعين الاعتبار عند تفسير الإيضاح، وهو ما يشير إلى أنّ التواصل مع القارئ ومقروئية النص هما أولوية المترجم.

ينطلق بيم من مبدأ أن أي عبارة يمكن ترجمتها على عدة أوجه كلها صحيحة، ويكون على المترجم أن يفاضل بين الاحتمالات آخذاً بعين الاعتبار ما يمكن أن يترتب على اختياره من نتائج، مثل المعنى الذي يود أن يوجهه القارئ نحوه مثلاً. وفي هذه الحال يمكن أن يلجأ المترجم للإيضاح، فحتى وإن أعطى النص المترجم شعوراً بالتكرار والملل فإن هذا لا يضر أمام المقصد الأهم وهو ضمان نجاح التواصل بين النص والقارئ. وعليه يجب فهم الطبيعة الذهنية والنفسية الخاصة للمترجم الذي يلعب دور القارئ والكاتب في نفس الوقت، وهو ما يجعله دائماً مهموماً بما يمكن أن يصعب فهمه، وأنجع السبل لتوضيحه وتسهيله. فسعي المترجم إلى تقليص المخاطر المحتملة في ترجمته يمكن أن يكون دافعا منطقياً وراء الإيضاح في الترجمة (انظر المرجع السابق، ص 35-41). تتقاطع وجهة النظر هاته مع رأي هلتاي من حيث تركيزها على تلقي النص باعتباره أحد أهم دوافع الإيضاح، وبالتالي الانتباه لدور القارئ، وليس النص فحسب، في وصف هذا المفهوم.

10.1.3.2. الإيضاح عند إنجلاند ديميتروفا

وحرصت باحثة أخرى وهي Englund Dimitrova (إنجلاند ديميتروفا، 2005م) على التعمق أكثر في دراسة مفهوم الإيضاح، ونشرت بدورها دراسات مهمة حول الموضوع. ومثل باباي، تنظر ديميتروفا للإيضاح على أنه مصطلح يمكن إطلاقه على التقنية أو الاستراتيجية التي تمكن المترجم من أن يوضح معلومات جاءت مضمنة في النص الأصلي، أو على بنية النص المترجم الناتجة عن استعمال هذه التقنية (Dimitrova, 2005, 5). وقد يحيل المصطلح إلى العديد من الظواهر التي تشترك في بعض خصائصها والتي تصف اختلافات بين النصوص الأصلية والمترجمة (المرجع نفسه، ص 40)، وهو ما ذهبت إليه كلاودي من قبل. وتكمن أهمية هذه الدراسة، بحسب بيشر (2011م)، في أنها تربط الإيضاح بطبيعة عملية الترجمة والتي تعتمد على إعادة الصياغة بشكل مستمر، أي أن إعادة الصياغة

تحمل "ضمناً" و"حتماً" إيضاح. كما سلطت الباحثة الضوء على الفروقات الشخصية الموجودة بين المترجمين، بين المترجمين المحترفين وغير المحترفين، بين المترجمين الذين يختارون المعايير المعمول بها وأولئك الذين يفضلون تحديدها، وهو ما يؤدي حتماً لتباين في طبيعة المنتج النهائي، الأمر الذي يفند فرضية أن الإيضاح سمة عامة في الترجمة. كما توصلت الباحثة إلى أن خيار الإيضاح يكون في الغالب عن وعي من المترجم (Becher, 2011, 54). يسلط هذا التعريف الضوء على جانب مهم من عملية الإيضاح وهو أسلوب المترجم، أي أن قرارات المترجم بهذا الخصوص تتبع من ميولاته الأسلوبية واللغوية. كما تنفي الباحثة، بعد سلسلة من التجارب العملية، فكرة أن الإيضاح يتم بشكل تلقائي، إذ وجدت أن المترجمين يختارون الإيضاح عن وعي.

11.1.3.2. الإيضاح عند ريناتا كامينيسكا

في ورقة بحثية بعنوان "Defining Explication in Translation" ("تعريف الإيضاح في الترجمة"، 2007م) تشير Renata Kamenicka (ريناتا كامينيسكا) إلى أنه على الرغم من وجود الكثير من الدراسات حول مفهوم الإيضاح، يمكن القول بأن جُلّها تجنبت إعطاء تعريف محدّد للمفهوم، حتى بات المصطلح يحيل إلى الشيء وضده. فقبل أن يغوص الباحثون في أسباب الإيضاح أو أنواعه يتوجب عليهم أولاً تحديد أيّ الظواهر اللغوية يمكن إدراجها تحت مظلة الإيضاح (Kamenicka, 2007, 46). وتقصص كامينيسكا العلاقة بين الإيضاح والتضمنين من جهة وبين بعض المفاهيم المقترنة بهما من جهة ثانية. وتبدأ بالتعميم والتخصيص مشيرة إلى أنه لا إجماع حولها، وتشكك الباحثة في صحة ما ذهب إليه كلاودي من أن التعميم هو أحد أساليب التضمنين والتخصيص هو أحد أساليب الإيضاح من خلال أمثلة لحالات معاكسة، لتخلص إلى أنه لا يمكن تعميم فكرة التخصيص كأسلوب للإيضاح، والأمر ذاته ينطبق على التعميم بالنسبة للتضمنين (المرجع نفسه، ص50). أما فيما يخص ثنائية الإضافة والحذف

فتلاحظ كامينيسكا أن علاقتها بالإيضاح والتضمنين يشوبها الغموض، وكثير من الباحثين يستعملها للإحالة لنفس المفهوم (المرجع نفسه، ص55). وانتقد بيشر (2010م) أيضا الإيهام الذي يحيط بالمفهوم، والحقيقة أن عدم الإجماع على معنى واحد للإيضاح انعكس على طبيعة النتائج التي توصل إليها الباحثون كما يبينه هذا القسم من البحث.

12.1.3.2. الإيضاح وأسلوب المترجم عند غابرييلا سالدانها

قاربت Gabriella Saldanha (غابرييلا سالدانها، 2008م) المفهوم من منظور مختلف وأدخلت القارئ في دائرة اهتمامها، فجاءت دراستها مفيدة للبحث بشكل خاص لتسليطها الضوء على فكرة الوساطة الثقافية المنوطة بالمترجم. وتقترح سالدانها تعريفاً للإيضاح بوصفه استراتيجية في الترجمة لا ترتبط بالضرورة بما جاء مضمناً في النص الأصلي ولكن بما يراه المترجم مناسباً لقرائه ولدور الوساطة الأدبية والثقافية (Saldanha, 2008, 28). كما قدمت أمثلة من نصوص باللغتين البرتغالية والإسبانية مترجمة إلى الإنجليزية تتفي من خلالها فرضية أن الإيضاح في الترجمة يقابله بالضرورة تضمين في النص الأصلي (المرجع نفسه، ص23)، وقدمت أيضاً أمثلة برهنت من خلالها على أن الإيضاح لا يؤدي دائماً إلى إخبارية أكبر (زيادة المعلومات) في النص المترجم، فأحياناً يحدث العكس (المرجع نفسه، ص25-26). وهي آراء تشبه إلى حد ما آراء هلتاي حول عدم إمكانية حصر الإيضاح في فكرة الإطناب.

وقارنت سالدانها آراء المترجمين اللذين قارنت ترجمتهما وهما بيتر بوش ومارغريت جول كوستا فوجدت أن الأول يأخذ القراء بعين الاعتبار لكنه يعتبر نفسه القارئ الأهم عند الترجمة، فهو الوحيد الذي يشهد على الصراع بين نص موجود وآخر يحاول أن يرى النور، كما يحاول أن يضع القارئ أمام تحديات في النص عليه تجاوزها ليزداد وعيه بأنه أمام ثقافة مختلفة وذلك بالخروج عن القوالب اللغوية المعهودة بين الحين والآخر. أما الثانية فتتظر إلى الترجمة على أنها تحدٍ شخصي، تحاول أن تثبت من خلاله أن

الترجمات لا تقل جودة عن النصوص الأصلية، وعلى عكس سابقها ترى أن القارئ يجب أن يتواصل مع النص ويفهمه وذلك بتذليل الصعوبات. فالهدف هنا هو أن تكون الترجمة مقبولة بمعايير الثقافة الهدف، وأن يحظى القارئ بتجربة قراءة ممتعة مع الحد الأدنى من المعوقات (انظر المرجع السابق، ص30-32). ومن وجهة النظر هذه، كما عند ديميتروفا، يكون لأسلوب المترجم ورؤيته حول ماهية الترجمة الجيدة تأثير مباشر على نوع الإيضاح الذي يظهر في النص.

ومن بين أهم النتائج التي توصلت إليها سالدانها في دراستها هي أن استعمال المترجم للإيضاح عن وعي منه قد يكون مرده تصور مسبق عنده عن المحيط والسياق المعرفي لقرائه. وقد يكون الإيضاح عن غير وعي من المترجم، ولكن الأبحاث للآن لم تفسر بعد هذه الظاهرة. كما وجدت أن الهدف من الإيضاح هو التبسيط ورفع درجة المقروئية للنص نفسه وليس بالضرورة مقارنة بالنص الأصلي (المرجع السابق، ص32-33). تلفت هذه الدراسة الانتباه لحقيقة أن النصوص المترجمة تحمل بين طياتها، زيادة على ما جاء في النص الأصلي من محتوى، رؤية المترجم وفهمه لما يجب أن يكون عليه النص المترجم، وقراءته الخاصة للسياق الذي يتم فيه تلقي الترجمة، وكلها أمور تؤكد مدى التعقيد المحيط بمفهوم الإيضاح.

13.1.3.2. الإيضاح عند فيكتور بيشر

وفند بيشر (2011م) فكرة أن الإيضاح متعلق بعملية الترجمة في حد ذاتها، أو خاصية صميمة فيها بغض النظر عن اللغات التي يُترجم منها أو إليها، كما ذهب إلى ذلك بلوم كولكا وكلاودي. وعليه يجب توخي الحذر وعدم التسليم بأن الإيضاح مبدأ عام في الترجمة، بل إنه كثيراً ما ينجم عن أعراف تواصلية وخصائص أسلوبية تخص المجتمع واللغة الهدف وليس لارتباطه بعملية الترجمة أو أن لا سيطرة للمترجم عليه. ولهذه الأسباب وجد الباحث أنه من الضروري تحديد مفهوم الإيضاح بدقة قبل

تناوله بالدراسة. ويعرفه، على اعتباره مُنتَج، على أنه تلك الحالة التي يكون فيها النص المترجم أوضح من النص الأصلي. ويعني بالوضوح التعبير اللفظي عن معلومات كان بإمكان المتلقي استنباطها دون التعبير عنها لفظياً (Becher, 2011, 18-19). ومن المهم الإشارة في هذا الصدد إلى أنّ بيشر بحث موضوع الإيضاح فيما يتعلق بالنصوص التجارية، وهو ما يفسر ربما حرصه على وضع تعريف دقيق للموضوع الذي سيتناوله بالتحليل، لكنّ هذا التعريف لا ينطبق حتماً على النصوص الأدبية، ناهيك عن الشق الثقافي الذي يحاول البحث تمحيصه.

وأعاب بيشر على الدراسات السابقة، خاصة دراسة بلوم كولكا، والتي سبق الإشارة إلى اعتماد عدد غير قليل من الباحثين عليها مرجعاً أساسياً لمفهوم الإيضاح، افتقارها للدقة وضبابيتها واستخدامها لذات المصطلح، "الإيضاح"، للإحالة إلى معاني مختلفة (المرجع نفسه، ص 20-21). وينظر بيشر إلى الإيضاح على أنه ظاهرة شديدة التعقيد لا يمكن دراستها بمعزل عن ظواهر لغوية أخرى، من قبيل التضمن وتدخل اللغة الأصل، إذا أراد الباحث الحصول على نتائج صحيحة (المرجع نفسه، ص 41). فلجوء المترجمين للإيضاح والتضمن لا يختلف كثيراً عن لجوء الكتّاب أو المستعملين على مستوى لغة واحدة إليهما. فالسياق يفرض دائماً على الأشخاص تحديد درجة معينة بين الإيضاح والتضمن للتعبير عن أفكارهم بأكبر قدر من النجاعة، فأحياناً يسمح اشتراك معين بين المتلقي والكاتب بقدر معين من التضمن. كما قد تقود رغبة الكاتب في تجنب سوء الفهم إلى قدر من الإيضاح في النص. فمن هذا المنطلق يكون الخطاب عموماً مجالاً للإيضاح، والترجمة أحد أشكاله (Becher, 2010, 22). ويزيد هذا التعريف درجة التعقيد لأنه يربط المفهوم بالخطاب عموماً، ويجعله رهينة الاصطلاحات التي تحكم التفاعل اللغوي بين الأفراد، وهذا صحيح تماماً، فما النص المترجم إلا تفاعل بين القارئ والمترجم (نيابة عن الكاتب).

ويعتقد ببشر أن الباحثين في موضوع الإيضاح والتضمنين يجب أن يبتعدوا عن فرضية بلوم كالكا ومحاولة نفيها أو تأكيدها لأنها أثبتت عدم نجاعتها، وبالمقابل يقترح ما أسماه "فرضية اللاتماثل" (Asymmetry Hypothesis) وهي فرضية معدلة جزئياً لفرضية كلاودي (2005م-2009م) ومفادها أن الإيضاح في الترجمة من لغة 1 إلى لغة 2 لا يوازيه بالضرورة تضمين في الاتجاه المعاكس (من لغة 2 إلى لغة 1)، فالإيضاح يكون أكثر استعمالاً بغض النظر عن اللغات المعنية بالترجمة (Becher, 2011, 59). ويبني فرضيته على خاصيتين اثنتين مرتبطتين بالوضعية التواصلية التي تنتج الترجمة عادة: أولاً وجود بون ثقافي بين كاتب النص الأصلي وقارئ النص المترجم، وهو ما يُحتّم على المترجم اللجوء للإيضاح قصد تعويض التباعد الثقافي الملحوظ. ثانياً أن السياق التواصلية للترجمة محفوف بالمخاطر، فحين يكفي مؤلف النص الأصلي أن يكتب ويعبر عن أفكاره بأي لغة أراد، يتحتم على المترجم أن يكتب بلغة مفهومة وأن يتجنب أي لبس في الفهم. ففي حال وجود أي مشكلة في تلقي النص يكون المترجم أول المتهمين، حتى في حال كان النص الأساسي على شيء من الصعوبة والتعقيد. فمن الطبيعي إذاً أن يكون الإيضاح اختيار المترجم الأول لأن هدفه الأساسي هو إنجاح عملية التواصل بين القارئ والنص من خلال الإفهام، وفي الوقت ذاته يكون المترجم قد قلل احتمالات فشل ترجمته بشكل كبير (انظر المرجع نفسه، ص 60-62). فالإيضاح النسبي الملاحظ على الخطاب المترجم هو نتيجة مباشرة للوضعية التواصلية التي يُنتج فيها عادة (المرجع نفسه، ص 64). وقد حاول ببشر في دراسته الإجابة عن سؤال "متى" و"لماذا" يلجأ المترجم إلى الإيضاح أو التضمنين، وما هي العوامل التي قد تحفز استعمال هذه الطرق (المرجع نفسه، ص 75). فمن بين أسباب لجوء المترجم للإيضاح رغبته في تقليل مخاطر سوء الفهم بشكل عام، أو استجابته للميول التواصلية في الثقافة الهدف. كما قد تتوفر اللغة الهدف على ألفاظ أو صيغ غير موجودة في اللغة الأصلية لكنها ملائمة للمعنى المراد نقله. أخيراً، قد يعتمد المترجم للإيضاح لتقليل اللبس الناجم عن الإحالة المشتركة، فاحتمال أن القارئ قد يجد صعوبة في

الفهم الصحيح تدفع المترجم لإظهار المعنى (المرجع السابق، ص216). وقدّم بيشر نقاشاً مفصلاً حول الإيضاح، وفق منهجية واضحة واصطلاح مضبوط، يجعله ربما من بين أكثر الأبحاث توفيقاً في الإحاطة بهذا الموضوع.

14.1.3.2. الإيضاح عند إليزابيث مورتيساري

وفي عام 2013م نشرت مورتيساري دراسة عن الإيضاح والتضمنين في الترجمة اعتماداً على نظرية الصلة (Relevance Theory)، وهي إحدى النظريات البراغماتية في اللسانيات، لشرح هاتين الظاهرتين بشكل معمق واقتراح تصنيف جديد يختلف عن تصنيف كلاودي (2005م). وتلاحظ مورتيساري أن جلّ الدراسات حول المفهوم تستعمل مصطلحي "واضح" و "مُضمن" دون تركيز حقيقي على ماهيتهما، فيتم استعمالهما بشكل آلي للدلالة على معانٍ مختلفة، وتقتصر بدلاً من ذلك تعريف الإيضاح على أنه ذلك التحول في المعنى من المضمن إلى الموضح أو من الأقل وضوحاً إلى الأكثر وضوحاً (Murtisari, 2013, 315). وتكمن أهمية هذا التعريف في تسليطه الضوء على مفهومي الإيضاح والتضمنين بشكل نسبي ينظر أيضاً إلى الحالات البينية الموجودة بين الحالتين القصوتين، وبالتالي يأخذ التدرج في الانتقال من حالة التضمنين إلى حالة الإيضاح بعين الاعتبار.

وعلى عكس التعريفات التي تنظر إلى الإيضاح بوصفه ظاهرة نصية بحثه مرتبطة بالصياغة اللفظية لما يمكن استنباطه من السياق دون الحاجة إلى صياغته، يسمح تعريف مورتيساري بدمج الإيضاح النصي بذلك المرتبط بمختلف مستويات المعنى وكذا تحديد مستوى (أو مستويات) المعنى المسؤول عن الإيضاح (المرجع نفسه، ص332). كما تُعَدُّ الباحثة، اعتماداً على نظرية الصلة، فكرة أن الإيضاح هو بالضرورة انتقال من العام إلى الخاص ومن الأقل إلى الأكثر إخبارية وذلك من خلال أمثلة لحالات معاكسة (انظر المرجع نفسه، ص335-338). وتخلص في دراستها إلى أن مقارنة

الإيضاح/عدم الإيضاح في إطار نظرية الصلة يسمح للمترجم بإعادة بناء وصياغة الإشارات التواصلية لقارئ النص المترجم بما يناسب التغير في السياق. فيكون فهم المترجم وتأويله للنص مبنيا على تفصيل معاني المفردات والعبارات في النص (الدرج في الإيضاح) وأيضا أحيانا على استنباط الإحالات الموجودة على مستوى النص الأصلي (الانتقال من المضمن إلى الموضح). وفي حال لم تكن المعلومات المضافة في النص المترجم ناتجة عن توسع في البنى المنطقية للنص الأصلي لا يمكن مقارنة مستوى الإخبارية بين النصين (المرجع السابق، ص342). أضاف هذا البحث لبنة جديدة للنقاش حول الإيضاح ولفت الانتباه إلى نسبية الكثير من التعريفات السابقة خاصة، فيما يتعلق بالانتقال من العام إلى الخاص ومن الأقل إلى الأكثر إخبارية في النصوص المترجمة الموضحة، ولفت الانتباه إلى آليات مختلفة قد يعمل من خلالها الإيضاح في النص لا تفسرها بالضرورة التعريفات اللسانية المتوفرة.

15.1.3.2. الإيضاح وأساليب التشويه عند أنطوان برمان

تركز الدراسة التي بين أيدينا على البعد الثقافي لفكرة الإيضاح، ولا يمكن بأي حال من الأحوال مناقشة المفهوم دون التطرق لرأي المفكر أنطوان برمان لسببين اثنين أولهما تركيزه على النصوص الأدبية بشكل خاص وثانيهما تحليله المفصل لانعكاسات ما يسميه بأساليب التشويه على قيمة النص الفنية وكذا دلالاتها الثقافية. وسوف يعتمد التحليل على مقال للمفكر بعنوان «La Traduction comme épreuve de l'étranger» ("الترجمة محنة للغريب"، 1985م). لكن وقبل الخوض في تفاصيل نظرية برمان سيكون من المفيد ربما التذكير بمقارنته الأخلاقية للترجمة الأدبية على أنها "Accueillir l'Étranger comme Étranger" ("استقبال للغريب بوصفه غريباً"، ترجمتنا 1985, 68 Berman) أي أن مهمة النص الأدبي المترجم الأولى هي أن يقدم النص الأصلي بكل سماته، دون الالتفات لما قد تخلقه هذه الغرابة من صعوبة للمتلقي، وأن هذه المسؤولية، والتي يعتبرها أخلاقية بالدرجة الأولى، تقع على

عائق المترجم. ومن وجهة النظر هاته يرتبط الاختبار أو المحنة بمتلقي النص المترجم الذي يتعين عليه اختبار نص غريب يعكس ثقافة غريبة عنه. من منظور آخر قد يكون الاختبار مرتبطاً بالنص المترجم، وهو المنظور الأكثر شيوعاً، الذي تنتقله الترجمة من موطنه الأصلي لتحطّ به على أرض غريبة، فيتعرض في رحلته هذه للكثير من المحن التي يتجلى أثرها على الشكل النهائي الذي يخرج به في الترجمة ومدى صموده وحفاظه على هويته أثناء عملية العبور هاته (المرجع السابق، ص 67). ويلتقي برمان في نظريته هاته مع ليفي (2011م)، فكلاهما يجدان في كثير من أساليب الإيضاح في الترجمة نوعاً من التشويه يطال جمالية النص الأدبي.

ففيما يصطلح عليه برمان "تحليلية الترجمة"، يُشرّح بكثير من التفصيل ما قد يكون من وجهة نظره أمراضاً تصيب الترجمة، أو تشوهات تطال النص الأدبي عند الترجمة تجعله يفقد جماليته ومعانيه. والحقيقة أن الكثير من أساليب التشويه التي تناولها برمان قد تنضوي إما تحت فكرة الإيضاح وإما تحت فكرة التضمن. ويجد برمان أنّ تفسير هذه الأساليب من منظور لساني وأدبي فحسب غير كافٍ وأنّه يجب أخذ الشق النفسي بعين الاعتبار في التحليل، ذلك أن الكثير منها يلجأ إليه المترجم بطريقة آلية لا واعية. إن وعي المترجم ومعرفته بما تحويه عملية الترجمة من تحديات غير كاف وحده لتجنب المركزية العرقية والتبعية في الترجمة، ففي لا وعي المترجم هناك تراكم لمخزون لغوي وثقافي يصعب معه "حماية" النص الأصلي ونقل تفاصيله دون تشويهها أثناء الترجمة (Berman, 1985, 69). وربما تزيد هذه المقاربة من تعقيد المهمة على الباحثين، خاصة وأنّ اللاوعي هو منطقة غامضة يصعب كشف خباياها، ولكنها مع ذلك تقرب المسافة مع الواقع، لأنّ الترجمة إنتاج بشري يجري عليها ما يجري على نشاطات البشر الأخرى من صعوبات تفرضها كثرة المتغيرات، والجانب النفسي أحدها.

سيأتي تفصيل هذه الأساليب عند مناقشة أنواع الإيضاح والتضمن، لكن يجدر التنويه في هذا المقام إلى أن برمان في معرض تحليله لأساليب التشويه هاته يُلَفِت انتباه القارئ إلى أمرين نحسبهما في

غاية الأهمية لارتباطهما المباشر بموضوع البحث. أولاً، إن ما يبدو في ظاهره إيضاحاً، مثل الشرح والإطالة، قد يكون له أثر مغاير كلياً على النص المترجم، إذ قد يزيد من غموضه. وهو ما يدفع للاعتقاد أنّ تصنيف أساليب الترجمة على أن بعضها يعمل على زيادة درجة وضوح النص وبعضها الآخر يُقلل من درجة الوضوح يحتاج إلى تدقيق أكبر، وربما يُمكن الجمع بين تحليلية الترجمة عند برمان والنتائج التي توصلت إليها مورتيساري اعتماداً على نظرية الصلة من التوصل إلى فهم أعمق لطبيعة آليتي الإيضاح والتضمنين وكيفية عملهما في النصوص المترجمة. ثانياً، إنّ استعمال برمان لمصطلحات من قبيل "الإيضاح"، "الإبانة"، "التنوير"، "التضخيم"، "النشر"، "الإضافة"، "المقروء"، "التعتيم"، "المسح"، "الإفقار"، "عدم الانسجام"، "عدم الاتساق"، لشرح مختلف أساليب التشويه في الترجمة، يوحي بأن آليات الإيضاح والتضمنين هي المحرك الأساسي لهذه الأساليب، ولكنها تعمل على مستويات عدة وليس على مستوى واحد.

وقد ذهب غسان لطفي (2016م) لمثل هذا الرأي عند دراسته لأثر الإيضاح (مقابل ل clarification) على ترجمة مجموعة من روايات نجيب محفوظ إلى الفرنسية. فالأمثلة التي قام الباحث بتحليلها تسمح بملاحظة أنّ كثير من حالات الإيضاح تكون نتيجتها عكسية على المعنى، فهي تلبس أكثر مما تبين، وهو ما يتقاطع مع أهداف هذه الدراسة من حيث فهم الإيضاح في بُعد الثقافي والذي قد يتضرر نتيجة لاستعمال غير موفق لبعض أساليب الإيضاح في الترجمة، فالإيضاح النصّي أو اللفظي لا يَنْتُج عنه بالضرورة إيضاح على المستوى التواصلّي أو الثقافي. كما أنّ الباحث في معرض تحليله للترجمة لم يجد بُدّاً من الاستعانة بأساليب أخرى ذكرها برمان، على أنّها من أشكال الإيضاح، وهو ما يتفق مع ما سبق ذكره حول صعوبة الفصل بين الإجراءات النصّية من الناحية العملية. حتى أنّ الترجمات أحياناً تكون إيضاحية "بالمعنى الواسع للكلمة" (ص 357)، أي أنّ فكرة الإيضاح في الحقيقة أوسع من المصطلح الفرنسي (clarification)، والذي يُعَدُّ برمان من أساليب التشويه في الترجمة، في

حين يزعم الكنانى وآخرون (2018م) أنَّ الإيضاح يجب أن يُؤخذ في بعده الإيجابي كونه "نزعة جمالية وملكة بيد المترجم يستخدمها عند الحاجة" (ص 107). وهو ما يعكس اختلاف الباحثين في فهمهم لطبيعة الأثر الناجم عن الإيضاح في النص المترجم باختلاف آرائهم وأفكارهم حول ماهية الترجمة وأهدافها.

بشكل عام، عادةً ما يلجأ المترجم إلى الإيضاح، البراغماتي عند كلاودي، عندما يحوي النص الأصلي مفاهيم ثقافية قد يستعصي فهمها على متلقي النص المترجم. ومن هذه المفاهيم ما يتعلق بالدين والمأكّل والملبس والعرف والنباتات والحيوانات وغيرها، والتي تزداد غرابة كلما زاد البون بين ثقافة النص الأصلي والثقافة الهدف. وتلاحظ تيموكسكو (1999م) في هذه الحال أنَّ المترجم يحاول إزالة ما استطاع من عوائق يراها تقف أمام فهم القارئ معتمداً على مختلف أشكال الإيضاح كأن يختار من اللغة الهدف ما يحسبه المكافئ الأنسب لهذا المفهوم أو ذاك، وهو ما يعد شكلاً من أشكال التوطين. كما قد يلجأ إلى اقتراض المصطلح وإلحاق هامش به ليشرحه، ويكون في هذه الحال قد مزج بين التغريب باعتماده على الاقتراض والتوطين باعتماده على الهامش ليضمن نجاح عملية التواصل مع قارئ النص المترجم. وهناك العديد من الأساليب النصية التي يمكن رصدها في النصوص المترجمة والتي يمكن اعتبارها من أساليب الإيضاح والتي تتأرجح بين الميل إلى التوطين حيناً وإلى التغريب حيناً آخر. (Maria Tymoczko, 1999a, 24). ولهذا السبب تحديداً، قد تتحول هذه الأساليب بيد المترجم إلى وسيلة تسمح بإبراز ملامح الثقافة الأصلية في الترجمة، أو على النقيض من ذلك أداة للإخفاء والطمس.

وما قد يزيد مهمة المترجم تعقيداً في الكثير من الأحيان، بحسب تيموكسكو، هو صعوبة تحديد مواضع المحتوى الثقافي الذي قد يستعصي فهمه على القارئ، والذي قد لا يكون بالضرورة متمثلاً في مصطلح بعينه ولكنه منتشر ومتواجد بشكل ضمني في النص الأصلي. وحتى يضمن المترجم تلقي قارئ النص المترجم لهذه المعاني، سيد نفسه مجبراً إما على إضافتها بشكل صريح في متن النص أو الإشارة

إليها في إحدى عتبات النص، الهوامش في غالب الأحيان. وقد يُنظر لمثل هذه الخيارات نظرةً سلبية لما قد ينتج عنها من نقل للبُنى الثقافية الأقل انتشاراً وتأثير ذلك على مكانة الثقافات المسيطرة، وموازن القوى بشكل عام. لدرجة أن الهيمنة الثقافية قد تدفع المترجم من ثقافة مسيطرة إلى ثقافة أدنى لترك الكثير من المرجعيات الثقافية على حالها المضمن في النص المترجم، على اعتبار أن القاصي والداني يعرفها. وتسهم مثل هذه الخيارات الترجمية في ترسيخ فكرة أفضلية ثقافة على غيرها (المرجع نفسه، ص26-28). أي أنّ هناك نوع من الترسّخ للخطاب السائد من خلال تحري استعمال أساليب إيضاحية بعينها وهو ما يدفع للاعتقاد بأنّ أي محاولة للثورة على هذا الخطاب تمرّ حتماً عبر اعتماد أساليب على طرف النقيض منها.

إنّ كلّ الآراء الواردة أعلاه تسمح بالخروج ببعض النتائج فيما يخص دراسة الإيضاح بوصفه أحد أساليب الترجمة. أولاً، أدّى تركيز جُلّ الباحثين على محاولة إثبات أو نفي فرضية بلوم كالكا إلى تركيز أكبر على الشق اللساني (معجمي، نحوي، دلالي) وإهمال الجوانب الأخرى بعض الشيء.

ثانياً، إنّ معظم أساليب الترجمة دون استثناء، حتى تلك التي لم تأت هذه الدراسة على ذكرها يمكن مقاربتها على أنّها إما إيضاح أو تضمين، لكنّ حقيقة أنّ الإيضاح يعمل على مستويات عدة وليس على مستوى واحد يجعل الجزم بأنّ أسلوب بعينه أدّى إلى إيضاح الترجمة أو إبهامها يتطلب تحليلاً أعمق. ثالثاً، إنّ ما يمكن اعتباره إيضاحاً معجمياً أو نحوياً قد لا ينتج عنه إيضاح على المستوى الدلالي أو البراغماتي، بل إنّ أحياناً يؤدي إلى نتيجة عكسية. رابعاً، إنّ إدخال المترجم وقارئ النص المترجم في دائرة العوامل التي يجب الانتباه لها عند تحليل كيفية عمل الإيضاح على مستوى النص، تزيد لا شك المهمة تعقيداً، لكنّها تفتح طرقاً جديدة للفهم بعيداً عن الجانب اللغوي البحت، الذي على فائدته الكبيرة، قد يؤدي أحياناً لنتائج سطحية بعض الشيء. أخيراً، إنّ الاهتمام بدراسة كيفية عمل أسلوب الإيضاح في ضوء المقاربات الثقافية للترجمة يجعل التركيز الأكبر على فكرة الإيضاح يكون في بعدها الثقافي

والبراغماتي، وهو ما يُبيح أخذ مختلف مكونات النصوص المترجمة بعين الاعتبار (النصوص وعتباتها على حدّ سواء)، للتوصل لنتائج قد تكون أكثر واقعية.

2.3.2. مفهوم التضمن في دراسات الترجمة

سيلاحظ القارئ بالتأكيد أنّ النقاش حول مفهوم التضمن لن يكون في غنى النقاش الذي سبقه حول مفهوم الإيضاح. ولهذا الأمر مبرراته المنطقية، فكما سبق الإشارة إليه، لا يهتم الباحثون بهذين المفهومين على قدم المساواة، فالأبحاث حول الإيضاح، التي تم الاطلاع عليها في إطار هذه الدراسة، تفوق بكثير تلك التي تركز على التضمن. وحتى حين يحتاج الباحثون للتطرق للتضمن، فإنه عادة ما يأتي في شكل التابع الذي يُعرّف بالإيضاح، فهو النقيض ونفي الحالة. ثمّ إن المنظرين في الترجمة وكما أجمعوا على أنّ الإيضاح يكاد يكون رديفاً للترجمة، لشدة اعتماد المترجمين عليه، فإنهم على ما يبدو متفقين على أن التضمن ليس شائعاً في الترجمة، وأنه ليس من بين اختيارات المترجم الأولى. وفيما يأتي عرض لآراء بعض المفكرين حول المفهوم.

1.2.3.2. التضمن عند فيني وداربلني، ويوجين نايدا

يعرف فيني وداربلني (1972م) التضمن على أنه أسلوب في الترجمة يقوم على "نقل المعنى الذي جاء مفسراً وواضحاً في النص الأصلي بشكل مضمن في النص المترجم اعتماداً على السياق أو الوضعية" (ترجمتاً، 9، 1972، Vinay et Darblnet). ومن الملاحظ في هذا التعريف أنّ التضمن مرادف لحذف الألفاظ في النص المترجم، وهو ما يحصر المفهوم في المعنى اللساني. وغير بعيد عن هذه المقاربة، تدرج مقاربة نايدا (1964م)، والذي، كما هو الحال بالنسبة للإيضاح، لم يستعمل مصطلح التضمن للتعبير عن هذا المفهوم بل استعمل لفظ "محذوفات" لوصف تلك التقنيات في الترجمة المراد بها تعديل النص، ويلاحظ أنها ليست واسعة الاستعمال ولا متنوعة مثل الإضافات، لكنها تبقى مهمة في

تعديل النص المترجم. ويذكر منها التكرار، تحديد المرجع، أدوات الربط، الوصلات، والفئات وغيرها (Nida, 1964, 231). والحقيقة أنَّ اعتماد نايدا على تقسيم واضح يفترض ثبات المعنى مكنه ليس فقط من تقديم تعريفات تبدو في ظاهرها سليمة، ولكن أيضاً من تفصيل آليات عمل هذه الاستراتيجيات على مستوى النص وهو ما سيتم تناوله في الجزء الموالي من هذا الفصل. ويمكن القول أنَّ هذه التعريفات اللسانية، وعلى الرغم من إعطائها تفسيراً جزئياً للمفهوم، عاجزة عن تفسير ما يمكن اعتباره طمس ثقافي قد يحدث على مستوى النص المترجم دون اللجوء لأي حذف واضح. كما أنَّ هناك الكثير من الإجراءات التي اقترحها نايدا على أنَّها إجراءات حذف يمكن بسهولة ربطها بنوع من الإيضاح على مستوى مختلف من المعنى يتجاوز الإطار المادي للألفاظ، والعكس صحيح، فقد ينتج عن كثير من إجراءات الإيضاح على المستوى اللغوي النصي إخفاء على مستوى التلقي، أو نقل الثقافة الأصلية وهكذا. باختصار، بالنسبة لأهداف هذا البحث، يعتبر التعريفين السابقين غير كافيين لتفسير مفهوم التضمنين المراد تمحيصه.

2.2.3.2. التضمنين عند كلاودي وكارولي

تلاحظ كلاودي وكارولي (2005م) أن الأبحاث حول الإيضاح تتفوق بشكل كبير من حيث عددها عن تلك التي تهتم بالتضمنين وهو ما يعكس اهتماماً أكبر بالأول. فالطابع الهامشي لهذا المفهوم يعكسه في كثير من الأحيان التطرق إليه بشكل عارض وآلي على أنه نقيض لمفهوم الإيضاح. وفيما يميل المترجمون إلى استعمال الإيضاح دون عوائق تذكر، فإنهم كثيراً ما يفشلون في استعمال التضمنين الاختياري (Klaudy and Karoly, 2005, 13-14). أي أنَّ طبيعة عملية الترجمة في حد ذاتها هي ما يجعل الإيضاح في دائرة اهتمامات الباحثين، فيما لا يحظى التضمنين بنفس مستوى الاهتمام. فالإيضاح مصاحب للترجمة بشكل لا يمكن تجاهله، لدرجة جعلت البعض يعتبره أحد مبادئ الترجمة، أما

التضمنين، فله من اسمه نصيب، فهو قليل وصعب الاستعمال في آن. ويضيف بيشر (2011م) أن تجنب المجازفة بوضوح المعنى أو المقرئية يكون أحياناً سبباً في عزوف المترجمين عن التضمنين، فإنَّ صعوبته مقارنةً بالإيضاح، وكذا عدم توفر دوافع حقيقية للاعتماد عليه هي ربما أسباب أقوى ومنطقية أكثر (Becher, 2011, 218). أي أنَّ طبيعة الترجمة التي قد تنتج عن استعمال التضمنين بكثرة هي ترجمة غير مغرية للناشرين لأنَّ فيها من الإبهام ما قد يصدُّ القارئ عن الالتفات إليها، وهو ما لا يشجع المترجمين على اللجوء لهذا الأسلوب إلاَّ فيما ندر.

ويتجلى التضمنين حسب كلاودي وكارولي (2005م) مثلاً عند الانتقال من المعنى الخاص والمحدد في النص الأصلي إلى المعنى العام في الترجمة، أو عند الانتقال من معنى موزع على عدة مفردات في النص الأصلي إلى معنى مجمل في مفردة واحدة في الترجمة، أو حين يتم حذف عناصر من النص الأصلي ذات معنى في الترجمة، أو حين يتم تركيب عدد من الجمل من النص الأصلي في جملة أو عبارة واحدة في الترجمة. ومن أمثلة عمليات النقل في الترجمة التي تشتمل التضمنين التعميم المعجمي، الإيجاز المعجمي، الحذف المعجمي، التعميم النحوي، الإيجاز النحوي، والحذف النحوي (Klaudy and Karoly, 2005, 15). أي أنَّ التضمنين عند الباحثين، كما عند سابقيهما، هو أسلوب يمكن رصده على مستوى النص المترجم في الحالات النقيضة لحالات الإيضاح، وهو أمر صحيح نسبياً، لكن يمكن بسهولة إثبات وجود إيضاح يعتمد على أحد الأساليب الخاصة بالتضمنين. وأهم مشكلة في هذا التعريف هي حصره للمفهوم في الحالة الملموسة والتي يمكن ملاحظتها على مستوى النص، وهي نظرة محدودة ولا تأخذ بعين الاعتبار مستويات الفهم والتلقي المختلفة.

3.2.3.2. التضمن عند بيشر

يُعرّف بيشر (2011م) التضمن على أنّه تلك المعلومات في النصّ التي لا يُعبّر عنها لفظاً ويكون القارئ قادراً، ربما، على استخلاصها. ويلفت بيشر الانتباه إلى أنّ قدرة القارئ على استنباط المعلومة ليست مضمونة، لكنّ المهمّ هو وجود هذا النوع من المعلومة في النص. والمعلومة قد تكون على أيّ مستوى من مستويات اللغة (الصوتي، النحوي، الدلالي، البراغماتي....). ولا يُحدّد التعريف ما إذا كان القارئ قادراً على استخلاص المعنى اعتماداً على إشارات سابقة في النص، أو على السياق، أو على مخزونه المعرفي (Becher, 2011, 2-3). ويأتي هذا التعريف ضمن محاولة الباحث وضع تعريف واضح ومحدّد يتناسب مع أهداف بحثه في مجال الترجمة الاقتصادية، ولكنّ التعريف مع ذلك يعبر عن المعنى اللساني للمفهوم والذي يمكن ملاحظته على مستوى النص المترجم. ويعتقد بيشر أنّ الاتجاه العام في الترجمة للإيضاح قد يكون مرده سهولة الأخير مقارنة بالتضمن. فأنّ تضيف شيئاً إلى ما هو موجود أصلاً ليس في صعوبة أن تحذف، خاصة إذا استوجب الحذف إعادة صياغة. ناهيك عن المجهود الذهني الذي يتطلبه فهم النص أو بعض من أجزائه للوقوف على المواضيع التي يمكن حذفها دون الإضرار بالمعنى. فبالنظر إلى ظروف عمل المترجمين وضغط الوقت، قد لا يكون خيار التضمن هو الأفضل (المرجع نفسه، ص76). يشير هذا الرأي إلى صعوبة التضمن من الناحية العملية، فحتّى ينجح المترجم في تطبيقه عليه القيام بمجهود مضاعف، وتبقى مع ذلك نتائجه غير مضمونة من جانب التلقي. ولأنّ الترجمة وظيفة محكومة بالمال والوقت، قد تنثني هذه الأسباب المترجم عن التفكير في سلك هذا السبيل.

ومن الأسباب التي قد تدفع المترجم لاستخدام التضمن يذكر بيشر رغبة المترجم في الحصول على نص متسق بشكل يسهل معه تحصيل القارئ أكبر قدر من المعرفة بأقل جهد ممكن. كما قد تكون الأعراف التواصلية للثقافة الهدف وطبيعة متلقي النص المترجم سبباً للتضمن. ولأنّ النصوص المترجمة

كثيراً ما تُنتقد لتفكك أجزائها وتواضع أسلوبها، فإنَّ المترجم قد يجد في التضمن ما قد يُجنبه مثل هذا النقد. وفي بعض الحالات قد يُجبر المترجم على التضمن لعدم توفر لفظٍ أو صيغة نحوية في اللغة الهدف تلئم المعنى المعبر عنه في النص الأصلي. وأخيراً، يمكن أن يقدر المترجم أنه في استطاعة القارئ استخلاص معاني الإحالات المشتركة الموضحة في النص الأصلي دون التصريح بها، فخير التضمن هنا مرتبط ليس فقط بطبيعة اللغة، بل أيضاً بطبيعة المتلقي (المرجع السابق، ص 217).
وجميع الأسباب التي ذكرها بيشر هي أسباب ترتبط بالممارسة العملية، ولا تنطلق من فكرة نظرية مجردة، ما يجعل طرحه أكثر واقعية.

كما توصل بيشر إلى أنَّ الإيضاح باتجاه معين من الترجمة قد يقابله تضمين في الاتجاه المعاكس، لكنها تبقى حالات قليلة مقارنة بما يُلاحظ عموماً من ميل للإيضاح بغض النظر عن اتجاه الترجمة أو الثنائية اللغوية. في هذه الحالة يفترض الباحث أنَّ اللجوء لهذا الأسلوب أو ذاك يخضع لأسباب معجمية ونحوية وبرagamاتية متغيرة بتغيّر اللغات والسياقات. وترتبط العوامل المعجمية بالمخزون اللفظي لكل لغة، أما العوامل النحوية فتتعلق بالقواعد النحوية وأساليب صياغة وتركيب الجمل. ومن ضمن العوامل البرagamاتية يمكن ذكر جرأة المترجم، فهمه الخاص لوظيفة الترجمة وما تتضمنه عليه مهمة الوساطة الثقافية من مسؤوليات، والأهم من ذلك ربما هو الأعراف التواصلية في الثقافة الأصل والثقافة المستهدفة ومدى التقارب أو التباعد بينهما، فكلما تباينت أساليب التواصل كان المترجم مُطالباً بإجراء تغييرات بما يتناسب مع السياق (المرجع السابق، ص 219). فما يمكن استخلاصه، هو أنَّ تعميم الأحكام قد لا يكون صحيح دائماً، فما ينطبق على حالة قد لا ينطبق على غيرها.

فعلى الرغم من ميل الباحثين للاعتقاد بأنَّ الإيضاح أكثر شيوعاً من التضمن، وجدت دراسة مقارنة لترجمتين فارسيتين لرواية "مزرعة الحيوان" لجورج أوروال (Sepehri, 2021) أنَّ اعتماد المترجمين على التضمن قد يفوق اعتمادهم على الإيضاح في بعض الحالات. فمقارنة بالنص الأصلي حوت كلا

الترجمتين عدد كلمات أقل، كما أنَّ أحد المترجمين لجأ إلى التضمن في النص أكثر من الإيضاح، وهو ما قد يكون مرتبطاً بالمترجم وميوله الشخصية أكثر من ارتباطه بالاختلافات اللغوية. لكنَّ هذا لا ينفي بالتأكيد أن للأمر علاقة مباشرة باللغة المنقول منها وتلك المنقول إليها (الإنجليزية والفارسية في هذه الحالة).

وتختزل هذه الدراسة الإيضاح أو التضمن فيما يمكن استخلاصه من بنية النص المعجمية والنحوية، أي على المستوى اللغوي تحديداً، وهو ما يطرح تساؤلات حول مدى صحة هذه النتائج على مستويات أخرى مثل المستوى البراغماتي. وعلى الرغم من وجود مصطلحي الإيضاح والتضمن في عنوان الورقة البحثية، أي أنَّ البحث قائم على هذين المفهومين، فإن الباحث لم يجد ضرورة لإعطاء تعريف واضح ومحدد للمصطلحات التي يقوم عليها بحثه. وخلص الباحث إلى أنَّ كلا الأسلوبين مستعمل في الترجمة، إلاَّ أنَّ المتلقي المتخصص (مترجمين عُرِضت عليهم الترجمات لتقييمها) قد يميل إلى النصوص الموضحة أكثر، ويعتبرها أسلوبياً أفضل (Sepehri, 2021, 28). لكن هذه النتيجة أيضاً صحيحة فقط ضمن إطار الترجمة الأدبية من الإنجليزية إلى الفارسية، وربما في بعض الأمثلة فقط. بعد تقديم عرض مفصل لمفهومي الإيضاح والتضمن، وجب التنويه إلى أنَّ هدف هذه الدراسة هو تحليل عمل هذين الأسلوبين في الترجمة والوقوف على مدى توافقهما أو تعارضهما مع إبراز أو إخفاء السمات الثقافية للنص الأصلي. فالباحث معني بوجهين للإيضاح هما الإيضاح بوصفه أسلوباً في الترجمة، وكذا الإيضاح بمعنى إظهار الثقافة الأصلية في الترجمة. ونفس الأمر ينطبق على التضمن. والغرض من هذا المزج بين المفاهيم هو محاولة تقدير مدى فعالية أساليب الإيضاح فيما يتعلق بالثقافة الأصلية على اعتبار أنَّ الترجمة هي في المقام الأول محاولة لتحقيق نوع من التفاعل الثقافي.

4.2. استراتيجيات الإيضاح والتضمن في الترجمة

نحاول فيما يلي التطرق لبعض استراتيجيات الترجمة المستخدمة في إيضاح أو تضمين محتوى النص الأصلي. وفي الوقت ذاته رصد بعض المشاكل الموجودة في هذه التصنيفات. ويجب أن ينتبه القارئ إلى أنَّ جُلَّ هذه التصنيفات لن تستخدم مصطلحي "الإيضاح" و"التضمن" صراحة، لكنها في تعريفاتها تحمل هذه المعاني. كما يجب التنويه إلى أنَّ الكثير من التصنيفات تركز على مفهوم الإيضاح دون التضمن، لأنَّ الأول أكثر حضوراً في الترجمة من الثاني، في نظر معظم منظري الترجمة. وعند البعض الآخر يكفي قلب استراتيجيات الإيضاح لتحصل على التضمن. فإذا اعتبرنا أنَّ الانتقال من العام إلى الخاص استراتيجية إيضاحية، فإنَّ الانتقال من الخاص إلى العام يُصبح استراتيجية تضمينية.

1.4.2. تصنيف نايدا

لم يستعمل نايدا (1964م) مصطلح الإيضاح ولكن استعمل مصطلح "إضافات"، وذكر عدة فئات تنضوي إليه نوجزها فيما يلي (Nida, 1964, 227-231):

تنمة العبارات المضمنة: التضمن، أو تعمد السكوت عن بعض المعاني في النص، ظاهرة تشترك فيها كلُّ اللغات، إلا أن شروط استعمالها ليست واحدة. ففي بعض الحالات يكون الحذف تقريباً اجبارياً في اللغة الأصلية، بينما تتطلب قواعد اللغة الهدف التعبير عن المحذوف لفظياً.

التخصيص الإنلزامي: قد تتطلب الترجمة أحياناً تحديداً أدق للمعنى لإزالة ما قد يشوب المعنى من غموض في اللغة الهدف أو لتفادي الإحالة إلى معنى غير المعنى المقصود.

إضافات تفرضها إعادة الصياغة النحوية: مثل الانتقال من المبني للمجهول إلى المبني للمعلوم، الانتقال من الخطاب المباشر إلى الخطاب غير المباشر، وتغيير فئة اللفظ (إسم/فعل).

التوسع من حالة التضمن إلى التوضيح: أحيانا ترد معان مهمة بشكل ضمني في النص الأصلي يتوجب التعبير عنها لفظيا في الترجمة.

المصنفات: لتمييز أسماء العلم مثل مدينة قالمة، نهر الأردن...الخ.

أدوات الربط: تلعب أدوات الربط دورا مهماً في توجيه القارئ إلى تسلسل الأحداث وعلاقتها ببعضها.

الفئات اللغوية في اللغة الهدف: في حال كان هناك فئات لغوية (إجبارية أو اختيارية) في اللغة الهدف غير موجودة في اللغة الأصلية يتحتم إجراء تعديلات لإدراج الفئات الإجبارية ودراسة احتمالات إدراج الفئات الاختيارية. وفي حال وجود الكثير من الفئات الاختيارية يتوجب على المترجم الانتباه إلى تأثير غيابها على أسلوب النص. إن استعمال المترجم لهذه الفئات يجعل بالضرورة النص المترجم أكثر إيضاحاً من الأصلي.

ويشير نايدا إلى أنه ورغم استعمال مصطلح "إضافات" يجب الانتباه إلى أنه لم يتم إضافة معنى غير موجود في رسالة النص الأصلي. فالتعبير صراحة عما جاء مضمناً في النص الأصلي لا يزيد من المعاني بل هو ببساطة يعبر عنها بشكل مختلف.

أما فيما يخص التضمن فيقتراح نايدا عدة تقنيات لما يسميه "تعديل" النص المترجم عبر الحذف، وهي مرتبطة بنقص ملاحظ على مستوى البنية لا مفر منه لوجود اختلافات نحوية ودلالية بين اللغات. والملاحظ على هذه التقنيات أنها مجرد قلب لما سبق ذكره عن الإضافات، وسنوجز أهم هذه التقنيات فيما يلي (المرجع السابق، ص 231-233):

التكرار: فيما يكون التكرار مستحبا في بعض اللغات يكون غير مستساغ في أخرى. في حال تكرار اللفظ، أو استعمال مرادف لإبراز المعنى، أو التكرار كأسلوب بلاغي في النص الأصلي، قد يؤدي الحفاظ على نفس الشكل للنص في الترجمة إلى تركيبة غير مقبولة لغويا وأسلوبيا وهو ما يبرر لجوء المترجم للحذف.

تحديد الإحالة: أحيانا يكون تكرار اسم أو ضمير للإحالة إلى معنى معين غير ضروري في اللغة الهدف لإمكانية استنباط المعنى دون عوائق حقيقية. كما أن الانتقال من فئة لغوية إلى أخرى قد ينجم عنه حذف لألفاظ تحيل إلى معان بعينها دون أن يؤثر ذلك على المعنى العام.

حروف العطف: قد يتم حذف أدوات الربط الصريحة بين الجمل أو العبارات أو الألفاظ وتعويضها بعلامات الترقيم مثلا.

أدوات الربط: كما سبق وأن ذكرنا، يكمن دور الربط في إبراز الانتقال من فكرة إلى أخرى دون إضافة أي معلومات جديدة وهو ما يجعل الاستغناء عنها محبذا في بعض اللغات.

الفئات اللغوية: حين تفتقد اللغة الهدف فئة لغوية موجودة في اللغة الأصل، يمكن للمترجم أن يحذفها أو أن يعبر عنها بطريقة مختلفة. وقد يؤدي الإصرار على نقل هذه الفئات الغريبة إلى خرق مبدأ التكافؤ الصحيح.

أدوات النداء: قد تفتقر بعض اللغات لصيغ معينة في المناداة مثل استعمال الألقاب لإبراز المكانة أو الاحترام وهو ما يبرر حذفها في بعض الحالات لتجنب التباس المعنى.

الصيغ: أحيانا يكون لبعض الصيغ معنى في اللغات الأصلية لا تملكه اللغات الهدف، فيكون الاستغناء عنها أو التعبير عنها بشكل مختلف أنسب للترجمة.

وكما هو الحال فيما يتعلق بالإضافات، يؤكد نايدا على أن كل تقنيات الحذف المذكورة أعلاه لا

ينبغي لها المساس برسالة النص الأصلية، واستعمالها مبرر لأنه يسمح بالحصول نص مكافئ للنص الأصلي. وكما هو معلوم فإنّ هاجس نايدا الأساسي هو رسالة النص وضرورة الحفاظ عليها. وكلّ هذه الاستراتيجيات التي ذكرها نايدا يجب أن تُفهم في إطار مشروع نايدا الترجمي، ألا وهو ترجمة الكتاب المقدس لمختلف لغات العالم لأغراض تبشيرية. لكن لا يمكن الجزم بمدى إمكانية تعميم هذا التصنيف، فقد كشف تحليل مفهوم الإيضاح، أنّ الإيضاح اللغوي لا يؤدي بالضرورة إلى إخبارية أكبر في النص،

وعليه يتطلب وجود هذا النوع من الإيضاح في النص تحليلاً أعمق يأخذ بعين الاعتبار المتلقي والسياق للخروج بنتائج أكثر دقة حول ما إذا كان قد "أوضح" فعلياً أي شيء. ونفس الأمر يمكن قوله عن مختلف استراتيجيات التضمن.

2.4.2. تصنيف أندرو شاسترمان

يقترح Andrew Chesterman (أندرو شاسترمان، 1997م) تصنيفاً لاستراتيجيات الترجمة عموماً،

واحدة منها فقط تحمل مسمى الإيضاح. لكنّ الكثير منها يمكن أن يُحمل على أنه شكل من أشكال الإيضاح الذي تحاول هذه الدراسة تحليله. وسيتم في الأسطر الموالية تلخيص مختلف الاستراتيجيات التي ذكرها شاسترمان (Chesterman, 1997, 94-112):

الاستراتيجيات النحوية: ومن أنواعها تغيير بنية الجملة وإعادة صياغتها، ويكون الإيضاح أحياناً أحد أسبابها. وكذلك الحال بالنسبة لتغيرات الاتساق، والذي ينجم عنه أحياناً تصريح أكبر في الترجمة.

الاستراتيجيات الدلالية: مثل تغيير الاسم المشمول بالاسم الأشمل أو العكس، وسبق الإشارة إلى أنّ الاتجاه من العام إلى الخاص في الترجمة يرتبط غالباً برغبة في إبراز المعنى. وأيضاً استراتيجية تغيير التجريد بالانتقال من المجرد إلى الملموس أو العكس، توزيع المعنى على أكثر من لفظ، تغيير ما يتم التركيز عليه، وإعادة الصياغة، وكلها أساليب تتقاطع بشكل أو بآخر مع الإيضاح اللغوي أو الإيضاح على مستوى النص.

الاستراتيجيات البراغمية: ومن أنواعها التي تعتبر من أساليب الإيضاح نذكر مثلاً التتقية الثقافية والمتعلقة بترجمة المصطلحات والمفاهيم الثقافية والتي عادة ما تخضع إما لتوطين أو تغريب، ويلاحظ شاسترمان أنّ لاستعمال هذا الأسلوب أو ذاك مبررات أيديولوجية، ونضيف على ذلك أن الهدف المعلن في مثل هذه الحالات هو الرغبة في إنتاج نص سهل القراءة والفهم وبالتالي نص أكثر وضوحاً. أما

الإيضاح فيوجهه الباحث في أنه لجوء المترجم إلى إضافة عناصر في الترجمة أُشير إليها ضمناً في النص الأصلي، وهذا التعريف العام هو ما يبرر فكرة أن الكثير من الأساليب وإن لم تُنعت بالإيضاح صراحة إلا أن الترجمة الناتجة عنها تحمل في طياتها هذا المعنى. فإضافة معلومات لم تأت مضمنة في النص الأصلي للنص المترجم قد لا تدخل في المعنى اللساني للإيضاح لكنها بكل تأكيد تسهم في إنتاج نص مقروء من منظور الثقافة الهدف. ونفس الشيء يمكن قوله عن التغيير على مستوى انسجام للنص، بحيث أنه أسلوب يسمح بتسليط الضوء على معلومات بعينها وبالتالي جذب اهتمام القارئ إليها. أما أسلوب التجلي فهو غالباً شكل من أشكال الإيضاح، بحيث يعرفه شاسترمان على أنه التدخل أو الحضور الصريح للمترجم من خلال الهوامش والتعليق بين الأقواس والشروحات على الحواشي والتي تجعل المترجم يأخذ خطوة للأمام ويكون تواصله مع القارئ بشكل مباشر فيما يأخذ الكاتب الأصلي خطوة للوراء إذ أن تواصله مع القارئ في هذه الحال يكون بوساطة ظاهرة للمترجم. وأخيراً أسلوب التنقيح وهو العمل على "تجميل" بعض النصوص السيئة عند الترجمة، وغالباً سيكون الإيضاح، الأسلوب في هذه الحالة، أحد الحلول التي سيعتمدها المترجم لهذا الغرض. بشكل عام يمكن اعتبار كل هذه الأساليب المذكورة من أنواع الإيضاح، لأنها جميعاً تحاول رفع لبس معين قد يخلق صعوبات للقارئ.

3.4.2. تصنيف كلاودي

تُميز كلاودي (1993م، 1998م) بين أربعة أنواع من الإيضاح:

الإيضاح الإجباري: هو الإيضاح الذي تمليه الاختلافات على مستوى البنية النحوية والدلالية بين اللغات. ولعل أبرز هذه الفوارق هي تلك المقترنة بالفئات الناقصة، فمثلاً المثنى موجود في اللغة العربية وغير موجود في الإنجليزية، وبينما لا يتغير شكل الصفة بتغير الموصوف في الإنجليزية فإنه يتغير في اللغة الفرنسية بين المذكر والمؤنث، أو بين المفرد والجمع. كما يلعب نوع اللغة، ما إذا كانت تحليلية أو

تركيبية، دورا مباشرا في لجوء المترجم إلى الإيضاح. على المستوى الدلالي، قد يلجأ المترجم لتحديد المفهوم أكثر في الترجمة نتيجة التباين في تعبير اللغات عن الواقع. فمثلا عند ترجمة كلمة "خال" إلى الإنجليزية قد يضيف المترجم "maternal" إلى "uncle" حتى يكتمل المعنى (Klaudy, 1998, 83). وعلى عكس كالكا، تعتقد كلاودي أن الإيضاح الإجباري، شأنه شأن الفئات الأخرى، يُنتج نصاً أكثر وضوحاً، ولا يجب تجاهله فقط لأنه مرتبط بالاختلافات بين الأنظمة اللغوية (Klaudy, 1993a, 73). فعلى الرغم من الطابع الإجباري لهذا النوع من الإيضاح لارتباطه بالاختلافات الموجودة بين الأنظمة اللغوية، إلا أن اعتماد المترجم عليه ينتج نصاً أكثر سلاسة ومقروئية وبالتالي أكثر وضوحاً.

الإيضاح الاختياري: هو ذلك الذي تمليه الاختلافات بين اللغات في كيفية بناء النصوص أو المميزات الأسلوبية. وهي اختيارية لأن بدونها يمكن الحصول على نص صحيح لغوياً، لكنه يفتقد إلى السلاسة والجمال (Klaudy, 1998, 83). ومن أمثلة الإيضاح الاختياري إضافة أدوات الربط لتعزيز اتساق النص، أو التوكيد باستعمال المرادفات مثلاً (Klaudy, 1993a, 71). يمكن تفسير بعض حالات الإيضاح الاختياري اعتماداً على لسانيات النص فيما يكون البعض الآخر ناتج عن تقنيات تحرير النص أثناء المراجعة النهائية والتي يحرص فيها المترجم على صياغة النص بحيث يكون سهل التلقي والفهم (المرجع نفسه، ص 73). وقد أجرت كلاودي اختباراً لفحص تأثير الإضافات الاختيارية على مقروئية النص المترجم على عينة تتكون من 100 طالب جامعي طُلب منهم مقارنة وتقييم ترجمتين مجريتين لنفس النص الروسي إحداها استعملت الإضافات الاختيارية بشكل أكبر ما نتج عنه ترجمة أطول. وجاءت نتائج الاختبار لصالح الترجمة الأطول، إذ اعتبرها القراء أكثر سلاسة ووضوحاً من الترجمة الأقصر والتي كانت في رأي البعض سيئة. واعتبر معظم الطلبة أن الإضافات والتوضيح مؤثران على أن الترجمة جيدة. وخلصت إلى أن للإيضاح تأثير إيجابي على مقروئية النص، لكن بعض المشتركين لفت الانتباه إلى أن الإضافات يمكن أن يكون لها تأثير سلبي على مصداقية النص (Klaudy, 1993b).

(375-377). يحاول البحث من جهته تحليل نوع التأثير الذي يتركه أسلوب الإيضاح على النص الأدبي فيما يتعلق بإبراز سمات الثقافة الأصلية، ويبدو أن الرؤية ستختلف، وهذا الأثر لن يكون في الغالب إيجابياً لأنّ هناك نوع من التعارض بين التواصل مع القارئ وإظهار ملامح ثقافة النص الأصلي والذي يرتبط عادة بصعوبات التلقي.

الإيضاح البراغماتي: هو ذلك المتعلق بإيضاح المعلومات الثقافية التي تكون مضمنة في النص

الأصلي، فمتلقي النص المترجم لا يملك الخلفية الثقافية التي يشترك فيها قراء النص الأصلي والتي تمكنهم من استنباط مختلف الإحالات الثقافية. وعليه يقوم المترجم عادة بإضافات توجه القارئ نحو المعنى المقصود عند ورود أسماء مدن أو أنهار أو أطعمة أو ما شابه، كأن يضيف "نهر" قبل "السين" أو "مدينة" قبل "كييف" (Klaudy, 1998, 83). تعتبر كلاودي هذا النوع الوحيد الذي تمليه طبيعة الترجمة، فوعي المترجم بأن متلقي النص المترجم لا يشترك مع متلقي النص الأصلي في الخلفية التاريخية والجغرافية والثقافية يدفعه دفعا باتجاه ترجمة تفسيرية. والإيضاح البراغماتي لا يجعل التواصل بين اللغات ممكنا فحسب، بل يحفز أيضا التواصل الثقافي. كما أنه لا ينتج بالضرورة نصا أطول لأن الإضافة ليست السبيل الوحيد للإيضاح، كما أن تركيز المترجم يكون عادة على ما هو مهم في بناء المعنى وليس على الخصوصيات الثقافية بوجه عام (Klaudy, 1993a, 72). وتشير كلاودي إلى أن الصعوبة في دراسة هذا النوع من الإيضاح تكمن في كونه يعكس أنواع لا حصر لها من الاختلافات ليس بين اللغات ولكن بين عوالمها. وهي بذلك عصية على الوصف المنهجي، وقد يؤدي الحماس الزائد في دراستها إلى نتائج من شأنها زيادة الشكوك حول جدية الدراسات الترجمانية، والتي ما زال كثيرون ينظرون إليها بعين الريبة (المرجع نفسه، ص73). جدير بالذكر أن هذا النوع من الإيضاح هو أكثر ما سيركز عليه البحث لاهتمامه أساسا بفحص المحتويات الثقافية التي يتم إيضاها، وكذلك الكيفية التي

يتم إيضاحها بها، ومدى اختلاف المحتوى باختلاف اتجاه الترجمة (من العربية إلى الإنجليزية والعكس) وعلاقة كل هذا بهيمنة اللغة الإنجليزية في هذا العصر.

الإيضاح بوصفه جزءاً من عملية الترجمة: وهو مرتبط بـ "فرضية الإيضاح" لبلوم كولكا ويُعزى إلى طبيعة عملية الترجمة، ويمكن تفسيره ببساطة على أنه تلك الحاجة لصياغة أو التعبير عن أفكار في اللغة الهدف تم تصورها في اللغة الأصل. أو تلك الصعوبات التي تصاحب الانتقال من الفكرة إلى الصياغة اللغوية خاصة في وجود لغة أخرى في الوسط (المرجع السابق، ص70). وقد لاقى هذا النوع من الإيضاح بعض النقد من الباحثين لطابعه العام وصعوبة نفيه أو تأكيده على المستوى العملي (Becher, 2011, 5).

4.4.2. تصنيف ريناتا كامينيسكا

في بحث بعنوان 'Explicitation and the Translator's Style' ("الإيضاح وأسلوب المترجم"، 2008م) تقترح كامينيسكا تصنيفاً يشمل الإيضاح والتضمن معا ذلك أنه بنظرها سيكون من الصعوبة بمكان تحليل إحدى الظاهرتين بمعزل عن الأخرى. ويهدف التصنيف إلى تحديد ما تصفه بـ "خصائص الإيضاح" والذي تعرفه على أنه مجموع الخصائص التي تميز أسلوب المترجم فيما يتعلق بالإيضاح. ولهذا الغرض تعتمد كامينيسكا على تصنيف هاليداي لوظائف اللغة وهي: تجريبية، منطقية، شخصية، ونصية. والإيضاح المعني بهذا التصنيف هو فقط ذلك المرتبط بعملية الترجمة في حد ذاتها، فالتصنيف الذي اقترحته كلاودي مفيد أكثر في المقارنة بين الأنظمة اللغوية لكنه أقل نفعا حين يتعلق الأمر بخصائص الإيضاح عند كل مترجم (Kameniska, 2008, 118). وتعتقد كامينيسكا أن أنواع الإيضاح/التضمن تختلف باختلاف أوجه السياق البراغماتي لفعل التواصل الأساسي من جهة، والنص من جهة ثانية، وهو ما يبرر الاعتماد على تصنيف هاليداي لوظائف اللغة. ففحص الظاهرتين من هذا

الجانب قد يسمح بالحصول على نتائج فيما يخص الاختلافات بين المترجمين وأساليبهم. واعتمدت الدراسة على مقارنة ترجمتين لروائيتين من الإنجليزية إلى التشيكية لمترجمين مختلفين. وأكدت النتائج ما توصل إليه باحثون من قبل من أن للإيضاح دور كبير في بناء النصوص المترجمة، إذ يعتمد المترجمون بشكل لافت. غير أن النتائج التي جاءت عكس التوقعات ربما هي تلك المتعلقة بالتضمن، إذ أن استعماله في الترجمة ليس بالمحدود كما قد يتبادر للأذهان. وهو ما يدعو ربما لمقارنة نسبة الإيضاح إلى التضمن في النصوص المترجمة للحصول على معلومات أدق حول ما يميز أسلوب مترجم عن الآخر (المرجع السابق، ص 119-122). وكشفت المقارنة بين الترجمتين على وجود اختلاف بين المترجمين فيما يتعلق باستعمال التضمن. كما وجد تباين في استعمال المترجمين للإيضاح/التضمن التجريبي والشخصي في أجزاء النص المتعلقة بخطاب الراوي أو الشخصية، وهو ما يعكس اختلافا في ميولهما الترجمية (المرجع السابق، ص 128). تعتبر دراسة كامينيسكا أن أسلوب المترجم وشخصيته تأثيراً مباشراً على كيفية استعمال أسلوب الإيضاح والتضمن، وهو ما يضع الترجمة في إطارها التواصل، إطار يكون فيه النص أحد العناصر وليس العنصر الوحيد الذي يتوجب تحليله وفهمه.

5.4.2. تصنيف فيلما باباي

اعتماداً على الدراسة التي قامت بها، لاحظت باباي (2004م) أن المترجمين من اللغة الإنجليزية إلى المجرية يميلون إلى تكرار استعمال بعض أساليب الإيضاح على مستويات مختلفة من النص أجملتها في الفئات التالية ذكرها (Papai, 2004, 150-155):

أولاً فئة تخص التغيرات الطارئة على علامات الوقف في الترجمة، بحيث يتم أحياناً تغيير أو إضافة علامات الترقيم في الترجمة، تقسيم الجملة الواحدة إلى جملتين، أو جمع جملتين في جملة واحدة، وغيرها. ولاحظت باباي ميل المترجمين لاستعمال علامات ترقيم أقوى في الترجمة وهو ما يعكس رغبتهم

في جعل النص أوضح وبالتالي أبسط وأسهل للقراءة. كما يلجأ المترجم لهذه الأساليب لوعيه بالفروق الأسلوبية بين اللغتين. ثانياً فئة التغيرات المعجمية النحوية، وتخص مثلاً التكرار اللفظي، تعويض الضمير باسم وإعادة صياغة الإحالات، والتعبير عما جاء محذوفاً في النص الأصلي. وقد يكون سببها رغبة المترجم في تقوية الروابط البنيوية للنص المترجم. ثالثاً فئة تخص التغيرات النحوية والتركيبية مثل الاشتقاق، إضافة أدوات الربط، الضمائر، والإحالة. ودافعها عدم تكافؤ اللغتين المعنيتين من حيث البنية، وكذا رغبة المترجم في تفسير ما جاء مضمناً في النص الأصلي.

أخيراً فئة تعمل على مستوى النص والسياق ومن أمثلتها التفسير المعجمي، تنظيم عناصر الخطاب، الإضافة السياقية، الألفاظ المعبرة عن الخصوصية الثقافية مع الشرح. وترجع إلى الاختلاف في المشترك المعرفي بين اللغتين أو الثقافتين وهو ما يحتم على المترجم إدراج ملاحظات توضيحية في النص. ويكون للالتزام بقواعد اللغة والمعايير الخاصة بكل نوع من أنواع النصوص دور في هذا أيضاً، بحيث لاحظت باباي استعمالاً أكثر لأساليب الإيضاح في ترجمة النصوص التقنية مقارنة بالنصوص الأدبية، لكنها لا تعتبر هذا دليلاً كافياً على ارتباط حجم الإيضاح بنوع النص (المرجع السابق، ص159). وما يمكن ملاحظته هو أنّ بعض هذه الفئات، المتعلقة بالنص والاختلافات اللغوية، هي شبيهة نوعاً ما بما ذهب إليه نايدا (1964م) وتشاسترمان (1997م)، لكن إدخال عنصر السياق من جهة والزمع بوجود اختلاف في استعمال أسلوب الإيضاح باختلاف نوع النص من جهة ثانية، يلفت الانتباه إلى وجود عدد أكبر من العوامل الواجب أخذها بعين الاعتبار للإحاطة الفعلية بهذا المفهوم.

6.4.2. تصنيف مورتيساري

تقترح مورتيساري (2013م) نوعين من الإيضاح، الأول هو الإيضاح التدريجي والثاني هو الإيضاح الفئوي. ويخص النوع الأول تلك التغيرات في النص المترجم من قبيل التعبير اللفظي عما يمكن

استنباطه في النص الأصلي، وهو تدريجي لأنه أصلاً مصرح به في النص الأصلي، فالترجمة هنا تزيد درجة الإيضاح لا أكثر. كما يمكن إدراج حالة تدقيق المعنى ضمن هذه الفئة بشرط أن تكون تطوراً وتكملة لما ورد في النص الأصلي. فهذا النوع يعبر عن وضوح أكبر على مستوى النص والخطاب في الترجمة. أما النوع الثاني فيخص التغير في المعنى من المضمن إلى الموضح وهو فنوي لأن فيه انتقال من فئة (المضمن) إلى فئة (الموضح) (Murtisari, 2013, 330-331). فمثلاً فيما يتعلق بالتغيرات في المعنى على مستوى ثنائية العام – الخاص تكون التحولات التدريجية معنية بالإيضاح على مستوى الخطاب وهنا يفسر أي نقص في الإخبارية وأي تعميم على أنه إيضاح أقل (وليس تضمين)، والحال هو العكس بالنسبة لما هو أكثر إيضاحاً؛ زيادة في الإخبارية وتخصيص. أما التحولات الفئوية فهي تلك التحولات الناتجة عن التعميم أو التخصيص المستخلص وليس الناتج عن التطور المنطقي للنص الأصلي ويحدد الإيضاح هنا من خلال التغير على مستوى المعنى (المرجع السابق، ص 338). إن أهم ما انبثق عن تصنيف مورتيساري هو فكرة التدرج في مستوى الإيضاح الذي قد ينتج في الترجمة، وليس بالضرورة الانتقال من المضمّن في الأصل إلى الموضح في الترجمة أو العكس.

7.4.2. تصنيف برمان

سنحاول فيما يلي التطرق لبعض أساليب التشويه عند برمان (1985م)، والتي تتقاطع بشكل أو بآخر مع مفهومي الإيضاح والتضمن، واللذين يحاول هذا الفصل إلقاء الضوء عليهما. ومن الصعوبة بمكان اعتبار أسلوب بعينه شكلاً من أشكال الإيضاح الصرف، أو التضمن الصرف. فأحياناً تكون نتيجة استعمال بعض أساليب الإيضاح نصاً أكثر صعوبة أو أقل إخباراً وهو ما يربطه بفكرة التضمن. **العقلنة:** وهي إعادة صياغة النص من خلال علامات الوقف، إذ أن تغيير علامات الوقف يعني بالضرورة إعادة تركيب الجمل بما يناسب معايير الخطاب في اللغة المستقبلية. غير أن ذلك من شأنه أن

يُتلف بشكل كبير النسيج الروائي للنص الأصلي، فما قد يبدو خلاً ونقصاً، من قبيل الجمل الطويلة والإحالات الكثيرة، يعكس في الحقيقة عمقاً في رؤية الكاتب ومدى اطلاعه على واقعه اللغوي. وتنقل الترجمة اعتماداً على هذا الأسلوب النص من شكله التجسدي إلى شكل مجرد وهو ما يمكن تفسيره على أنه ترجمة متمركزة عرقياً يُغفل فيها بناء النص وتُقلب آليات عمله بين ما هو متكلف وما هو غير متكلف، وبين ما هو منظم وما هو غير منظم. ومن أمثلة الانتقال من المُجسد إلى المُجرد ترجمة الأفعال بالأسماء أو الميل إلى اختيار اللفظ الأعم من بين خيارات أخرى ممكنة. ويكمن خطر العقلنة في أنها غير محسوسة، فهي تطال البعد الدلالي وبنية النص دون أن يكون أثر ذلك على شكل النص جلياً لغير المدقق والمتخصص (Berman, 1985, 71-72). ويعدّ برمان في معرض تفسيره للعقلنة بوصفها أسلوب تشويه عدداً من الإجراءات التي تم التطرق إليها على أنها من أساليب الإيضاح. وكثيراً ما يرى المترجمون العقلنة ضرورة تفرضها الاختلافات الموجودة بين اللغات والأنظمة اللغوية. لكن الأمر قد يكون له علاقة بما هو مقبول ثقافياً وأدبياً في الثقافة الهدف، فقد تكون العقلنة اختيار المترجم لاستجاباتها لرؤيته الخاصة لما يجب أن يكون عليه شكل النص وليس لوجود عائق لغوي واضح (لطفي، 2019م، 128). وهذا الأسلوب يبدو في ظاهره من أساليب الإيضاح، إذ يعتمد على إتمام ما جاء ناقصاً في النص الأصلي، وكذا إظهار ما كان مضمراً. من وجهة نظر برمان لا يمكن بأي حال اعتبار هذا الأسلوب إيضاحاً على الإطلاق، فالنص "المُعقلن" يُخفي أهم مقومات النص الأدبي ألا وهي النقص أو عدم الإتقان الذي ينتج عن محاولة الكاتب لمحاكاة واقعه اللغوي وإبراز تنوعه (Berman, 1985, 72). ويتفق هذا البحث في طرجه إلى حدٍّ ما مع فكرة برمان، من حيث عجز الكثير من الأساليب الإيضاحية، فيما يتعلق بالترجمة الأدبية خصوصاً، عن حماية الطابع الخاص للنص في الترجمة، والاستعاضة عن ذلك غالباً بالمقبول والواضح من منظور السياق الثقافي المستقبل.

الإيضاح: وهو نتيجة منطقية لأسلوب العقلنة المذكور آنفاً، وقد يكون أثره في النص المترجم سلبياً أو إيجابياً. فالإصرار على توضيح ما جاء قصداً مضمناً في النص الأصلي، مع عدم وجود رغبة لصاحبه في إظهاره، يؤثر سلباً على النص المترجم، في حين أن إظهار بعض المعاني التي كانت مخفية أو كامنة في النص الأصلي قد يُنظر إليه على أنه تجلٍ للفكرة من منظور مختلف، فيكون أثره على النص إيجابياً. ويعكس بالتالي أهم أدوار الترجمة على الإطلاق بالنسبة لبرمان، الإشعاع أو التتوير. لكن الشيء الأكيد هو أن الإيضاح ملازم للترجمة ومن أمثلته الانتقال من اللفظ المتعدد المعاني إلى اللفظ أحادي المعنى أو الشرح في الترجمة (المرجع السابق، ص72). ونلاحظ هنا أن هذا الأسلوب أيضاً قد يسمح أحياناً بإيضاح معاني النص الأصلي بشكل حقيقي، غير أنه في أحيان أخرى يؤدي إلى نتيجة عكسية. فالقارئ يتلقى ما يُقال وما لا يُقال على حدٍ سواء، وسكوت الكاتب عن بعض الأشياء هو نوع من الكلام، فيكون بذلك قرار قول البوح بكل شيء في الترجمة قد أضر بالمعنى ولم يخدمه، لأنه أنقص وأضر وأبهم، فبات الإيضاح حجباً. ويلاحظ لطفي (2016م) أن الميل للإيضاح في الترجمة قد يكون مدفوعاً بفهم معين لطبيعة الترجمة وأهدافها، لكنه قد يؤثر سلباً على توازنات النص وهويته الأدبية (ص 360-361). أي أن اللجوء إلى هذا الأسلوب في الترجمة هو فعل ثقافي ينبع من فهم معين للترجمة الأدبية يستتبع تدمير البنية الأصلية للنص بحجة الإفهام.

التطويل: حقيقة أن الترجمات كثيراً ما تكون أطول من النصوص الأصلية هو أمر يمكن توقعه إذا ما أخذنا في الحسبان الآثار المترتبة على اعتماد الأسلوبين آنفي الذكر. غير أن طول النص لا يعني بالضرورة وضوحاً أكبر، ف "L'ajout n'ajoute rien" ("الإضافة لا تضيف شيئاً"، ترجمتها، Berman, 1985, 73) في الكثير من الأحيان، فتكون أشبه بالمحتوى الفارغ. كما أن النصوص الأدبية غالباً ما يكون لها نهجها الخاص للوصول إلى فكرة أو معنى معينين، أي نسقها الخاص في الإيضاح، ليأتي التطويل في الترجمة، والذي يهدف هو الآخر إلى الإيضاح، فينسف آلية عمل النص الأصلي. فتسطيح

المعاني أو تفكيكها إلى وحدات أفقية لا يخدم لزوماً وضوح المعنى، بل على العكس قد يزيده إبهاماً وتعقيداً. بالنتيجة، يمكن القول بأن التطويل، الذي في ظاهره محاولة لجعل النص أسهل على مستوى التلقي قد يكون أشبه بالضجيج الذي يعيق وصول رسالة النص الأصلي (المرجع السابق، ص73). إن تعدد قضب العبارات في النصوص الأصلية كثيراً ما يأتي بهدف إعطاء الألفاظ الموجودة دلالة أقوى وفتح النص على قراءات متعددة، لكن يأتي خيار المترجم بملاً الفراغات وانتقاء معاني بعينها ليزيد من حجم النص دون أن يسهم بأي وضوح فعلي له (لطفي، 2019م، 134). ويتقاطع أسلوب التشويه هذا مع التعريف الذي يساوي بين الإيضاح والإطناب. فالإسهاب الملاحظ على معظم النصوص المترجمة مقارنة بالأصلية، هو من وجهة النظر هاته ضرر يقع على النص الأصلي فيفقد سماته الأساسية.

التبيل أو التفخيم: وهو ببساطة تحسين وتجميل أسلوب النص المترجم فيصبح أشبه بالاقتراس، يصعب في بعض الأحيان حتى ربطه بالنص الأصلي للتباين الأسلوبي الشديد بينهما. فحرص المترجم على تنميق النص وجعله مطابقاً للمعايير الأدبية للغة الهدف قد يقوده لا محالة إلى إغفال بعض التفاصيل التي قد تكون محورية في بلاغة النص الأصلي وجماله. فمثلاً قد يُسقط المترجم من حساباته الجانب الشفهي أو الشعبي أو التلون اللغوي في النص، وكلها في الحقيقة عناصر لها دورها وأهميتها في بناء المعنى العام للنص وأسلوبه (Berman, 1985, 73-74). ومن خلال بعض الأمثلة من ترجمة رواية "زقاق المدق" لنجيب محفوظ إلى الفرنسية، لاحظ لطفي (2019م) كيف أنّ المترجم جرّد النص من غنى الثقافة الشعبية وزخمها أثناء محاولته جعل النص أكثر "فرنسية" ونُبلاً (ص 137). وبهذا يُؤاري هذا الأسلوب من خصائص وتفاصيل النص الأصلي أكثر بكثير مما قد يوضح على الرغم من أنّ عنوانه الأساسي هو إبراز النص على اعتباره نصاً أدبياً كما يفهمه المتلقي.

الإفقار الكمي والإفقار النوعي: الإفقار الكمي يخص الجانب المعجمي في النص ومن

خصائصه أنه يترافق مع التطويل، ومن أمثله ذهاب المترجم إلى استعمال لفظ واحد أين استعمل كاتب

النص الأصلي مترادفات عدة. وحيث أن لهذا الاختيار في النص الأصلي مبرراته وانعكاساته على نسيج النص العام، فإن إغفاله في الترجمة سيُفقرها لا محالة على المستويين الدلالي والأسلوبي. في حين يرتبط الإفقار النوعي بنوع معين من الألفاظ تتميز بقدرتها على جعل القارئ يستدعي صورة المعنى لما تحمله من خصائص صوتية ودلالية (Berman, 1985, 74-75). فمثلاً لفظ "الوسواس" في سورة الناس، له من الخصائص الصوتية ما يسمح باستشعار تسلل الشيطان إلى الذات وكيف يزين للإنسان المعاصي. كثيراً ما تُترجم مثل هذه الألفاظ بألفاظ أقل قوة وتأثيراً فتُفقد النص الكثير من جماليته. بالنسبة لهذين الأسلوبين من أساليب التشويه عند برمان يمكن اعتبارهما سبباً في حجب الكثير من الجوانب الجمالية والمعنوية للنص، وبالتالي يمكن الحديث عن وجود نوع من تضمين المعاني في هذه الحالة.

تحطيم الشبكات اللغوية المحلية أو تغريبها: إن ميل النص الروائي للتعبير عن الواقع يجعله حريصاً على استثمار التلون اللغوي الموجود في المجتمع، فيمزج بين اللغة الفصيحة وعبارات وألفاظ شعبية باللهجات المحلية المختلفة. كثيراً ما يكون نقل هذه الخصوصية في النص الأدبي تحدٍ حقيقي للمترجم، الذي يلجأ مُجبراً أو مُخيراً، إلى إنتاج نص متجانس في الترجمة لا يحاكي التنوع اللغوي الموجود في النص الأصلي. ويرى برمان أن الترجمة كثيراً ما تُفقد النص ليس فقط هذا التلون اللغوي، ولكن أيضاً ما ينبجّر عن هذا التلون من طابع تجسيدي. ذلك أنّ اللهجات تميل إلى المحسوس والملموس بطبيعتها مقارنة باللغات "المتقنة"، فيؤدي طمس هذه اللهجات إلى الحصول على نص يفتقد لون ونكهة النص الأصلي. وكثيراً ما تكون محاولات نقل هذه الخصوصية النصية فاشلة، لمبالغتها في تغريب النص من خلال الاحتفاظ بتلك العبارات على حالها في الترجمة. وحتى فكرة تعويض اللهجات بلهجات تقابلها في اللغة الهدف لا يبدو مجدياً، فالارتباط الوثيق بين اللهجة والثقافة التي تنتمي إليها يجعل النص المترجم مصطنع وغير حقيقي (المرجع السابق، ص 76-77). إن قرار المترجم بعدم نقل مختلف مستويات اللغة الموجودة في النص الأصلي هو نوع من التضمن الذي يُضمر إحدى السمات النصية

المهمة عن القارئ. كما أنّ القرار بتغريب النص بحشوه بعدد كبير من الكلمات الأجنبية يؤدي هو الآخر للإبهام، إذ أن القارئ سيواجه لا محالة صعوبات في فهم جلّ هذه الألفاظ. ويمكن قول عين الشيء عن قرار ترجمة اللهجة بلهجة مقابلة، لما له من أثر على النص المترجم، فتعويض ما هو حقيقي بما هو متكلف يعدّ ضرباً من طمس المعنى.

تحطيم الصيغ والعبارات الاصطلاحية: من المعلوم أن العبارات الاصطلاحية هي جزء لا يتجزأ

من اللغة، والنصوص الأدبية تعج بهذه العبارات. وكثيراً ما تقترح الترجمة الاعتماد على العبارات الاصطلاحية المكافئة في اللغة الهدف، على اعتبار أن اللغات على اختلافها تشتمل على هذا الجانب وثيق الارتباط بالثقافة. إنّ هذا الخيار، على منطقيته، ليس الخيار الأمثل بالنسبة لبرمان، لأن الهدف من الترجمة الأدبية ليس أن تتحدث اللغة الهدف على لسان اللغة الأصلية، وهو بالضبط الحال عند الاعتماد على المكافئ الثقافي. إن النقل الحرفي لمثل هذه العبارات قد يكون أكثر ملاءمة لأنه يسمح بإعطاء القارئ فكرة عن الكيفية التي تعبر بها هذه الثقافة عن تجربتها الإنسانية الخاصة، وبالتالي يتحقق الهدف من الترجمة في المقام الأول. وفيما يعكس الخيار الأول ترجمة متمركزة عرقياً تميل إلى إبراز ثقافة على حساب أخرى، يسمح الثاني بخلق رابط بين القارئ والنص ويضيف لزاده المعرفي على الأقل فيما تعلق بهذا الجانب من اللغة (المرجع السابق، ص 77-78). يدفع التعامل مع هذا الملمح في الترجمة

بالمترجمين لاتخاذ قرارات كثيراً ما تكون على حساب فهم القارئ لطبيعة الثقافة الأصلية وخصوصيتها.

بعد استعراض بعض من تصنيفات المنظرين لأساليب الترجمة التي يمكن ربطها بالإيضاح أو

التضمن يمكن القول أنّ التعامل مع هذه المفاهيم، كما مع غيرها، يخضع لرؤية المنظرين وخلفياتهم الثقافية والفكرية خاصة. فمنهم من ينظر للأمر على أنّه ظاهرة لسانية بحتة، تحدث داخل النص وتُفهم من خلال ما قد يزيد أو ينقص من ألفاظ في الترجمة. ولا يأخذ هذا الفهم بعين الاعتبار مستويات أخرى من المعنى، قد يستحيل فيها ما هو واضح مبهماً وغامض. وعليه جاءت التصنيفات متسقة إلى حد كبير

مع فهم لسانی محض للمفهوم. فيما أخذت بعض التصنيفات في الحسبان طبيعة الترجمة على أنها عملية تواصلية وما يترتب على ذلك من عوامل إضافية تدخل هي الأخرى في تحديد المفهوم مثل رؤية المترجم وأسلوبه، التلقي وسياقه، وكذا فكرة التدرج الموجودة في مفهومي الإيضاح والتضمنين. فيما اعتبر فريق ثالث، برمان (1985م) وليفي (2011م)، هذه الأساليب نوع من التدمير يطال رسالة النص الأساسية، النص الأدبي خصوصاً. بالنسبة لأهداف بحثنا، سيتم تقصي مختلف وجهات النظر والتصنيفات، لأنّ الفكرة المراد تحليلها هي مدى نجاح أو فشل هذه الأساليب في الحفاظ على الملامح الثقافية الخاصة للنص الأصلي في الترجمة، وهل يتم اللجوء لهذه الأساليب بنفس الطريقة بغض النظر عن الثنائية اللغوية المعنية، أم أنّ لاتجاه الترجمة تأثير على طريقة استعمال هذه الأساليب.

5.2. عتبات النص وارتباطها بإيضاح أو تضمين المحتوى الثقافي في الترجمة

قد يُخيّل للقارئ أنّه لا مجال للحديث عن عتبات النص، أو النص الموازي، في فصل يتناول الإيضاح والتضمنين بوصفهما أسلوبين في الترجمة. والإجابة على هذا بسيطة، فقد سبق الإشارة في مواضع عدّة إلى أنّ الاهتمام بمفهومي الإيضاح والتضمنين في البحث يأتي ضمن محاولة رصد مدى توافقهما مع تجلّي ثقافة النص الأصلي في الترجمة أو اضمحلالها. الأمر الذي يستلزم فحص كيفية عملهما داخل متن المدونة، لكن ليس بشكل حصري. إذ نعتقد أنّ إدراج هذا العنصر في التحليل يعود على الدراسة بالفائدة لأنّه مرتبط بشكل مباشر، و"أوضح" ربما بالسياق الثقافي، ويُعين على فهم بعض من اختيارات المترجمين. إذ تعتبر الهوامش مثلاً مساحة يشرح فيها المترجم من المعلومات ما قدّر أنّه على شيء من الصعوبة، وتدخل ضمن الإيضاح البراغماتي عند كلاودي (1998م) والاستراتيجيات البراغماتية عند تشاسترمان (1997م). ونفس الأمر ينطبق على المقدمة، خاصة تلك التي يكتبها المترجم، لأنّها في العادة أكثر مساحة تُظهر تدخل المترجم الواضح في طبيعة المعلومات المقدّمة للقارئ،

والتي غالباً ما تتمحور حول السياق الثقافي للنص الأصلي. ولهذه الأسباب كان من الضروري لتحليل النصوص في كليتها في القسم التطبيقي تسليط الضوء على بعض المفاهيم النظرية المتعلقة بعتبات النص وعملها في سياق النصوص المترجمة. سنحاول فيما يلي من فقرات إبراز أهمية عتبات النص في فهم ظروف ظهور الترجمات وتداولها، ودورها في تأطير عملية القراءة وتوجيهها، وتنوع الخطابات والرسائل التي قد تحمل في طياتها. وكل هذه الخصائص تُخول النصوص المحيطة بالنص المترجم لتقديمه بما يراه القارئون عليه ملائماً للسياق الثقافي، وهذا تحديداً ما يُبرر تناولها على أنها مصدر مهم لفهم طبيعة التواصل الثقافي المتاح من خلال الترجمة.

ولعلّ أبرز من اهتم بعتبات النص وضرورة إدراج دراستها ضمن نظرية الأدب هو Gérard Genette (جيرار جينات، 1987م/1997م). والذي، بحسب تعبير ريتشارد ماكسي، سمحت له سعة اطلاعه ونظريته المتفحصة بتشريح مختلف أشكال الخطاب وأساليب السرد في النص (Genette, 1987/1997, xii). ففي كتابه *Seuils* ("عتبات"، 1987م)، والذي اعتمدت الدراسة على نسخته الإنجليزية *Paratexts, Thresholds of Interpretation* (1997م)، يقدم الكاتب دراسة تفصيلية لمكونات النص التي تدرج تحت هذا المسمى، مركزاً على وظائفها الأدبية (داخل النص) والاتصالية (بين النص ومحيطه). ويعرّف جينات عتبات النص على أنها حلقة الوصل بين النص والمتلقي، وحتى وإن لم يُحسم الجدل بشأن اعتبارها جزءاً من النص أو عناصر تتواجد في محيطه، فهي من تجعل تقديم النص للقارئ ممكناً (العنوان، المقدمة....)، في شكل كتاب مثلاً. ونظراً لطبيعتها الخاصة، تقف عتبات النص بين الداخل والخارج، بين النص والعالم، فتكون هي المسؤولة عن كيفية تلقي وتأويل النص (ص 1-2).

يُعرف جينات عتبات النص بشكل مقتضب، كثيف المعاني على أنها:

“the paratext, in all its forms, is a discourse that is fundamentally heteronomous, auxiliary, and dedicated to the service of something other than itself that constitutes its raison d’être.” (Genette, 1987/1997, 12)

"إنّ عتبات النص، بمختلف أشكالها، هي بالأساس خطاب تابع، مساند، ومكّرس لخدمة شيء آخر عدى ذاته، وهذا تحديداً سبب وجودها." (ترجمتنا)

من الواضح إذاً أنّ لعتبات النص القدرة على توجيه القارئ نحو تأويل معين للنص، والتأثير عليه باستعمال أساليب سردية متنوعة، كما أنّ وجودها في حدّ ذاته يغيّر كلياً طريقة التعامل مع النص. فتزويد القارئ بمعلومات عن حقبة النص التاريخية، وعن مكانته الأدبية، وغيرها سيؤثر بقدر معين على انطباع القارئ ويؤجّه انتباهه بطريقة غير محسوسة إلى البحث في طيات النص عمّا يؤكد بعضاً مما جاء في العتبات أو ينفيه. ومع ذلك فإنّ عتبات النص ليست خاضعة لنظام دقيق يُطبّق على جميع النصوص، فهي تختلف باختلاف العصور وطبيعة النصوص، كما أنّ سلوك القراء تجاهها ليس واحد.

ويلاحظ جينات أنّه على عكس النص الروائي القائم على الخيال، تعطي عتبات النص معلومات محددة عن المرسل والمتلقي، عن زمان الكتابة ومكانه، وعن السياق العام كما يراه صاحبه. ويمكن بشكل عام تصنيفها إلى نص محيط وهو العتبات المحيطة بالنص والمتصلة به مثل العنوان، المقدمة، الهوامش، المسرد وغيرها، ونص فوقّي يتعلق بالعتبات المنفصلة عن النص على غرار المقالات النقدية والصحفية والحوارات التلفزيونية وغيرها. ولا يجب أن يعتقد القارئ أنّ مصير عتبات النص ثابت بمجرد استحداثها، فلأسباب مختلفة قد يتم الاستغناء عن بعض عتبات النص بشكل مؤقت أو دائم. ويجب فهم حضور أو غياب إحدى عتبات النص في إطار وظيفتها التي قد تتغير بتغير السياق (المرجع السابق، ص 3-7). فمثلاً، وفيما يخص مدونة البحث، تم الاستغناء عن مقدمة مترجم الجزء الأول من الأيام وتعويضها بمقدمة أخرى في طبعات أحدث.

في ميدان الترجمة، برز اهتمام المنظرين أكثر بعتبات النص في إطار المقاربات الثقافية للترجمة. إذ سمح تحليل الكثير منها بفهم أفضل لظروف إنتاج الترجمات، وبالتالي ربط النصوص بمحيطها وتوضيح الوظيفة الثقافية للترجمة وطبيعة علاقتها بالمؤسسات الثقافية والسياسية. ومن ثمة

إعادة النظر في الكثير من المسلمات بشأن الترجمة من قبيل دورها الهامشي أو موضوعيتها. لكن تبقى الأبحاث في هذا المجال قليلة نسبياً مقارنة بمجالات أخرى. ويشير Anna Gil-Bardaji, Pilar Orero and Sara Rovira-Esteva (أنا جيل - باردجي، بيلار أوريرو، وسارة روفيرا إستيفا، 2012م) إلى أنَّ الأبحاث التي تتناول عتبات النص في الترجمة مهمة لدراسة الترجمة الأدبية، تاريخ الترجمة، وتحليل الخطاب الإيديولوجي في الترجمة والترجمة الذاتية. وتسمح الأبحاث التي تحلل عناوين النصوص المترجمة مثلاً، أو تلك التي تُحلل المقدمات، إلى توضيح طبيعة الوساطة الثقافية التي تقوم بها الترجمة وكذا مختلف الاستراتيجيات التي يتم الاعتماد عليها وكيف تختلف هذه الأخيرة باختلاف مشروع الترجمة مُعلناً كان أو مُضمن (انظر ص 7-10). أي أنَّ لعتبات النص في الترجمة القدرة على كشف كثير من خبايا السياق الثقافي التي قد يتعذر استنباطها من متن النص المترجم.

وفي سياق متصل، تنظر Sehnaz Tahir-Gurcaglar (شَهنَاز طاهر - غورتشاغلار، 2002م) لعتبات النص على اعتبارها مادة من شأنها الكشف عن ظواهر ترجمية قد تكون مخفية في النص المترجم أو مُشار إليها ضمناً فحسب (ص 44)، أي أنَّه بالنسبة للدارسين، يعتبر تفحص هذه المواد على قدر كبير من الأهمية إن أرادوا استنطاق النص وفهم سياقه بعمق. إذ أنَّ عتبات النص في الترجمة قد تنير القارئ فيما يخص الكيفية التي تُفهم بها الترجمة ضمن ثقافة معينة، وما ينجر عن ذلك من استراتيجيات نشر وتسويق، وكلا الأمرين غير مفصول عن الإيديولوجيا التي تقبع خلف الفهم وتُوجِّهه (المرجع نفسه، ص 47). وهو ما توصلت إليه الباحثة من خلال تحليل عتبات النصوص التي تنشرها هيئات رسمية تابعة للدولة ضمن مشروع ثقافي وطني، كما هو الحال بالنسبة لـ "مكتب الترجمة" في تركيا، في أربعينات القرن الماضي مثلاً، والتي لا تجد غضاضة من الجهر بصفة النص على أنَّه ترجمة، لأنَّ الأخيرة جزء من مشروع وطني تربوي يعتبرها خطوة ضرورية ولازمة للحاق بركب الحداثة والتطور وفق النموذج الغربي. ولنفس الأغراض التربوية، يتم تصميم الغلاف بشكل بسيط وغير مبهر مع وجود إشارات

إلى الأهمية الأدبية والفكرية للنص الأصلي. وعلى النقيض من ذلك، وفي نفس البلد تركيا ونفس الفترة التاريخية، يمكن ملاحظة سلوك مختلف للناشرين، يتمشى أكثر مع متطلبات "سوق القراءة"، إذ كثيراً ما تتجنب عتبات النص إعطاء تفاصيل حول أصل النص أو اسم المترجم وتكتفي بوضع المعلومات والرسائل التي من شأنها أن تغري القارئ بقراءة الكتاب (المرجع السابق، ص57). وهو ما يعكس فهمين مختلفين للترجمة، ومشروعين فكريين أهدافهما ليست واحدة، مثل هذه التفاصيل لا يُمكن للنص المترجم البوح بها مالم يكن لعتبات النص وجود.

وتجد Valerie Pellatt (فاليري بيلات، 2013م) أنّ الاهتمام بالمقدمة (أو المقدمات) والهوامش بصفتها أبرز العناصر المكونة للنص المحيط لا يجب أن يلفت الانتباه عن عناصر أخرى مثل الفهرس، العنوان، العناوين الفرعية، والمسرّد، وهي عناصر على تواريتها لا تقل أهمية عن المجموعة الأولى في توجيه فهم القارئ. فعتبات النص في مجملها، لفظية (المقدمة، الهامش....) كانت أو غير لفظية (صورة الغلاف، طريقة الطباعة...) لها دور في إعادة بناء، تأويل، وتقديم النص للمتلقّي. كما أنّ الترجمة قد تحتفظ بعتبات النص الأصلية، وقد تستغني عنها كلياً أو جزئياً. لكنها كثيراً ما تستحدث عتباتها الخاصة، التي تراها ضرورية، على غرار الهوامش مثلاً. وعلى الرغم من اعتبار جينات الترجمة في حدّ ذاتها نوع من أنواع النص الفوقي للنص الأصلي التي لا يمكن إنكارها، لأنه سبب وجودها، فهناك من يرى أنّ العكس هو الصحيح، ذلك أنّ الترجمة تبني على النص الأصلي وتزيد عليه، فيُصبح النص الأصلي إحدى العتبات التي يُبنى حولها النص المترجم (Pellatt, 2013, 2-3). وهو ما ذهبت إليه طاهر-غورتشاغلار (2002م) مثلاً.

ولعلّ تحليل جينات، ولأنّه مهتم بنظرية الأدب عموماً، بدى لكثير من منظري الترجمة مُبسّط لمفهوم الترجمة، وغير منصف بحقها. إذ تجد طاهر-غورتشاغلار (2002م) أنّ اعتبار الترجمة عتبة للنص الأصلي يجعلها تابعة له، ووظيفتها الأساسية هي خدمته، وهو ما يتنافى مع حقيقة أنّ الترجمة

هي مُنتج موجه للثقافة المستهدفة وخاضع لاحتياجات قرائها. وتتعارض هذه الفكرة أيضاً مع حقيقة أنَّ هناك علاقة ديناميكية تربط النصوص بعضها ببعض وتجعل الحكم على طبيعتها نسبياً. يتعارض طرح جينات أيضاً مع الفهم ما بعد الاستعماري للترجمة والذي يرى في هذه العناصر المحيطة بالترجمة وسيلة لتوجيه القارئ وتنقيفه وتعريفه على عالم يجهله لدى البعض، وسلاحاً لتمثيل الآخر وتشكيل صورته بكثير من التصرف لدى البعض الآخر (Tahir-Gurcaglar, 2002, 46). وبغض النظر عن أي نص هو تابع للآخر، تجد Marie Louise Wardle (ماري لويز واردل، 2012م) أنَّ العلاقة التي تربط النص الأصلي وترجماته هي علاقة تبعية متبادلة، فكما أنَّ النص الأصلي ضروري لوجود أي ترجمة، تصبح الترجمة مع الوقت سبباً في حياة جديدة للنص (Wardle, 2012, 28). وهذا الطرح نابع من الفلسفة ما بعد البنيوية، وينطبق على النص المترجم عموماً، والذي تعد عتبات النص جزء منه.

وقد تكون المقدمة في الترجمة، سواء كانت للمترجم أو غيره، مصدراً مباشراً لفهم مناخ الترجمة العام، إلا أنَّه من الملاحظ استغناء الناشرين عنها بشكل كبير في الترجمة الأدبية. ففي دراسة حول دور مقدمة المترجم في الترجمة الأدبية المعاصرة، تسجل Ellen Mcrae (إيلين ماكراي، 2012م) اختلافاً في ردود الأفعال بين من يرى ضرورة إلحاق مقدمة بالنص المترجم وبين رافض لذلك. ففيما تلاقي مقدمات الترجمة في النصوص غير الأدبية ترحيباً من طرف الناشرين والأكاديميين على حدٍ سواء نظراً لما يُمكنها إضافته للنص من قيمة علمية، يوجد نوع من التحفظ فيما يخص إلحاق مقدمات بالروايات المترجمة، خاصة في حقل الترجمة الأدبية إلى اللغة الإنجليزية في الولايات المتحدة وبريطانيا، بحيث ينظر الناشر لاسم المترجم ومقدمته على أنها عوائق في طريق تسويق الكتاب يُفضّل التخلص منها. وهذا الانقسام موجود أيضاً بين منظري الترجمة، إذ يعتبر بعضهم المقدمات وسيلة لإظهار المترجم وتغيير النظرة حوله وحول طبيعة وظيفته، وهو حال كثير من منظري المقاربات الثقافية مثل فينوتي، وسبيفاك وغيرهم. أما البعض الآخر فيرى أن المقدمة قد تُشوش على القارئ وتوجه فهمه باتجاه معين، وبالتالي

تُفَوِّت عليه فرصة تأويل النص من منظوره الشخصي بالقدر نفسه الذي يُتِيحه النص الأصلي (انظر Mcrae, 2012, 67-70). ويمكن في هذا الصدد استخلاص أمرين مهمين، أولاً، أنَّ التغيير الذي طرأ على خطاب الترجمة والذي بدأ يُنصف نوعاً ما المترجم والترجمة، يبدو أنَّه لم يُقنع كثيراً المؤسسات أو الرعاية، والذين لا يزالون يصرون على اعتبار الترجمة الأدبية أقلَّ قيمة من النصوص الأصلية. ثانياً، إنَّ مقدمة المترجم، في النصوص الأدبية، هي سلاح ذو حدين، فبقدر ما هي مفيدة للقارئ من حيث تزويده بمعلومات عن السياق الأدبي والثقافي للنص الأصلي، يمكن لها أن تكون أداة للتلاعب. أي أنَّ وجود المقدمة في حدِّ ذاته، ليس ضماناً لأيِّ وساطة ثقافية ناجحة، مالم يكن هناك وعي وقناعة لدى المترجم بضرورة هذه المهمة.

وعليه يكون لعتبات النص المترجم دور لا يمكن إنكاره في تشكيل صورة الثقافة الأصلية التي يتلقاها القارئ. وهو دور يربطه غينتسليير وتيموكسكو (2002م) بفكرة الهيمنة، إذ يشيران إلى أنَّ بعضاً من انحياز المترجم وطبيعة رؤيته للنص الأصلي وثقافة الأخير يظهر في عتبات النص:

“Indeed, partiality is what differentiates translations, enabling them to participate in the dialectic of power, the ongoing process of political discourse, and strategies for social change. Such representations and commitments are apparent from analyses of translators’ choices, word by word, page by page, and text by text, and they are also **often demonstrable in the paratextual materials that surround translations, including introductions, footnotes, reviews, literary criticism, and so forth.**” (Tymoczko and Gentzler, 2002, xviii)

“إنَّ ما يميز الترجمات هو انحيازها، وهو انحياز يكفل لها دوراً في صراع الهيمنة وفي عملية الخطاب السياسي المتواصلة، وكذلك في استراتيجيات التحول الاجتماعي. ويظهر مثل هذا التصرُّ والانتماء من خلال تحليل خيارات المترجم، كلمة بكلمة، صفحة بصفحة، ونصاً بنص. ويمكن إثبات هذا الانحياز أيضاً عبر محتوى عتبات النص التي تحيط بالترجمات، والمقدمات والهوامش والمراجعات والنقد الأدبي من ضمنها.” (ترجمتنا)

أي أنَّ الأمور متشابكة لدرجة يصعب معها إعطاء أي حكم عام عن وظيفة مقدمة المترجم، والتي قد يتفق الجميع على أنها ظاهرياً إيضاحية تواصلية، لكن في العمق قد تُطرح أسئلة حول الرسالة (أو

الرسائل) المراد إيصالها، وبالتالي نوعية تمثيل الثقافة الأصلية التي سيذهب باتجاهها المترجم، والتي دون شك ستظهر في عتبات أخرى وبين صفحات النص المترجم.

فعتبات النص إذاً مهمة لأنها تؤثر على كيفية تلقي النص. وهو ما خلُصت إليه دراسة ل واردي

(2012م) موضوعها الترجمات الإيطالية للرواية الإنجليزية "أليس في بلاد العجائب، وهي أكثر من ستون. وقد اختلفت طرق تقديم وتلقي الترجمات باختلاف السياقات التاريخية التي وُجدت فيها. فتلك المنشورة إبان النظام الفاشي مثلاً اتبعت أساليب نشر حاولت من خلالها تجنب أي صدام مع النظام السياسي القائم، وصلت حدّ "تعديل" الاسم الألماني لأحد المترجمين وجعله قريباً إلى الأسماء الإيطالية (Wardle, 2012, 32). وفي سنوات الثمانينات عرفت ترجمة للأديب ألدو بوزي شعبية واسعة على الرغم من وجود عدد غير قليل من الترجمات لهذه الرواية، بحيث أصبحت الترجمة المعتمدة للرواية الإنجليزية في إيطاليا. وتعزي الباحثة سبب الإقبال على هذه الترجمة إلى أسباب غير متعلقة بالنص في حدّ ذاته، وترتبط مباشرة بعتبات النص وهي كون المترجم شخصية عامة مثيرة للجدل، صدور الترجمة مع تسجيل صوتي للرواية بصوت المترجم، والذي على ما يبدو يتمتع أيضاً بصوت عذب يجعل الاستماع للنص ممتعاً. وهذا الحضور القوي للمترجم كان واضحاً أيضاً في الطريقة التي ترجم بها والتي تعمّد أن تكون توطينية إلى حدّ بعيد من خلال استبدال عناصر في النص الأصلي بعناصر من الثقافة الإيطالية المعاصرة مثلاً (انظر المرجع نفسه، ص 33-35). يلفت هذا المثال الانتباه إلى أنّ نجاح أو انتشار الترجمات لا يرتبط بالضرورة بجودة النص، بل هو خاضع لمجموع عوامل أخرى ثقافية واجتماعية ليس لها علاقة بالنص الأصلي وتؤثر على الملتقي بدرجات متفاوتة.

وتتجاوز عتبات النص المترجم، المقدمة والهوامش خاصة، المنزلة الهامشية التي أرادها لها الناشر، لتصبح ركيزة أساسية في النصوص المترجمة في إطار الترجمة ما بعد الاستعمارية. وخير مثال على ذلك ترجمات غاياتري سبيفاك للنصوص الفلسفية والأدبية. إذ يؤكد غينتسلي (2002م) أنّ

ترجمة سبيفاك لأعمال دريدا ساهمت بشكل واضح في فهم أفكاره وفلسفته وتلقيه في العالم الأنجلوسكسوني، ومن ثمة تبني نظرياته بشكل واسع. فعلى خلاف ما سبقها من ترجمات، اهتمت سبيفاك بإثراء ترجماتنا بكل ما من شأنه إيصال أفكار دريدا بشكل صحيح، من مقدمة مفصلة، وملاحظات وهوامش (Gentzler, 2002, 198). ولم يقتصر الأمر على النصوص الفلسفية، فحتى عند ترجمتها لنصوص من الأدب الهندي، للكاتبة البنغالية مهابويتا ديفي (Mahasweta Devi)، كان لسبيفاك نفس الرؤية. إذ حاولت المفكرة أن تجعل من ترجمتها وسيلة فعالة يلمس من خلالها قارئ النص الإنجليزي بطريقة واقعية معنى الاختلاف بين الثقافات. ولهذا الغرض زودت ترجمتها ليس فقط بمقدمة تشرح فيها الخصوصية الثقافية الهندية، ولكن أيضاً بخاتمة وحوار مع المؤلفة. فزيادة على نيتها في إبراز معالم الاختلاف الثقافي الموجودة بين العالمين الهندي والغربي، كان ملحاً عند سبيفاك إبراز مهمة الوساطة التي يقوم بها المترجم. ومن بين الأشياء التي حرصت سبيفاك على شرحها في المقدمة، رمزية بعض العادات القبلية في الهند وكذا الاختلافات اللغوية بين اللهجات الهندية والإنجليزية، إضافة إلى تقديم نبذة عن المناخ السياسي العام. ويندرج اعتماد سبيفاك على إضافة أي مواد من شأنها أن تخدم الترجمة من وجهة نظرها ضمن الفهم ما بعد الاستعماري للترجمة، والذي يرى أنّ هذه الوسائل هي سلاح المترجم الحقيقي لإبراز وظيفته وهويته ومشروعه (المرجع نفسه، ص 209-210). وتأخذ عتبات الترجمة من هذا المنظور طابعاً إيديولوجياً بامتياز، وتدخل المترجم ضمن مجموع العوامل التي من شأنها تحديد طبيعة المعنى والخطاب والصورة التي يتلقاها القارئ.

وعلى الرغم من أهمية كلّ عتبات النص في التلقي، تبقى مقدمات المترجمين الفضاء الأهم، لما يمكن أن تحويه من مواضيع متنوعة. وقد لاحظت ماكري (2012م) أنّ المترجمين إلى اللغة الإنجليزية يميلون إلى تسليط الضوء على مواضيع بعينها في مقدماتهم، أكثرها شيوعاً هو شرح السياق الثقافي والتاريخي للنص الأصلي. كما يمكن أن يتناول المترجم مواضيع مثل طبيعة الرابطة التي تجمع كاتب

النص الأصلي والمترجم ومدى تأثير ذلك على الترجمة، مكانة النص وصاحبه في الثقافة الأصلية، وكيف تم تلقي النص الأصلي، لكنها تبقى غير بعيدة عن غرض شرح السياق الثقافي والاختلافات المرتبطة به. وغير بعيد عن هذا، قد يُفرد المترجم جزءاً من مقدمته للإعراب عن فخره وسعادته بتقديم هذا الكاتب أو ذاك للقارئ، وكيف يعزز هذا المجهود التواصل الثقافي ويُسهّم في فهم الفروقات الموجودة. قد يجد المترجم أيضاً ضرورة في كشف الغطاء عن بعض الصعوبات التي واجهته أثناء الترجمة، ولكن بوتيرة أقل من المواضيع سابقة الذكر. وعلى رأس هذه الصعوبات تلك المتعلقة بترجمة أسماء الأماكن والأشخاص والألفاظ ذات الدلالة الثقافية، الاختلافات النحوية بين اللغتين، أسلوب الكاتب ولغة النص وتعدد أصواته، أسلوب الترجمة وأسباب اختياره. في حالات قليلة نسبياً، قد يُعبّر المترجم عن الأسباب التي دفعته باتجاه خيارات بعينها في الترجمة، أو كيف يسعى من خلال نصه لتبديد بعض التصورات المسبقة لدى القارئ حول ثقافة النص الأصلي، وحتى توقعاته بالنسبة للقارئ والمسؤولية التي تقع على عاتقه (انظر Mcrae, 2012, 71-77). وكلّ هذه المعلومات الممكن إدراجها ضمن مقدمات الترجمة تخضع للانتقائية، وهذه الانتقائية تحديداً هي ما يضع نوعاً من القوة والهيمنة بين يديّ المترجم تجعله قادراً على توجيه فهم القارئ بالاتجاه الذي يريد.

ومن هذا المنطلق، قد تكون عتبات النص الفضاء المناسب لدحض الرواية المنافسة أو التقليل من أهميتها. ولعلّ هذا يخص النصوص السياسية أكثر من غيرها. ففي دراسة حول ترجمة كتب إنجليزية موضوعها الحرب الإيرانية العراقية إلى الفارسية، وجد كلٌّ من Reza Yalsharzeh, Hossein Barati, and Akbar Hesabi (رضا يالشارزه، حسين باراتي، وأكبر حسابي، 2019م) أنّ الاختلاف الجوهرى في الرؤية بين الغرب وإيران ألقى بظلاله على الترجمة الفارسية، خاصة وأنّ النصوص المترجمة موضوعها فترة حساسة من تاريخ إيران المعاصر. ولاحظ الباحثون أنّ دار النشر الحكومية التي نشرت الترجمات لها فيما يبدو خطأ تحريراً معيّنًا. فعلى الرغم من اختلاف المترجمين إلا أنّ مقدمات الترجمات وهوامشها

تشارك في مضمونها ولغتها. وتشكك جميعها في مصداقية النصوص الأصلية ومدى حيادية أصحابها (Yalsharzeh, Barati, and Hesabi, 2019, 109). وقد حاول الباحثون تحليل هذه العتبات التي يتعارض محتواها مع النصوص التي تحاول تقديمها اعتماداً على النظرية السردية في الترجمة لمنى بايكر. وخلصت الدراسة إلى أن محاولة تمكين رواية على حساب أخرى في الترجمة أمر وارد، وأن مقدمة الترجمة والهوامش هي مساحات تسمح بمثل هذه الممارسات خاصة حين تكون الهوية سحيقة بين الروائتين. وقد يتساءل المرء لماذا اللجوء أصلاً لترجمة هذه النصوص المعادية فكراً للسردية السائدة، والإجابة هي أن هذه الترجمة تتدرج ضمن استراتيجية إيرانية حديثة نسبياً تعتمد ترجمة الأعمال الغربية المتعلقة بالحرب للتعرف أكثر على الطريقة التي "يقرأ" بها الغرب إيران وحربها (المرجع نفسه، ص 118). وتشير هذه الدراسة لمدى قدرة عتبات النص على فرض قراءة تتماهى مع السردية السائدة، ومن ثمة الالتفات كلياً أو جزئياً عن السردية الأخرى المنافسة، وبالتالي النص المترجم، فالقارئ سيقراً ويفهم كيف يفكر صاحب النص، لكنه لن يصدقه ولن يثق في حكمه.

في عالم الأدب، قد يختلف مصير كاتب النص الأصلي وصورته بسبب عتبات الترجمة، وتكون في هذا السياق السردية البديلة لصالح أو ضد المؤلف، والأمر كله مرهون بالمؤسسات الثقافية التي بيدها القرار وطبيعة الإيديولوجيا السائدة، زمانها، ومكانها. وتصف Caroline Summers (كارولين سامرز، 2013م) هذه الظاهرة بـ "إعادة تشكيل لوظيفة المؤلف" (ص 9). عتبات النص المترجم هي نصوص لا سلطة لمؤلف النص الأصلي عليها، وهي مع ذلك من يقدمه لقارئ من ثقافة مختلفة، وكثيراً ما تكون مصدر القارئ الوحيد، أو على الأقل الأول، للتعرف على المؤلف وإنشاء رابط مع عالمه. وفي تحليلها لعتبات النص في ترجمات إنجليزية لمجموعة قصصية للكاتبة الألمانية كريستا وولف خلصت سامرز (2013م) إلى أن الترجمات أعادت تشكيل صورة الكاتبة باعتماد استراتيجيات متنوعة. فعلى الرغم من أن وولف كاتبة مهمة، إلا أن كثيراً من اللغط أثير حول شخصها وطالتها اتهامات بمحاولة تدليس

الحقائق وحتى الخيانة، في مناخ كانت سمته التوتر والقلق، عشية سقوط جدار برلين. وتتأثر صورة الكاتب وحتى كيفية قراءته غالباً بمثل هذه الأحداث. غير أنَّ الترجمات استطاعت تجنب هذا "الفخ"، باعتمادها في العتبات على ما يُسمى بالسياق الانتقائي، أي إدراج المعلومات حول السياق الثقافي للنص الأصلي وصاحبه بما يُلائم. فمثلاً عندما يُشير غلاف الترجمة إلى جنس العمل على أنه روائي، يمكن ربط ذلك بمحاولة الناشر صرف انتباه القارئ عن أي ارتباط ممكن بين النص وحياة الكاتبة الشخصية، وهذا أمر غير صحيح، لأنَّ النص يدور حول أحداث شخصية في حياة الكاتبة. وحتى الترتيب الذي تظهر به القصص تم تغييره، وبالتالي تغيير رؤية الكاتبة وتعويضه بترتيب من شأنه أن يلقي مقبولة أكبر لدى القارئ. من منظور أشمل، يمكن فهم هذه الإجراءات الترجية على أنها انعكاس لسردية بديلة. ففيما تصّر الدوائر الأدبية في ألمانيا على ربط شخص الكاتبة بوظيفة المؤلفة من خلال التشكيك في صدق ما جاء في قصصها من أحداث، تحاول المؤسسات القائمة على الترجمة الإنجليزية إلى الفصل بين الاثنين، والتركيز فقط على المبدع وإبداعه، بغض النظر عن المزاعم التي قد تكون طالتها لاختلافات إيديولوجية لا غير (Summers, 2013, 28). وما يمكن استخلاصه في هذه الحالة، هو أنَّ الترجمة، مثل غيرها من أشكال الكتابة، لا مجال لفصلها عن محيطها الذي تنشأ فيه. وانطلاقاً من هذا الفهم يُصبح من الضروري تحليل هذه الأجزاء المحيطة بالنص وتقييم أثرها على صورة الثقافة الأصلية المنقولة في الترجمة في هذا البحث الذي يُعنى بشكل أساسي بفهم آليات إبراز السياق الأصلي للنص من خلال استراتيجيتي الإيضاح والتضمنين.

ولا تقلّ الهوامش أهمية عن المقدمات، بل إنّها عند بعض المترجمين المتشائمين على حدّ تعبير باسنييت (2014م) ضرورة وليست خيار. وتورد المفكرة مثلاً لذلك الأديب والمترجم فلاديمير نابوكوف، والذي يعتقد أنَّ الهوامش يجب أن تجتاح النص المترجم وأن تكون بمثل طوله أو أكثر إن كان هناك إرادة حقيقية في نقل النص الأدبي بكل تفاصيله إلى الثقافة المستهدفة (Basnett, 2014, 12). إنَّ إضافة

هوامش في الترجمة تصبح ضرورية كلما زاد البون الثقافي بين النص الأصلي والنص المترجم، وهو ما يجبر المترجم في الكثير من الأحيان على تقديم شروح وتعريفات قد يتعذر تلقي النص دونها. ويحدّد Peter Newmark (بيتر نيومارك، 1988م) طبيعة المعلومات التي قد يلجأ المترجم لإضافتها في الهوامش، وهي معلومات ثقافية ترتبط عادة بالاختلافات الموجودة بين الثقافتين، ومعلومات تقنية ترتبط بالموضوع، ومعلومات لغوية ترتبط بصعوبات في اختيار المفردات (Newmark, 1988, 91). وعلى عكس نابوكوف لا يحبذ نيومارك كثرة استعمال الهوامش أو طولها، لأنه يعتبرها عائقاً أمام القارئ (المرجع نفسه، ص 92). ولا يأخذ هذا الموقف بعين الاعتبار حاجة المترجم لمساحة كبيرة من الهامش أحياناً لتفسير بعض التعقيدات التي واجهته في الترجمة. فلجوء المترجم للهوامش يرتبط في المقام الأول بشخصه وأسلوبه في الترجمة، لكنه أيضاً ناتج عن الاختلافات الموجودة بين النصوص، والتي تجعل بعضها بحاجة أكثر من غيره للتفسير والشرح. ويزعم Tim Conley (تيم كونلي، 2012م) أنّ أي حكم على الترجمة يجب أن يمرّ عبر تحليل الهوامش، فهي ليست دائماً دليلاً على عجز المترجم عن التعامل مع النص بطريقة مباشرة، إذ قد تُستخدم أحياناً فضاءً لتحدي العجز أو السخرية منه. ويُنبئ وجود الهوامش وطريقة استعمالها بنقص لا يمكن تجنبه، لأنه كامن في عملية الترجمة وجزء من طبيعتها (Conley, 2012, 21). ومن الناحية العملية، وجدت دراسة حول استعمال الهوامش في ترجمة نص أدبي من الإنجليزية إلى الماليزية (2019م) أنّ الهوامش في هذه الحالة الخاصة تمّ تسخيرها لتزويد القارئ بمعلومات ثقافية في غالبها وتأتي في شكل تعاريف أو ترجمات حرفية للعبارات الأجنبية المستعملة. وتشير الباحثة إلى أنّ النتائج مفيدة في فهم طبيعة المادة التي تحتويها الهوامش دون أن تكون لها القدرة على فهم دوافع المترجم لاستعمالها (Haroon, 2019, 141). وتميز Carmen Toledano Buendia (كارمن توليدانو بوينتي، 2013م) بين وظيفتين للهوامش في النص المترجم، الأولى إخبارية شارحة تابعة للنص وتعمل على توضيحه، والثانية مرتبطة بوظيفة المترجم والتعليق على عملية الترجمة في حدّ ذاتها

(Toledano Buendia, 2013, 157). باختصار، تكتسب الهوامش في حالة النصوص المترجمة أهمية خاصة من حيث كونها إضافات وليست جزءاً من النص المترجم، ويختلف محتواها وطبيعتها باختلاف المترجمين مع وجود إجماع حول ميل عام لاستخدامها في توضيح الاختلافات الثقافية. إنَّ الأمثلة والدراسات المذكورة، ما هي إلا غيض من فيض، وتهدف في المقام الأول إلى تسليط الضوء بشيء من التفصيل على أهمية تحليل عتبات النص لأي دراسة موضوعها التواصل الثقافي من خلال الترجمة. فقد اتفقت جميع الدراسات على أنَّ النصوص الحافة أو المحيطة بالنص يمكن لها أن تؤثر بشكل واضح على مصير النص في الثقافة المستقبلية. وعلى الرغم من كون وظيفتها الأساسية تقديم النص للقارئ، أثبت جُلُّ الدراسات أنَّ لهذه العناصر القدرة على ترسيخ الصورة الذهنية للمتلقي حول الثقافة الأصلية أو تغييرها، لها القدرة على تمكين السردية السائدة أو طرح سردية بديلة، وقد تكون أيضاً وسيلة لفهم الاختلاف بشكل واقعي. كلُّ هذه الأمور تجعل من عتبات النص إحدى أدوات إيضاح الثقافة الأصلية في الترجمة أو طمسها. ويعتمد مدى تجلّي أو إبهام الاختلاف في الترجمة بالأساس على السياق العام الذي تظهر فيه، وتكون لعوامل كشخص المترجم، الخطاب السائد، طبيعة الرعاية، والقراء المستهدفين الدور الأبرز في قرار الاتجاه نحو الآخر من عدمه.

خلاصة

اهتم الفصل النظري الثاني بمناقشة مفهومي الإيضاح والتضمنين، على المستوى اللغوي في شقيه المعجمي والاصطلاحي أولاً، ثم في إطار دراسات الترجمة ثانياً وبكثير من التفصيل. إذ تم التعرض لمختلف آراء الباحثين حول المفهومين بهدف رصد تطور هذه التعاريف وتنوعها بتنوع المدارس الفكرية التي ينتمي إليها الباحثون. وقد كشف هذا التنوع في الطرح عن تعدد إمكانيات مقاربة مفهومي الإيضاح والتضمنين من منظور الترجمة، وهو التنوع الذي سنحاول استغلاله في الدراسة التطبيقية. كما سمحت

مناقشة مختلف أساليب الترجمة التي صنفها الباحثون بشكل مباشر أو غير مباشر على أنها أساليب إيضاح أو تضمين إلى تزويدنا بأدوات تحليل ضرورية للجانب العملي من الدراسة. أخيراً، وتماشياً مع خطوط البحث العريضة تم التطرق لاعتبات النص ودورها الخاص في النصوص المترجمة كإحدى أدوات الإيضاح والشرح، وهو أيضاً جانب من النقاش سنحاول التوسع فيه في القسم الثاني من هذا البحث.

الفصل الثالث

الإيضاح والتضمنين في الترجمة
الأدبية من العربية إلى الإنجليزية في
ضوء المقاربات الثقافية للترجمة

تمهيد

يهتم الفصل التطبيقي الأول، وفصل البحث الثالث، بتحليل آليات عمل الإيضاح والتضمنين في نصوص المدونة المترجمة إلى الإنجليزية، وهما روايتي "الزلازل" و"الأيام"، وذلك في إطار المقاربات الثقافية للترجمة. وسيتم التعامل مع هذه النصوص على النحو التالي: في القسم الأول يتم تقديم نصوص المدونة، فيما يهتم القسم الثاني بالدراسة التحليلية لعتبات النص فيما عدا الهوامش، فالأخيرة مرتبطة بالنصوص ولهذا ستنتم مناقشتها في القسم الثالث من الفصل والذي يركز على الدراسة التحليلية لمتن النص. وتجدر الإشارة إلى أن تحليل النص سيعتمد على نسبية فكرتي الإيضاح والتضمنين، خاصة ضمن قضتي المقاربات الثقافية اللتين وقع عليهما الاختيار وهما التفاعل الثقافي والخطاب.

1.3. التعريف بالمدونة العربية/الإنجليزية

تتألف مدونة البحث عربية/إنجليزية من روايتين عربيتين هما "الأيام" و"الزلازل"، وترجمتهما إلى اللغة الإنجليزية *The Days* و *The Earthquake*. وسنقوم فيما يلي بتقديمهما كل رواية على حدة.

1.1.3. رواية "الأيام"، المؤلف، والمترجمين

نُشرت رواية "الأيام" في الأصل على ثلاث مراحل، كما سيأتي تفصيله فيما يلي، في شكل ثلاث أجزاء منفصلة، وتُرجم كل جزء من طرف مترجم مختلف. وقد اعتمدت هذه الدراسة على نسخة إنجليزية نشرتها الجامعة الأمريكية في القاهرة عام 2006م جمعت الترجمات الثلاث في كتاب واحد.

1.1.1.3. تقديم كتاب "الأيام"

تندرج رواية "الأيام" ضمن أدب السيرة الذاتية، وهي نوع أدبي يتناول بالتعريف حياة المؤلف، لكنها ليست بالضرورة، كما يلاحظ عبد العزيز شرف (1992م)، تسجيل موضوعي لمختلف مراحل حياة صاحبها، بل تتبنى وجهة نظره وحكمه الشخصي على الأحداث. وتمنح السيرة الذاتية صاحبها فرصة الغوص في أعماقه والجلوس إلى ذاته ومحاورتها، وهي على ذلك لا يجب أن تتماهى في الذاتية. وتكمن

صعوبة هذا الجنس الأدبي في كونه يختبر قدرة صاحبه على التجرد والتخلص من أهواء النفس وميولاتها (المرجع السابق، ص13). وترصد السيرة الذاتية أهم مراحل حياة صاحبها وكيفية تواصل ذاته الداخلية مع العالم الخارجي، وهي بمثابة التطلع إلى الوراثة بكثير من التأمل، فهي وإن كانت تقوم على أحداث واقعية فإنها تعمل على سردها بكثير أو قليل من التصرف (انظر المرجع السابق، ص18-22). فمثلا ما يختار الكاتب الحديث عنه وما يفضل إدخاله دائرة النسيان مرتبط بمدى شجاعته في مصارحة الذات وكذا بما هو مستساغ ومقبول في إطار السياق الثقافي والاجتماعي الذي يرى فيه هذا العمل الأدبي النور.

وحقيقة أن السيرة الذاتية هي عمل أدبي بالدرجة الأولى تحتم على صاحبها الاهتمام بالجانب الإبداعي، فحتما ستسقط الكثير من التفاصيل المملة التي تشكل جزءا هاما من حياة الفرد ويصوغ ما يتم تصفيته من أحداث مفصلية في شكل مثير ومشوق يجذب القارئ. ولعل سيرة طه حسين الذاتية خير مثال على ذلك، فهي تصوير للحياة وليس إخبار عنها. فقد نجح الكاتب في إيجاد توازن بين الجانب الفني والجانب الاجتماعي، وأخضع محطات حياته إلى شكل أدبي يجعل القارئ يتفاعل معها. فجاءت "الأيام" "عمل أدبي منبعه الحياة، ومصبه الحياة." (المرجع السابق، ص20) فلا يجب أن تؤخذ السيرة الذاتية على أنها رصد لحوادث وأخبار عن صاحبها أو تنويه بإنجازاته، بل هي ذلك العمل الإبداعي الذي ينتقي من بين كل ذلك (المرجع السابق، ص21) ويعمل على تقديمه للقارئ بأسلوب فني مشوق.

وبدأ طه حسين في نشر "الأيام" على شكل فصول في جريدة الهلال عام 1926م، بعد عاصفة من الهجوم والنقد طالته على خلفية نشره لكتاب "في الشعر الجاهلي". ويمكن تقسيم الكتاب إلى ثلاث مراحل، الأولى عبر فيها طه حسين عن ذات تتكون، والثانية عن ذات بدأت تبني عالمها الخاص وتبلور أفكارها، والثالثة ذات رافضة لواقعها تائرة على ما تراه تخلفا وجمودا فكريا (المرجع السابق، ص9). وقد نشر طه حسين كتاب "الأيام" في ثلاثة أجزاء، الجزء الأول عام 1929م، والجزء الثاني عام 1940م،

والجزء الثالث عام 1972م. وكان الجزء الأول قد ظهر، قبل نشره كتاباً، على هيئة حلقات متسلسلة شهرياً في جريدة الهلال في الفترة ما بين 1 ديسمبر 1926م و1 يوليو 1927م. ونفس الأمر بالنسبة للجزء الثالث الذي نشر أسبوعياً في جريدة آخر ساعة في الفترة ما بين 30 مارس 1955م و29 جوان 1955م. كما نشر نفس الجزء في لبنان عام 1967م بعنوان "مذكرات طه حسين". (السكوت وجونز، 1982م، ص 85). شكلت "الأيام" خطوة مهمة في تطور الرواية العربية نظراً لطابعها القصصي وأسلوبها السردي الساخر (Allen, 2000, 185) الذي يُزاوج بين الراوي والبطل.

والجدير بالذكر أن تأرجح "الأيام" بين السيرة الذاتية والرواية جعل الدراسات حولها تتنوع بين مهتم بمعرفة صاحبها والوقوف على مدى مصداقية ما سرد من وقائع وأحداث، وبين من ركز على الجوانب الإبداعية فيها من أسلوب ولغة ونحوها. وتعد دراسة Pierre Cachia (بيار كاشيا، 1956م) حول طه حسين ودوره في النهضة الأدبية من بين الدراسات القليلة نسبياً التي تصدر في الغرب وتهتم بكاتب أو عمل أدبي بشكل خاص في تلك الفترة، وتكون غالباً مؤشراً على المكانة والأهمية. وقد حاول كاشيا أن يُضَمِّن الجزء الأول من دراسته الكثير من المعلومات عن السياق التاريخي الذي سبق ظهور طه حسين، والذي أدى إلى ترسيخ صورة عنه على أنه المفكر المجدد، الثائر على الجمود الفكري الذي ميز معظم شيوخ الأزهر بحسب زعمه، وحامل لواء الحداثة.

في معرض تحليله لشخصية الكاتب وحياته، اعتمد كاشيا بشكل لافت على كتاب الأيام وما جاء فيه من وصف لمختلف مراحل حياته، مما يوحي بمقاربة للكتاب على أنه سيرة ذاتية تقليدية تُركز على الأحداث أكثر من تركيزها على اللغة والأسلوب. أما Fedwa Malti Douglas (فدوى مالطي دوغلاس) فتؤكد في مقدمة كتابها *Blindness and Autobiography: Al Ayyam of Taha Hussein* ("العمى والسيرة الذاتية: الأيام لطه حسين"، 1988م) أن معظم الباحثين قبلها انشغلوا بما قد يجود به النص من حقائق حول أفكار طه حسين وشخصيته عن القيمة الأدبية للنص وتناوله من منظور النقد الأدبي. وقدمت

الباحثة دراسة في المقومات الأدبية للنص دون الالتفات إلى مدى مطابقة الرواية للواقع، فأهمية الأحداث هنا تكمن في الكيفية التي تُسهم بها في البناء العام للنص. وتعتقد دوغلاس مالطي أنَّ جُلَّ الدراسات ظلمت كتاب "الأيام" بشكل ما لفرط اهتمامها بصاحبه، مع العلم أنَّ تسليط الضوء على بعض التناقضات التي جاءت في النص ليس أمراً غريباً، فمن المتوقع أن تغلب الذاتية والوهم في بعض المواقع وذلك مهما حاول صاحبها التحلي بالحياد، فبالنهاية يتعلق الأمر بشخص يروي قصة حياته (المرجع السابق، ص 4-5). تركز الباحثة بشكل خاص على أهمية فكرة العمى بوصفه حاجز نفسي واجتماعي، وكيف أنَّ تخطي هذه الحواجز هو في الحقيقة ما أسهم بتكوين اسم طه حسين اللامع (انظر المرجع السابق، ص 14-15). كما أنَّ لهذه الفكرة عينها تأثير مباشر على طبيعة النص السردية.

ثم إنَّ لطبيعة الصورة التي يرسمها المجتمع للكاتب انعكاس مباشر على الطريقة التي يتم بها تناول أعماله، ففي البداية وجد فيه الكثيرون شخصاً صدامياً، يميل إلى الاستعراض بخروجه عن المؤلف من الأفكار بل والتشكيك في صحتها. في فترة متقدمة، وبعد اتضاح معالم مشروعه الفكري والتفاف دوائر صنع القرار حوله، طفت على السطح صورة الرجل الرمز، رمز العلمانية وحلقة الوصل بين الشرق والغرب، والحالم بنهضة فكرية في مصر تقوم على الأدبيات الأوروبية، التي فيما يبدو، أثرت بشكل واضح على رؤيته لمستقبل مصر الثقافي. في مرحلة أخيرة، بدأت صورة الكاتب تفقد الكثير من الزخم الذي سبق الإشارة إليه، وعادت الدراسات لتتظر لأعماله في سياقها الطبيعي دون مبالغت تقييمية لا تستند إلى أي قاعدة معرفية صحيحة (9, 1988, Malti Douglas).

بعيداً عن كونها سرداً للأحداث المهمة في حياة صاحبها، تعدُّ "الأيام" عملاً روائياً يُقابل بكثير من الدقة بين الشرق والغرب، بين المحافظة والتحرر، وبين الرجعية والحداثة من منظور الراوي. وهو ما يعكس السياق الاجتماعي والفكري الذي ظهرت فيه أجزاء الكتاب الثلاثة، والتي تعد فترة نهضة فكرية واجتماعية بكل المقاييس. وأكثر ما يميز هذه الفترة هي السجلات والمعارك الفكرية التي كانت صفحات

الجرائد والندوات بعضاً من ساحاتها. ومن أكثر المواضيع التي وضعت طه حسين في مواجهة مع الكثير من المفكرين، خاصة بعد عودته من فرنسا، هي النهج الذي يتعين تبنيه والطريق الذي يتوجب أخذه للنهوض بمصر في شتى مجالات المعرفة (Cachia, 1956, 55). ومن المعروف عنه افتتانه الشديد بالحضارة الغربية وقناعته التامة بأن الكثير من الفائدة ستعود على وطنه إذا سار على خطاها ونهل من ينابيع معرفتها خاصة جانب التفكير النقدي الذي يُعدُّ أكثر ما أبهر الكاتب أثناء إقامته في فرنسا للدراسة. و"الأيام" على طابعها الروائي الجلي، هي سيرة ذاتية في المقام الأول، وتراهن من هذا المنظور على تحقيق عدد من الأهداف أبرزها إرادة التغيير والأخذ بيد المجتمع المصري نحو التطور. فقد انطلق الكاتب من وضعه الخاص، إذ كان فاقداً للبصر، ليُسهب بكثير من البراعة في تصوير مجتمعه القروي كما كان يراه طفلاً في الجزء الأول من الكتاب، بكل ما فيه من أسباب التخلف والجهل، والذي حكم عليه بالعيش كفيفاً بقية عمره (شرف، 1992م، ص 63). وواصل حسين مسعاه في الجزء الثاني من الأيام، بحيث كانت الصعوبات التي قد تواجه شخصاً غير مبصر في رحلته للاكتشاف والتعلم وسيلة للتعرض لما اعتبره سبباً في شلِّ العقل العربي ومنعه من التحرر والإبداع، وهو تزمّت مشايخ الأزهر وإصرارهم على طرق تعليم يراها الكاتب عقيمة وغير مجدية، كما عاب عليهم قصورهم النقدي وعدم قدرتهم على إعادة قراءة النصوص في ضوء ما جدَّ من تيارات فكرية. أما الجزء الثالث من الكتاب فيتناول فكرة الثمار التي يمكن جنيها حين يتغلب المرء على إعاقته ولا يسمح لها بالوقوف في طريق طموحه. وهو ما حدث لطفه حسين الشغوف بالمعرفة، والذي وأثناء تلقيه محاضرات في أول جامعة مصرية وكذلك بعد سفره لفرنسا لاستكمال مشواره العلمي تمكن من بلورة مشروعه الفكري ورؤيته الواضحة عن مستقبل الثقافة في مصر. وكان جلياً تمرد الكاتب على كلّ ما هو تقليدي، وانبهاره بكل فكرة تأتي من وراء البحر.

اتبع طه حسين في الأيام أسلوباً سردياً ممتعاً، فاتباع التسلسل الزمني للأحداث لم يكن هاجساً عند الكاتب على الرغم من جنس النص الأدبي، خاصة في الجزء الأول من الكتاب. فسرّد

الأحداث مرتبط بذاكرة الراوي، والذاكرة انتقائية حتماً وعرضية غالباً. وتضفي هذه الصبغة على النص طابعاً حداثياً وحتى ما بعد حداثي (المرجع السابق، ص 65). كما يميل طه حسين إلى تضمين عباراته التي تبدو في ظاهرها بسيطة دلالات عميقة تستفز تفكير القارئ وتحثه على بناء المعنى الخاص به (المرجع السابق، ص 66)، وهذا أيضاً من خصائص الأدب ما بعد الحداثي. وتميزت "الأيام" أيضاً باستعمال ضمير الغائب لرواية الأحداث، وهو ما خلق مسافة بين الكاتب والراوي، وهو أيضاً ما دفع الكثيرين لقراءته على أنه رواية وتسبب في شعبيته بين القراء لفترة من الزمن. ولا بد في هذا الصدد من التوقف عند طبيعة اللغة في "الأيام"، وهي لغة حسية بامتياز، تعتمد في المقام الأول على السمع لفك رموز ما يحدث حول الراوي من أحداث، ومحاولة فهم طبيعة الشخصيات الأخرى ووصف ملامحها. إضافة إلى السمع، يعتمد الراوي أيضاً على اللمس والشم لفهم محيطه ومحاولة الانخراط فيه بسلاسة. فاللغة في هذه السيرة الذاتية "فصيحة، موسيقية، واقعية التصوير، لا يجد القارئ. فيما يقرأ على ألسنة النماذج البشرية فيها. غضاضة أو تكلفاً" (المرجع السابق، ص 70). وهي غنية وكثيفة بالتوصيف الحسي للأشخاص والأحداث. ففي مثل هذه اللغة تحدّ صارخ لفكرة ضرورة التأمل بالعين حتى نصف من جهة، وفكرة حصر اللغة في شكل أو رمز يفهمه الناظر من جهة ثانية.

2.1.1.3. تقديم ترجمات كتاب "الأيام إلى اللغة الإنجليزية

تمت ترجمت الجزأين الأول والثاني من "الأيام" على فترات متقاربة ولكن لمترجمين مختلفين، ذلك أن طه حسين نشر هذين الجزأين متتابعين. لكن الحال اختلف مع الجزء الثالث الذي نشر بعد سنوات طويلة ما نجم عنه تأخر صدور ترجمة له إلى غاية عام 1976م.

نشرت ترجمة الجزء الأول من "الأيام" عام 1932م تحت عنوان *An Egyptian Childhood*

Autobiography of Taha Hussein لـ Evelyn Henry Paxton (إيفلين هنري باكستون)، ولا توجد

محركات البحث أو أي مصادر بحث أخرى بشيء عن حياة الرجل أو شخصيته باستثناء سنة ميلاده (1906م). وهو ما يعدُّ أحد صعوبات البحث، لأنَّ وجود معلومات عن المترجم وحياته ورؤيته يفيد كثيراً في فهم وتحليل الترجمات، أو على الأقل ترجيح فهم واستبعاد آخر، لأنَّ التكوين النفسي والاجتماعي للمترجم ينعكس بشكل أو بآخر على نوعية الترجمة التي يُنتجها.

أما الجزء الثاني فقد ترجمه البريطاني Hilary Wayment (هيلاري وايمنت، 1912م-2005م) عام 1943م بعنوان *The Stream of Days: A Student at the Azhar*. وترعرع وايمنت في بيئة متدينة، وبعد تخرجه من الجامعة سافر إلى مصر وأقام بها سبع سنوات (1937م-1944م)، حيث عمل أستاذاً في جامعة فؤاد الأول. وفي هذه الأثناء ألف وايمنت مجموعة متنوعة من الأشعار والقصص (*Egypt Now: A miscellany* 1943) وترجم من الفرنسية إلى الإنجليزية كتاب (*Mœurs et coutumes des fellahs*) تحت عنوان (*The Fellaheen*, 1945). وفي أثناء إقامته في مصر تعلم العربية وترجم ثاني أجزاء الأيام. لكن مع عودة وايمنت إلى بريطانيا واشتغاله بمنصب في المركز الثقافي البريطاني، بدأ اهتمامه يتجه إلى الزواج الملون، وهو طابع معماري تتميز به الكنائس، لدرجة أنَّ جميع مؤلفاته بعد ذلك كانت في هذا المجال. فوايمنت معروف على أنه مؤرخ مختص في الزواج الملون (Massing, 2005) وليس كونه مترجم، وكأن الترجمة كانت مغامرة عابرة في شباب الرجل.

ونشرت ترجمة الجزء الثالث عام 1976م بعنوان *A Passage to France* للمترجم البريطاني Kenneth Cragg (كينيث كراج، 1913م-2012م). وبخلاف سابقه، يُعد كراج مفكراً ملماً بشؤون العالم العربي والإسلامي، فقد أمضى الكثير من فترات حياته في دول شرق أوسطية (لبنان، مصر، فلسطين) أحياناً بصفته أستاذاً وأحياناً بسبب انتمائه للكنيسة الأنجليكانية. أمضى كراج معظم حياته في دراسة الإسلام والقرآن، محاولاً فهمه بشكل معمق من منظور مسيحي. ويعد كراج من أوائل الأصوات في الغرب التي دعت إلى حوار ديني إسلامي . مسيحي (Kerr, 1998, 157). وهو في الحقيقة ما يفسر أنَّ الترجمة

التي بين أيدينا هي الترجمة الوحيدة لكراج، في حين ألف أكثر من عشرين كتاباً كلها تقريباً موضوعها الإسلام والمسلمين وأشهرها *The Call of the Minaret* ("نداء المئذنة"، 1956م).

وقد تم جمع هذه الترجمات الثلاث في كتاب واحد صدر عن الجامعة الأمريكية في القاهرة عام 1997م بعنوان "*The Days*". وهو المرجع الذي اعتمدت عليه هذه الدراسة (الطبعة الخامسة 2006م). وقصد التأكد من أنّ النصوص في الطبعة المذكورة مطابقة للترجمات الأصلية، لا نقص فيها، تم تحميل ترجمة الجزء الأول والثاني كما صدرت أعوام 1932م و1948م من مواقع إلكترونية. وقد لاحظنا أن نسخة الجامعة الأمريكية بالقاهرة قد خلت من مقدمة المترجم هنري باكستون للجزء الأول وحل محلها مقدمة للأستاذ بيار كاشيا، وهي المقدمة التي ظهرت في طبعة صدرت عام 1981م لترجمة الجزء الأول في سلسلة الأدباء العرب لدار النشر هاينيمان (Heinemann/ Three Continents Press) (Mejdell, 2011, 160). ونظرا لاعتماد الدراسة على تحليل مقدمات المترجمين، جاءت هذه الخطوة في صالح البحث ومكنت من الحصول على الترجمة الأصلية كاملة، الأمر الذي يثري لا محاله النقاش ويعطيه مصداقية أكبر.

وكاشيا أكاديمي معروف، وكان أستاذاً للأدب العربي المعاصر في جامعتي إيدنبوره وكولومبيا لسنوات طويلة وكان له دور مهم في ترسيخ الدراسات العربية الأكاديمية في الجامعات البريطانية. ونشر كاشيا العديد من الدراسات المهمة حول الأدب العربي والتي تعكس رؤيته الجادة والمختلفة للموضوع، الأمر الذي يرجع ربما لمعاينته الثقافة العربية عن قرب، فقد وُلد في مصر، وتلقى تعليمه فيها. وكان أول مؤلفاته دراسة معمقة عن حياة طه حسين عام 1956م (*Tāhā Husayn: His Place in the Egyptian Literary Renaissance*). ويلاحظ أويونج (Oyoung, 2017) أن أهمية هذه الدراسة تكمن في منهجها الصارم، بحيث حاول كاشيا فهم شخصية وأفكار طه حسين من خلال أعماله، ولكن أيضاً من خلال

محاورته ومحاوره معاصريه من الخصوم والأصدقاء، ومحاولة فهم ذلك كله في إطار السياق الثقافي العام لهذه المرحلة التاريخية.

2.1.3. رواية "الزلازل"، المؤلف، والمترجم

نشرت رواية "الزلازل" للروائي الجزائري الطاهر وطار لأول مرة عام 1974م، وترجمها إلى اللغة الإنجليزية الباحث والكاتب والأكاديمي الأمريكي وليام غرانارا بعنوان *The Earthquake* عام 2000م. وفيما يلي من فقرات سيتم تقديم الرواية والترجمة بشكل موجز.

1.2.1.3. تقديم رواية "الزلازل"

يعتبر الكثير من النقاد رواية "الزلازل" من الأعمال الأدبية التي أنذرت بجدية التجربة الأدبية الجزائرية وأسست، مع بعض الأعمال الأخرى مثل "ريح الجنوب" و"اللاز"، للرواية الجزائرية المكتوبة باللغة العربية. ويُردُّ انتعاش الحياة الأدبية سنوات السبعينات، بخلاف الستينات، إلى نوع من الاستقرار النسبي للحالة الاقتصادية والاجتماعية شجع على ظهور المجلات الأدبية، والبرامج الإذاعية أدبية، وكان وطار شريكاً في هذا الحراك الأدبي بحيث عمل محرراً لمجلة "دروب القصة" ومشرفاً على الملحق الثقافي لجريدة الشعب، "الشعب الثقافي" (عطى الله، 2018م، 253). فكانت الرواية شخص له مشروعه الفكري الخاص، و"الزلازل" أحد تجليات هذا المشروع.

إنَّ أهم ما ميز الرواية الجزائرية في هذه الفترة هو قدرتها على التجريب وعدم استسلامها للأشكال الروائية التقليدية. كما برز ميل الرواية للواقعية، ومحاولة مواجهة الحقائق وتسليط الضوء على ما ينخر جسم المجتمع من مشاكل. بالتأكيد لا يمكن إنكار الأثر الواضح للجانب السياسي والإيديولوجيا على رؤية وطار الأدبية، لكن فيما يبدو لم تتمكن هذه الميولات الفكرية من حجب وعيه التام بتحديات مجتمعه.

فانتماء وطار الإيديولوجي للاشتراكية والسياسي لجهة التحرير الوطني انعكس في المواضيع التي تناولها في روايتي "اللاز" و "الزلزال" (بن يحي، 2013م)، لكن هذا لم يكن عائقا أمام إنتاج أعمال قيمة من الناحية الأدبية، وقادرة على تشريح الفرد الجزائري، سواء إبان ثورة التحرير أو بعد الاستقلال، وتصوير مختلف الصراعات النفسية والاجتماعية بكثير من الدقة والواقعية.

ورواية "الزلزال" تدور حول شخصية الشيخ عبد المجيد بولارواح، وتركز على حدث واحد هو الرحلة إلى مدينة قسنطينة. بولارواح الشخصية البرجوازية المتدينة لا يستطيع تقبل قرارات الإصلاح الزراعي في جزائر ما بعد الاستقلال ويحاول إيجاد أقرباء له في مدينة قسنطينة يساعدونه على الالتفاف على هذه القوانين. تكون الرحلة وسيلة وطار لرصد صراع بولارواح النفسي والاجتماعي، ورفضه لواقع جديد انقلبت فيه الموازين وزلزل المجتمع زلزاله. ونظراً لاعتماد أسلوب الرواية على تقطيع المشاهد والمونولوج الداخلي والحوارات وكذا الانتقالات السريعة بين الماضي والحاضر اعتبرها الكثيرون خطوة مهمة في تطور الرواية الجزائرية. وليس الأسلوب فحسب ما يميز الرواية ولكن موضوعها وطبيعة الشخصية الرئيسية فيها كلها أسباب ساعدت على تقديم نص ما بعد استعماري بامتياز مفتوح على قراءات متعددة (Wattar, 2000, 19). ومن خلال تسليط الضوء على أمراض المجتمع يطمح الكاتب ربما إلى الإسهام في زيادة الوعي وتحقيق تغيير إيجابي.

اختار وطار أن يحكي قصته من خلال شخصية أبعد ما تكون عن الاعتدال والتوازن، فتعليم بولارواح الديني وانتمائه لجمعية العلماء المسلمين لم يكونا عائقاً أمام فساد وانتهازيته. فهذه الشخصية "الدسمة" بتفاصيلها سمحت لوطار بوضع الظاهر في مواجهة مع الباطن والفساد في معركة مع الأخلاق. وعلى الرغم من أن أزمة بولارواح الأساسية هي مع قرارات سياسية لم تأتي على هواه، فإنه اختار سلاح الدين للدفاع عن موقفه واتهام أعدائه. إن استعمال المونولوج الداخلي وتيار الوعي يسمح بالولوج إلى عوالم بولارواح الداخلية وهواجسه الدفينة، فيعي القارئ دوافعه شيئاً فشيئاً، وكلما ازدادت حدة

صراعه الداخلي ورفضه لما يحدث من حوله من تغيير، بدا منطقياً توقع انهياره، وبالتالي دحض ما يمثل من أفكار، وإدانة من يمثل من أشخاص (انظر زغينة، 2004م، ص 261-263). فمن الجانب النفسي يمكن فهم ميل بولارواح لتفسير الواقع من منظور ديني إلى طبيعة التعليم الذي تلقاه، فكونه شخصية سلبية لا يتناقض مع حقيقة أن الدين هو وسيلته ليس فقط للعلو في الأرض ولكن أيضاً للتفاعل مع ما يجري حوله من أحداث وهو ما يعكسه استعمال الكاتب لفكرة الزلزال، في شقها الديني، مراراً وتكراراً في النص لرصد صراعات الرجل ورفضه لواقعه، صراع بين ماضيه وحاضره، بين طبقة البرجوازيين والفلاحين، وبين التغيير وإنكاره أو رفضه.

إنَّ اختيار وطار لشخصية أبعد ما تكون عن المثالية ليروي من خلالها صراع المجتمع مع ما تبقى من آثار الماضي، المستعمر، وتحدياته للوقوف على قدميه تنبع من رغبته في أن يُدين المذنب نفسه قبل أن يدينه من حوله. فشخصية البطل بالمعنى الإيجابي، والتي جرى الاعتماد عليها في معظم الأعمال الروائية العربية آنذاك (البطل المقهور المحارب للشر والذي ينتصر في النهاية) ما كان لها أن تخدم موضوع الرواية كما فعلت شخصية بولارواح بكل تناقضاتها وأمراضها. فبولارواح يقف وجهاً لوجه مع السواد الأعظم من المجتمع، يحب ما يكرهون ويكره ما يحبون. فبينما يلعن أغلب الجزائريين الماضي الاستعماري لأسباب يعلمها القاصي والداني، يحن بولارواح إلى تلك الأيام الخوالي ويتحسر عليها، نظراً للامتيازات التي جازت له دون غيره. كما يقف طموح أبناء هذا الشعب في تحسين أحوالهم المعيشية بالنزوح من الريف إلى المدينة والعمل فيها ضد رغبة بولارواح في بقاء الأسىاد أسياداً والعبيد عبيداً. فأكثر ما يثير غضب الشيخ هو الزلزال الذي ضرب أصالة مدينة قسنطينة، فذهب بعائلات عريقة كانت هي من يعطي المكان طعماً ورائحة وأتى بمن لا طعم لهم ولا رائحة.

2.2.1.3. تقديم ترجمة رواية "الزلزال" إلى اللغة الإنجليزية

ترجم الباحث الأمريكي وليام جرانارا رواية "الزلزال" عام 2000م. وجرانارا أستاذ متخصص في الدراسات العربية والإسلامية في جامعة هارفارد الأمريكية. وقد درس الأدب والتاريخ المتوسطي الوسيط والمعاصر، وألف في الموضوع كتابين اثنين: *Narrating Muslim Sicily: War and Peace in the Medieval Mediterranean World* ("رواية صقلية المسلمة: الحرب والسلام في منطقة المتوسط في العصر الوسيط"، 2019م) و *Ibn Hamdis the Sicilian: Eulogist for a Falling Homeland* ("ابن حميديس الصقلي: تأبين وطن يتهاوى"، 2021م). وإضافة إلى "الزلزال" ترجم الباحث روايتي "ثلاثية غرناطة" لرضوى عاشور (1998م) (*Granada*, 2003)، و"شارل وعبد الرحمان" لجورجي زيدان (1904م) (*The Battle of Poitiers*, 2011) (HARVARD.EDU). وله العديد من المقالات النقدية عن الأدب العربي المعاصر، اهتم فيها الباحث بفهم النصوص من منظور ما بعد استعماري.

وتوشي الطبيعة التاريخية للنصوص الأدبية التي وقع عليها اختيار جرانارا للترجمة بأن وظيفة الترجمة عنده تتقاطع مع وظيفة الباحث، فالنصوص المترجمة تصب مباشرة في خانة اهتمامات الباحث المعرفية، على عكس هيلاري وايمنت مثلاً. النقطة الأخيرة التي يتحتم ذكرها فيما يخص سيرة المترجم الذاتية، هي أن اهتمامه بمنطقة المتوسط من العالم العربي تحديداً يعود إلى جغرافيتها الخاصة، إذ أنها المكان الذي يلتقي فيه الشرق بالغرب، والعرب بالأوروبيين، فالمنطقة محاذية للقارة العجوز من جهة الجنوب. ويؤكد جرانارا في حوار له أن الأعمال التي ترجمها تتطلب معرفة عميقة ليس فقط بالحاضر ولكن أيضاً بتفاصيل الماضي التي أفرزته. ويعتقد جرانارا أن مصطلح الأدب العربي لا يجب أن يكون حِكراً على الأعمال المكتوبة بالعربية، فالأعمال الجزائرية المكتوبة بالفرنسية مثلاً تعالج نفس المواضيع وتطرح نفس القضايا الموجودة في نظيرتها المكتوبة باللغة العربية. ويسمح هذا التوسع حسبه بإثراء أكبر لهذا الحقل من الدراسات (HARVARD.EDU). وما يمكن استخلاصه بعد هذا التقديم، هو أن اهتمام

المترجم بالأدب ما بعد الاستعماري، المتوسطي بشكل خاص، قد ينعكس على ترجمته من حيث الفهم الجيد للثقافة الأصلية ومن ثمة نقلها بأكبر نجاعة ممكنة، وهو ما ستؤكدده أو تنفيه الدراسة التحليلية.

2.3. تحليل عتبات النصوص المترجمة ودورها في إيضاح أو تضمين السمات الثقافية للنصوص

الأصلية

يتطرق القسم الأول من الدراسة التحليلية إلى أهمية عتبات النص في تلقي النص المترجم ودورها في إيضاح أو تضمين ملامح الثقافة الأصلية، واستخدامها في الوقت عينه من طرف المترجم (أو الناشر) بوصفها إحدى أساليب الإيضاح البراغماتي. وسبق الإشارة في الفصل النظري الثاني إلى أهمية إدراج هذه العناصر المحيطة بالنص الأدبي ضمن الدراسة كونها أولاً جزء لا يتجزأ من النص الموضوع بين يدي القارئ، وثانياً لكشف دورها في توجيه فهم القارئ للنص واستقباله للثقافة الأصلية. وتقيداً بأهداف البحث، سيتم فيما يلي تحليل مقدمات المترجمين، العناوين، والأغلفة.

1.2.3. تحليل مقدمات المترجمين

يبدأ هنري باكستون مقدمته لترجمة الجزء الأول من "الأيام" بتقديم المؤلف والكتاب للقارئ، موضحاً أن أكثر ما يميز هذا الكتاب هو عدم اقتصاره على وصف حياة الكاتب في الريف قبل انتقاله للقاهرة للتعليم في الأزهر، بل إنه يصور إلى جانب ذلك الحياة في ريف مصر مع بداية القرن العشرين بكل تفاصيلها. ويعكس هذا المثال إحدى وظائف مقدمات الترجمة وهي وظيفة تقديم وتفسير بعض من ملامح ثقافة النص الأصلي (Mcrae, 2012, 65). ولأن هذا الوصف كان أول ما بدأ به المترجم مقدمته، فقد جاء مجملاً وعماماً يهيئ القارئ للنص دون أن يفرض عليه توجهاً معيناً. ويسمح هذا الطابع العام تحديداً بأن يكون إيضاح بعض الجوانب الثقافية أكثر فعالية. إذ بمجرد انتقال المترجم للحديث مفصلاً

عن حياة طه حسين تغيرت الأمور نسبياً. ففي إشارة إلى أن الانتقال من الأزهر إلى الجامعة خلّص الكاتب من الأزهريين وضيق أفقهم، وفتح أمامه الباب واسعاً لتحرير أفكاره من كل القيود خاصة في وجود أساتذة أوروبيين يُدرّسون في جامعة القاهرة والذين ظل طه حسين شاكراً بفضلهم في مسيرته وتأثيرهم الإيجابي في تطوره الفكري يذكر باكستون أنّ:

"He was initiated to modern Western methods of literary criticism, and rapidly threw off the prejudices and cramped outlook of the Azharites. The European professors (...) were the men whose helpful influence Dr. Taha Hussein acknowledged with gratitude." (Hussein, 1932, v-vi)

"وسرعان ما تخلص من نظرة الأزهريين المتعصبة والضيقة للأمور بمجرد أن بدأ بتعلّم مناهج النقد الأدبي الغربي. كان الأساتذة الأوروبيين (.....) أولئك الرجال الذين ظلّ الدكتور طه حسين ممتناً لفضلهم في مسيرته." (ترجمتنا)

يبدو أنّ المترجم لا يحاول وصف الأحداث وصفا محايداً، فقد اختار الجانب الذي يمثل بالنسبة

له الصواب والخير ووجه القارئ باتجاهه. طبعاً السجال الفكري الذي عرفته مصر في بداية القرن العشرين بين من يُسمّون بالمجددين ومن يُنعتون بالمحافظين لا يخفى على أحد، لكن فكرة أن الأمور هي إما خير مطلق أو شر مطلق تبدو ساذجة بعض الشيء. ويؤكد الرأي الذي سيلي ذكره موقف المترجم من المعركة الفكرية الدائرة آنذاك، فطه حسين شهيد تحرير الفكر وقد عانى جراء أفكاره وجراته لكنه لم يستسلم وبقي صامداً في وجه المد الرجعي.

"During the storm which was aroused in Egypt by his book on Pre-Islamic Poetry he was described by a popular English daily as "The Martin Luther of Egypt". The comparison is hardly fair, since he does not claim to be a religious reformer. However, he has shown Luther's dauntless courage in the face of persecution and like Luther has survived it." (Hussein, 1932, vi-vii)

"وتم وصفه بـ "مارتن لوثر مصر" من طرف جريدة إنجليزية شعبية إثر الزوبعة التي أثارها كتابه "في الشعر الجاهلي". وهذه المقارنة غير عادلة لأنّ حسين لم يدّع أنّه مصلح ديني، ولكنّه مع ذلك أظهر جسارة لوثر في التصدي للاضطهاد وفي الصمود." (ترجمتنا)

إنّ المثال الذي اختاره باكستون لتوصيف حالة المؤلف يحمل الكثير من الدلالات أهمها هيمنة

الرؤية الغربية واعتبارها مرجعاً لما هو صحيح وعادل، فهو بطل وقضيته عادلة لأنّ ما حدث له على

خلفية نشره لكتاب "في الشعر الجاهلي" من هجوم وظلم له ما يشبهه في التاريخ الأوروبي في صورة مارتن لوتر، قائد حركة الإصلاح الديني في أوروبا في القرن السادس عشر. كما أن القيم التي يدعو إليها طه حسين هي نفس القيم الموجودة في الغرب وبالتالي يتشارك فيها الكاتب مع المترجم وقارئ النص المترجم. طبعاً الصورة كما وصفها المترجم تبدو جذابة للغاية وتجعل القارئ يتعاطف مع المؤلف حتى قبل قراءة الكتاب، ولعلّ هذا ما كان يرمي له باكستون بالأساس. لكن في الحقيقة إن الجدل حول ما جاء من أفكار في الكتاب المذكور آنفاً لم يُحسم لصالح طه حسين، كما أن المفكرين الذين استهجنوا ما جاء في كتابه من مغالطات تاريخية بحسب زعمهم لا يقولون أهمية وتأثيراً منه، وقد ردّوا عليه بالحجة والبرهان لا بكلام مرسل، ونذكر منهم صادق الرافعي في كتابه "تحت راية القرآن" ولطفي جمعة في كتابه "الشهاب الراسد". ويذكر إبراهيم عوض في مقدمته لترجمة لطفي جمعة لرواية "عولس" أن الأخير فنّد "كل الشبهات التي ساقها مؤلفها ومبرزاً ما فيها من شطط واعتساف وأوهام وخطأ في تطبيق منهج ديكرت، وذلك في عبارة حارة متدفقة كالسيل العرم. وهذه الدراسة هي أحد أهم المعالم البارزة في تاريخ المعركة الفكرية التي أثارها كتاب د. طه" (جويس، 2007م، ص17). وهو ما يؤكد على أنّ الصورة التي حاول المترجم تقديمها عن الكاتب تخضع لفهمه ورؤيته للعالم، فهم لا يمكن فصله عن خلفيته الفكرية والثقافية.

وعلى ما يبدو يُفضل المترجم رؤية الأمور من زاوية واحدة ونقل صورة مجتزأة عن الواقع. فلم يورد المترجم مثلاً حقيقة أن الكاتب كان مدعوماً من الكثير من الوجوه السياسية والفكرية وأنه على عكس الكثير من معاصريه ومن جاء قبلهم لم يعاني اضطهاداً حقيقياً، فهو لم يُنفى مثل محمد عبده ولم يُسجن حال العقاد. وتقر Gunvor Medjell (جونفور ميدجل، 2011م) بعدم حيادية المترجم إلا أنها تعتبره وسيطاً ثقافياً محترماً ومتعاطفاً (Mejdell, 2011, 161). وهو تفسير يمكن أن يقابل بتفسير ينقضه، فانهياز المترجم للمؤلف على اعتباره حامل لواء التجديد والحدثة ومولع لا ينكر ولعه بكل ما هو أوروبي

غربي أبخس خصومه حقهم وأظهرهم في ثوب الجاهل المتعصب. وعكس المثال الأول، يحيل المثال الثاني إلى فكرة أن ما يمكن الجزم عليه ظاهرياً بأنه محاولة من المترجم لإيضاح السياق الثقافي العام الذي خرج فيه كتاب الأيام إلى النور هو أمر وجب تدقيقه. فهناك طمس واضح لجانب من الحقيقة قد يعتبره المترجم غير مهم أو لا يخدم الصورة -السردية- التي يود إقناع قارئه بها.

إذ نجد أن هذا الشرح خضع لما تسميه بيكر السياق الانتقائي (Baker, 2006, 5)، أي أن المترجم أنتقى من السياق الأصلي ما يخدم السردية التي هو بصدد الترويج لها، وهي سردية تُمدد الغرب وقيمه على اعتباره الحلقة الأقوى ولا تلتفت للآخر إلا فيما يمثله من إرساء لفكرة أسبقية الغرب عمن سواه. ويتسق هذا النوع من الخطاب تماماً مع الخطاب السائد منتصف القرن الماضي في أوروبا، بحيث رسخ الماضي الامبريالي فكرة تفوق الغرب على سائر شعوب العالم. في هذه الحالة لم ينج إيضاح ثقافة النص الأصلي من معالجة أو فلترة (تصفية) ثقافية كما يسميها كتان (Katan, 2009, 76)، وإن اختلف السياق، قدمت في اعتقادنا للقارئ ما يمكنه فهمه والتعامل معه وتجنبته إقحامه في تفاصيل قد تكون مرهقة، ويوجد أيضاً احتمال أن ما جاء في المقدمة هو بالأساس انعكاس لرؤية المترجم. والجدير بالذكر أن أي معلومات إضافية عن المترجم تكاد تكون منعدمة وهو ما جعل التعمق أكثر في تحليل المقدمة من حيث فكرة التأثير والتأثر بين الثقافتين عملية صعبة.

لم تختلف بداية مقدمة ترجمة الجزء الثاني من "الأيام" كثيراً عن سابقتها، فاستهل المترجم البريطاني هيلاري وايمنت حديثه بالتأكيد على مكانة الكتاب في الأدب العربي ولفت الانتباه إلى شخصية الكاتب المبدعة (Hussein, 2006, 97). لكن المقدمة بعد ذلك اتخذت طابعاً تعليمياً، إذ أكد المترجم أن القارئ الإنجليزي سيحتاج لما سيقدمه له من معلومات حتى يتمكن من فهم السياق التاريخي والثقافي الذي ظهر فيه الكتاب. فقدم أولاً ملخصاً عن الجزء الأول من "الأيام" لافتاً انتباه القارئ إلى أنه متوفر باللغة الإنجليزية، لينتقل بعدها إلى إعطاء نبذة تاريخية عن نشأة الأزهر ومختلف مراحل تطوره، دون أن

يُفَوِّتُ فرصة التلميح للطابع الجامد للتعليم فيه، والذي يعوزه النقد والتفكير (Hussein, 2006, 98). وركز المترجم بشكل خاص على الإمام محمد عبده على اعتباره رائد حركة النهضة الفكرية وأول من جدّد مناهج التدريس في الأزهر، فأصبح الطلبة يدرسون الأدب والرياضيات وغيرها إلى جانب العلوم الشرعية. ليس هذا فحسب، بل إن تأثيره كان واضحاً من خلال "الأفندية" دعاة التجديد من أمثال لطفي السيد وسعد زغلول وبالطبع طه حسين. ولم يخل الأمر من إسقاط على الذات لتقريب المعنى للقارئ بتشبيه ما كان يحدث في مصر من صراعات فكرية بما حدث قروناً قبل ذلك في أوروبا ونتج عنه تحرير العقل من براثن الكنيسة والدين (Hussein, 2006, 102). كل هذه التفاصيل تسمح بترجيح ميل المترجم للتركيز على الثقافة الأصلية ومحاولة تقديمها بشكل توجيهي تعليمي يسمح بالحد الأقصى من الفائدة. ولكنّ هذا لا ينفي وجود الخطاب الغربي المعتاد في الحكم على ما هو جيد وما هو غير ذلك من خلال منظومة القيم الأوروبية التي لا تخلو من منطق الاستعلاء والتحيز لكل ما هو غربي.

عموماً جاءت المقدمة غنية بالمعلومات التي ستساعد على فهم النص وسياقه الثقافي بشكل أفضل دون مغالاة أو محاولة للتأثير على القارئ وتوجيهه إلى معنى محدد، فتمّ إيضاح الكثير من الأشياء لم يأت ذكرها أو ضُمِنَتْ في النص الأصلي لأن المترجم اختار أن يهيئ القارئ بتزويده بمعلومات يراها ضرورية عن الثقافة والتاريخ المصريين. كما أنّ تأثر المترجم بالخطاب السائد ومحاولة فرضه على محتوى المقدمة كانت محدودة للغاية، ويمكن فهم هذا الاختيار بالنظر للخلفية الأكاديمية للمترجم والتي آنذاك كانت تفرض على المفكرين خطاباً موضوعياً محايداً النبوة لا يُستشف منه شخص الكاتب أو ميوله الفكرية. الأمر الذي أدى ربما إلى الحدّ من تأثير الثقافة المستقبلية بقدر كبير. لقد لاحظنا أنّ وظيفة تقديم وإبراز ثقافة النص الأصلي في المقدمة تختلف عن سابقتها من حيث نوعية السياق الأصلي الذي تمّ انتقاؤه والتركيز عليه، وكذا من حيث أسلوب عرض المعلومات المنتقاة. وعليه يمكن القول بأنّ الانتقائية المصاحبة للتعرض للسياق الأصلي، وإن كانت كما يرى تيموكسكو و

غينتسليير (Tymoczko and Gentzler, 2002, xviii) أمرٌ لا مفر منه، تختلف نتائجها باختلاف طبيعة المادة المنتقاة وطريقة المترجم في عرضها.

أما فيما يخص وظيفة فهم دور المترجم وطبيعة اختياراته في المقدمة (McRae, 2012, 65)، فلم يُفرد المترجم لها إلا فقرة واحدة أخيرة. تمحورت بالخصوص حول أسلوب الكاتب واختياراته الترجمية التي كانت الأولوية فيها لفهم القارئ والابتعاد عن محاولة تقليد أسلوب طه حسين لأن ذلك من شأنه أن ينتج نصا يعكس صورة محلية مزيفة ويصعب فهمه على القارئ في آن (Hussein, 2006, 103). وما يمكن استخلاصه من حديث المترجم عن أسلوبه هو أنّ فكرة استتساخ أسلوب النص ليست بالفكرة السديدة لما لها من آثار على نسيج النص المترجم والتلقي أو المقروئية. طبعاً، يرتبط موضوع أسلوب أو لغة الترجمة مباشرة بالرؤية أو الطريقة التي يفهم بها المترجم الترجمة. ورؤية وإيمانته على ما يبدو أقرب للتوطين فهو يعطي أهمية أكبر للتواصل والفهم. وهذه الرؤية منطقية فأى نفع قد يعود على المترجم من إنتاج نص لا يمكن فهمه أو تذوقه. لكن هذا الرأي يعارضه الكثير من منظري الترجمة على اختلاف انتماءاتهم الفكرية نذكر منهم برمان (1985م)، سيفاك (2012م) وفينوتي (1995م/1998م). إذ يعتبر برمان أن غرض الطرف عن أهمية شكل الكلمة وتقديس المعنى يؤدي إلى تشويه النص وتغريبه عند الترجمة، وهو الرأي الذي لم يسلم بدوره من الانتقادات، والتي اعتبرت هذه المقاربة مثالية ونخبوية من مناحٍ عدة. ولهذه الرؤية في الترجمة حتماً انعكاساتها على مدى تجلّي الثقافة الأصلية في النص والتي عادة ما تتأثر بشكل سلبي. ففائدة المقدمة في هذه الحالة ترتبط ضرورة فهم اختيارات الترجمة في ضوء علاقتها بسياق انتاجها وليس فقط في بعدها اللغوي (Tymoczko and Gentzler, 2002, xviii). فالعلم المسبق بمنهج المترجم في الترجمة يسمح بقراءة النص ضمن إطاره الصحيح، وربطه بعوامل أخرى لا يبيح بها النص المترجم علناً ولكنها تُستشف من تفاصيل الأسلوب ولغة الترجمة وحتى الهوامش.

أما مقدمة الجزء الثالث من ترجمة "الأيام" فقد جاءت طويلة نسبياً مقارنة بسابقتها. فمن الواضح أنَّ المترجم كان لديه الكثير من التفاصيل التي تخص حياة الكاتب وطبيعة نصه يود لفت انتباه قارئه إليها، وهو من هذا المنطلق يتبنى ديناميكية إيضاحية بامتياز. إنَّ طول المقدمة ومحتواها يدلان على استخدام المترجم لهذا الفضاء لتهيئة القارئ من جهة ولتوجيهه نحو فهم معين من جهة ثانية. والحقيقة أنَّ غنى المقدمة بالإحالات الأدبية يجعلها ربما على شيء من الصعوبة، وكأنني بها موجهة أساساً لقارئ على درجة معينة من المعرفة وليس إلى عموم القراء. يركز كراج مثل سابقه على صورة الكاتب بوصفه داعية لتحرير الفكر ورمز للبديل الحداثي في الساحة الثقافية المصرية. كما يزعم أنَّ سبب الانتشار الواسع للجزأين الأولين من سيرته الذاتية حال نشرهما يعود إلى وجود الكاتب في عين الإعصار في ذات التوقيت (Hussein, 2006, 237)، بكونه طرفاً في سجال فكري محتدم سببه كتاب "في الشعر الجاهلي"، عشرينات القرن الماضي. حتى أنَّ البعض يربط بين الهجوم الشرس الذي طال الكاتب وقرار كتابة سيرته الذاتية ومن ثمَّ نشرها كنوع من التخفيف عن الذات، بحيث كانت "الأيام" "استجابة للهموم الثَّقال" (شرف، 1992م، ص 64). فهدف كراج هنا هو تنبيه القارئ إلى طبيعة المعركة الفكرية للكاتب، لكنَّه على عكس باكستون، لم يحاول إظهاره بمظهر الضحية وشهيد الرأي. فعملية إيضاح السياق التاريخي للكتاب لم تكن حجة للمترجم لتمير رسائل حول تفوق النموذج الأوروبي، على الأقل ليس بشكل مباشر. وهو ما يؤكد أنَّ لأسلوب المترجم أثر مباشر على كيفية إيضاح السياق الثقافي للنص الأصلي وبالتالي طبيعة الصورة المنقولة في الترجمة، لأنَّ هذه المقدمة قد تكون أول أسباب تعرف قارئ النص الإنجليزي على الثقافة المصرية وبالتالي بناء فهمه وتصوره الخاص حولها.

وقد جاءت مقدمة كينيث كراج أدبية بامتياز، عرض فيها مبررات اختيار عنوان الترجمة، وهو ما سنفصله في القسم الثاني من تحليل عتبات النص، وكذا أسباب استبدال ضمير الغائب في النص الأصلي بضمير المتكلم في النص المترجم. وعلى الرغم من أن أحداث الجزء الثالث من "الأيام" تبدأ من

حيث انتهت أحداث الجزء الثاني، إلا أنَّ أربعة عقود من الانقطاع عن كتابة هذا العمل أُلقت بظلالها على رؤية الكاتب، فأن تكتب عن حياتك في سن الشباب يختلف عن الكتابة في سن الشيخوخة، وهذا ما أراد المترجم لقارئه أن يفهمه. وأسهب كراج في تحليل شخصية الكاتب وعلاقته بأبو العلاء المعري والذي كان موضوع أطروحة حسين في جامعة السوربون، خاصة في الجانب المتعلق بكونهما غير مبصرين، وكل العوائق والصعاب التي أنتجها هذا الوضع (Hussein, 2006, 240). ويركز المترجم على صلاية الكاتب وإصراره على بلوغ أهدافه، فهو لا يسمح لليأس بأن يملكه. ويمكن القول أنَّ المترجم عمل على مستويين من الإيضاح، الأول يرتبط بتسليط الضوء على طبيعة الكاتب النفسية، والتي مكنته من تحقيق ما قد يبدو للكثيرين مستحيل، ولا يوجد أي نوع من المبالغة في هذا، فبعد قراءة النص سيصل القارئ لنفس النتيجة. أما المستوى الثاني من الإيضاح فيتعلق بالأدب العربي، فقد استغل المترجم فكرة إعاقة طه حسين البصرية للتعرض لأبي العلاء، ليس فقط على اعتباره مرجعية أدبية وإنسانية أثرت بشكل جلي على الكاتب، ولكن أيضاً بصفته عالماً من أعلام الأدب العربي. من الواضح إذًا أنَّ المعلومات التي تم التركيز عليها لتقديم الثقافة الأصلية هي مختلفة نسبياً عما تم رصده في المقدمتين السابقتين وإن كان العنوان العريض لها جميعاً واحد: تقديم الكاتب بوصفه أحد أهم أعمدة الأدب العربي الحديث. وهذا الموضوع، أي مكانة الكاتب أو العمل في المشهد الأدبي، دارج في مقدمات المترجمين (McRae, 2012, 73)، وهو أمر طبيعي، فلا بد من وجود سبب دفع المترجم أو الناشر بالأساس لاختيار هذا العمل دون سواه وترجمته. وكثيراً ما يكون السبب نجاحاً أدبياً أو تجارياً. ما يمكن استخلاصه في هذه الحالة هو أنَّ الصورة التي تُنقل في الترجمة عن الثقافة الأصلية تخضع لما يتم انتقاؤه وما يُلتفت عنه، وهما بدورهما أمران على صلة وثيقة بشخصية المترجم وخلفيته الفكرية ومدى انخراطه في منظومته الثقافية أو نفوره منها. فإيضاح معالم الثقافة الأصلية من عدمه يكون مقترناً برؤية المترجم، وهو ما يفسر التباين في طبيعة الإيضاح الناتج باختلاف المترجمين ومشاريعهم.

أما الدور الآخر المنوط بمقدمات الترجمة، ونعني تفسيرها لمنهج المترجم فقد اكتسب في هذه الترجمة بالذات أهمية خاصة. إذ يُعتبر قرار المترجم باستبدال ضمير الغائب بضمير المتكلم في الترجمة أمراً مهماً للغاية، لارتباطه المباشر بوجهة النظر التي تُسرد من خلالها الأحداث. لكن في البداية من المهم فهم الأسباب التي دفعت المترجم لهذا القرار كما يشرحها هو في مقدمته. فيذكر كراج:

“the English translation takes the liberty to make Taha Husain speak with the pronoun “I”. Any other course would seem stilted in a translation.” (Hussein, 2006, 242)

أخذت الترجمة الإنجليزية حرية جعل طه حسين يتكلم باستعمال ضمير المتكلم “أنا”، وأي خيار آخر من شأنه أن يبدو تكلفاً. (ترجمتنا)

يشبه كراج في قراره إلى حدٍّ ما وإيمانته الذي رأى أنَّ استتساخ الأسلوب يؤدي إلى إنتاج نص تنقصه المصادقية. لكنَّ كراج كان أجراً وقرر جعل الكاتب يُخاطب قارئه مباشرة، خيار لم يره طه حسين مناسباً لشخصه ومشروعه. والمثير للاهتمام أنَّ المترجم يجد ما ينعته بالتقنية العجيبة والشاذة، في إشارة إلى خيار استعمال ضمير الغائب، مناسباً ومتناغماً مع وضع الكاتب الخاص، فالحرمان من البصر يدفع المرء للنظر إلى ذاته من الداخل ووضع مسافة بينها وبين عالم حُرمت دخوله (Hussein, 2006, 242). فكأنَّ الكاتب قد فضَّل مخاطبة قارئه من وراء الستار، الضرورة، الذي هو جزء من حقيقته. ويبدو الأمر مُربكاً للغاية أن يكون المترجم على وعي تام بأهمية هذا الخيار الأسلوبي في إعطاء النص هويته الخاصة، ويصرُّ مع ذلك على تغييره مطمئناً قارئه أنَّ هذا القرار لن يؤثر على ما يُسرد من أحداث. سنأتي إلى تحليل انعكاسات هذا الخيار على النص لاحقاً، لكن ما يمكن استخلاصه على هذا المستوى هو أنَّ ملمحاً في غاية الأهمية من ملامح النص قد تم طمسه عمداً في الترجمة بحجة إعطاء الترجمة مصداقية أكبر، وهو سبب غير مقنع على الإطلاق، خاصة وأنَّ مترجمي الجزأين الأولين لم يريا ذلك ضرورياً. بل أبعد من ذلك، ربما يكون هذا القرار سبباً في نقص مصداقية النص وتشويه هويته. ونحسب أنَّ الإخفاء هنا قد طال شخص الكاتب وبناء النص على حدٍّ سواء. فهذا القرار وضع طه حسين في نفس الكفة مع أيِّ كاتب سيرة ذاتية آخر يكتب مذكراته، وهذا غير صحيح، فربما أكثر ما يميز الكاتب

هو مشواره الفريد الذي كان فيه العمى رفيقا ودافعاً وعقبة وأشياء أخرى كثيرة. وقرار السرد من خلال ضمير الغائب، هو جزء من فهم الكاتب لنفسه وحقيقته كما يراها هو، فمن له بعد ذلك الحق في تغيير هذه الحقيقة؟ أما بالنسبة للنص فقد سبق وأن أشرنا أن أسلوب السرد هو أكثر ما يميز كتاب "الأيام"، وهو ما يجعله مزيجاً بين السيرة الذاتية والرواية، وهو السبب وراء مكانة الكتاب في الأدب العربي. فهذا القرار في تقديرنا جاء في غير صالح إيضاح خصائص النص الأدبية وسياقه التاريخي.

في الأخير، تجدر الإشارة إلى أن خلفية المترجم الفكرية، واهتمامه بعلم الأديان المقارن، ومؤلفاته الكثيرة حول الإسلام وحوار الأديان، لم يكن لها تأثير كبير على محتوى هذه المقدمة. فلم نلاحظ إقحاما لأي أفكار في هذا المجال، وحتى ما جاء عن علاقة الكاتب بالفكر الأوروبي لم يزد عما قاله طه حسين عن نفسه، ولم يحاول المترجم إبداء موقفه من معارك وصراعات الكاتب واكتفي معظم الوقت بوصفها بشيء من الحياد. لكن يمكن للقارئ أن يلمس ذات الخطاب المتحيز لما يشبهه في بعض أجزاء المقدمة. فعندما تعرض لمؤلفات طه حسين عن الإسلام، وصفها بأنها كانت محاولة من الكاتب لشرح الدين بشكل بسيط للأجيال الشابة التي بدأت تفقد اهتمامها بالدين. ليضيف أن الكثير من خصومه المحافظين كانوا يتهمونهم هو أيضاً بالابتعاد عن الدين (المرجع السابق، ص243). طبعاً الإشكال هنا ليس في فكرة الاتهام، ولكنه في فكرة التبسيط، وإعطاء القارئ انطباعاً بأن هذا الإسلام دين صعب ومعقد، وقد نفرت صعوبته الناس منه، وهذا أمر غير صحيح، وإنما انصراف الناس عن الدين هو اختيارهم، ولا يمكن بأي حال إلقاء اللوم على الدين. إن الإشارة هنا إلى فشل الخطاب الديني في إقناع الأجيال الشابة جاءت ضمنياً للغاية، لكننا نعتقدها مقصودة إذا أخذنا بعين الاعتبار مرجعية الكاتب الفكرية. فهناك نوع من الطمس الثقافي على هذا المستوى، إذ يتعارض هذا الطرح مع فهم المسلمين للإسلام على أنه دين يسر، ويتسق أكثر مع الصورة النمطية للإسلام في الغرب والتي غالباً ما ترسخ فكرة سلبية عن الإسلام. باختصار، نعتقد أن هذه المقدمة نجحت في إيضاح بعض ملامح الثقافة المصرية والعربية، لكنها أخفقت

في إظهار بعض الجوانب التي لها أيضا أهميتها في قراءة صحيحة للمشهد الثقافي. لكن على ما يبدو هذا لم يكن هاجس المترجم الأول، فقد لمسنا رغبته في تقديم قراءة أدبية وفلسفية عن الكاتب وتركيزه على الجانب النفسي بشكل خاص. فهذه المقدمة جمعت بين رغبة في تقديم الثقافة الأصلية وتوجه إلى الانشغال بالآراء الخاصة حول رؤية المترجم ومنهجه.

كما سبق وأن أسلفنا عند تقديم ترجمة "الأيام"، فإن النسخ الحديثة فيما يبدو قد استبدلت مقدمة الجزء الأول لإيفلين باكستون بمقدمة لبيار كاشيا، وهي المقدمة الموجودة في نص المدونة. ولا يمكن بأي حال التكهن بأسباب هذا التغيير، لكن لا شك أن وجود مقدمة بقلم كاشيا تعطي الكتاب وزنا وقيمة أكبر على خلفية مكانة الرجل وأهمية إسهاماته في ترسيخ الدراسات العربية بوصفها حقلاً أكاديمياً في بريطانيا، عكس باكستون الذي لن يثير فضول الكثيرين. ويرى جينات (1987م/1997م) أن لهذا النوع من المقدمات، بغير قلم المترجم (Allographic prefaces)، أهميته في تقديم الكتاب، لكنه كثيراً ما يُستغل فيما هو أبعد من ذلك، من دفاع عن موقف شخصي أو الترويج لطرح معين حول هذه القضية أو تلك (Genette, 1987/1997, 271)، وهو ما يجعل من الكتاب وصاحبه وسيلة أكثر منهما غاية. لكن قد يجوز التساؤل حول مدى صواب ذلك من الناحية الأخلاقية، خاصة في وجود إمكانية الاحتفاظ بمقدمة المترجم وإضافة مقدمة كاشيا بحكم معرفته الواسعة بالكاتب والكتاب على حدٍ سواء. فلا يمكن النظر إلى هذا القرار إلا على أنه شكل من أشكال إخفاء المترجم، واستخفافاً بوظيفته، وهو أمر ليس بغريب على دور النشر التي غالباً ما تميل إلى الاستفادة القصوى من النصوص المترجمة مع الحد الأدنى من تسليط الضوء على طبيعتها، والتي تكون مقدمات المترجمين عادة وسيلة إظهارها.

بالنسبة لمقدمة كاشيا، فقد استهلها كما يمكن للقارئ أن يتوقع بالحديث عن المكانة الخاصة للمؤلف والمؤلف. فعُدَّ كاشيا قائمة طويلة بإنجازات الكاتب، ثم انتقل للكتاب وترجمته واللذان عرفا نجاحاً كبيراً، ليختم بإنجازه الشخصي، فهو أيضاً له دور مهم في تلقي طه حسين في الغرب، وقد سبق الإشارة

لدراسته في تقديم الرواية (3, 2006, Hussein). لكن الفقرات القصيرة التي مرّ فيها المفكر على كلّ هذا توحى بأنه ليس بصدد كتابة مقدمة كلاسيكية، وأنّ له غرض مختلف، أعمق ربما. وبالفعل فالانتقال من الديباجة إلى صلب الموضوع جاء من خلال الإشارة إلى أنّ طه حسين وعائلته لم يكونوا راضين تماماً على بعض ما جاء في دراسته عن مكانة الكاتب في نهضة الأدب العربي (1956م). ليوضح كاشيا أنّ النتائج التي توصلت إليها دراسته هي نتائج واقعية، فلا يمكن لأي شخص مهما اتقد ذكاؤه أن يكون مصيباً على طول الخط، وهذا يعني أنّ طه حسين أيضاً قد يُجانبه الصواب أحياناً، وقد يُعبر عن آراء تتناقض أفعاله، ومثال ذلك تعبيره عن رفضه لفكرة زواج المثقفين العرب من أجنبيات، مع أنه تزوج بعد ذلك من امرأة فرنسية. وقد جاء ما تبقى من المقدمة بالمزيد من الأمثلة التي تدعم مواقف كاشيا السابقة. وتلاحظ مجدل (2011م) أنّ هدف المقدمة هو الدفاع عن الآراء النقدية التي لم تأتي على هوى صاحب "الأيام" وعائلته (Mejdell, 2011, 164). فيما يتعلق بإيضاح الملامح الثقافية للنص الأصلي، نجد أنّ هذه المقدمة قد أوشّت بشيء من ذلك. فقد سلّطت الضوء على كيفية تطور آراء الكاتب، الإنسان، وأفكاره كلما تقدم به العمر، بعيداً عن المبالغات وسطحية تصنيف المواقف ضمن ثنائية الخطأ والصواب. كما سمحت بالتعرف على الظروف التي كُتبت ونُشر فيها الكتاب والتي سبق ذكرها. فبغض النظر عن القصد من وراء كتابة هذه المقدمة، نجد أنّها مفيدة للقارئ لتضمنها الكثير من المعلومات حول طبيعة شخصية الكاتب والحالة الاجتماعية والسياسية في مصر في النصف الأول من القرن العشرين.

أما فيما يخص ترجمة رواية "الزلال" فقد احتوت على ثلاث مقدمات، أولاً ترجمة لمقدمة الطاهر وطار للرواية، وهي المقدمة التي لم نجد لها أثراً في النسخ العربية المتوفرة. ومن غير المفهوم لماذا قد يلجأ الناشر للاستغناء عن المقدمة، فسواءً تعلق الأمر بالنصوص الأصلية أو الترجمات، تعتبر المقدمات جزءاً لا يتجزأ من مضمون الكتاب. المقدمة الثانية جاءت بقلم الناقد المصري جابر عصفور، وحرص

المترجم على كتابة مقدمته الشخصية، وهي المقدمة الثالثة. وفيما يلي سنحاول فهم دور هذه المقدمات في إظهار أو إخفاء سمات النص الثقافية.

الملاحظة الأولى التي يمكن التوقف عندها هي أن المترجم وجد بديهياً وطبيعياً أن يُدرج مقدمة الكاتب في الترجمة لأهميتها بغض النظر عن محتواها. فمقدمة المؤلف تُنم عن رغبته في قول شيء إضافي للقارئ، لكن يبدو أن ناشر النص العربي له رأي آخر. بالنسبة لقارئ النص المترجم، تكشف هذه المقدمة عن الظروف التي أحاطت بنشر هذه الرواية، عن موضوعها، وعن نظرة القارئ العربي المشرقي إلى طبيعة الأدب القادم من الجزائر وضرورة "تصحيح" هذه الصورة. فبلفت وطار انتباه القارئ أن أحداث روايته تقع في جزائر ما بعد الاستقلال بكل ما استجد فيها من تغييرات وصراعات. وأحد هذه التغييرات هو الرواية المكتوبة بالعربية، والتي يدعو وطار النقاد المشاركة على وجه الخصوص لأخذها على محمل الجد. وأخيراً يؤكد الكاتب على انتمائه الإيديولوجي إلى التيار الاشتراكي بكل وضوح (Wattar, 2000, 7-8). تُطلع هذه المقدمة القارئ على الخصوصية التاريخية والجغرافية للجزائر والتي أفرزت الرواية والواقع الذي ترويهِ في آن، وهو ما يجعلها أداة إيضاح ثقافي فعالة، خاصة بالنسبة لمن معرفتهم محدودة بالمنطقة، وهو حال الكثير من القراء الذين قد يكتشفون وجود الجزائر فقط من خلال هذا الكتاب وليس قبل ذلك. فهذه المقدمة وإن لم تكن موجهة أساساً لقارئ النص المترجم، ساعدت على تجلي الثقافة الجزائرية أكثر في النص المترجم.

أما فيما يخص مقدمة الناقد جابر عصفور، فقد كتبت خصيصاً لهذه الترجمة، وجاءت طويلة نسبياً. استعمل عصفور الرواية لمناقشة فكرة التغيير في العالم العربي، والصراع الإيديولوجي الذي طالما طبع الحوار حول نوع التغيير الأكثر ملائمة للواقع العربي الإسلامي. انطلق عصفور في تحليله من وضع الجزائر أواخر تسعينات القرن الماضي ومعاناتها الطويلة مع ظاهرة الإرهاب، ليحلل مضمون الرواية على هذه الخلفية. ويبدو موقف عصفور أبعد ما يكون عن الحياد، ففي رأيه الصواب هو تبني

الحداثة والديمقراطية وكل القيم الإنسانية التي يحاول الغرب إقناع غيره أنّها حكر عليه وأنّ على من يريد أن يلتحق بركب الحضارة أن يدور في فلكها ويمشي على خطاها. فقد اعتبر عصفور الشيخ بولارواح نموذجاً للتعصب ورفض التغيير، وأنّ ما حدث في الجزائر إبان العشرية السوداء هو صنيع أحفاد بولارواح، ليخلص إلى أنّ الرواية وكأنما تنبأت بالزلزال الذي أصاب الجزائر آنذاك وأوشك على تدميرها. وهذه الدراسة ليست معنية بتقييم آراء الناقد، ولكنها تحاول فهم مضمون المقدمة ونقدها ضمن سياقها التاريخي. فإذا أخذنا بعين الاعتبار أنّ هذه المقدمة كتبت بداية الألفية الثالثة لقارئ غربي، جاز القول بأن الناقد اكتفى بترسيخ ما هو أصلاً موجود لدى هذا القارئ من أفكار حول خطر الإرهاب، وخطتها بشكل مقصود أو غير مقصود بالدين الإسلامي. ولا يخفى على القارئ أنّ هذه الفترة شهدت حملات عسكرية أمريكية في الشرق الأوسط كان القضاء على الإرهاب حجتها الأبرز، وقد صاحب هذه الهجمات تجيش في وسائل الإعلام للخطاب الداعي للوقوف في وجه الإرهاب مع شيطنة متعمدة وممنهجة للإسلام والمسلمين. ولم يحاول الناقد المصري الخروج عن هذا الإطار، بل حرص على استعمال مصطلحات الغرب وعباراتهم. أي أنّه لم يحاول تقديم خطاب بديل والوقوف في وجه هيمنة الخطاب السائد، بل على العكس من ذلك ساهم في ترسيخ الكثير من المغالطات التي يحرص الغرب على إبرازها للرأي العام في ثوب حقائق لا يمكن إنكارها.

إنّ فهم جابر عصفور لـ "الزلزال" بهذا الشكل قد يكون فيه بعض الغلو، كما أنه قد يكون محاولة لجعل النص ييوج بما لم يُرد قوله أصلاً. فـ "الزلزال"، وإن كان موضوعها التغيير وكل الصراعات المصاحبة له، معنية بشكل أساسي بواقعها، أي بجزائر ما بعد الاستقلال، بمشاكلها وصراعاتها وبالبديل الاشتراكي كوسيلة ممكنة للتغيير الإيجابي، وهو ما عبّر عنه الكاتب في مقدمته (Wattar, 2000, 7-8). وحتى الخلفية الدينية للشيخ بولارواح تم استغلالها فقط للتأكيد على أنّ الفساد قد يتخفى بثوب الدين للوصول إلى مبتغاه. لكن الصراع هو صراع طبقي، صراع تضارب مصالح وآراء، صراع لإنهاء بقايا

الاستعمار والتخلص من هيمنته. وهو ما تذهب إليه مديحة عتيق (2011م) والتي تؤكد أنّ كون بولارواح من تلامذة الزيتونة واعتماده المفرط على الخطاب الديني لتبرير فساد لا يجعله بالضرورة "المتعصب الديني النموذجي" والبذرة التي ستتحول لاحقاً إلى غول الإرهاب، فهو لا يعدو أن يكون أحد البرجوازيين الذين تضرروا من وضع جديد وسياسات دولة لا تصب في مصلحتهم (ص 71). وإن كان يجب فهمه، فيتحتم العودة إلى النص الذي يُصور بولارواح على أنّه بداية النهاية، وما تشبّهه بالماضي وإصراره على ضرورة استمراره إلا تأكيد على أنّه بوصفه فرداً غير صالح للمرحلة القادمة، وهو ما يُرمز إليه العقم (Cox, 1997, 12)، فبولارواح لا يجب أن يكون له أولاد، لا يجب أن يكون له حاضر، بل يجب أن ينتهي، هو والإقطاعيون من أمثاله، تماماً كما انتهى الاستعمار.

ومن هذا المنطلق يمكن القول أنّ الناقد المصري قد استغل هذه المقدمة لتمرير رسائل خاصة عن صراع إيديولوجي هو أحد أطرافه، وهو بحسب جينات أمر كثيراً ما تستغل المقدمات لأجله (Genette, 1987/1997, 271)، لكنّ خروج المقدمة بهذا الشكل يكون قد ساهم في طمس بعض الحقائق عن الثقافة الجزائرية، فهذه المقدمة وجهت القارئ نحو فهم النص بشكل معين، وهو الفهم الذي ربما لم يُرده صاحبه له. كما أنّ الصورة التي عكستها المقدمة عن واقع الجزائر سوداوية للغاية، مع أنّ وطار نفسه مؤمن بوجود نور بآخر النفق، وأنّ الجزائر تستطيع النهوض بالرغم من كل الصعوبات والصراعات والتناقضات الموجودة. كما أنّ التطرق لظاهرة في غاية التعقيد، كظاهرة الإرهاب لا يمكن أن يتأتى باختزالها في مجموعة أشخاص متشددين دينياً. فالأمر أبعد من هذا بكثير، والعالم الغربي الذي يدّعي محاربة الظاهرة والدعوة للقيم الإنسانية السامية، له يد في كل الصراعات التي مزقت ولا تزال تمزق عالماًنا العربي والإسلامي. فهذه المقدمة، وإن جاءت متسقة مع توجه صاحبها الفكري، إلا أنها أثرت بشكل سلبي على فهم قارئ النص المترجم لطبيعة المرحلة التاريخية التي تتحدث عنها الرواية، وكذلك الأمر

بالنسبة لحاضر الجزائر مع مطلع الألفية الثالثة، فكأن الناقد فضل أن يُوجه القارئ نحو فهم النص بشكل يتناسب مع توقعاته وفهمه لما يحدث في العالم.

ثالث مقدمات هذه الترجمة جاءت بقلم المترجم، واتسمت هي الأخرى بالطول على أن اتجاهها العام كان تعليمياً. فقد حرص جرانارا على تزويد قارئه بمعلومات عن سياق الرواية وشخصيتها الرئيسية لعلها تكون له عوناً في فهم أفضل للنص. في البداية، وبغرض شرح طبيعة الشخصية الرئيسية للقارئ، اعتمد المترجم على مرجعيات عدة من الأدب العالمي لتوضيح ما يعتقد أنه "صورة أدبية معقدة ومثيرة للاهتمام" (ترجمتنا، 15, 2000, Wattar). وتوحي محاولة شرح شخصية البطل القادم من ثقافة مختلفة، بل وعلى الأغلب مجهولة، اعتماداً على ما هو معروف لدى القارئ وموجود في مخزونه الثقافي، بأن فهم الغريب يمر حتماً عبر الذات، وأنَّ الغريب قد لا يكون بذلك القدر من الاختلاف الذي نعتقه والمصاحب عادة للجهل بالشيء أو الخوف منه. والشيخ عبد المجيد بولارواح، وإن كان له نظائر في الأدب العالمي، يبقى بطل رواية من نوع خاص في أبجديات الأدب العربي في تلك الفترة، بحيث عادة ما تقترن البطولة بالفضيلة والخير، ومن غير المألوف أن تُروى القصص من منظور بطل شرير. ينتقل المترجم بعد ذلك للحديث عن الرواية الجزائرية، وكيف أثر السياق التاريخي بشكل مباشر على تعدد لغاتها وموضوعاتها. بعدها يقدم جرانارا نبذة عن حياة الكاتب مع التركيز على مكانته الأدبية وأهمية أعماله في المشهد الروائي الجزائري. وتضمن المقدمة هذا النوع من المعلومات، في لغة أكاديمية متوازنة، لا يمكن له إلا أن يخدم تجلي الثقافة الجزائرية في الترجمة، وينير درب القراءة لأولئك الذين يتعرفون على الأدب الجزائري لأول مرة. وهنا وجب التنويه مرة أخرى بأنَّ الانتقائية في نقل سياق الثقافة الأصلية ليست دائماً سبباً في تشويه أو طمس هذه الثقافة، فطريقة العرض ونوعية الخطاب قد يكون لهما التأثير الأكبر على شكل تلقي الآخر في الترجمة.

وجاء تركيز المقدمة الأكبر على تحليل الرواية من حيث أسلوبها ولغتها والتقنيات الأدبية التي اعتمدت عليها. ويجد المترجم أنَّ أسلوب الكاتب يفتح النص على قراءات متعددة، لا يجب بأي حال أن تُختزل في توجه الطاهر وطار الإيديولوجي أو السياسي، لأنَّ هذا قد يُخس النص حقه واتساع أفقه. ورغم التركيز على الخلفية الدينية التي فضل وطار سرد قصته من خلالها، ومحاولة جرانارا شرحها لقارئه بشكل مبسط، لوحظ اعتدال وتوازن في الخطاب انتقدته مقدمة جابر عصفور. فبوضوح تام لفت المترجم انتباه قارئه أنَّ ثوب الدين الذي يلبسه بولارواح ليس من الإسلام في شيء. وحتى عندما حاول ربط حالة الجزائر غداة الاستقلال وما حلَّ بها سنوات التسعينات تحدث عن مأساوية الوضع في الحالتين ومسؤولية التعصب في خروج الأمور عن السيطرة. وليس هذا فحسب ما يدفع للاعتقاد بأنَّ المترجم على قدر كبير من الجدية في عرض موضوعه وبعيد كل البعد عن الاستسهال والخطاب الشعبي، فقد جاءت المقدمة غنية بالهوامش والتي استغلها جرانارا للاستفاضة في بعض النقاط أو توجيه القارئ لمراجع أخرى من أجل فهم أعمق (Wattar, 2000, 20). حتى أنه على وعي تام بتعدد الروايات حول تاريخ الجزائر، وهو ما دفعه لاقتراح مرجع حول الموضوع لقارئه، يراه هو موضوعياً إلى حدِّ ما. وتوحي كل هذه التفاصيل بوجود بحث معمق حول السياق التاريخي للرواية، وأنَّ منهج المترجم أبعد ما يكون عن الأدلجة غير المبررة لمثل هذا النوع من النصوص المحيطة.

وتمكنت المقدمة من إيضاح الكثير من سمات الثقافة الجزائرية ليس فقط بسبب طبيعة المعلومات التي تم التركيز عليها ولكن، وربما الأهم من ذلك، بسبب طريقة عرضها، والتي تلافت الصدام وحاولت وصف الوضع دون الانتصار لهذا الطرف أو ذاك. فمثلاً عند الحديث عن اهتمام كتاب الرواية الجزائرية باللغة العربية بالتراث العربي الإسلامي واستخدامه بشكل متنوع، أشار المترجم إلى أنَّ الكتاب الجزائريين الفرنكفونيين لم تكن لديهم ربما نفس الرغبة، ولم يحاول الاسترسال أكثر في هذا الأمر (المرجع نفسه،

ص18). فهو غير مهتم بالتناقضات والصراعات التي يتغذى عليها كثيرون، بل يحاول عدم الخروج عن السياق الذي سٌستخدم فيه هذه المقدمة لتوجيه قارئ لا يعرف الكثير عن هذا البلد ولا عن شعبه.

تجعل حقيقة أن أجزاء كتاب "الأيام" الثلاث ترجمها ثلاثة مترجمين مختلفين وأن رواية "الزلال" حوت أكثر من مقدمة الخروج بخلاصة عامة أمراً صعباً، لكن يمكن القول إن هذه المقدمات في مجملها حاولت أن تأخذ بعين الاعتبار الصعوبات التي يمكن أن تواجه القارئ وتكون عائقاً أمام تلقي النص بشكل صحيح، فقدمت بعض الشروحات المفيدة دون أن تكون موضوعية دائماً. ويشير جينات إلى أنه من الصعوبة بمكان تحديد وظيفة المقدمة، وأن الأمر عادة قابل للقراءة على أوجه متعددة، كما يمكن أن يكون للمقدمة أكثر من وظيفة (Genette, 1987/1997, 197). منها الحديث عن الأهمية، التجديد مقابل التقليد، والشرح (انظر المرجع نفسه، ص 199-212). وفي هذا السياق لاحظنا اشتراك هذه المقدمات في تركيزها على أهمية النص وصاحبه، وكذا التأكيد على فكرة التجديد سواء تعلق الأمر بالكتاب أو مؤلفاتهم (فمثلاً يعتبر كثيرون "الأيام" أول سيرة ذاتية في الأدب العربي)، مقارنة بما هو سائد من فكر تقليدي وممارسات أدبية عفا عنها الزمن. كما تتقاطع جميعها عند فكرة تزويد القارئ بالمعلومات اللازمة عن الظروف والملابسات التي نتج عنها الكتاب، وإن اختلفوا في طبيعتها وكيفية عرضها.

قد يلاحظ القارئ أنه توجب تحليل سبع مقدمات كاملة على الرغم من أن الأمر متعلق بنصين روائيين اثنين فحسب. واختلفت مضامين المقدمات باختلاف أصحابها وباختلاف المقاصد من وراءها وسياقاتها التاريخية. وهي وإن حرصت على إظهار بعض سمات الثقافة الأصلية لم تكن جميعها موفقة في ذلك. عموماً يمكن تصنيف مقدمات المدونة إلى صنفين، الصنف الأول كانت الأولوية فيه لتوجيه القارئ ومساعدته على فهم النص الذي هو بصدد قراءته، فلم تحاول الدخول في نقاشات جانبية وكان الإطار العام الذي يُحدد مضمونها هو القارئ والنص، ومن أمثلتها مقدمتي جرانارا ووايماننت. في حين أن الصنف الثاني من المقدمات لم يتوانى عن عرض مسائل لا تتصل مباشرة بالرواية من أجل الدفاع عن

موقف معين أو الانحياز لفئة معينة على غرار مقدمتي كاشيا وعصفور. ونعتقد أن الصنف الأول من المقدمات أقدر على إبراز السمات الثقافية للنص الأصلي، وينم عن وعي كاتبها بمهمة الوساطة الثقافية التي هم بصدد ممارستها وأولوية. أما حين تستغل المقدمات للتعبير عن أفكار ومواقف معينة، فإن أهمية الوساطة الثقافية تتراجع، وكثيراً ما يتسبب هذا النوع من المقدمات في طمس بعض ملامح الثقافة الأصلية عن قصد أو عن غير قصد.

2.2.3. تحليل عناوين الترجمات وأغلفتها

بالنسبة للعناوين، اختار وليام جرانارا الاحتفاظ بالعنوان كما هو من خلال الترجمة الحرفية (*The Earthquake*)، فيما فضل مترجمو أجزاء الأيام الثلاثة الابتعاد عن العنوان العربي واقتراح عناوين جديدة: *The Stream of the Days: A Student at Al Azhar* ، *An Egyptian Childhood* ، *Passage to France* ، على التوالي. ووجب التنويه هنا أن طبعة الجامعة الأمريكية التي ضمت الترجمات الثلاثة اختارت عنوان *The Days* للغلاف، مع احتفاظها بالعناوين الثلاثة كعناوين فرعية. اختار جرانارا أن يحتفظ بنفس عنوان النص الأصلي من خلال المكافئ الإنجليزي لكلمة "الزلازل": *The Earthquake*. بالنسبة للقارئ العربي يحمل العنوان الكثير من الدلالات الدينية ويتجاوز حتماً الزلازل كونه ظاهرة طبيعية. من البديهي أن تحيل المفردة العربية إلى معان جاء ذكرها في القرآن الكريم وزخر بها نص الرواية التي عمد كاتبها إلى استخدام الآيات القرآنية التي تصف هول مشهد قيام الساعة وكيف أن الإنسان يُزلزل زلزالاً (الحج (2)، الزلزلة) من بداية الرواية وحتى نهايتها، وربط ذلك بحال مدينة قسنطينة وما آلت إليه بعد أن غزاها القرويون وعاثوا فيها فساداً. غالباً المعنى الذي يريده الكاتب هو ذلك الذي جاء تفصيله في القرآن الكريم، فبالنسبة للشيخ بولارواح ما شهدته قسنطينة بعد أن رحل عنها الفرنسيون ومن على شاكلتهم من الجزائريين هو زلزال حقيقي لا يعلم تبعاته إلا الله. إن

المكافئ الإنجليزي الذي اختاره المترجم مقبول تماماً من حيث أنه يحيل إلى فكرة التغيير المفاجئ والكارثي، لكنّه ربما لن يوجه قارئ النص المترجم إلى المعاني التي سيستدعيها قارئ النص الأصلي بشكل عفوي.

إنّ اختيار جرانارا للمكافئ اللفظي يبدو منطقياً إلى حدّ كبير ويتسق دون شك مع مضمون الرواية وأحداثها. فبمجرد قراءة الأسطر الأولى من النص سيبدأ المتلقي بربط الأحداث بالعنوان وفهمها على أساسه، ف"الزلزال" ليس عنواناً فحسب، لكنّه فكرة تتكرر على طول النص، غالباً في معناها المجازي. لكن، وحال كل الترجمات، نعتقد أنّ هناك خسارة في جزء من المعنى أدت إلى طمس البعد الديني للعنوان. فبعيداً عن كونه ظاهرة طبيعية مرتبطة في وعي الإنسان بالخوف والفوضى وخليط من المشاعر السلبية، يحيل اللفظ عند المتلقي العربي وبشكل آلي إلى الكثير من المعاني الواردة في القرآن الكريم عن فكرة قيام الساعة وأهوالها، وهي الصورة التي استخدمها وطار عن قصد وبأشكال ودرجات مختلفة في النص للتعبير عن دمار نفسي واجتماعي كان بولارواح فيه الشاهد والضحية. ولا نتوقع أن يُحيل العنوان الإنجليزي قارئه نحو نفس المعاني، وهو ربما ما دفع المترجم للحديث بإسهاب في مقدمته عما أسماه "Islamic apocalyptic legends" (Wattar, 2000, 20, 21, 22) ("الأساطير الإسلامية حول قيام الساعة"، ترجمتها). من الممكن أن يكون جرانارا أحس بضرورة تدارك هذا النقص في المعنى والذي حتماً سيؤثر على طريقة تلقي النص، لهذا استفاض في تفسير الفكرة معتمداً على أدلة من الحديث. ففي هذه الحالة، ومع أنّ العنوان أبهم جانباً من المعنى على القارئ، كان من الممكن أن يؤدي إلى طمس بعض المفاهيم الدينية الضرورية لفهم النص، لكنّ المترجم تلافى ذلك بشرح مفصل لهذه المفاهيم في المقدمة.

ولم يتم التعامل مع العنوان بنفس الطريقة في ترجمات رواية "الأيام"، بحيث غير كل مترجم العنوان بما يتناسب مع مضمون النص. إذ عكس عنوان ترجمة الجزء الأول محتوى النص من حيث

تركيزه على طفولة الكاتب في ريف مصر، وسلط عنوان ترجمة الجزء الثاني الضوء على فترة الدراسة في الأزهر، ويمكن للقارئ أن يتوقع أن الأمر نفسه موجود في عنوان ترجمة الجزء الثالث والتي كان موضوع جزء كبير منها السفر إلى فرنسا والدراسة فيها. فمن هذا المنطلق، يمكن اعتبار أن هذه العناوين أبرزت محتوى النص وبالتالي أوضحت بعض معانيه. لكن القليل من التأمل في معنى العنوان العربي والسياق التاريخي الذي ظهر فيه النص قد يولد رأياً مختلفاً. فلكلمة "الأيام" دلالة تاريخية، إذ أنها تُعبّر عن وقائع العرب وحروبهم (معجم المعاني الجامع)، كداحس والغبراء مثلاً. فإذا جاز الربط بين تزامن كتابة الجزء الأول من هذه السيرة الذاتية مع المعركة الفكرية التي أثارها كتاب "في الشعر الجاهلي"، يمكن الزعم بأن العنوان إشارة لمعارك طه حسين الكثيرة، فكرية كانت أو اجتماعية (شرف، 1992م). فتصبح دلالة العنوان مهمة، لأنها تُبرز للقارئ الجانب العنيد والمثابر في شخصية الكاتب، وتجعل من "الأيام" أحد أهم هذه المعارك والنصر فيها لا يتأتى إلا بإقناع القارئ بمعركة التغيير والتجديد. غالباً لم يأت اختيار "الأيام" عنواناً للكتاب من فراغ، وكذلك الحال بالنسبة للترجمات المختلفة، لكن في تقديرنا جميع العناوين الإنجليزية بما فيها *The Days* كان تركيزها على محتوى النص ولم تلتفت كثيراً للأسباب التي قد تكون وراء اختيار العنوان الأصلي.

المترجم الوحيد الذي شرح بإسهاب أسباب قراره بتغيير العنوان هو كينيث كراج. وأول حجج المترجم هو أن العنوان العربي: "Does not readily go into English" ("ليس مطواعاً بما يكفي عند النقل إلى الإنجليزية"، ترجمتنا، 238, 2006, Hussein)، ولإثبات صحة قراره أشار كراج إلى أن الأمر نفسه وقع مع ترجمة الجزأين الأولين. وركز المترجم بعد ذلك على شرح الدوافع الأدبية والموضوعية لاختياره دون أن يشغل نفسه كثيراً بمدى ارتباط العنوان المترجم بالعنوان الأصلي. وما يلفت الانتباه في تفسير المترجم هو أن محاكاة عنوانه لعنوان رواية أخرى، *A Passage to India*، من شأنه أن يستفز خيال القارئ

وبالتالي يحثه على فعل القراءة. يبدو جلياً أنَّ المقاربة التي يتبناها المترجم على هذا المستوى تواصلية بحتة، فيكفي أن يخاطب العنوان قارئه ويعكس بشكل ما موضوع النص ليكون جيداً، وفي هذا ما يُقال. إنَّ العمل على خلق رابط بين القارئ والنص المترجم، وإن جاء على حساب النص الأصلي، هو أمر مفهوم وصحيح نسبياً، لكنَّ العنوان أخفق في التعبير عن موضوع النص، فرحلة الدراسة التي ساقته الكاتب إلى فرنسا تُعبر فقط عن الجزء الثاني من النص فيما اهتم الجزء الأول بالانتقال من الأزهر إلى الجامعة، الأولى من نوعها في مصر، وما صاحب ذلك من تغيرات (Haywood, 1979, 235). ويشير المترجم إلى أنَّ العنوان يعكس ضمناً رغبة الكاتب في التوجه شمالاً وخلق رابط بين الشرق والغرب يسمح بنهضة فكرية في مصر (Hussein, 2006, 239). ونلمس من خلال اهتمام المترجم بعرض وجهة نظره بوضوح محاولة للوصول إلى توازن معين، هو هم كلِّ المترجمين ربما، يتمكن فيه من التواصل الفعال مع القارئ دون التعتيم الصارخ على هوية النص وانتمائه الثقافي.

بعيداً عن المقدمة والعنوان، قد تُفصح الأغلفة عن نهج الترجمة في التعبير عن مكونات النص الأصلي. فقد فضل ناشر ترجمة كتاب "الأيام" وضع صورة شخصية لطفه حسين وهو في مرحلة متقدمة من عمره على وجه الغلاف، وهو ما يتناسب ربما مع جنس النص كما يعطي القارئ صورة حقيقية عن شخصية الكتاب المحورية، على الرغم من أنَّ الصورة لا تعكس المراحل العمرية التي يتحدث عنها الكتاب وهي الطفولة والشباب. كما رأى الناشر أنَّ من المهم الإشارة إلى أنَّ هذه السيرة الذاتية نُشرت في ثلاثة أجزاء مختلفة أسفل الصورة. وجاء تفصيل هذه الأجزاء الثلاثة وتواريخ نشرها في ظهر الغلاف، مع

تعريف مقتضب للمؤلف تم فيه التركيز على خطه التجديدي وتأثيره على معاصريه من الأدباء والمفكرين. عموماً يندرج هذا النوع من العرض للمعلومات ضمن استراتيجية تسويقية تهدف إلى جذب القارئ وإقناعه بخصوصية المنتج الذي بين يديه من حيث مكانته وأهميته في الأدب العربي الحديث. نعتقد أنَّ تأثير هذا النوع من المعلومات على إيضاح ملامح الثقافة الأصلية موجود لكنه محدود، فهو

يفتقد للعمق، ولا يزيد شيئاً عن المعلومات التي نجدها في أي تقديم عام حول هذا الموضوع في مصادر أخرى. فعلى عكس المقدمات، التي عادة ما تعمل على توجيه القارئ بشكل ما نحو محتوى النص، تكمن أهمية المعلومات المتوفرة على الغلاف في مدى نجاحها في جلب اهتمام قراء النص الإنجليزي وبالتالي النجاح التجاري للكتاب.

ولا يختلف الأمر كثيراً في الطبقات المنفصلة لأجزاء "الأيام". فقد تم التركيز في أغلفة الجزئين الأول والثالث على الكتاب وصاحبه، دون الاعتماد على الصورة. فمن الواضح، على الأقل بالنسبة للجزء الثالث، أن هناك رهان على السمعة الأدبية للمؤلف لإنجاح عملية تسويق الكتاب. وانشصر تجلي الثقافة المصرية فيما جاد به العنوان من معاني وإحالات. في حين أن غلاف ترجمة الجزء الثاني ركز على الطبيعة المختلفة للثقافة المصرية من خلال رسم يظهر فلاحاً مصرياً مغمض العينين ويرتدي جبة وغطاء رأس، مع وجود مسجد في الخلفية. تُوجّه هذه التفاصيل القارئ إلى تلقي الثقافة الأصلية بشيء من السطحية ربما. فالموضوع هو مصر، دولة عربية مسلمة، هي مع منتصف القرن العشرين مرادف للتخلف والرجعية إذا ما قارناها بالإمبراطورية البريطانية بكل سطوتها وجبروتها. تبدو صورة الغلاف استشراقية بامتياز في محاولتها تقديم الآخر الذي يقبع أصلاً في خيال قارئ النص الإنجليزي دون أن تحاول زعزعة هذا الفهم أو إرباك التصور بطرح مختلف. المشكلة في هذا النوع من التمثيل الثقافي، ليس في مدى صحته ولكن في مدى عمقه. فبينما النصوص الأدبية تتمحور في الغالب حول حالات خاصة وشخصيات بعينها يحكمها السياق الذي تُبعث فيه إلى النور، يُصر هذا النوع من التمثيل على ترسيخ ما هو موجود من صور نمطية، فلا يسمح للقارئ بالإقبال على النص بوصفه حالة خاصة، ولكن يُفرض عليه مقارنة عامة للثقافة وسماتها، يعوزها العمق وجدية المسار.

ومع ذلك، وإذا ما أخذنا بعين الاعتبار محتوى هذا الجزء، لا يمكن إنكار أن الصورة على الغلاف تربط بين لفظ "الأزهر" في العنوان والمسجد، لتحيل القارئ إلى الطبيعة الدينية لهذه المؤسسة.

كما تحيل صورة الشاب مغمض العينين إلى بطل الرواية ووضعه الخاص كونه شخص غير مبصر من جهة، وإلى طبيعة الزي الذي يرتديه الأزهريون من جهة ثانية. وهو بذلك، أي الغلاف، قد أظهر سياق النص التاريخي بشكل ما. من المهم جداً عند تناول هذا النوع من المضمون الابتعاد عن التعصب، ومحاولة الإحاطة بجميع جوانب الموضوع دون السقوط في ذات فخ التعميم والسطحية والذي يميل نصف الكرة الأرضية الجنوبي، العرب والمسلمين والمستعمرات القديمة مثلاً، إلى اتهام الغرب بتطبيقه عليها. فقد وجدنا أن الكثير من محاولات تقديم أو شرح الآخر هي أشبه بدس السم بالعسل، مزيج من الإظهار الإيجابي لسمات الثقافة الأصلية، وما نعتقده اختزال لهذه الثقافة وتقليل من أهميتها.

فيما يخص ترجمة "الزلزال"، اعتمد الناشر على ما يمكن أن تسميته غلافاً فنياً. إذ جاء وجه الغلاف على شكل مدينة غير واضحة المعالم غارقة في درجات مختلفة من اللون الأحمر، وفي أعلى الغلاف بحجم كبير وبلون أبيض بارز اسم المؤلف وعنوان الكتاب، وفي الأسفل بحجم صغير وبلون أصفر أقل بروزاً اسم المترجم واللغة التي ترجم منها. نعتقد أن وجه الغلاف جاء متسقاً إلى حد كبير مع طبيعة النص ومضمونه. فاللوحة الفنية، تماماً مثل الرواية، مفتوحة على تأويلات مختلفة وقراءات متعددة. وغياب المعالم وهيمنة اللون الأحمر يوحي بوجود خطر غير معروف المصدر ويخلق حالة من التوتر والقلق تشبه كثيراً الجو العام للرواية. واستُغلت المساحة في ظهر الغلاف أولاً للحديث بإيجاز عن موضوع الرواية وشخصيتها المحورية، بعدها تم الربط بين موضوع الرواية وحالة عدم الاستقرار التي عاشتها الجزائر سنوات التسعينات. بعدها في عجالة تم تقديم الكاتب والمترجم.

نعتقد أن استغلال الغلاف في حالة ترجمة "الزلزال" يختلف نسبياً عن ترجمة "الأيام"، فالانطباع العام الذي توحى به هذه الترجمة هو جدية المنهج. فهناك اهتمام بجميع التفاصيل واستغلالها بأفضل شكل لإيصال معاني النص المختلفة. فمثلاً اللوحة على الغلاف، وإن كان لا يمكن الجزم بمقاصدها أو معانيها، تبدو محاولةً للأخذ بيد القارئ إلى معاني النص العميقة وعدم الاكتفاء بما هو ظاهر معلن.

ونفس الأمر يمكن قوله عن النص في ظهر الغلاف، فالحديث عن موضوع الرواية وخصوصيتها الأسلوبية على إيجازه، كان مكثفاً بالمعاني والدلالات، وأبعد ما يكون عن المواد سريعة الاستهلاك التي كثيراً ما تحويها هذه المساحات. وحتى حين أراد الناشر (أو المترجم؟) استغلال الرواية لتمرير رسائل عن خطر التعصب والعزف على وتر خطاب الإرهاب، لم يكن هناك أي ابتذال أو استسهال. فكأن العبارات قد قيست بمسطرة، فهي لا تقول أكثر ولا تقول أقل، لا تحاول الانقياد على عمى للخطاب المهيمن، ولا تغض الطرف عما تعتقده صواباً. إنَّ المعرفة بملايسات إنتاج واستغلال هذه الترجمة، يسمح باستخلاص أنَّ الشق التجاري لم يكن أبداً أولوية، عند المترجم خاصة. فأما اختياره لترجمة هذه الرواية بالذات فنابع من اهتماماته الشخصية كونه باحث في الأدب العربي ما بعد الاستعماري (HARVARD.EDU). كما عمل المترجم على إدراج الرواية ضمن مناهج الدراسة (عتيق، 2011م، 70)، أي أنَّ الجمهور المستهدف هو بالأساس هو الطلبة والباحثين، وهو ما يفسر ربما الاهتمام بجميع التفاصيل. ومن ذلك أيضاً حرص المترجم على إضافة مسرد للأسماء والمصطلحات التي ارتأت ضرورة إطلاع القارئ على معانيها، حتى يزيد من فرص فهمه للنص بشكل مناسب. ووجود المسرد على قصره والتبسيط المقصود للمعلومات الواردة فيه هو محاولة لإبراز الخصوصية الثقافية للنص الأصلي وحث القارئ على فهم أعمق لشكل مختلف من أشكال الحياة، بعيداً عن الصورة الفلكورية التي يميل البعض، من باب الاستسهال، إلى التركيز عليها.

حاولنا في هذا القسم الأول من الدراسة التحليلية تسليط الضوء على أهمية عتبات النص (المقدمات، العناوين، الأغلفة) في توجيه فهم القارئ وتحضيره للنص. وقد خلصت الدراسة إلى أنَّ المقدمات لها القدرة على توجيه القارئ لفهم مجتزأ للسياق الثقافي الأصلي إذا أثرت الإيديولوجيا على التفاعل الثقافي. فيما يفضل المترجمون الحريصون على نجاح التواصل الثقافي بين النص والقارئ مقدمات تعليمية الطابع، تحاول قدر الإمكان إبراز الخصوصية الثقافية دون التورط في فخ الآراء

الصريحة والمواقف الصارمة. بالنسبة للعناوين، وجدنا أنّ ترجمة "الزلال" كانت موفقة أكثر من "الأيام" في الحفاظ على البعد الدلالي للعناوين. وكذلك الحال بالنسبة للأغلفة، بحيث كان غلاف "الزلال" موفقاً في إبراز السياق الثقافي الأصلي، أما غلاف "الأيام" فقد كان أقلّ نجاعة.

3.3. تحليل آليات إيضاح وتضمنين المحتوى الثقافي في المدونة في ضوء المقاربات الثقافية

يهتم القسم الثاني من الدراسة التطبيقية بتحليل آليات عمل استراتيجيتي الإيضاح والتضمنين على مستوى النص من منظور المقاربات الثقافية للترجمة. ولهذا الغرض سيتم الاعتماد على بعض التعريفات والتصنيفات التي تم التطرق إليها في القسم النظري والتعمق فيها بغرض الكشف عن مدى صحتها فيما يتعلق بالمحتوى الثقافي للنص من جهة ومدى تأثرها باللغة والثقافة المستقبلية، الإنجليزية في هذه الحالة، من جهة ثانية. تفترض الدراسة أنّ إيضاح وتضمنين المحتوى الثقافي لا يخضع دائماً للمنطق اللغوي، فما قد يتم إيضاحه على المستوى اللساني لا يؤدي بالضرورة إلى تجلّي حقيقي لثقافة النص الأصلي في الترجمة، وهو ما يتقاطع نسبياً مع أساليب التشويه عند برمان (1985م). ولما كان اهتمام الدراسة في المقام الأول منصباً حول المقاربات الثقافية للترجمة، فسيتم مناقشة الفكرة المذكورة من خلال بعض قضايا المقاربات الثقافية للترجمة، والتي تم تسليط بعض الضوء عليها في القسم النظري هي الأخرى. وعليه سيتم تحليل آليات الإيضاح والتضمنين والوقوف على معانيها المختلفة فيما يتعلق بقضيتين اثنتين: التفاعل الثقافي والخطاب.

1.3.3. الإيضاح والتضمنين وعلاقتهما بالتفاعل الثقافي

سنحاول في هذا القسم من البحث رصد آليات الإيضاح والتضمنين المرتبطة بالتفاعل الثقافي والوقوف على نسبتها المحتومة بالنظر للتعقيدات التي تصاحب عادة كل ما يتعلق بنقل الجانب الثقافي في الترجمة. وحتى يسهل التعامل مع المواد التي سنُعنَى بتحليلها فسنقوم بتقسيمها تقسيماً موضوعاتياً. وقد وقع الاختيار على المواضيع التالية: المحتوى الخاص بالمأكل والملبس والمحيط، المحتوى الديني، وأخيراً المحتوى الخاص باللغة وأسلوب النص.

1.1.3.3. التفاعل الثقافي بين إيضاح وتضمنين المحتوى الخاص بالمأكل والملبس والمحيط

سيتم تحت هذا العنوان تحليل بعض الأمثلة عن التفاعل الثقافي، وكيف يمكن للترجمة أن تكون عاملاً مساعداً على إبراز، أو طمس تفاصيل الحياة اليومية الخاصة بثقافة النص الأصلي، وذلك من خلال تحليل كيفية عمل أسلوبَي الإيضاح والتضمنين في النص. فمن المعلوم أنَّ أكثر ما يميز الثقافات بعضها عن بعض هو تقاليد الطعام واللباس والعمران وما يرتبط بهم. فيما يلي سنقوم بتحليل الأمثلة من خلال مجموعات منفصلة، تُعنى كل مجموعة بخصوصية ثقافية بعينها.

1.1.1.3.3. نماذج عن ترجمة أسماء الأطعمة

تجمع الجداول أدناه بعض النماذج عن ترجمة أسماء الأطعمة قصد تحليلها والوقوف على مدى نجاح أو فشل أساليب الإيضاح في إبراز ملامح الثقافة الأصلية. وقد تم تقسيم الأمثلة إلى ثلاث مجموعات تعكس كل واحدة أسلوباً خاصاً في الترجمة.

النص الأصل	الترجمة الإنجليزية
يبيع لهم ألوان الفول المدمس إذا أصبحوا، وكان الفول عنده كما هو عند غيره ألواناً مختلفة، ولكنه كان يمتاز بابتقانه ويغالي بثمنه؛ فقد كان يبيع الفول صرفاً، وكان يبيعه بالزيت على اختلاف ألوانه، وكان يبيعه بالسمن، وكان يبيعه بالزبد (الأيام، 75)	In the morning he sold boiled beans , prepared in the usual variety of ways. But El-Hagg Firûz used to boast the special virtues of his beans—and raise their prices accordingly. He had plain beans , beans in

fat, beans in butter beans in every kind of oil (<i>The Days</i>, 109) bean cakes (<i>The Days</i>, 208)	الطعمية (الأيام، 155)

الجدول 1/3: نماذج عن ترجمة أسماء الأطعمة (م1)

لاحظنا من خلال الأمثلة أنّ المترجمين اتبعوا ثلاث أساليب في ترجمة مختلف أصناف الأطعمة التي احتوتها المدونة. أحياناً يقوم المترجم بإعطاء المكافئ الإنجليزي لصنف الطعام المذكور، ويزيد في الهامش من المعلومات ما يراه ضرورياً لاكتمال فهم القارئ (م1). في المجموعة الأولى نجد أنّ الهوامش تم تسخيرها كلياً للتعريف أكثر بصنف الطعام. بالنسبة للقول، أضاف المترجم في الهامش اقتراض "fool" وأردفه بـ "the brown bean" لمزيد من الدقة، وهذا ربما لأن لفظ "bean" الذي استعمل في متن النص هو لفظ عام ويحيل إلى أكثر من نوع من أنواع الحبوب (OLD). ليشير في الأخير إلى أنّ القول هو الغذاء الأساسي لعامة المصريين. ونفس الأمر تكرر مع "طعمية"، والتي ذكر المترجم حتى كيفية تحضيرها. فالهوامش في هذه الحالة وفرت على القارئ الكثير من التساؤلات، وقدمت له هذه الأصناف بشكل يسمح له بفهمها وإدراك اختلافها في آن. ففي الهامش يوضح المترجم أن الطعمية هي أكلة شعبية عبارة عن فول مهروس، وقد استعمل مصطلح فول وليس المكافئ الإنجليزي. بيد أنّ النص المترجم لم يتمكن من التعامل مع هذه الخصوصية بذات الفعالية. فمثلاً ترجمة "الفول المدمس" بـ "boiled beans" ليست صحيحة تماماً، إذا ما أخذنا بعين الاعتبار الطريقة الخاصة التي يحضر بها الفول المدمس، والذي يدخل في تحضيره الفول المسلوق، وليس هو الفول المسلوق، يضاف إليه الزيت والتوابل ويطبخ في قدر مغلقة (معجم المعاني الجامع)، ويحيل لفظ "مدمس" إلى الطريقة التي كان يُطهى بها قديماً وهي الدفن في الدمس (تيمور، 2002م، 285). فهذه الترجمة لم تسمح للقارئ بالتعرف على هذا الطبق الشعبي، وبالتالي لم تكن لتنجح في إبراز هذا الملمح الثقافي لولا الهوامش التي أزلت الكثير من الغموض.

يتضمن الجدول الموالي المجموعة الثانية من الأمثلة، والتي تشترك في الاعتماد على الاقتراض

مع إضافة هامش للتوضيح (م2).

النص الأصل	الترجمة الإنجليزية
جيلاتي (الأيام، 116)	Gelâti (<i>The Days</i> , 160)
دندرمة (الأيام، 116)	Dandourma (<i>The Days</i> , 160)
بائع البليلة (الأيام، 133)	a balila shop (<i>The Days</i> , 180)
الهريسة (الأيام، 133)	Harissa (<i>The Days</i> , 181)
البسبوسة (الأيام، 133)	Bassbussa (<i>The Days</i> , 181)
الحلاوة الطحينية (الأيام، 135)	Halawa (<i>The Days</i> , 183)

الجدول 2/3: نماذج عن ترجمة أسماء الأطعمة (م2)

بالنسبة للمجموعة الثانية نجد أنّ هوامش المترجم تنوعت بتنوع التفاصيل التي أثر تسليط الضوء

عليها. ففي "دندرمة" و "جيلاتي" اكتفى بالإشارة إلى الأصول الأجنبية للكلمتين، وأن كليهما تعني

مثالجات. فيما أوضح طبيعة كلٍّ من "البليلة"، "الهريسة"، "البسبوسة"، و "الحلاوة الطحينية"، وكلها أكالات

شعبية. ففي حين يسمح الاقتراض بفتح نافذة على الثقافة الشعبية، المصرية في هذه الحالة، تساعد

الهوامش على فك طلاسم هذه الكلمات الغريبة وتبسيطها للقارئ. لكننا لاحظنا أن المترجم حين عرّف

مصطلح "هريسة" اختار "الطعام الذي يُطبخ من اللحم والزبدة والدقيق"، مع أنّ السياق الذي ورد فيه اللفظ

يوحي بأنّ الهريسة المقصودة هي الحلوى التي تشبه البسبوسة، لأنّ الشابين كانا في محلّ حلويات. ففي

هذه الحالة، ونظراً لتعدد المعاني التي يحيل إليها لفظ واحد، قد يلتبس الأمر على المترجم قبل القارئ،

ويُصبح الهامش الذي وظيفته الأساسية في الترجمة هي التفسير والإيضاح مصدر طمس لأحد جوانب

الثقافة الأصلية. بالنسبة لـ "الحلاوة الطحينية" لم يكن الإشكال في محتوى الهامش والذي أعطى وصفاً

دقيقاً لهذه الحلوى ولكن في مكانه. إذ أنّ العبارة وردت قبل ذلك (ص 92)، لكنّ المترجم لم يُترجمها

بنفس الطريقة، ولم يجد ضرورة لإضافة هامش. وفي هذه الحالة أيضاً هناك طمس، لأنَّ القارئ لن يربط بالضرورة بين العبارتين، وبالتالي لن يفهم بأنَّ المقصود هو شيء واحد وليس شيئين مختلفين. في الحالة الثالثة المبينة في الجدول أدناه، يكفي المترجم بإعطاء المكافئ الإنجليزي دون إرفاقه بأي تفسير (م3). ولهذه الأساليب حتماً تبعات على مدى إبراز أو طمس الخصوصية الثقافية.

الترجمة الإنجليزية	النص الأصل
a piece of Greek cheese (<i>The Days</i> , 129)	قطعة من الجبن الذي يُسمَّى الجبن الرومي (الأيام، 92)
a slice of sesame cake (<i>The Days</i> , 129)	قطعة من الحلوة الطحينية (الأيام، 92)
Maiden's Thread (<i>The Days</i> , 160)	غزل البنات (الأيام، 116)
the aroma of a roasting sheep's head (<i>The Earthquake</i> , 32).	رائحة شواء رأس (الزلازل، 13)
A whiff of grilled sweetbreads (<i>The Earthquake</i> , 68)	رائحة أدمغة مشوية (الزلازل، 56)
Grilled sweetmeats (<i>The Earthquake</i> , 70)	أدمغة مشوية (الزلازل، 57)
stale pastries (<i>The Earthquake</i> , 32)	زلابية حامضة (الزلازل، 13)
two bowls of soup (<i>The Earthquake</i> , 38)	صحفتي شربة (الزلازل، 19)
a large platter of grilled chops (<i>The Earthquake</i> , 38)	صحن كبير من الكستيلة (الزلازل، 19)
Who would remain to prepare the wheat , churn the butter ? (<i>The Earthquake</i> , 79)	من يبقى لصنع الفريك والسمن (الزلازل، 68)
Picking through green wheat . (<i>The Earthquake</i> , 111)	تنقية الفريك. (الزلازل، 107)
There were also sacks of cracked wheat . (<i>The Earthquake</i> , 161)	وكيس فريك غير مطحون (الزلازل، 161)
Several old women were rolling couscous (<i>The Earthquake</i> , 134)	بعض عجائز يفتلن الكسكسي (الزلازل، 133)

الجدول 3/3: نماذج عن ترجمة أسماء الأطعمة (م3)

وفيما تأرجحت المجموعتان السابقتان من الأمثلة بين إخفاء وإظهار، نجد أنَّ المجموعة الثالثة أضمرت أكثر بكثير مما أظهرت. فالإكتفاء بالمكافئ الإنجليزي لم يسمح لقارئ النص المترجم بالتعرُّف

عن كتب على بعض العادات الغذائية الأصيلة في الثقافتين الجزائرية والمصرية. فترجمة "الجبنه الرومي" بـ "Greek cheese" طمس ليس فحسب نوع الجبن المقصود، لأنّ الأول يختلف عن الثاني، ولكن أيضاً استعمال المصريين في لغتهم العامية للفظ "رومي" والتي يُرَجَّح أنّها تعني الأصل الأجنبي للشيء (ديك، جبن، فلفل....). ويبدو أن مترجم "الزلزال" كان في حالة صراع مع "رأس الخروف المشوي" الذي ترجمه بثلاث طرق مختلفة. الترجمة الأولى حرفية، أضيف لها فقط "sheep" للتخصيص الذي لم يكن ضرورياً في النص العربي، كانت الأنجع، لأنها نقلت الصورة كما هي، حتى وإن كان هذا النوع من الطعام غير مألوف ربما في الغرب. ولسبب غير معروف قرر المترجم في الترجمة الثانية استعمال "sweetbreads" وتعني البنكرياس المشوي (Merriam-Webster)، وفي الثالثة "sweetmeat" وتعني الحلويات أو الفواكه المجففة (Merriam-Webster). طبعاً هذا القرار لم يكن أبداً في صالح إبراز الخصوصية الثقافية، لأنّ القارئ لن يفهم بأنّ المترجم في كلّ مرة من هذه المرات الثلاث كان يشير إلى نوع الطعام ذاته، وبالتالي لن يتمكن من بناء صورة صحيحة عن هذا التقليد الغذائي في الجزائر وشيوع استهلاكه. وتُرجمت "شربة" بـ "soup" وهي ترجمة تبدو للوهلة الأولى منطقية، لكن في الحقيقة المصطلحين لا يحيلان لنفس الطبق، فالشربة (أيضاً شربة فريك أو جاري) هنا تحيل إلى نوع معين من الحساء معروف في الجزائر ومرتبطة ثقافياً بشهر رمضان وهو مختلف عن "شربة الخضار" التي يحيل إليها المصطلح الإنجليزي. فالترجمة وإن كانت في ظاهرها ناجعة لم تنجح في التعبير عن خصوصية هذا الطبق. الترجمة الحرفية في "الكستيلة" أوصلت المعنى وإن لم تحتفظ بالطابع المحلي، لكننا نحسبها أخفقت مع "غزل البنات"، لأنّ القارئ لن يتمكن من ربط فكرة الغزل بشكل الحلوى، وهي حلوى معروفة في الثقافات المختلفة، ولو أنّه استعمل "cotton candy" لسهّل الأمر على القارئ، خاصة أنّ الطابع المحلي الذي يتيح الاقتراض لا يمكن بسهولة الاحتفاظ به في الترجمة الحرفية. ففي هذه الحالة لم تبرز الترجمة التسمية الخاصة لهذا النوع من الحلوى كما أنّها ألّبت الفهم على القارئ الذي لن يدرك أنّ الأمر يتعلق بشيء يعرفه.

ولفظ "فريك" وإن كان مستعملاً بكثرة في العامية الجزائرية إلا أنه لفظ عربي فصيح، ويعني "القمح قبل أوان حصاده، يُحصَد قبل اصفراره، ويُحرق ويُفرك عن سنبله ويُجشش" (بوزواوي، 2022م، 238)، وهو مرتبط بتحضير طبق الشربة الذي نوقشت ترجمته أعلاه. لاحظنا أن المترجم قدّم هنا أيضاً ثلاث ترجمات مختلفة لنفس اللفظ وهو ما يدلُّ على وجود شيء من الصعوبة. في الترجمة الأولى، "wheat"، ساوى المترجم بين القمح والفريك في المعنى وطمس بالتالي الفرق الموجود بين الاثنين. في "green wheat" استدرك المترجم هذا الطمس، ليعود ويستدعيه من جديد في "cracked wheat" بحيث حاول إظهار الصفة الثانية للفريك وهي الجش، لكنّه ربطها بالقمح عموماً. من بين الترجمات الثلاث، الثانية فقط عبّرت عن طبيعة الفريك وإن لم تحو صفة الجش، ففي الثقافة الجزائرية لفظ "الفريك" يُطلق على القمح الأخضر الكامل أو المجشش.

واختار المترجم "rolling couscous" للتعبير عن فكرة "فتل الكسكس"، وهي ترجمة تركز على الطبيعة اليدوية لعملية "الفتل" وتعني تحويل الدقيق إلى كسكس، وهو تقليد توارثته الأجيال، لكنّه نادراً اليوم في ظلّ توفر البدائل المصنعة. وصحيح أنّ مصطلح "كسكس" لم يعد من غريب اللفظ لدى المتلقي الغربي بحكم ما أفرزته العولمة من انفتاح للثقافات على بعضها، وهو ما يسمح بالقول أنّ الترجمة نجحت في نقل فكرة عملية الفتل دون أن تلج إلى تفاصيلها وأهميتها في جزائر سبعينات القرن الماضي التي يصفها "الزلال"، بحيث كان فتل الكسكسي ضرورة حيوية وليس مجرد فولكلور أو تراث. هذه الأمثلة تؤكد بما لا يدع مجالاً للشك بأنّ الترجمة ميدان شائك وشديد التعقيد، وأنّ إبراز خصوصية التقاليد الغذائية من عدمه يكون غالباً مرهوناً بالطريقة التي يقارب بها المترجم النص. وحتى الهوامش التي وُجدت لمساعدة القارئ بالأساس قد تكون سبباً إضافياً للطمس.

2.1.1.3.3 نماذج عن ترجمة أسماء الأواني والأثاث

يشتمل الجدول الموالي على بعض الأمثلة الخاصة بترجمة أسماء الأواني والأثاث، والتي سيتم تحليلها أدناه.

النص الأصل	الترجمة الإنجليزية
1. المِرْجَل (الأيام، 13)	Kettle (<i>The Days</i> , 11)
2. كوز ضخم طويل (الأيام، 23)	A tall and wide mug (<i>The Days</i> , 24)
3. السُّمُط ممدودة (الأيام، 44)	and tables laid out (<i>The Days</i> , 53)
4. المائدة المستديرة المنخفضة التي كانوا يسمونها "الطَّبْلِيَّة" (الأيام، 84)	that low circular table. (<i>The Days</i> , 120)
5. الأكسبريس الإيطالية (الزلازل، 82)	Italian espresso machine (<i>The Earthquake</i> , 91)
6. الوجاق القديم (الزلازل، 82)	old cooking range . (<i>The Earthquake</i> , 91)

الجدول 4/3: نماذج عن ترجمة أسماء الأواني والأثاث

في هذه المجموعة من الأمثلة نلاحظ اتجاه المترجمين إلى تجنب التفاصيل المحلية والتركيز على الجانب العملي في الترجمة لضمان فهم القارئ. الأمر الذي نتج عنه طمس تام للملامح الثقافية الخاصة.

فصحيح أن لفظ "kettle" يحمل معنى المِرْجَل أو القدر ولفظ "mug" الكوز أو الكوب، إلا أنَّ اللَّفْظَيْن الإنجليزيين عاميين بينما اللَّفْظَيْن العربيين خاصين. فالترجمة عبّرت بشكل براغماتي عن أنواع الأواني، لكنّها لم تأخذ بعين الاعتبار البعد التاريخي، ففي أوائل القرن العشرين في الريف المصري كانت الأواني مصنوعة من الطين أو النحاس في الغالب (تيمور، 2002م، 264، بوزواوي، 2022م، 47). ونفس الأمر يمكن ملاحظته في ترجمة "سُمُط" بـ "tables"، فالسِّمَاط هو "ما يُمدُّ ليوضع عليه الطعام في المآدب ونحوها" (معجم المعاني الجامع)، وقد يكون عبارة عن طاولات منخفضة أو موائد أو حتى قطع من القماش، وهو مرتبط ارتباطاً وثيقاً بالثقافة العربية الإسلامية، بحيث كان من الدارج إقامة اللوائم في الساحات وإطعام الطعام في المواسم والأعياد. أما "الطبلية" فهي نوع من الموائد المنخفضة وهو ما جاء

في الترجمة، لكن المترجم ولأنه لم يلحق اللفظ بالوصف كما جاء في النص الأصلي، قوّت على قارئه فرصة معرفة خصوصية هذا النوع من الموائد، والخصوصية في هذه الحالة مرتبطة بالاسم أكثر من الشكل. أما "الأكسبريس" فهي مصطلح عامي جزائري مأخوذ من الفرنسية يُراد به ماكينة صنع القهوة، وهو ما جاء في الترجمة، فالطمس هنا طال فقط اللهجة المحلية التي لم تظهر في الترجمة. أخيراً، تم ترجمة "الوجاق" بـ "cooking range" وهي أيضاً ترجمة تنقل المعنى وتترك البعد التاريخي الموجود في اللفظ العربي جانباً. إنّ جميع هذه الترجمات اتّبعّت أساليب إيضاحية، كالانتقال من الخاص إلّ العام أو الإضافة، لكنّها مع ذلك أنتجت ترجمات فيها طمس واضح لجوانب تاريخية تخص الثقافتين الأصليتين.

3.1.1.3.3. نماذج عن ترجمة المصطلحات الخاصة بالأزياء والمظهر

سنقوم فيما يلي بتحليل نماذج من ترجمة بعض المصطلحات الخاصة بالأزياء والمظهر، مقسمة

إلى مجموعتين (م1) و (م2). ويُتبع كل جدول بتحليل للأمثلة ومناقشتها.

النص الأصل	الترجمة الإنجليزية
1. الفراجية (الأيام، 125)	doctor's gown (<i>The Days</i> , 171)
2. الكاكولا (الأيام، 219)	kàkùlâ (<i>The Days</i> , 307)
3. يتعثّر في جبته وقفطاناه (الأيام، 219)	Walking uncertainly in my long robe and qaftan (<i>The Days</i> , 319)
4. وببشامقه و"قوفياته" المطرزة (الزلال، 15)	his embroidered slippers and kufiyyas (<i>The Earthquake</i> , 33-34)
5. عراقية بيضاء متسخة على رأسه (الزلال، 17)	a soiled white skullcap (<i>The Earthquake</i> , 35)
6. بلغة مهترنة قديمة (الزلال، 17)	a pair of worn-out leather slippers. (<i>The Earthquake</i> , 35)
7. عمامات الحرير الصفراء المزدانة بالخياط الوبرية (الزلال، 59)	Yellow satin turbans tied with stripes of camel-hair. (<i>The Earthquake</i> , 72)
8. برنس صوفي وجبة قمر (الزلال، 71)	a wool burnous and a jubba. (<i>The Earthquake</i> , 82)

الجدول 5/3: نماذج عن ترجمة مصطلحات خاصة بالأزياء والمظهر (م1)

نلاحظ في ترجمة هذه المجموعة من الأمثلة لجوء المترجمين للاقتراض في حالات قليلة (كأكولا،

قفطان، جبة، برنس، قوفية) دون إرفاق الترجمة بهامش، غير أن المصطلحات الثلاثة الأخيرة ورد

تعريفها في المسرد (The Earthquake, 2000). ولا يختلف دور المسرد عن الهامش كثيراً، ويمكن

للمعلومات الواردة فيه بقصد الإيضاح أن تؤدي إلى نتائج عكسية. فمثلاً عرّف المترجم "الجبة" على أنها

رداء تقليدي أبيض مصنوع من الكتان، ولا نفهم لماذا حصر المترجم الجبة في اللون الأبيض مع أن

المعجم العربي لا يحدد لونها بل شكلها، فهي ثوب سابغ واسع الكمين مشقوق المقدم، يُلبس فوق الثياب

(معجم المعاني الجامع). كما أنه أعطى "القوفية" (4) تعريفاً عاماً على أنها غطاء للرأس. فوجود هذه

التعاريف في المسرد لم يضمن للقارئ فهماً دقيقاً للقطع المذكورة، بل إنه ربما صعب عليه المهمة،

فأغطية الرأس مثلاً كثيرة ومتنوعة. فما يمكن استخلاصه في هذه الحالة هو أن الاقتراض كفل للقارئ

معرفة وجود هذه الأنواع من الألبسة، التي هي بالتأكيد غريبة عنه، لكنه ربما لن يتمكن من رسم صورة

واضحة عنها في ذهنه.

في أكثر الحالات عمد المترجمون إلى إعطاء مكافئات إنجليزية لتجنب التعقيد وضمان نجاح

العملية التواصلية مع القارئ. ومن البديهي أن يكون لهذا القرار تبعاته على تجلي الثقافات الأصلية في

النصوص المترجمة. فترجمة "بشامق" (4) بـ "slippers" و "بلغة" (6) بـ "leather slipper" لم تُخفِ

الشكل العام لهذا النوع الخاص من النعال (بوزواوي، 2022م، 56) على الرغم من كون اللفظ الإنجليزي

أعم، ويمكن أن يحيل إلى أنواع أخرى. ونفس الأمر نجده في ترجمة "عراقية" (5) بـ "skullcap"، بحيث

يحمل اللفظ الإنجليزي والعربي تقريباً نفس المعنى (OLD، بوزواوي، 2022م، 207). والملاحظة عينها

تتطبق على لفظ "عمامة" (7). في كل هذه الأمثلة يمكن اعتبار الترجمة موفقة في تعبيرها الدقيق عن هذا

العنصر أو ذاك، غير أن ما ينقصها هو الطابع المحلي، الذي وحده الاقتراض يمكنه تأمينه. بعبارة

أخرى، الطمس هنا موجود، لكنه يبدو لا مفر منه ومحدود التأثير.

الأسلوب نفسه عندما طُبِقَ على ألفاظٍ أخرى كان له تأثير كبير على طبيعة الصورة المنقولة في

الترجمة. فترجمة "فراجية" (1) بـ "Doctor's gown" نقلت مشايخ الأزهر من المسجد إلى الجامعة،

وسنتعرض في أمثلة قادمة إلى إصرار المترجم على التعامل مع التعليم الأزهري في الماضي على أنه

تعليم جامعي. فاللفظ العربي يحمل معنى "ثوب واسع طويل الأكمام يتزيّا به علماء الدين" (معجم المعاني

الجامع)، أي أنّ هناك تخصيص، فالتحصيل العلمي المقصود هنا هو تحصيل العلوم الشرعية وليس

العلم بشكل مطلق. كما أنّ استعمال لفظ "دكتور" يُناقض سياق النص الذي يُصور الحياة في مصر قبل

ظهور أولى جامعاتها، وبالتالي إمكانية وجود مثل هذه الألقاب منعدمة. فهذا التكييف الذي جاء غالباً

لأغراض تواصلية إيضاحية لم يسمح بإبراز السياق الثقافي الأصلي، بل ربما تسبب في إخفاء بعض

التفاصيل التاريخية عن القارئ.

يحتوي الجدول الموالي على المجموعة الثانية من أمثلة ترجمة مصطلحات الأزياء والمظهر.

النص الأصل	الترجمة الإنجليزية
1. قابلته البنية المستاة المكنة (الزلزال، 105)	He saw the girl with the made-up eyes and the flashing teeth . (<i>The Earthquake</i> , 42)
2. المستاة المكنة (الزلزال، 110)	all made up in lipstick and eye shadow . (<i>The Earthquake</i> , 114).
3. الملايات السوداء (الزلزال، 25)	black veils . (<i>The Earthquake</i> , 42)
4. امرأة في ملايتها (الزلزال، 113)	woman covered in a veil (<i>The Earthquake</i> , 117)
5. لعلّه لم يغير شاشيته هذه (الزلزال، 32)	He probably hasn't changed his fez in years. (<i>The Earthquake</i> , 35)
6. الغباريات الرمادية والطرابيش الحمراء (الزلزال، 59)	Grey capas and red fezzes . (<i>The Earthquake</i> , 72)
7. بدلة صينية مهترئة (الزلزال، 79)	a shabby blue Mao suit . (<i>The Earthquake</i> , 89)
8. غبارية بهت لونها الأسود (الزلزال، 71)	a shabby black overcoat . (<i>The Earthquake</i> , 82)

9. هل لديك سترة الرندنجوت (الأيام، 288)	Do you have a jacket with tails (<i>The Days</i> , 393)

الجدول 6/3: نماذج عن ترجمة مصطلحات خاصة بالأزياء والمظهر (م2)

لم توفق ترجمة "المستاكّة المكتحلة" (1، 2) لنفس السبب، فالمترجم في المرة الأولى حاول مقارنة

المعنى من خلال التعميم باستعمال فكرة العيون المُكمّجة والأسنان اللامعة، وهي النتيجة التي يمكن الحصول عليها بطرق مختلفة وليس حصراً باستعمال الكحل والسواك. فالترجمة طمست طريقة تزيين النساء الجزائريات في الماضي والمعبر عنها في النص الأصلي من خلال الانتقال من الخاص إلى العام، أي أنّ الطمس الثقافي في هذه الحالة جاء مواكباً لأحد أساليب التضمنين. ومع ذلك تبقى هذه الترجمة أفضل من التي تلتها والتي اعتمدت على التكيف من خلال "أحمر الشفاه" و"ظلال العيون" لإيصال المعنى. ونلاحظ هنا اتساع الهوة أكثر بين الصورة الأصلية وتلك التي أفرزتها الترجمة نتيجة عدم أخذ المترجم الخصوصية الموجودة في الأصل بعين الاعتبار. يمكن القول أنّ الترجمة حاولت إسقاط الآخر على الذات واستبدال المعروف بغير المعروف، وهو أمر وارد وكثير الحدوث في الترجمة، غير أنّه في هذين المثالين بالذات كان له أثر سلبي على التلقي الصحيح للسياق التاريخي للنص.

"الملاية" (3، 4) في الجزائر زي أسود ترتديه النساء عند الخروج، ويُغطي كامل الجسم، وكان واسع الانتشار في الماضي، في الشرق الجزائري خاصة (بوزواوي، 2022م، 287). فمن الواضح أنّ الترجمة الإنجليزية احتفظت بفكرة الستر أو الحجب من خلال المكافئ الإنجليزي "black veil"، ولم تُوفق في إبراز الملاية كجزء من المشهد الثقافي، ورداء من نوع خاص، ناهيك على أنّ اللفظ الإنجليزي "veil" يعبر عن غطاء الرأس (OLD) وليس الجسد بالكامل. كما لم تُفرّق الترجمة بين "شاشية" (5)

و"طربوش" (6)، "fez"، مع أنّ هناك اختلافات بين الاثنين، فالطربوش أطول من الشاشية قليلاً وأكثر منها تماسكاً. وبالنسبة لـ "البدة الصينية" (7) فإن ترجمتها لم تؤثر سلباً على المعنى ولا على الصورة المقصود نقلها لأنّ المكافئ الإنجليزي "Mao suit" يحيل لنفس نوع الثياب، ولكنّها مع ذلك حُجبت على

القارئ حقيقة أنّ الثقافة الجزائرية تربط الزي بالبلد الأصلي وليس بأشهر زعماء هذا البلد. ولعلّ ترجمة لفظ "غبارية" (6، 8) بـ "overcoat" و "cape" يوحي بوجود صعوبة في تحديد طبيعة الزي، وهي صعوبة وجدناها أيضاً أثناء بحثنا عن معنى هذه الكلمة التي لم نجد لها أثراً في معاجم اللّغة، لكن يبدو أنّها أشبه برداء يوضع فوق الملابس وهو ما يجعل الترجمة تنجح في الإيضاح اللّساني الذي يهدف إلى مخاطبة القارئ وتغسل في الإيضاح الثقافي الذي يُظهر الثقافة الأصلية. وأخيراً نجد مثال ترجمة "ردنجوت" (9) بـ "jacket with tails" مثيراً للاهتمام، فاللفظ في النص العربي هو أصلاً اقتراض لـ "redingote"، أي أنّ الذي معروف أصلاً للقارئ الغربي، لكن المترجم مع ذلك قرر التفسير أكثر بدل استعمال نفس اللفظ، وهو قرار يصعب فهمه كونه قد يؤثر على معالجة النص.

إنّ هذه الأمثلة على اختلافها تشترك في أنّ طمس خصوصية الثقافات الأصلية له أكثر من سبب وأكثر من شكل، مع أنّ أساليب الترجمة في معظمها كان الهدف من ورائها في المقام الأول رفع اللبس وتذليل الصعوبات أمام القارئ.

4.1.1.3.3. نماذج عن ترجمة أسماء الأماكن

يتضمن الجدول أدناه بعض النماذج لترجمة أسماء الأماكن في مدونة البحث، ويكون متبوعاً

بتحليل مختلف أساليب الترجمة.

النص الأصل	الترجمة الإنجليزية
1. الكُتّاب	School (<i>The Days</i> , 21)
2. دكة (الأيام، 21)	dais (<i>The Days</i> , 21)
3. الرّبع (الأيام، 101)	Building (<i>The Days</i> , 140)
4. لماذا لا تعودون إلى قراكم ودواويركم (الزلازل، 10)	Tenement (<i>The Days</i> , 143, 192)
5. لقد أسسوا في كلّ ركن من قسنطينة قرية أو دشرة (الزلازل، 44)	Why don't you all go back to your villages and deserts. (<i>The Earthquake</i> , 30)
6. يقين أنّ دشرة معينة (الزلازل، 61)	They have set up a village in every corner of Constantine (<i>The Earthquake</i> , 59)

I wouldn't be surprised if some tiny hamlet (The Earthquake, 73) the shrine of Sidi Abdelmu'min? (The Earthquake, 88) He lifted his head and right in front of him was a sign which read <i>Kharrab Sa'id Street</i>. He shook his head thinking how appropriately it was named, Kharrab, 'the destroyer'. Then he thought out loud in his mind: (The Earthquake, 47) 'No, for a licence to operate the shop, and twenty dinars a month for rent.' (The Earthquake, 60)	7. زاوية سيدي عبد المومن (الزلزال، 78) 8. رفع رأسه، فقابلته لا فتة تعلن: نهج خراب ساعد .. حرك رأسه كأنما يصادق على الجملة، ثم أعلن: (الزلزال، 31) 9. لا بيع عتبة، كراء، أربعمئة دورو، كراء الشهر (الزلزال، 46)

الجدول 7/3: نماذج عن ترجمة أسماء الأماكن

في هذه المجموعة من الأمثلة والتي تدور حول الأماكن وأسمائها، يمكن القول بأن الترجمة عموماً مالت نحو تقريب المعاني باستعمال المكافئ الإنجليزي الأقرب، وتجنب إلقاء الضوء على الجوانب الخاصة من المعنى والتي لا يشترك فيها اللفظين العربي والإنجليزي. فترجمة "الكتاب" (1) بـ "school" ليست خاطئة من حيث أنّ الكتاب أيضاً هو مكان للتعليم (معجم المعاني الجامع). ولكن الجزء الخاص من المعنى والذي لا تكفله الترجمة هو ذلك المتعلق بالسياق التاريخي. فالكتاب قبل الانتشار الواسع للمدارس كان هو المكان الوحيد الذي يضمن للأطفال حداً أدنى من التعليم وحفظ القرآن، في المناطق الريفية خاصة، مكان لا طاولات فيه ولا كراسي كما يوحي بذلك اللفظ الإنجليزي وإنما حصائر على الأرض يجلس عليها الأطفال و"دكة" من الخشب ترتفع عن الأرض قليلاً يجلس عليها الشيخ (تيمور، 2002م، 281). بهذا المعنى تصبح الترجمة التي انتقلت من الخاص إلى العام بغرض إبراز المعنى مجحفة بحق الكثير من التفاصيل التي حُجبت عن القارئ. ومن باب الإنصاف وجب التنويه إلى أنّ في النص ما قد يساعد على تصور هذه الحالة التعليمية الخاصة، ولكن هذا لا ينفي حقيقة أنّ جانباً

من المعنى تمّ طمسه في الترجمة. ونفس الأمر ينطبق على اختيار كلمة "dais" مكافئاً لـ "دكة" (2)، فهي تفيد معنى الارتفاع عن الأرض (OLD) ولكنها تحجب طبيعة كونها مكان مخصص للجلوس. واستعمل المترجم مصطلحي "building" و "tenement" بالتناوب لترجمة كلمة "رَبْع" (3) والتي وردت ستين مرة في النص الأصلي. و"الرَّبْع" هو الدار التي تؤجر شققاً وقاعات (تيمور، 2002م، 316)، وبهذا يكون خيار المترجم الثاني أنسب، فكلمة "building" عامة، ولا تُحيل إلى الطبيعة الخاصة للمبنى. ففي هذه الأمثلة الثلاثة لم تتمكن الترجمة الإنجليزية من إظهار خصوصية هذه الأماكن وطبيعتها المختلفة.

بالنسبة لمصطلحي "دُور" (4) و"دشرة" (6)، واللذان يعبران عن تجمعات سكانية تكون غالباً أصغر من القرية، ويستعملان في دول المغرب العربي خاصة فإن الترجمة لم تنجح في إظهارهما بهذا المعنى. إذ أن لفظ "desert" لا يحيل حتى إلى معنى القرية، كما أن استعمال كلمة واحدة "village" للتعبير عن "قرية أو دشرة" يوحي ضمناً بأنهما نفس الشيء. وتدارك المترجم بعد ذلك الأمر في "tiny hamlet" والتي تقترب من معنى الدشرة أكثر (OLD). فباستثناء هذه الأخيرة، أي الترجمة، فإن المفهومين غائبين تماماً في النص الإنجليزي، ولا يوجد ما يدل على أنّ الجزائر غداة الاستقلال كان لها هذا التقسيم الخاص للمناطق والذي نتج عن سنوات من الاحتلال والمعاناة. وعلى الرغم من أنّ "الزاوية" (7) هي أيضاً مفهوم خاص وله بعده التاريخي، إلا أنّ ترجمتها بـ "shrine"، أي المكان الذي يقصده الناس للعبادة لارتباطه بشخص أو حدث مهم (OLD) قد قربت المعنى بشكل كبير للقارئ. إلا أنّ الزاوية بالأساس تخصص لتحفيظ القرآن، ولها شيخ من الصوفية عادة، وقد تصبح مكاناً يأتي الناس لزيارته (بوزواوي، 2022م، 145). أي أنّ هناك جزء متعلق بوظيفة الزاوية، وهو التعليم، تم إخفاؤه في الترجمة. جاء استعمال المترجم لأسلوب الإيضاح مختلفاً في "نهج خراب ساعد" (8)، إذ أنّه في البداية أبقى على الاسم كما هو، لكنّه سرعان ما وجد نفسه مضطراً للتفسير، لأنّ البطل في النص الأصلي ربط

بين الاسم وفكرة التخريب ضمناً ولم يُصرح بذلك. غير أن المترجم جعل البطل يفكر بصوت عالٍ، ليس ذلك فحسب بل أيضاً يُردف "kharrah" بالإضافة "the destroyer". صحيح أن المترجم هنا غير شيئاً من أسلوب النص، لكنّه تمكن من نقل الفكرة بنجاعة، ربما لأنّ المثال يتعلق فقط باسم، فالمهمة أقل تعقيداً من ترجمة المفاهيم التي لها أبعاد تاريخية أو دينية. وكذلك الحال في ترجمة "بيع عتبة" (9)، والتي تعني في الثقافة الجزائرية أن يستفيد الشاري من العقار دون عقد الملكية، وهو ما عبّر عنه المترجم في لغة إنجليزية بسيطة. يمكن القول في هذه الحالة، أنّ أسلوب الإيضاح لا يؤدي دائماً إلى إخفاء بعض تفاصيل النص الأصلي، فالألفاظ التي لا يكون لها عمق ثقافي كبير، تكون مطوّعة أكثر في الترجمة، وتعطي نتيجة مقبولة.

5.1.1.3.3 نماذج عن ترجمة أسماء متنوعة تتعلق بالحياة اليومية

يجمع الجدول الموالي مجموعة من نماذج ترجمة أسماء تخص الحياة اليومية، ويكون متبوعاً

بنقاش حول أساليب الترجمة.

النص الأصل	الترجمة الإنجليزية
1. أنت مدين لي بستة جنيهاً (الأيام، 221)	You owe me six pounds (<i>The Days</i> , 310)
2. مكافأة قدرها خمسة جنيهاً في كلّ شهر (الأيام، 226)	A salary of five guineas a month (<i>The Days</i> , 316)
3. لا هذا الدور سقط مني (الزلال، 13)	No this coin fell from me (<i>The Earthquake</i> , 32)
4. بعد أن بحث عن الدور وبينها ولم يجد (الزلال، 14)	Having failed to find a five-franc coin (<i>The Earthquake</i> , 33)
5. لا بيع عتبة، كراء، أربعمانّة دورو، كراء الشهر (الزلال، 46)	'No, for a licence to operate the shop, and twenty dinars a month for rent.' (<i>The Earthquake</i> , 60)
6. الخماسة (الزلال، 64)	sharecroppers (<i>The Earthquake</i> , 76)
7. الكسابة (الزلال، 70)	blackmarketeers . (<i>The Earthquake</i> , 76)
	The owner (<i>The Earthquake</i> , 145)

goldsmiths. (<i>The Earthquake</i> , 76)	8. الدّراس (الزّلال، 145)
We all received the <i>legion d'honneur</i> (<i>The Earthquake</i> , 146)	9. دلالة الذهب (الزّلال، 70)
	10. كلنا نحمل وسام الشرف (الزّلال، 145)

الجدول 8/3: نماذج عن ترجمة أسماء متنوعة

في هذه المجموعة من الأمثلة المتنوعة لاحظنا أنّ الترجمة في معظم الحالات عملت على الإيضاح بتقديم مكافئ تقريبي في اللّغة الإنجليزية لا يصعب معه معالجة النص (Heltai, 2005). لكن هذه الخيارات من منظور ضمان تفاعل ثقافي بين القارئ وسياق النص الأصلي عليها بعض المآخذ. فالعملة المصرية "جنيه" (1،2) ترجمت بشكلين مختلفين، الأول "pound"، العملة البريطانية الحالية وهي اختصار لـ "الجنيه الإسترليني" ولكن أيضاً عملة للعديد من الدول الأخرى، والثاني "guinea"، وهي عملة بريطانية قديمة مساوية في قيمتها تقريباً للأولى (OLD)، ويُرجح أنّ اللفظ العربي هو اقتراض لهذا الأخير. فلا يوجد إشكال من هذا المنطلق، لكن من غير المفهوم عدم اختيار مصطلح واحد، فهذا التناوب بين الألفاظ من شأنه أن يُربك القارئ لأنّ اللفظين الإنجليزيين لهما معنيين مختلفين. وتُرجمت كلمة "دورو" (3،4،5) كذلك بأشكال مختلفة، ونحسب أنّه كان من الصواب اختيار ترجمة واحدة. فالدورو عملة نقدية ليست مستعملة اليوم عندنا، وكلمة douro نقد إسباني قديم (بوزواوي، 2022م، 134)، وقد استُعمل في النص في أكثر من موضع لتحديد قيمة المبالغ المالية، غير أنّ المترجم حوّل قسماً منها إلى "الفرنك" وهو قيمة أقل، وحوّل القسم الآخر إلى الدينار وهو قيمة أكبر. المبالغ المالية المعبر عنها لم تتغير، ولكن طريقة التعبير عنها هي التي تغيرت، وهنا تحديداً يكمن الطمس. فالحقيقة أنّ الناس في المجتمع الجزائري سنوات السبعينات، كانوا يستعملون "الدورو" كثيراً في معاملاتهم اليومية وهو ما أخفت الترجمة في إظهاره. نفس النتيجة يمكن ملاحظتها في استعمال لفظ "coin" في الترجمة بحيث فيه انتقال من الخاص إلى العام لا يسمح بالانتباه لخصوصية العملة المذكورة. فأساليب الإيضاح اللغوية على اختلافها لم توفق في نقل هذا الملمح الثقافي في الترجمة.

أما فيما يخص ترجمة أسماء بعض المهن فإننا وجدنا فيها بعض الإشكالات فيما يتعلق بالتفاعل الثقافي. فالخماس (6) هو الفلاح الأجير، يأخذ أرضاً من صاحبها ويخدمها ويحرقها لكنه لا يأخذ من غلتها إلا الخمس، (بوزواوي، 2022م، 108)، غير أن المكافئ الإنجليزي "sharecropper" ينقل فكرة خدمة الأرض بمقابل معين دون تحديد المقابل (Merriam Webster). فما لم تنجح الترجمة في إبرازها في هذا المثال هو تاريخ طويل من استغلال الفرنسيين للجزائريين تلخصه كلمة "خماس" والتي تشير إلى نسبة زهيدة من الأرباح مقابل جهد كبير مبذول. ومصطلح "الكسابة" (7) يُطلق غالباً على تجار المواشي، وبشكل أعم على أصحاب المهن ذات الطابع التجاري، مثل تجار السيارات مثلاً. وقد يكون الاسم أطلق عليهم بسبب الأموال الكثيرة التي يديرونها في التجارة (معجم المعاني الجامع). وكثيراً ما يُتهم الكسابة بالانتهازية والاستغلال، وهذا ربما ما دفع المترجم لاستعمال مصطلح "blackmarketeers". لكن في الحقيقة "الكسابة" لا ينشطون بالضرورة خارج القانون كما تُحيل إليه الترجمة. وبينما الدّراس (8) هو من يدرس القمح أو يدوسه (معجم المعاني الجامع)، قرر المترجم أن ينقله في الترجمة على أنه المالك، "the owner"، وهو بالطبع ما يُخفي تماماً طبيعة هذه المهنة في الترجمة. وكذلك الحال بالنسبة لـ "الدلالة" (9)، وهم من يأخذون سلعةً فيعرضونها على الناس قصد تعريفهم بها من أجل شرائها (بوزواوي، 2022م، 122)، فاستعمال "goldsmiths" في الترجمة يُساوي بينهم وبين الصاغة (Merriam Webster). إنّ هذه المهن والتي هي جزء من الماضي اليوم، كانت مكوناً أساسياً للحياة الاقتصادية في الجزائر، ولم تتح اختيارات المترجم هنا فرصة كبيرة لنقلها للصفة المقابلة وتعريف القارئ عليها، فمعظم محاولات الإيضاح اللغوي كانت في غير صالح إبراز الثقافة الأصلية.

وجاء استعمال المترجم للعبارة الفرنسية "légion d'honneur" لنقل "وسام الشرف" (10) ليسلط الضوء على شكل مختلف من أشكال الإيضاح في الترجمة. فقد كان من الممكن ببساطة ترجمتها إلى الإنجليزية بـ "legion of honour" أو "medal of honour"، لكن استعمال العبارة الفرنسية له بالتأكيد

دلالته الخاصة. فهذا النوع من التشريف، وفقاً لهذه الترجمة، لا يُمنح إلا من طرف الدولة الفرنسية. وهذا في الحقيقة ما جاء ضمناً في النص العربي الذي كان عبارة عن كلام على لسان والد البطل والذي كان يحاول فيه استعطاف المستعمر بتذكيره بأنّ العائلة أباً عن جد كانت متعاونة مع الاستعمار لدرجة الحصول على الأوسمة. فاختيار المترجم هنا كان صائباً تماماً وسمح بنقل الصورة بدقة، كما أننا لا نتوقع وجود صعوبة لدى القارئ، فحتى وإن كانت اللغة مختلفة يمكن للقارئ بسهولة أن يستشف المعنى. بعد تحليل هذه المجموعات المختلفة من الأمثلة، وجدنا أنّ التفاعل الثقافي الذي يُطمح لتحقيقه عبر الترجمة لا يتأتى بسهولة. فالتركيز الدائم على فكرة التواصل مع القارئ وسهولة معالجة النص جعلاً الترجمة في الكثير من الأحيان تُخفي تلك الجوانب في النص التي تصنع هويته وخصوصيته الثقافية. مرات قليلة هي تلك التي لم يتعارض فيها أسلوب الإيضاح مع إبراز هذه الجوانب.

2.1.3.3. التفاعل الثقافي بين إيضاح وتضمنين المحتوى الديني

فيما يلي سنعمل على تحليل بعض الأمثلة التي تمس الجانب الديني. وسنقوم لهذا الغرض بتقسيم الأمثلة بنفس الطريقة السابقة، أي وفقاً للموضوعات التي تتناولها وهي: الوضوء والصلاة، القرآن والسنة، الدعاء والذكر، والمصطلحات الدينية.

1.2.1.3.3. نماذج عن ترجمة مصطلحي الوضوء والصلاة

يشتمل الجدول الموالي على بعض النماذج عن ترجمة مصطلح الوضوء إلى الإنجليزية، يليه مباشرة تحليل لأساليب الترجمة المطبقة.

النص الأصل	الترجمة الإنجليزية
1. ودعاؤه بالإبريق ليتوضأ حتى يتوضأ الشيخ ويقرأ ورده (الأيام، 13)	To wash himself before praying until the sheikh has completed his religious ablutions, said his prayers, read a portion of the Quran (The Days, 12)
2. فتوضأ (الأيام، 45)	And wished to perform the ceremonial ablutions (before prayer) (The Days, 53)

الجدول 9/3: نماذج عن ترجمة مصطلح الوضوء

بشكل عام وجدنا في ترجمة مصطلحات الوضوء والصلاة ميلاً إلى الإيضاح الذي يُراد من خلاله تبسيط الفهم والذي أضرّ شيئاً ما ببعض جوانب المعنى التي تتعلق بمبادئ الدين الإسلامي. تُرجم مصطلح "الوضوء" (1، 2) بأشكال مختلفة، وفي كلّ مرّة كان المترجم يحاول إظهار تفصيل معين. ففي (to wash himself before prayer) يمكن للقارئ أن يفهم أن هناك ضرورة للغسل قبل الصلاة، فهناك تحديد لطبيعة زمن العملية، فهي سابقة للصلاة، دون أن يكون هناك تفسير لنوع الغسل. في (religious ablutions) هناك محاولة لتدقيق المعنى أكثر بإعطاء عملية الغسل صبغة دينية، فلفظ "ablutions" يحيل عادة إلى تنقية الجسم في إطار طقس ديني (Merriam Webster)، ومع ذلك ولمزيد من التأكيد

أُضيف مصطلح "religious". وفي ثالث مناسبة أراد المترجم إضافة تفصيل جديد من خلال استعمال لفظ "ceremonial" الذي يمكن للقارئ من خلاله أن يفهم أنّ العملية المذكورة تتم وفق شكل معين (Merriam Webster, n.d)، وأضاف لمزيد من الدقة معلومة تحدد زمن الوضوء (before prayer). فحتى يُلم المترجم بجميع المعاني التي يحملها لفظ الوضوء وتتضح فكرته لقارئ لا يعرفه، كان عليه ربما مزج الترجمات الثلاث في كلّ مرة، وهو أمرٌ يفتقد للعملية وقد يؤثر سلباً على أسلوب النص. فإذا نظرنا إلى الترجمات كل واحدة على حدا، وجدناها كلّها قد أخفت جانباً من المعنى، لكنّ محصلة المعاني التي جاءت فيها معاً تعطي صورة قريبة من المعنى الأصلي. غير أنّ القارئ يتعامل في كلّ مرّة مع جزء من هذه الصورة، ولا يمكن تقدير مدى قدرته على جمع هذه الأجزاء ببعضها لتكوين الصورة الكاملة. يشتمل الجدول الموالي على بعض النماذج عن ترجمة مصطلحات مرتبطة بالصلاة إلى الإنجليزية، يليه مباشرة تحليل لأساليب الترجمة المطبقة.

الترجمة الإنجليزية	النص الأصل
As soon as ever they had finished their afternoon prayers (<i>The Days</i> , 19)	1. فإذا صلّوا العصر (الأيام، 19)
but as soon as they said their evening prayers (<i>The Days</i> , 19)	2. حتى إذا صلّوا العشاء (الأيام، 19)
Or you might come upon a worshipper who had arrived too late for the common service , or had gone on to perform extra prayers after completing the statutory number . (<i>The Days</i> , 116)	3. وربما مررت إلى جانب مصلٍّ لم يدرك الجماعة أو أدركها ولكنه مضى في التنفّل بعد أن أدى الفريضة (الأيام، 80)
and said his prayers (<i>The Days</i> , 116)	4. فأدى صلاته (الأيام، 80)
he used to pray the regular five times a day (<i>The Days</i> , 20)	5. كان يصلي الخمس لأوقاتها (الأيام، 20)
He straightened himself up and prepared to perform his prayers . (<i>The Earthquake</i> , 30)	6. عندما اعتدل، لأداء ركعتي تحية المسجد (الزلال، 11)

and had just said the afternoon prayer (<i>The Days</i> , 28)	7. قد فرغ من صلاة العصر (الأيام، 26)
No matter. We have missed the common prayer , so we will say it together after the lecture and still be praying in company (<i>The Days</i> , 125)	8. ولا بأس إن فاتتنا صلاة الجماعة فسُنْقيم الصلاة بعد الدرس، وسُنْقيهما جماعة أيضاً (الأيام، 88)
then went off for midday prayer (<i>The Days</i> , 135)	9. ثم يفارقهم ليصلي الجمعة (الأيام، 96)
At sunset he led them in their prayers (<i>The Days</i> , 135)	10. ثم إذا وجبت المغرب أمَّهم في صلاتهم (الأيام، 96)

الجدول 10/3: نماذج عن ترجمة مصطلحات مرتبطة بالصلاة

بالنسبة لأسماء الصلوات (1، 2) اعتمد المترجم على الترجمة الحرفية ولم يستعن أبداً بالاقتراض. وسمح هذا الأسلوب لقارئ النص الإنجليزي بفهم ارتباط الصلاة عند المسلمين بالوقت وهو ما تُحيل إليه معاني الأسماء العربية للصلوات، فلا نحسب الترجمة من هذا الجانب قد أخلت بالمعنى أو طمست شيئاً منه.

ولو أنَّ المترجم اعتمد نفس الأسلوب في ترجمة "صلاة الجمعة" (9)، "Friday prayer"، لحصل دون شك

على نتيجة أفضل من تلك التي أعطتها "midday prayer" والتي ساوت بين صلاة الجمعة وصلاة

الظهر، وطمست الخصوصية الموجودة في هذه الصلاة ووجوب أدائها وقت الظهر من كل يوم جمعة

مع اختلافها عن صلاة الظهر طبعاً. كما أنَّ ترجمة "الجماعة" (3) (يُراد بها صلاة الجماعة هنا) بـ

"the common service" تجعل القارئ يربط بينها وبين ما يعرفه من أداء للصلاة الجماعية في الكنيسة

عند المسيحيين. فالعبارة الإنجليزية وإن عبّرت عن الجانب الديني (OLD)، إلا أنها حجبت المعنى

الحقيقي لصلاة الجماعة كونها صلاة تؤدي من طرف جماعة من المسلمين يؤمهم إمام (معجم المعاني

الجامع). وفي مناسبة أخرى (8) تُرجمت بـ "common prayer" و "praying in company" وهي ليست

أفضل من سابقتها من حيث كونها عامة ولا تبرز أهم اختلاف لهذه الصلاة عن المفهوم الذي يعرفه

القارئ عن الصلاة في المسيحية خاصة مع استعمال المترجم لفعل قال، "say it" والذي سنغنى بتحليله

فيما يأتي. ويبدو أنّ صعوبات الترجمة تزداد كلما زادت خصوصية الصلاة. فصحيح أنّ "التنفل" (3) هو الصلاة التي الزائدة أو غير المفروضة (معجم المعاني الجامع)، لكنّها عند المسلمين تطوع وشكل من أشكال التقرب إلى الله وجبر الصلاة المفروضة، أي أنّ المعاني المضمنة في المصطلح كثيرة واستعمال المترجم لـ "extra prayers" وإن كان صحيح ظاهراً لن يحيل القارئ إلى هذه المعاني الإضافية المعروفة لدى عموم المسلمين. وما قد يزيد الترجمة غموضاً ربما هو الطريقة التي تُرجمت بها "الفريضة" في المثال نفسه، "the statutory number". والإشكال هنا لا يكمن في استعمال لفظ "statutory"، والذي وإن كان عاماً يفيد فكرة التقيد بقانون معين (OLD). فقول المترجم أن المصلي يؤدي صلاة إضافية بعد قيامه بالعدد المفروض غير واضحة، فإن كان العدد المفروض هو عدد الصلوات الخمسة، فهناك خطب ما في الترجمة لأنّ هذه الصلوات لا تُؤدّى في وقت واحد، وإن كان المقصود عدد ركعات الصلاة المفروضة، وهو الأرجح، فهذا لا يقلّ تعقيداً، لأنّ هذا التفصيل حول الصلاة لم تتم الإشارة إليه بأي شكل في الترجمة. فسواء تعلق الأمر بـ "الفريضة" أو "النافلة"، نجد أن الإحالة إليهما في النص الإنجليزي لم تتجح في التعبير عنهما بما يكفل تقريب المعنى للقارئ. وتمت ترجمة "أداء ركعتي تحية المسجد" (6) بـ "to perform his prayer"، وبهذا أفرز الانتقال من الخاص إلى العام إخفاءً آخر لنوع ثالث من الصلوات. وما يمكن استخلاصه هو أنّه وفيما عدا أسماء الصلوات المفروضة، لم توفق الترجمة في التعامل مع معاني الصلوات الخاصة بطريقة تمكن القارئ من التعرف على هذا الجانب من الدين الإسلامي بوضوح.

ولاحظنا أنّ المترجمين استعملوا الفعلين "to say" و "to perform" لوصف فعل الصلاة. وقد يكون سبب هذه الحيرة هو نوع من الإسقاط على الذات، ففي المسيحية الصلاة عبارة عن قول، بيد أنّها في الإسلام قول وفعل. ففي الكثير من الأمثلة الموضحة في الجدول أعلاه استعمل المترجم "to say" للتعبير عن "أدّى" أو "أقام" وهي ترجمة تطمس الطبيعة الخاصة للصلاة في الإسلام. ليس هذا فحسب،

فهذه الترجمة نجم عنها خلط بين مفهومي "الصلاة" و"الدعاء"، لأن المترجم يستعمل في كليهما مصطلح "prayer" ولم ينتبه لتمييزهما بإرفاق الأول بالفعل "to perform" والثاني بالفعل "to say"، وهو إجراء على بساطته كان من شأنه أن يُجنب القارئ الحيرة، وينبئه ولو جزئياً إلى اختلاف طبيعة الصلاة في الإسلام عن الصلاة في المسيحية. والكثير من التفاصيل الأخرى تم إخفاؤها في الترجمة مثل مفهوم وجوب الصلاة، أي دخول وقتها، وهو مرتبط أيضاً بعبارة "يصلي الخمس لأوقاتها" (5). بحيث لا يظهر في الترجمة الجانب الإلزامي الذي تحيل إليه العبارة السابقة أو عبارة "إذا وجبت المغرب" (10). فمن مظاهر التزام المسلم بدينه حرصه على أداء الصلوات الخمس المفروضة في وقتها، غير أن العبارة الإنجليزية "he used to pray the five regular times" تُحوّل شكل هذا الالتزام وتقصّره في أداء العدد المطلوب من الصلوات دون ربط ذلك بالوقت. ويؤدي حذف الفعل "وجب" في الترجمة إلى نتيجة مماثلة. فهذين المثالين يسلطان الضوء على صعوبة التعامل مع المحتوى الديني في النصوص الأدبية عند الترجمة، خاصة إذا كان هذا الأخير يخص المبادئ التي يقوم عليها الدين مثل الصلاة.

2.2.1.3.3. نماذج عن ترجمة عبارات مرتبطة بالقرآن والحديث

سنقوم فيما يلي بتحليل مجموعة من الأمثلة المتعلقة بموضوع القرآن والحديث مقسمة إلى ثلاث مجموعات. يشتمل الجدول الموالي على مجموعة أولى من نماذج ترجمة عبارات مرتبطة بالقرآن الكريم.

النص الأصل	الترجمة الإنجليزية
1. اليوم الذي ختم فيه القرآن (الأيام، 22)	The day on which he finished the study of the Quran (<i>The Days</i> , 23)
2. حفظ الستين في الرابعة عشرة (الزلال، 50)	He had already memorized the Qur'an by the time he was fourteen. (<i>The Earthquake</i> , 64)

He uttered the customary phrase, 'I take refuge with God from the accursed Satan' and also 'In the name of God the Beneficent, the Merciful' (<i>The Days</i>, 27) But after that all he could remember of 'The Sura of the Poets' was that it was one of three that began with Ta Sin Mim (<i>The Days</i>, 27) His father prompted him by telling him some of the words which followed (<i>The Days</i>, 27) Now he remembered that this Sura, like that of the Poets, began with Ta Sin Mim. (<i>The Days</i>, 27) Again his father helped him (<i>The Days</i>, 27) Read the Sura of the Stories, then.' He remembered that this was the third that began with Ta Sin Mim and he began to repeat it again. (<i>The Days</i>, 27)	3. واستعاذ بالله من الشيطان الرجيم، وسمى الله الرحمن الرحيم (الأيام، 25) 4. ولكنّه لم يذكر من سورة الشعراء إلا أنّها إحدى سور ثلاث، أولها (طسم) (الأيام، 25) 5. وفتح عليه أبوه بما يلي هذه الكلمة من سورة الشعراء (الأيام، 25) 6. فذكر أنّ أول سورة التّمل كأول سورة الشعراء (طس) (الأيام، 25) 7. وفتح عليه أبوه (الأيام، 25) فقرأ سورة القصص، فذكر أنّها الثالثة، وأخذ يردّد (طسم) (الأيام، 25)

الجدول 11/3: نماذج عن ترجمة عبارات مرتبطة بالقرآن (م1)

إنّ "ختم القرآن" (1) عبارة تعني الانتهاء من حفظ المصحف كاملاً، وقد نستعمل للتعبير عن نفس الفكرة "حفظ الستين" (2)، بحيث يُعبّر عن القرآن بإحدى صفاته وهي احتوائه على ستين حزباً. في ترجمة العبارة الأولى حوّل المترجم فعل الانتهاء من الحفظ إلى الانتهاء من الدراسة، "the study of the Qur'an"، والأمران مختلفان. في العبارة الثانية ارتأى المترجم أن يستعمل لفظ "Qur'an" وليس ما يدل عليه كما جاء في النص الأصلي، كما استعمل الفعل المناسب "memorize". في الحالتين هناك ما تم طمسه في الترجمة. في المثال الأول لم تنجح الترجمة في إظهار مفهوم الختم، وفي الثاني لم تنجح في

التلميح بدل التصريح بإيجاد لفظ مكافئ لـ "الستين". وإن كان من الوارد أنَّ المترجم تجنب إدخال القارئ في متاهات التأويل، وقدم له المعنى الذي يجب أن يتلقاه على طبق الوضوح.

ومن المعروف أنَّ قارئ القرآن يتوجَّب عليه أن "يستعِذ بالله من الشيطان الرجيم وأن يسمي الله الرحمن الرحيم" (3) قبل البدء بالقراءة. لاحظنا في الترجمة تغييراً في ضمير من الغائب إلى المتكلم وإضافة عبارة "he uttered the customary phrase" لمساعدة القارئ على فهم فكرة ترديد الاستعاذة والبسملة قبل البدء بقراءة القرآن وهو ربما ما دفعه للانتقال إلى ضمير المتكلم، لأنَّه القارئ هو من سيقوم بهذا الفعل. ومن هذا المنطلق تكون الترجمة قد سعت لتذليل الصعوبات أمام القارئ بتوجيهه بأكثر من طريقة نحو المعنى المقصود، ونجدها نجحت في مسعاها. فأساليب الإيضاح المستعملة هنا لم تؤثر سلباً على إبراز هذا الملح الديني الخاص.

في الأمثلة التي تمحورت حول "الطواسين" (سور الشعراء، النمل، القصص) (4، 5، 6، 7)، سجلنا عدداً من الملاحظات على الترجمة. ففيما يتعلق بأسماء السور، تمت ترجمتها ترجمة حرفية، كما هو الحال في الكثير من ترجمات معاني القرآن إلى الإنجليزية، فالترجمة في هذه الحالة لم تخرج عن المتعارف عليه أصلاً في هذا المجال. ولم يكن أمام المترجم حل سوى ترجمة "طسم" بـ "Ta Sin Mim" لأنَّه لا إمكانية للإيضاح هنا، ولا يمكن القول أنَّ لهذا أثر على فهم القارئ. فحتى في اللُّغة العربية تعتبر هذه الأحرف المقطعة التي تفتتح بها الكثير من السور (ألم، كهيعص، حم...) سرّاً من أسرار القرآن، حاول البعض تأويلها، لكنَّها تبقى مجرد اجتهادات. كما أنَّ الفكرة الأساسية في الحروف المقطعة هي أنها لا تُشكل كلمة ولكن يُنطق كلَّ حرف على حدة، وهذا ما عبّرت عنه الترجمة. فهنا أيضاً لا نستطيع الزعم بأنَّ الترجمة أثرت سلباً على إمكانية التفاعل الثقافي مع النص طالما عرف القارئ أنَّ في القرآن سورة تُسمى "الشعراء" فاتحتها "طسم". غير أنَّ الأمر تغير مع سورة النمل، والتي هي أيضاً من الطواسين لكنَّ فاتحتها هي "طس" وليس "طسم"، وهو ما لم ينتبه إليه المترجم ربما، إذ أنَّه أبقى في الترجمة على

"طسم". ويؤدي هذا الخطأ، غير المقصود في الغالب، إلى طمس هذا الفرق في الترجمة، وبالتالي فهم بعض خصائص النص القرآني على غير حقيقتها. والملاحظة الأخيرة تتعلق بالاستعمال الخاص لـ "فتح على" في ميدان حفظ القرآن. فأن يفتح الشيخ على القارئ تعني أن يُلقِّنه ما نسي (معجم المعاني الجامع). في الترجمة الأولى "prompted him by telling him some of the words which followed"، نجد أنَّ المعنى تم نقله وإن جاء ذلك في عدد كلمات أكبر بكثير. فأسلوب الإيضاح هنا لم يضُر بالنص الأصلي إلا من حيث فكرة الإيجاز ربما. لكننا نجد الترجمة الثانية لنفس الفعل "helped him" أقلَّ نجاعة لأنها وإن عبّرت عن الفكرة بشكل عام فهي لا تبرز شكل المساعدة، عكس الترجمة الأولى.

يشتمل الجدول الموالي على مجموعة ثانية (م2) من نماذج ترجمة عبارات مرتبطة بالقرآن الكريم.

النص الأصل	الترجمة الإنجليزية
1. ما معنى قول الله تعالى (وَوَلَقْنَاكُمْ أَطْوَارًا) فأجاب هادئًا مطمئنًا خلقكم كالثيران لا تعقلون شيئًا (الأيام، 43)	What is the meaning of the Word of God: "Khalaqna-kum atwaran"- "We have created you in stages"? He replied quietly and confidently, 'We have created you like oxen so that you do not understand anything. (<i>The Days</i> , 51)
2. لا شرح الله لكم صدرا (الزلزال، 37)	May God dampen your spirits! (<i>The Earthquake</i> , 52)
3. عليهم اللعنة في الليل إذا يغشى والنهار إذا تجلّى (الزلزال، 39)	May they all be damned, whether by the dark of night or the light of day (<i>The Earthquake</i> , 54)
4. ألا تبت أيديكم (الزلزال، 42)	May you all be damned (<i>The Earthquake</i> , 57)

الجدول 12/3: نماذج عن ترجمة عبارات مرتبطة بالقرآن (م2)

في المثال حول «وَحَلَقْنَاكُمْ أَطْوَارًا» (1)، وجد المترجم نفسه مضطراً للاقتراض، ونقول مضطراً لأنه في غالب الأحيان يعتمد على ترجمة معاني القرآن المتوفرة فيستعمل النص الإنجليزي وحده، لكنه في هذا المثال كان مجبراً على الاقتراض أولاً ثم الترجمة الحرفية بعد ذلك لأن الفكرة تتمحور حول استعمال لفظ "طور" (بمد الطاء) في العامية المصرية (وتعني ثور) (تيمور، 2002م، 361) والذي يختلف عن معنى الكلمة في اللغة العربية الفصحى (طُور)، وهو ما دفع الشيخ لتفسير الآية تفسيراً شاذاً. كما رأى المترجم ضرورة إضافة هامش يوضح فيه للقارئ هذا الملمح اللغوي وإلا قد يكون استنباط العلاقة بين "الطور" و"الثور" في المثال أمراً صعباً. فوجود الهامش في هذه الحالة ضروري، فهو الذي يجعل التفاعل الثقافي ممكناً، ويكفي تصور الترجمة دون هامش لفهم دوره الحيوي في إبراز جوانب مختلفة من الثقافة الأصلية.

في بعض الأحيان يلجأ الكاتب لاستعمال الإحالات القرآنية، أي استعمال آيات القرآن للتعبير عن حالة بعينها، في الأمثلة (2، 3، 4) هناك إحالات إلى سور الشرح، الليل، والمسد بهذا الترتيب. ولا نتوقع أن يجد قارئ النص العربي أي صعوبة في ربط الأمثلة بالآيات القرآنية التي تحيل إليها. ونحسب أن هذه العلاقة بين النص الأدبي والنص القرآني هي الغائب الكبير في الترجمة. ففي المثال الأول "لا شرح الله لكم صدرًا" اكتفى المترجم بالتعبير عن حالة الغضب العامة واستعان بعبارة اصطلاحية في اللغة الإنجليزية "dampen your spirits" وتعني لثُصبحوا تُعساء، وهذا هو المعنى الذي حمله النص الأصلي. وسمحت الترجمة الحرفية لـ "عليهم اللعنة في الليل إذا يغشى والنهار إذا تجلى" بـ "May they all be damned, whether by the dark of night or the light of day" (The Earthquake, 54) في نقل المعنى. ونفس الأمر مع "ألا تبت أيديكم" وإن اختلف الأسلوب، فهنا أيضاً عبارة "May you all be damned"، تعكس شعور الغيظ دون أن تقيد نفسها بشكل النص الأصلي. فهذه الأمثلة إذاً حققت الجانب البراغماتي من الترجمة وهو النقل الفعال للمعنى حتى لا تكون لدى القارئ أي صعوبة في التلقي.

غير أنّ هذا الخيار قلّل من فرص تفاعل ثقافي يسمح للقارئ بالنقاط ولو شيء بسيط من مثل هذه الإحالات. نلاحظ في هذه الأمثلة كيف تسبب استعمال أساليب الإيضاح المختلفة بطمس كبير للجانب الديني في الترجمة.

يشتمل الجدول الموالي على بعض نماذج ترجمة عبارات مرتبطة بالحديث الشريف،

ويكون متبوعاً بنقاش حول مختلف قرارات الترجمة.

الترجمة الإنجليزية	النص الأصل
Except the cascade of names which he poured forth on his listeners in giving the source and authorities for each tradition. It was always "so-and-so tells us" or "according to so-and-so." (<i>The Days</i> , 118) "When the barefoot, the naked and the sheep herders build palaces and the servant gives birth to her mistress." (<i>The Earthquake</i> , 39)	1. إلا تلك الأسماء التي كانت تساقط على الطلبة يتبع بعضها بعضاً تسبقها كلمة حدثنا وتفصل بينها كلمة عن (الأيام، 82) 2. "أن يتناول الحفاة العراة رعاة الشاة في البنين، وأن تلد الأمة ربتها... (الزلال، 21)

الجدول 13/3: نماذج عن ترجمة عبارات مرتبطة بالحديث الشريف

يتعلق المثالان (1، 2) بعلم الحديث وحديث الرسول(ص) عن قيام الساعة. ففي المثال (1) يمتعض القتي من تحميل الطلبة في الأزهر عبئ حفظ سلسلة أسماء السند إلى جانب متن الحديث. وعبر عنها ب "الأسماء التي يتبع بعضها بعضاً، تسبقها كلمة حدثنا، وتفصل بينها كلمة عن". وهي جملة على إيجازها تحمل وصفاً دقيقاً لشكل الحديث النبوي. ولا بدّ لمثل هذا النوع من المحتوى أن يفرض نوعاً من الصعوبة في الترجمة. وحتى يضمن المترجم أكبر قدر من الوضوح استعمل " the cascade of names in giving the source and authorities for each tradition"، أي أنّه أضاف لسلسلة الأسماء المذكورة في النص الأصلي الوظيفة المنوطة بها، بين رواي الحديث وسنده، والتي جاءت على شيء من التورية

في النص الأصلي. وحتى يبرز أكثر فكرة "حدثنا" و "عن" الواردة في النص الأصلي أضاف المترجم "It was always "so-and-so tells us" or "according to so-and-so". وقد سمحت هذه الترجمة بإبراز فكرة شكل الحديث النبوي ومختلف عناصره. والجدير بالذكر أنّ علم الحديث هو واحد من أصعب العلوم الشرعية، ونحن هنا لا نزعم بأن المترجم كشف كل أسرار هذا العلم لقارئه، ولكنّه في اعتقادنا نجح في شرح أسباب تذمر الفتى وأعطى القارئ نبذة عن هذا الجانب المهم من الدين الإسلامي. وأما عن حديث قيام الساعة (2) فقد انتبه المترجم إلى أنّ الترجمة الحرفية وحدها لن تكون كافية، لأنّ النص مبهم بعض الشيء، فأضاف هامشاً يوضح فيه مناسبة الحديث، وهي إضافة تساعد القارئ على ربط الحديث بسياقه وبالتالي استيعاب مضمونه بشكل أفضل. فالأمثلة التي موضوعها الحديث جاء استعمال أسلوب الإيضاح فيها مفيداً للتفاعل الثقافي والتعرف على بعض الملامح الدينية لثقافة النص الأصلية.

3.2.1.3.3. نماذج عن ترجمة مصطلحات الدعاء والذكر

يحتوي الجدول الموالي على مجموعة نماذج عن ترجمة مصطلحات الدعاء والذكر، ويتبعه

مباشرة تحليل لترجمة هذه النماذج.

النص الأصل	الترجمة الإنجليزية
1. حركات الصوفية في حلقات الذكر (الأيام، 12)	Performances of dervishes at their religious exercises (<i>The Days</i> , 11)
2. ويقرأ ألوانا من الأوراد والأدعية (الأيام، 20)	and recite all manner of collects and prayers (<i>The Days</i> , 20)
3. ولم يكن لسانه يفتر عن ذكر الله (الأيام، 20)	and the mention of God was incessantly on his tongue (<i>The Days</i> , 20)
4. ليقرأ "ورد السحر" (الأيام، 20)	in order to recite the collect for the dawn (<i>The Days</i> , 20)
5. يحبون التصوف وقيمون الإنكار (الأيام، 20)	were very fond of Sufism and used to perform zikr (<i>The Days</i> , 20)
6. وهو يقرأ شيئاً من الأدعية كعادته (الأيام، 23)	

and was reciting some private prayers as was his want (<i>The Days</i> , 24)	

الجدول 14/3: نماذج عن ترجمة مصطلحات الدعاء والذكر

في هذه المجموعة من الأمثلة لاحظنا تنوع الطرق التي تُرجم بها مصطلح "الذكر" (1، 3، 5)،

بين اقتراض وترجمة حرفية وتكييف. و"الذكر" مصطلح ديني يحمل معنى الشاء على الله وتسيبحة

وتمجيده (معجم المعاني الجامع). فترجمة "حلقات الذكر" بـ "religious exercises" فيها انتقال من

الخاص إلى العام يشير إلى وجود نشاط ديني دون التطرق لطبيعة هذا النشاط. فـ "حلقات الذكر" (1)

هي نوع من التعبد الجماعي فيه ترديد لألوان مختلفة من العبارات مثل التسابيح والصلاة على رسول الله

وأسماء الله الحسنى وغيرها (معجم المعاني الجامع). وحتى وإن حمل اللفظ الإنجليزي "exercises" معنى

المناسبة أو الإحتفال الديني (Merriam Webster) فإنه لا يسمح بتلقي صورة واضحة عن هذا الطقس

الديني. وفي الترجمة الحرفية "the mention of God" (3) هناك إخفاء لشكل الذكر، أي أننا نعرف أنّ

هناك ذكرٌ لله دون أن تكون هناك إمكانية لتصوير نوع الخطاب المستعمل. وفي الاقتراض "zikr" (5)

إبراز لملمح ديني، وصحيح أنّ استعمال الاقتراض دون إرفاقه بهامش أو تفسير في متن النص قد لا يفيد

القارئ كثيراً، لكن في هذا المثال تحديداً، ونظراً لأنّ اللفظ قد جاء بعد المثالين السابقين، فمن المحتمل أن

يربط القارئ بين ما قد سبق واللفظ الغريب في هذا المثال وبالتالي يتفاعل بشكل إيجابي مع الثقافة

الأصلية ولو بشكل محدود، لأنّه كما أوضحنا فإنّ الترجمة في المثالين الأولين قد أخفت الكثير.

لقد تطرقنا في أمثلة الصلاة أعلاه إلى إشكالية اشتراك مصطلحي "الصلاة" و "الدعاء" في نفس

اللفظ في الترجمة، "prayer". فالدعاء عند المسلمين يشبه في طبيعته صلاة المسيحيين، من حيث توجه

العابد بالخطاب مباشرة إلى الخالق. أي أن الإسلام يفرق بين المفهومين، بينما هما عين الشيء في

المسيحية. وربما هذا ما دفع المترجم لإضافة الصفة "private" (6) في المثال الأخير، فكأنه يريد لفت

انتباه القارئ إلى أنّه يقصد شكلاً خاصاً من الصلاة/الدعاء. ولم يقتصر الأمر على عدم التمييز بين

الصلاة والدعاء ولكن طال أيضاً مفهوم الورد (2، 4) الذي أصبح في الترجمة أشبه بالدعاء. فالورد استعمل في النص على اعتباره مصطلح ديني، أي أنّ له معنى محدد وهو "التلاوة والأذكار التي يأتي بها الإنسان في أوقات معينة، كالورد اليومي مثلاً" (معجم المعاني الجامع). غير أن المترجم اختار مصطلح مرتبط بالمسيحية أساساً وهو "collect" ويعني "دعاء قصير يُقال أثناء بعض المناسبات الدينية المسيحية" (ترجمتنا، Cambridge). ففي هذه الحالة، لم تكتف الترجمة بقطع الطريق أمام أي إمكانية للتفاعل الثقافي، بطمسها للمفهوم الأصلي للورد، بل إنَّها حملت القارئ على الاعتقاد بأنَّ المسيحيين والمسلمين يشتركان في هذا المفهوم، وهو أمر غير صحيح.

4.2.1.3.3 نماذج عن ترجمة مصطلحات دينية متنوعة

نحاول فيما يلي تحليل بعض أمثلة ترجمة مصطلحات دينية متنوعة مقسمة إلى مجموعتين (م1)

و(م2).

النص الأصل	الترجمة الإنجليزية
1. كان حنفي المذهب.....عالم آخر شافعي.....وكان مالكي المذهب (الأيام، 41-42)	He belonged to the Hanafite sect.....another learnt sheikh who belonged to the Shafi'y rite.....who belonged to the Maliki sect (The Days, 48-50)
2. ولكنه كان شاذلياً من أصحاب الطريق (الأيام، 43)	But he was a Shazly, that is to say a leader of one of the Sufi sects (The Days, 51)
3. أعلن نفسه تابعا للطريقة الشاذلية (الزلال، 50)	declared himself a devotee of the Shadhiliyya order of mystics, (The Earthquake, 64).
4. وتفقهنا في المذاهب الأربعة." (الزلال، 8)	We mastered the precepts of the four schools of Islamic law." (The Earthquake, 27)

He perceived in himself some saintly power (<i>The Days</i> , 50)	5. كان يرى في نفسه شيئاً من الولاية (الأيام، 42)
The Azharites (<i>The Days</i> , 134)	6. المجاورين (الأيام، 96)

الجدول 15/3: نماذج عن ترجمة مصطلحات دينية متنوعة (م1)

إنّ ترجمة المصطلح الديني تكتسي أهمية خاصة، لأنها مرتبطة بمفاهيم يُحدّد الفقهاء والعلماء معانيها وحدودها. ولهذا السبب فإنّ ترجمة هذا النوع من المحتوى في النصوص غير المتخصصة كثيراً ما تعوزه الدقة. فقد لاحظنا مثلاً عدم تمييز المترجم بين مصطلحات "مذهب"، "طريق"، و"طريقة" من جهة، واستعماله لأكثر من لفظ للإحالة إلى مصطلح "مذهب" (1، 2، 3، 4). وفي حين يُعرّف العلماء المذهب على أنّه " أقوال الإمام في المسائل الشرعية الاجتهادية وما جرى مجرى قوله وقواعد الاستنباط التي سار عليها وما خُرج على قوله أو على أصله" (الرويتع، 2013م، 73)، فإنّ الطريقة الصوفية هي " السيرة المختصة بالسالكين إلى الله من قطع المنازل والترقي في المقامات" (الكاشاني، 1992م، 85). ويستعمل أيضاً مصطلح الطريق للتعبير عن نفس الفكرة. وغالباً ما تسمى الطريقة على اسم منشئها على غرار الطريقة الشاذلية في المثال. فالمذهب يختص بالفقه والأحكام الشرعية بينما الطريقة تختص بآداب تركية النفس والتصوف. فالمفهومين إذا مختلفين تماماً. واللفظ الإنجليزي "sect" معناه مجموعة من الأشخاص المنتمين لدين معين، ولكن لديهم أفكارهم وممارساتهم الخاصة التي تميزهم كطائفة (OLD)، وينطبق هذا المعنى على مصطلح الطريقة ولكنّه حتماً غير مناسب لترجمة مصطلح مذهب. وكذلك الحال مع لفظ "rite"، مجموع الأقوال والأفعال المحددة والممارسة في مناسبة دينية ما (Cambridge)، فهو أيضاً لا ينطبق على مفهوم المذهب. وقدّم مترجم رواية الزلزال بديلاً أفضل، " the precepts of the four schools of Islamic law"، بحيث تُبرز الترجمة الجانب الفقهي للمفهوم وارتباطه بالأحكام الشرعية. كما ترجم الطريقة بـ "order" وهي قريبة في معناها من فكرة الطائفة، وكذا الترجمة الإنجليزية الأخرى "sect". يمكن القول أنّ ترجمة المفهومين في رواية "الزلزال" تسمح بتفاعل ثقافي أفضل من ذلك الذي

جاء في ترجمة رواية "الأيام". فحتى النجاح في التعبير عن مفهوم "الطريقة" يعتبر نسبياً، لأنه المترجم لاحقاً قَدَّم ترجمة مضلّة لعبارة "كان شاذلياً من أصحاب الطريق" (2)، بحيث تفيد الترجمة بأنّ الشاذلي هو زعيم أحد الطرق الصوفية، وهو أمر صحيح، لكن "شاذلياً" تعني تابعا للطريقة وليس زعيمها. فمحصلة المعلومات التي يستقيها القارئ من هذه الترجمات تجعل تفاعله مع الثقافة الأصلية قليلاً وفيه من الإبهام الكثير.

وعلى الرغم من أنّ "الولاية" (5) في المثال المدرج أعلاه هي أيضاً مصطلح صوفي خالص. فالولي "هو العارف بالله تعالى حسب ما يمكن، المواظب على الطاعات، المُجتنب للمعاصي، المعرض عن الانهماك في اللذات والشهوات" (السيوطي، 1985م، 8)، إلا أن الترجمة "saintly power" ليست بعيدة عن الفكرة التي يعبر عنها المصطلح الصوفي، مع فرق بسيط هو أنّها في الأصل مصطلح خاص بالمسيحية، ويعني اللقب الذي تمنحه الكنيسة للشخص الذي قضى حياته متعبداً صالحاً (Cambridge). ففي هذه الحالة تكون الترجمة قد نجحت في نقل المعنى مع شيء من الإسقاط على الذات أخفى خصوصية اللفظ العربي. وفي ترجمة "المجاورين" (6) فضل المترجم استعمال "Azharites"، أي أنّه أوضح ما جاء مُضمناً في المصطلح العربي، والذي يعني انتقال الأشخاص من مناطق بعيدة إلى جوار الأزهر قصد طلب العلم. ولأنّ هذه الترجمة اختارت مصطلحاً خاصاً، وليس "students" مثلاً، فإن الطمس طال فقط جانب فكرة المجاورة وحافظ على فكرة ارتباطها بالمكان وهو الأزهر.

يحتوي الجدول الموالي على المجموعة الثانية (م2) من أمثلة المصطلحات الدينية المتنوعة.

النص الأصل	الترجمة الإنجليزية
1. وهو منصب القضاء الشرعي (الأيام، 224)	Appointment as a Shar'i judge (<i>The Days</i> , 314)
2. أو في اللوح المحفوظ من آثام. (الزلال، 104)	on the eternal tablet , of the crimes which were committed. (<i>The Earthquake</i> , 108).

Our glorious ancestors put an end to the Mu'tazilites and the rationalist thinkers so effectively that it seems as though these two groups never existed at all. (<i>The Earthquake</i> , 111)	3. قضى الأولون على المعتزلة وأهل الرأي، فلا كان المعتزلة ولا كان أهل الرأي. (الزلزال، 107)
<i>There is only Hallaj in my jubba.</i> (<i>The Earthquake</i> , 108).	4. ليس في الجبة سوى الحلاج. (الزلزال، 105)

الجدول 16/3: نماذج عن ترجمة مصطلحات دينية متنوعة (م2)

إنَّ ترجمة "القضاء الشرعي" إب "Shar'i judge" (1) تمزج بين الترجمة الحرفية في الكلمة الأولى والاقتراض في الثانية. ولاحظنا في ترجمة الجزء الثالث من الأيام لجوء المترجم إلى الاقتراض في الكثير من الأحيان. وقد يُردّف الاقتراض بتفسير وتوضيح، لكن في معظم الحالات يأتي اللفظ المقترض دون أي إضافة، ولا نعلم ما قد تكون أسباب المترجم لاعتماد هذا الأسلوب، خاصة مع الكلمات التي قد يكون من المناسب أكثر اعتماد الترجمة الحرفية لها والتي تنقل المعنى دون أن تُربك القارئ. ومن المؤكد أنّ المترجم قد تعمّد هذا الأسلوب في الترجمة، ربما لإبراز ما أمكن من الملامح الثقافية للنص الأصلي، دون الاكتراث كثيراً لجانب التلقي. والمجازفة بفهم القارئ للنص تتعارض في الحقيقة مع معايير النشر في الغرب بحيث تعتبر مقروئية النص من أهم أولويات الناشر والمترجم. ومن هذا المنظور قد تكون الترجمة المذكورة أشبه بتغريدة خارج السرب، تُعرف ولا يُقاس عليها.

و "اللوح المحفوظ" (2) أيضاً مصطلح ديني، ويعني "مستودع مشيئات الله (ابن منظور، ج2، 1993، 584)، وفي تفسير ابن كثير "في لوح محفوظ: أي في المأ الأعلى محفوظ من الزيادة والنقص والتحريف والتبديل" (ابن كثير، 1999، ج8، 373). ففي هذه الحالة "eternal tablet"، اللوح الأزلي، قد يُستشف منها معنى ديني، لكنّه بالتأكيد لمن لا يعرف الدين الإسلامي، مجرد فكرة غير واضحة. ولم تساعد ترجمة لفظ "إثم" ب "crime" القارئ على تكوين معنى يقترب من ذلك الموجود في النص العربي. فالإثم يعني الذنب وأن يعمل ما لا يحل له (معجم المعاني الجامع)، أي أيُّ عمل يخالف الشرع، بينما

اللفظ الإنجليزي يحيل إلى العمل الذي يخالف القانون (OLD)، أي أنه لا يحمل البعد الديني الموجود في

اللفظ العربي. ويوجد في اللغة الإنجليزية بديل أحسن هو "sin" والذي يعني مخالفة التعاليم الدينية

(OLD). باختصار، لا تسمح هذه الترجمة بتفاعل القارئ بشكلٍ فعال مع الثقافة الإسلامية، فاستعمال

عبارة قريبة في المعنى من العبارة العربية، لا تكفل بالضرورة فهماً دقيقاً للمصطلح نظراً لبعدها الديني

والذي يتطلب فهمه أكثر من مجرد نقل حرفي دون أي توجيهات.

و"المعتزلة" و "أهل الرأي" (3) من الفرق الدينية التي كان لها دورها المهم في تاريخ الإسلام.

وبينما أرفق المترجم الاقتراض في "Mu'tazilites" بهامش تعريفى لهذه الفرقة يشير فيه إلى أن التفكير

المتحرر لهذه الفرقة خاصة في موضوع الجبر والاختيار كلفها سمعة الفرقة الضالة، وبغض النظر عن

مدى صحة ما جاء في الهامش، فإنه يسمح بفهم نظرة المترجم لهم، فهذه النظرة يعكسها ما فضل

المترجم الحديث عنه وما أثر عدم الخوض فيه، وهو ما تصفه بيكر بالسياق الانتقائي (Baker, 2006,)

(5). ولم يجد المترجم ضرورة لتعريف القارئ ب "أهل الرأي"، والتي ترجمها ب "rationalist thinkers".

وهذه الترجمة لا تشي بأي تفصيل عن هذه الطائفة من العلماء، والذين هم على الغالب علماء الحنفية

الذين استكثروا من القياس وبرعوا فيه (ابن خلدون، 2004م، 185-186). ولعلّ اهتمام المترجم بتسليط

الضوء على الطائفة الأولى دون الثانية يعود إلى الجدل الذي أثير ولا يزال يُثار حولها بينما أنار فقهاء

أهل الرأي درب الدّين للناس دون بلبلة تُذكر. بالنتيجة، تكون الترجمة في هذا المثال عزّفت القارئ على

المعتزلة وفقاً للسردية التي أرادها المترجم ولم تُصرّح لا بالكثير ولا بالقليل عن أهل الرأي. فالتفاعل

الثقافي في هذه الحالة يكون محدود ومُوجّه ومرتبّط بقرارات المترجم وآرائه.

المثال الأخير (4) هو عبارة عن محاكاة لقول الحلاج المعروف "ما في جبّتي غير الله"، وهو

القول الذي كلّفه حياته بعد اتهامه بالكفر وإهدار دمه. وقد أردف المترجم النقل الحرفي بهامش يوضح فيه

للقارئ طبيعة الإحالة الموجودة في النص، والعبارة الأصلية وصاحبها وكيف انتهت حياته. لا يمكن

القول بأن الهامش فيه ما يدل على موقف المترجم من الحلاج، متعاطف أم متحامل. فالمعلومات جاءت في أسلوب بسيط ومباشر، ومع ذلك فإن وجود الهامش في حد ذاته يشير إلى اهتمام المترجم به. وهو اهتمام قد لا يكون بريء تماماً، لأن هذه الحادثة كثيراً ما تُستعمل دليلاً على دموية المسلمين وتعصّبهم. أي أنها أيضاً تندرج ضمن ما نحسبه تركيزاً مقصوداً على المواضيع الجدلية.

لقد أظهر تحليل أساليب إيضاح وتضمنين المحتوى الديني في الترجمة وتأثير ذلك على تفاعل قارئ النص المترجم مع الثقافة الأصلية بأنّ حظوظ تلقي صورة واضحة عن الملامح الدينية الإسلامية محدود لأكثر من سبب. فكثر المصطلحات والإحالات الدينية في نصوص المدونة تجعل من الصعوبة بمكان إرفاقها جميعاً بهوامش وتفسيرات. كما أنّ لجوء المترجم لترجمة ذات المصطلح بأكثر من طريقة (الوضوء) قد يكون عائقاً إضافياً. وفي بعض الأحيان تكون كثرة التفاصيل المتعلقة بأحد المفاهيم (الصلاة) سبباً في عزوف المترجم أحياناً عن التركيز عليها واكتفائه بإيصال المعنى. ولم تستطع الترجمة في الكثير من الأحيان من الإبقاء على الإحالات القرآنية في الترجمة، وهو ما يمكن فهم أسبابه، ولكن يبقى له أثره الواضح والسلبي على موضوع التفاعل الثقافي.

3.1.3.3. التفاعل الثقافي بين إيضاح وتضمنين المحتوى المتعلق بالّلغة وأسلوب النص

نقوم في هذا القسم بتحليل أمثلة من المدونة تسلط الضوء على كيفية تعامل الترجمة مع الملامح اللغوية الخاصة بالّلغة العربية وكذا الطبيعة المميزة لأسلوب المدونة وذلك من خلال مجموعات أمثلة مختلفة تهتم كل واحدة بجانب بعينه.

1.3.1.3.3 نماذج عن ترجمة المحتوى المتعلق بخصوصية اللغة العربية

سنقوم في هذا الجزء من الدراسة التحليلية بالتطرق لخمس مواضيع تتعلق كلّها بجوانب خاصة في اللغة العربية وكيفية ترجمتها وهي اللغة المنطوقة، النحو، البيان، الشعر، والكتب. وسيتم تحليل كلّ مجموعة من الأمثلة مباشرة بعد الجدول الذي يحوي نماذج الترجمة. ويشتمل الجدول الموالي على نماذج عن ترجمة مصطلحات تتعلق باللغة المنطوقة.

الترجمة الإنجليزية	النص الأصل
He taught him ‘Madd’ (Prolongation of the voice on a vowel), ‘Ghann’ (Nasalisation), ‘Ikhfa’ (Lowering the voice), ‘Idgham’ (contraction of two letters into one), and all the things connected with these. (<i>The Days</i> , 68) explaining to them that ‘Our Master’ was no good at ‘Madd’ or ‘Ghann’, and knew neither the difference between ‘Word and letter prolongation’, nor the difference between ‘Heavy prolongation’ and ‘Light prolongation’. (<i>The Days</i> , 68) and the Inspector taught him the proper punctuation. (<i>The Days</i> , 68) And a Qadi of the religious law, pronouncing his ‘qafs’ broadly, and stressing his ‘rays’ (<i>The Days</i> , 44) Ziad asked his pupil to say: “We have been given a pony.” Instead of which he repeated it so: “We have been given a bony.” “Wretch!” said Ziad, annoyed. “If you can’t say pony, say horse instead.” Whereupon the boy replied: “We have been given an	1. علّمه المدّ والغنّ والإخفاء والإدغام وما يتصل بهذا كله (الأيام، 55) 2. وكان يبين لهم أن سيّدنا لا يحسن المدّ ولا يتقن الغنّ، ولا يعرف الفرق بين المدّ الكلّميّ والحرفيّ، ولا بين المدّ المثقل والمخفّف (الأيام، 55) 3. وأخذ المفتش يُعلّمه مواضع الوقف والوصل (الأيام، 55) 4. وهو قاضي الشرع (بقاف ضخمة وراء مفخمة) (الأيام، 38) 5. قصة زياد مع غلامه حين أراد أن يقول له: " أهدي إلينا حمار الوحش" فجعل الحاء هاءً في الكلمتين، وأنكر عليه زياد ذلك فقال له: " ويلك! قل أهدي إلينا عير"، فلما قال الغلام ذلك جعل العين همزة، فارتاع زياد وردّه إلى حمار الوحش (الأيام، 75)

arse.” Ziad, shocked, reverted to the “bony” as the lesser evil (<i>The Days</i>, 110) “Be quiet! or he’ll hit you.” But his dad, when he said: “He’ll hit you” came out more like a za (<i>The Days</i>, 281)	6. اسكت، اسكت، ليضربك! يميل ب الضاد إلى الظاء (الأيام، 199)

الجدول 17/3: نماذج عن ترجمة مصطلحات تتعلق باللغة المنطوقة

إنّ ترجمة المحتوى الذي يسלט الضوء على هذه الخاصية أو تلك في اللغة العربية لابدّ له من أن يخلق صعوبات للمترجم. فاللغتين العربية والإنجليزية مختلفتان في طبيعتهما، وهذا ما يضع المترجم غالباً بين خيارين اثنين، إما الإبقاء على الخاصية المذكورة على حالها في الترجمة ومحاولة إيضاحها ما أمكن بما توفر له من أساليب، أو الاعتماد على خصائص مشابهة في اللغة الإنجليزية واستخدامها. ففي الأمثلة الخاصة بأحكام تلاوة القرآن وجد المترجم نفسه أمام سلسلة من المصطلحات الدقيقة والتي لا بدّ لها من ترجمة تسمح للقارئ بتصور المفهوم. وقد اختار المترجم عند ترجمة مصطلحات "المد والغن والإخفاء والإدغام" (1) الاقتراض والإضافة، فقد أورد تعريفاً مقتضباً لكل مصطلح اعتماداً على ما يعرفه القارئ في اللغة الإنجليزية. فعرف المد على أنّه إطالة زمن نطق الحركة (vowel)، وهو صحيح نسبياً مع فارق بسيط هو أنّ حروف المد في العربية ثلاث (أ، و، ي) واللفظ الإنجليزي يحيل إلى مجموعة أكبر من الحروف. والغن هو صوت يصدر من الخيشوم ويتعلق بالصوتين "م" و "ن" (surahquran.com)، و "nasalization" تعبر عن ظاهرة مماثلة في اللغة الإنجليزية وتخص نفس الأصوات تقريباً. ولكن هنا أيضاً الإسقاط على اللغة الإنجليزية ليس صحيح تماماً، لأن المقصود في النص العربي هو الطريقة التي يجب أن تُقرأ بها الحروف المذكورة عند التلاوة (الميم المشددة مثلاً). والإخفاء هو الحالة بين الإظهار والإدغام (surahquran.com)، وتعريفه على أنّه نوع من خفض الصوت يفتر إلى الدقة. والإدغام في اللغة العربية هو إدخال حرف ساكن بحرف آخر مثله متحرك دون الفصل بينهما بحركة أو وقف (surahquran.com) وهو ما ذهب إليه تقريباً تعريف المترجم دون أن يخوض في

تفصيل نوع الحروف. ولأن المترجم عرّف المد في وقت سابق فقد اكتفى باستعمال المقابل الإنجليزي "prolongation" وحده مع مصطلحات "المد الكلمي"، "المد الحرفي"، "المد المثقل"، و"المد المخفف" (2). والترجمة الحرفية لهذه المصطلحات لم تُضَر في ظاهرها بالمفاهيم الأصلية، لكننا نشك في مدى استفادة القارئ منها. فالمصطلحات العربية تخفي في إيجازها عدداً لا حصر له من القواعد لا يمكن فهمها خارج النص القرآني. يُحسب للمترجم أنه حاول تبسيط المفاهيم للقارئ، لكن لا يمكن بأي حال الحديث هنا عن احتمال ولوجه إلى عالم التلاوة وفهمه لها. والتجويد علم قائم بذاته، وحتى القارئ العربي غير الملم بهذا العلم سيجد صعوبة في فهم هذه المصطلحات. والوقف والوصل في المثال أعلاه (3) هما أيضاً من أحكام التلاوة وترجمتهما بـ "proper punctuation" ينقلهما من ميدان القراءة إلى الكتابة ويخفي في الترجمة فكرتهما الأساسية وهي كيفية الترتيل عند الوقف وعند الوصل، والأمر كلّ خاضع لقواعد يجب معرفتها والالتزام بها.

بقية الأمثلة تخص اللغة العربية عموماً ولاحظنا فيها أيضاً بعض المشاكل على الرغم من أنها أبسط نسبياً من مصطلحات أحكام التجويد. ففي ترجمة "بقاف ضخمة وراء مفخمة" (4) تم الاحتفاظ بالحروف العربية "qafs and rays" ولم يتم اللجوء إلى الحروف الإنجليزية. وبالانتقال إلى طريقة نطق هذه الحروف بحسب المثال استعمل المترجم "broadly" و "stressing". والمصطلح الأول وإن كان لا يخص طريقة نطق الحروف ولكن طريقة في الكلام (accent)، تتميز بالقوة وتلفت الانتباه بسهولة (Cambridge) إلا أنها تشرح كيفية نطق حرف "القاف" وهو حرف مستعلي وفي نطقه شيء من القوة. أمّا بالنسبة للمصطلح الثاني فهو أيضاً ينقل فكرة تفخيم الراء لأنه يعني نطق الحرف بشيء من القوة (Cambridge). سمحت الترجمة في هذه الحالة بتعرف القارئ على حرفين من حروف العربية باستخدام الاقتراض وكذا فهم صفاتهما من خلال الاعتماد على ما يعرفه القارئ أصلاً في لغته الأم. واستعمل المترجم أسلوباً مختلفاً في ترجمة مثال قصة زياد مع غلامه (5)، والتي تعتمد فيها الفكاهة على عدم قدرة

الغلام على نطق الحروف العربية بشكل صحيح. بحيث نقل المترجم الموقف وسوء الفهم فيه تماماً كما في المثال العربي ولكن باستعمال أسماء حيوانات مختلفة وحروف إنجليزية. وبهذه الطريقة يكون المترجم قد وُفق في الحفاظ على حس الدّعابة الموجود في النص الأصلي، ولكن من خلال قصة مختلفة نسبياً عن تلك التي وردت في كتاب الجاحظ، لأن المثال بحسب النص مذكور فيه. فطمس هذا الجانب من الثقافة الأصلية يبدو لا مفرّ منه لضمان تفاعل القارئ مع النكتة الموجودة. وهو حلّ نراه أفضل ربما مما قرر المترجم فعله مع المثال الأخير (6). بحيث نُقلت العبارة إلى ما يكافئها في اللّغة الإنجليزية ومع ذلك أصرّ المترجم على الاحتفاظ بوصف الكاتب للطريقة التي نطق بها الأستاذ الإيطالي العبارة مستعملاً "daa" و "za"، في حين أنّ العبارة الإنجليزية لا تحوي أيّاً منها، "he will hit you". ناهيك على أنّ قارئ النص الإنجليزي نُقل له الصوتين "دال" و"زاي" تقريباً وليس "ضاد" و "ظاء". فهذا القرار الذي يُحمّل في ظاهره على أنه محاولة لتوضيح بعض السمات الخاصة باللّغة العربية جاء في الحقيقة ليزيد من صعوبة الفهم على القارئ الذي يتوجب عليه أولاً تحديد مكان الصوت المقصود في العبارة ومن ثمة تصور الأصوات تصوراً تقريبياً.

يسمح تحليل الأمثلة الواردة في هذه المجموعة بالوقوف على جانب مختلف من الثقافة الأصلية وهو اللّغة العربية المنطوقة، وصفاتها الكثيرة التي تجعل من فكرة نقلها إلى لغة أخرى مهمة شاقة لا يمكن معها تفادي إخفاء بعض ملامحها.

يحتوي الجدول الموالي على مجموعة من نماذج ترجمة المصطلحات المرتبطة بال نحو العربي.

النص الأصل	الترجمة الإنجليزية
1. كلامنا لفظ مفيد كاستقم واسم وفعل ثم حرف الكلم واحده كلمة والقول عم (الأيام، 38)	'Our <i>kalam</i> (speech) is significant utterance such as "go straight" and would consist of noun, verb and particle . The singular of it is <i>kalima</i> and <i>qawl</i> is the least "particular"

By <i>kalimatum</i> whereby speech may be meant.' (<i>The Days</i>, 44) From the chapter on the Genitive or the chapter on the Adjective or the chapter on the broken plural (<i>The Days</i>, 45-46) at one time from the Declinable and Indeclinable, and at another from the Definite and Indefinite, and yet a third time from the Subject and Predicate (<i>The Days</i>, 45-46) Another time, he said to me: "You are our Abu-1- 'A la," deliberately keeping the alif lam on the name Abu-1-'Ala despite the possessive pronoun. He laughed heartily at my objecting to his using the construct case together with the definite article! (<i>The Days</i>, 266)	2. من باب الإضافة، أو من باب النعت، أو من باب جمع التكسير. (الأيام، 38) 3. مرّة من المعرب والمبني، وأخرى من النكرة والمعرفة، وثالثة من المبتدأ والخبر (الأيام، 38) 4. ويقول له مرة أخرى: أنت أبو العلاننا، يتعمد إثبات الألف واللام على رغم الإضافة في اسم أبي العلاء، ثم يضحك ويغرق في الضحك حين يرى تتكرّر الفتى للجمع بين الإضافة وأداة التعريف (الأيام، 47)

الجدول 18/3: نماذج عن ترجمة مصطلحات مرتبطة بالنحو

يتعلق المثال الأول بأقسام الكلام في العربية كما جاءت في ألفية ابن مالك، والتي نظمها كما هو معروف شعراً. والشعر غالباً، العمودي منه خاصة، هو أول ضحايا الترجمة وأكثر ملمح لغوي يتم الاستغناء عنه لصعوبة، أو ربما استحالة الإبقاء عليه من منظور واقعي. وأقسام الكلام في العربية كما هو معروف ثلاثة، وحاول المترجم التفريق بينها وبين أقسام الكلام في اللغة الإنجليزية باستعمال الاقتراض. ففي "our *kalam* (speech)" هناك تنبيه للقارئ أنّ الكلام هنا مختلف عن الكلام الإنجليزي وهو ما سيأتي توضيحه في "اسم وفعل وحرف الكلم"، أي أنّ التقسيم هنا يختلف عما يعرفه في لغته، فالأقسام في العربية أقل. وبالانتقال إلى "الكلمة" و "القول" اكتفى المترجم بالاقتراض، ولكن هذا لم يؤثر كثيراً على تلقي المعنى لوجود "the singular" و "the least particular"، وهي عبارات سمحت للقارئ بالتعرف على بعض أوصاف اللغة العربية في غير مشقة.

المثال الموالي (2، 3) يخص بعض المصطلحات النحوية العربية مثل "المُعرب" والمبني" وغيرها

وفيهما جميعاً استعمل المترجم مصطلحات نحوية إنجليزية مما يوحي بأنَّ اللّغتين تشتركان في هذه الخصائص وهذا ما سنحاول الوقوف عليه فيما يأتي. "الإضافة" في اللّغة العربية هي نسبة لفظ إلى آخر بغية التعريف أو التخصيص كأن تقول "رجلٌ طيبُ المعشر"، ف"طيب" هنا نُسبت إلى "المعشر" للتخصيص. اللفظ الإنجليزي "genitive"، وهو على ما يبدو المصطلح الدارج استعماله في الترجمة، يُستخدم للإحالة لظاهرة مشابهة في الإنجليزية مع فارق في الاستعمال. فالعربية لا تحتاج لحرف لتحديد علاقة الملكية أو الانتساب بين المضاف والمضاف إليه ولكن هذا ضروري في الإنجليزية "Sara's book". فالمصطلح الإنجليزي إذاً يُحيل لنفس فكرة الظاهرة النحوية العربية، لكن استخدام اللّغة مختلف. ومن المعروف أنّ "النعت" و "adjective" في اللّغتين لهما أيضاً نفس الوظيفة النحوية. بالنسبة ل "جمع التكسير" استعمل المترجم "broken plural"، لاستدعاء فكرة التكسير دون شك، مع أنّه كان من الأبسط اختيار "irregular plural"، خاصة وأنَّ الإنجليزية أيضاً لديها حالات خاصة لا تُجمع فيها الكلمات وفق القاعدة العامة. كما أنّ المصطلحين الإنجليزيين "definite/indefinite" يطابقان في استعمالهما "النكرة والمعرفة" في العربية، طبعاً مع الاختلاف في الطريقة. ونفس الأمر ينطبق على "subject/predicate" المكافئ ل "المبتدأ والخبر". وربما "المُعرب والمبني" ولأنهما مرتبطان بفكرة تغير حركة الكلمة من عدمه، وهو أمر غير موجود في اللّغة الإنجليزية، يجعلان من استخدام مصطلحي "declinable/indeclinable" غير دقيقين مع أنّهما أيضاً معتمدين مقابلين للمصطلحين العربيين. لأنّه في الإنجليزية هناك حالات قليلة لتغير شكل الكلمات كالجمع مثلاً، بينما في العربية كل الكلمات، ما عدا المبنية، تغير حركتها بتغير وظيفتها في الجملة. باختصار، وحتى مع وجود مكافئات للكثير من المصطلحات النحوية العربية في الترجمة، فإنَّ اختلاف اللّغتين واختلاف طريقة فهمهما وتفصيلهما للظواهر النحوية يجعل هذا التطابق نسبياً إلى أبعد الحدود. بالعودة لفكرة التفاعل الثقافي، تسمح ترجمة المصطلحات بهذه الطريقة للقارئ

بتصور خصائص اللغة العربية من خلال ما يعرفه في لغته أصلاً. وهذا صحيح في العموم، ولكن يجب توخي الحذر، عند الخوض في تفاصيل الاستعمال.

في المثال الأخير (4)، وصف المترجم ما جاء في النص الأصلي "keeping the *Alif lam*"، وصحيح أن لفظ "Abu-l-Ala" يحوي "ال"، لكن من غير الواضح إن كان بإمكان القارئ ربطها بالوصف الذي سبقها. كما أنّ استخدام "possessive pronoun" يوحي بوجود تشابه بين اللغتين في استخدام الضمائر، وهذا غير صحيح، فالضمير في المثال جاء متصلاً وأصبح مضافاً إليه، وهو ما يحتم إسقاط "ال" التعريف في "أبو العلاء" لتصبح "أبو علثنا". ولم يحتفظ المترجم بمصطلح "genitive case" للإحالة إلى "الإضافة" واستخدم بدلاً من ذلك "construct case"، وهو قرار مبني على محور المثال حول فكرة تغير شكل الكلمة الناجم عن الإضافة. وفي هذا المثال اعتمد المترجم عدداً من الأساليب لإيضاح المثال العربي على غرار الاقتراض والترجمة الحرفية وغيرها، لكننا نعتقد أنّ قراءة النص الإنجليزي بشكل منفرد لا تسمح بفهم المثال بشكل مناسب، ومن ثمة لا يمكن القول بأن تفاعل القارئ مع هذا المحتوى سيتم بطريقة مثالية. فما يمكن استخلاصه بالنسبة لهذه المجموعة من الأمثلة هو أنّ الاعتماد على المصطلحات الإنجليزية المكافئة منح القارئ فرصة فهم المعنى ولكنه أيضاً منحه الانطباع بوجود تشابه بين اللغتين يفتقد للدقة.

يحتوي الجدول أدناه على نماذج تتعلق بترجمة مصطلحات البيان

النص الأصل	الترجمة الإنجليزية
1. أن العلم بحر لا ساحل له، فلم يأخذ هذا الكلام على أنه تشبيه أو تجوز (الأيام، 80)	knowledge as a boundless ocean, and the child had never taken this expression for a figure of speech or a metaphor (<i>The Days</i> , 115)
2. ولكن في الأدب العربي الذي كان الناس يحبونه في القرن الماضي، فهو كان يتحدث عن الجنس والطباق وحسن	The Arabic which was much favoured last century. He talked about puns and

antitheses, of subtle humour and the skilfull use of <i>double entendre</i>, illustrating them all with snatches of modern poetry..... It is clear that the pun on kira and kara and the double sense of al-mauqif constitute what the Chef de Bureau took as the 'beauty' of the verse, which caused me such amusement. (<i>The Days</i>, 393) He was gaining proficiency in the <i>fankala</i>, the Azharite science of objections (<i>The Days</i>, 193). qanqalah, or citation and counter citation (<i>The Days</i>, 248). With qanqalahs (citations) (<i>The Days</i>, 278). "Wait my son, while I wrap it up for you," (aliffuha for ulhibaha) (<i>The Days</i>, 285) Then he recalled words that were attributed to Musailama the Imposter: O frog, daughter of a frog, croak all you want! You live half in water and hall on soil. But you have no power in the water nor over those who come to drink!" (<i>The Earthquake</i>, 106-107)	الفكاهة وبراعة التورية، ويروي لكل هذا أمثلة من الشعر المتأخر..... وظاهر أن الجنس بين الكرا والكري والتورية بالموقف لموقف الحمر هما مصدر الجمال الذي فتن رئيس الديوان وأضحك الفتى؛ (الأيام، 287-288) 3. وأخذ يحسن "الفنقلة" (الأيام، 143) 4. لا فنقلة فيه (الأيام، 178) 5. الإسراف في الفنقلة (الأيام، 197) 6. "انتظر، انتظر يا بني حتى ألفها لك !...." (الأيام، 202) 7. وحضرته جمل منسوبة إلى مسيلة الكذاب. يا ضفدعة ابنة ضفدعين. نتقي ما تتقين. نصفك في الماء ونصفك في الطين. فلا الماء تكدرين ولا الشارب تمنعين. (الزلزال، 102)

الجدول 19/3: نماذج عن ترجمة مصطلحات مرتبطة بالبيان

تعتبر مصطلحات البيان أيضاً مجالاً شائعاً للمترجم، فهي مرتبطة بشكل كبير باللغة والأسلوب،

ومحاولة إيجاد ظواهر مشابهة في اللغة الهدف ليست دائماً ناجحة. فالتشبيه (1) هو "الدلالة على

مشاركة أمر لآخر في وصف جامع بأداة من أدواته" (الأشقر، 1995م، 125). ولفظ "metaphor" وإن

حمل معنى تشبيه شيء بآخر، لكن حذف أداة التشبيه فيه يجعله أقرب إلى الاستعارة. التجوز أو الإيجاز

(1) في اللغة العربية من أوسع مصطلحات البيان معنى ويتضمن الكثير من الأساليب البيانية ويحيل عموماً لفكرة اختلاف القصد عن معنى ظاهر اللفظ وترجمته بـ "figure of speech" مقبول تماماً لأنّ المصطلح الإنجليزي أيضاً يُستعمل لنفس الغرض (OLD). ويختلف "الجناس" (2) في العربية، وهو التشابه في اللفظ مع الاختلاف في المعنى (المرجع نفسه، 173)، عن المصطلح الإنجليزي "pun" من حيث أنّ الأخير يشمل معاني كثيرة أحدها فقط استعمال الألفاظ التي تُلفظ بنفس الطريقة لخلق تأثير معين (Cuddon, 199, 711). والتورية (2) "أن يطلق لفظ له معنيان قريب وبعيد، ويراد به البعيد منهما" (الأشقر، 1995م، 155)، وهو قريب من معنى "double entendre" التي جاءت في الترجمة. فقد تأرجحت ترجمة المصطلحات البيانية بين اقترابها من الأسلوب المقصود في النص الأصلي وابتعادها عنه.

ومن المثير للاهتمام أنّ المترجم أبقى على الألفاظ العربية "الكري، الكرا، الموقف" (2) كما هي في النص الإنجليزي وحاول مع ذلك شرح الفكرة التي تمحور حولها الحديث. وهذا ربما لأنّه كان قد أرفق اقتراض هذه الألفاظ في فقرة سابقة (The Days, 392) ليس بترجمة حرفية فحسب ولكن بتفسير دقيق لهذه الصور البيانية. وهذا على غير عادته، فقد لاحظنا ميل مترجم الجزء الثالث من الأيام لعدم استخدام الهوامش إلا فيما ندر، وإصراره مع ذلك على المحافظة على ما جاء في النص الأصلي دون إيضاح. وهو عكس ما لاحظناه عند مترجم الجزء الثاني والذي دأب على تهميش وإيضاح الكثير من المعلومات التي قدّر أنّها قد تعيق فهم القارئ.

ورد مصطلح "الفنّلة" (3، 4، 5) في نص "الأيام" ثلاث مرات، مرة في الجزء الثاني ومرتين في الجزء الثالث، وهو ما يفسر التباين الموجود في الترجمة. و"الفنّلة"، وهي اختصار لجملة "فإن قلت قلت" (الصالح، 1977م، 294)، أسلوب تعليمي يعتمد على طرح قضايا ومناقشتها بوضع تساؤلات ومن ثمة الإجابة عليها (جودي، 2019م، 3). وقد اعتمد المترجمان على أسلوبي الاقتراض والإيضاح، فالأول

اقترض المصطلح بشكلٍ صحيح وأردفه بتعريفه على أنه علم أزهرى قائم على الاعتراض. أما الثاني فقد اقترض المصطلح بشكل خاطئ، وأوضح بشيء من الإيجاز أنه القول وضده. وفي التعريفات المرفقة بالترجمات شيء من الصحة، وشيء من التضليل في آن. فالأسلوب أقدم عمراً من الأزهر مثلاً، وعرضه بهذه الطريقة يوحي بأنه اختصاص أزهرى. والاقتراض بشكل خاطئ هو شكل من أشكال إخفاء هذا الملمح الأسلوبى. ومع أن المصطلح في النص الأصلي جاء في سياق تهكمى يوحي بأن هذا الأسلوب لا طائل من ورائه وأنه مجرد مضيعة للوقت، وهو ما أبرزته الترجمة. لكنّه في الحقيقة أسلوب مهم في الدراسات الإسلامية خصوصاً ولا أدل على أهميته من استعمال الزمخشري الغزير له في "الكشاف" (جودي، 2019م). باختصار نجحت الترجمة في تعريف القارئ على لفظ جديد وعلى معناه كما أراده له صاحب النص، لكنّها في الوقت ذاته طمست بعض الأمور، فليس من المؤكد ربط القارئ للترجمة الأولى والثانية على أنّهما تحيلان لذات الأسلوب، كما أنّ جانباً من معنى الأسلوب وتاريخه تمّ التلاعب بهما في الترجمة.

يندرج مثال "انتظر، انتظر يا بني حتى ألفها لك" (6) ضمن ترجمة السخرية والدعابة والمتمثلة هنا في خطأ الأستاذ الأجنبي في استعمال كلمة "ألفها" يريد "أشعلها" وهو ما يدخل الطلبة في هستيريا من الضحك سببها غالباً الإحالة الموجودة في لفظ "ألفها" والتي تشير إلى أنّ السجارة ليست عادية ولكنها سجارة حشيش، والمصطلح شائع في الشارع المصري. إنّ احتمال أن يفهم القارئ النكتة ضئيلة، لكن السياق يسمح له بأن يفهم بأن ما قيل أمر مضحك. غير أنّ المثير للانتباه في الترجمة هو إضافة المترجم لتفسير للفكرة مستعملاً الفعلين باللغة العربية، وكأنه يُعوّل على قارئ له بعض الإلمام باللغة العربية، وهو أمر مستبعد. وحتى لو قدرنا أنّ القارئ سيفهم اللفظين العربيين فهذا غير كاف في حد ذاته لأنّ ما دفع الطلبة إلى طوفان الضحك هو المعنى الذي ضَمّن الفعل "لفّ" وهو أمر ثقافى بحت. وقد أشرنا في فقرة سابقة إلى ميل هذا المترجم تحديداً للمبالغة في الاقتراض من النص العربى.

المثال الأخير (7) في هذه المجموعة يتعلق بمحاولة مُسيلمة الكذاب تقليد سورة من القرآن. ومن الملاحظ أنَّ الترجمة آثرت الاحتفاظ بالمعنى ولم تلتفت لإيقاعه، مع أنَّ الفكرة كلّها قائمة على القدرة على نظم نص يشبه النص القرآني، حتى يكون لادعاء النبوة أسباب مقنعة. فطمس الجانب الموسيقي في هذا المثال أخلَّ في نظرنا بنقل الجزء الأهم من المعنى. وقد اهتم المترجم بإضافة هامش يوضح فيه للقارئ أنَّ الشخص المعني عاصر الرسول(ص) وادّعى النبوة. وهذه المعلومات مفيدة للقارئ بشكلٍ عام، لكنّها لا تساعد في فهم النص، لأنّه خال من المعنى أصلاً، وما يجعله لافتاً للانتباه هو تكرار الأصوات التي توهم القارئ بانتمائه إلى شكل راقٍ من البلاغة قبل أن يُدرك بقليل من التركيز أنّها مجرد سخافات. فأحيانا تغليب الترجمة للمعنى على كلّ الجوانب الأخرى لا يكون صحيحاً.

يحتوي الجدول الموالي على نماذج من ترجمة مصطلحات الشعر العربي إلى الإنجليزية.

النص الأصل	الترجمة الإنجليزية
1. حتى يكون أسرعهم إلى رد هذا الشاهد إلى بحر من العروض، لم يكن يختلف قط وإنما كان «البسيط» البحر دائماً، وقد يكون البيت من «الطويل» وقد يكون من «الوافر»، وقد يكون من أي بحر من أبحر الشعر، ولكنه «بسيطاً» دائماً. والغريب أنه لم يكن يكتفي بالإسراع إلى إعلان أن هذا البيت من البسيط، وإنما كان يسرع فيأخذ في تقطيع البيت يرده إلى البسيط، مهما يكن وزنه (الأيام، 109) 2. وهم قرءوا شعر أبي نواس وأصحابه، وقرءوا شعر الغزلين العذريين، فاستحبوا من الغزل ما استحب أولئك الشعراء، وذهبوا فيه مذهبهم المختلفة، حافظ منهم من حافظ فآثر شعر العذريين وغزلهم، وجدّد منهم من جدّد فآثر شعر العباسيين وغزلهم (الأيام، 186)	nobody could be prompter than he in scanning it. His judgment never varied, for however complex the verse might be he always assigned it to the same simple metre, which was the only one he knew. Strangely enough he was not content with this blind haste in identifying the metre, but would rush bald-headed into the scansion of the verse and torture it into submission (<i>The Days</i>, 149). We read also the poetry of Abu Nuwas and his associates and the love lyricists, enamoured of the ghazal form, just as they had been and adopting after them its different styles. Some of us were staunch traditionalists under the spell of the

'<i>Udhariyyun</i> and their ghazals: others were partisans of the 'Abbasid poets and their innovating style (<i>The Days</i>, 260) and began to sing <i>Shi'r al-Burdah</i>, a poem of the Burdah tribe (<i>The Days</i>, 317)	3. وما أخذ يتغنّى في شعر البُرْدَة (الأيام، 229)

الجدول 20/3: نماذج عن ترجمة مصطلحات مرتبطة بالشعر العربي

إنّ هذه الأمثلة موضوعها الشعر بوصفه مفهوماً، وليس الشعر مادةً للترجمة، أي أنّها أيضاً تسلط الضوء على ترجمة المصطلح الشعري. ففي المثال الأول لاحظنا تجنب المترجم ذكر أمثلة عن بحور الشعر المذكورة في النص الأصلي، "الطويل" و"الوافر"، لتقديره أنّ هناك حتماً صعوبة في فهمها لدى قارئ الترجمة واكتفى بالإشارة إلى البحر "البسيط" لأنه موضوع النكتة ولا يمكن تجنب ذكره. والترجمة الحرفية "simple meter"، مع حذف البحرين الآخرين لا تعطي أيّ فكرة واضحة عن أهمية بحور الشعر في القصيدة العربية العمودية. بحيث يتوجّب على الشاعر الالتزام ببحر واحد من بداية القصيدة إلى نهايتها. فهذه الترجمة لا تلفت انتباه القارئ إلى أنّ فكرة الشعر في العربية تختلف عما يعرفه في اللغة الإنجليزية. وزادت ترجمة مصطلحات مثل "البحر"، "التقطيع" بما يقابلها في اللغة الإنجليزية وما هو مألوف لدى قارئ النص الإنجليزي إلى ترسيخ الانطباع بأنّ المقصود هو الشعر كما يعرفه وكما يتصوره. إنّ مثل هذا الإسقاط على الذات فيه الكثير من الطمس لخصوصية النص الشعري العربي وعلم العروض. فسواء تعلق الأمر بأساليب الإيضاح أو التضمنين اللغويين، لم توفق الترجمة في فتح نافذة للقارئ على الأدب العربي وخصوصية القصيدة فيه.

في المثال الثاني نجد أنّ مصطلحي "غزل" و"عذريين" تكررا أكثر من مرة. في البداية أثر المترجم الإشارة إلى "شعر الغزليين العذريين" بطريقة عامة "love lyricists"، وهي ترجمة لا تعكس بأي شكل الخصوصية الموجودة في العبارة العربية. فإذا سلّمنا جدلاً أنّ العبارة الإنجليزية تُعبّر عن فكرة الغزل فإنّها لا توضح أبداً أنّ الأمر يتعلق بنوع خاص من الغزل هو الغزل العذري، أي الغزل العفيف. ولكن

ولأنّ المصطلح تكرر، فكأنني بالمترجم يقوم بتحضير القارئ في مرحلة أولى ومن ثمة تزويده بتفاصيل أكثر فيما بعد. وفعلاً استعمل المترجم في وقت لاحق عبارة "the spell of the *Udharyyun* and their ghazel"، وهو ما يُظهر خصوصية الغزل العذري بشكل أفضل، ولكنّه في الوقت نفسه صعب المهمة على القارئ باقتراضه مصطلح "عذريين" دون إرفاقه بأي شرح. بالمقابل سخر المترجم جهده الإيضاحي في ترجمة "محافظ" إلى "staunch traditionalists"، معطياً الانطباع بوجود نوع من التطرف أو التعصب غير موجود في النص الأصلي. عموماً نقلت الترجمة النص العربي بشكل يفهمه القارئ من جهة ويمكنه من الاطلاع على بعض ملامح الثقافة الأصلية بشكل محدود بسبب غياب الهامش.

والمثال الأخير يعد من المرات القليلة التي قرر فيها مترجم الجزء الثالث من "الأيام" توجيه قارئه لفهم السياق، لكن هذه الإضافة، "a poem of the Burda tribe"، لم تزد الأمر إلا إبهاماً. فقصيدة البردة لكعب ابن زهير هي من أشهر الاعتذاريات في الشعر العربي، وسميت بهذا الاسم لأن سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام خلع عنه بردته وكساها الشاعر ليعطيه الأمان (العسقلاني، 2008م، 282-284). فيما بعد نظم البوصيري قصيدة في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم وأسماءها البردة أيضاً (وهي القصيدة المقصودة في المثال)، ذلك أنه رأى في منامه الرسول الكريم يغطيه ببردته (الكتبي، 1974م، 368).

وألهمت هذه القصيدة أحمد شوقي قروناً بعد ذلك فنظم "تهج البردة" على منوالها. إنّ ربط المترجم للفظ البردة بقبيلة تحمل نفس الاسم يطمس كلياً السياق الأصلي ويحيل إلى معنى غير موجود. فهذا الإيضاح الظاهري لم يزد الاقتراض الذي سبقه إلا لبساً وزود القارئ بمعلومات غير دقيقة وبالتالي صورة مغلوطة عن الثقافة الأصلية.

في الجدول الموالي نماذج عن ترجمة عناوين بعض الكتب العربية، ويتلوه تحليل لهذه الترجمات.

النص الأصل	الترجمة الإنجليزية
1. قرأ الأجرومية والرسالة (الزلال، 50)	he studied the <i>Ajurrumiyya</i> and the <i>Risala</i> (The Earthquake, 64)
2. في "البيان والتبيين" (الأيام، 75)	in <i>El-Bayan iual-Tabyin</i> (The Days, 110)
3. وأقرأه المقتش "تحفة الأطفال" (الأيام، 55)	The Inspector read with him a book called Tuhfat-al-Atfal (Children's Precious Gift) (The Days, 68)
4. وحفظ الألفية والجوهرة والخريدة (الأيام، 37)	and had learnt the <i>Alfiyya</i> by heart and <i>Al-Jawhara</i> and <i>Al-Kharida</i> (The Days, 43)
5. وما هي إلا أن غرق في "نفح الطيب" وما إليه من كتب الأدب العربي الأندلسي (الأيام، 226)	Immersing myself in <i>Nafh al-Tayyib</i> and other works in Arabic literature in Andalusia (The Days, 317)

الجدول 21/3: نماذج عن ترجمة عناوين الكتب

جاءت عناوين الكتب في المثالين الأولين (1، 2) مرفوقة بهوامش توضح موضوعها ومؤلفها، وهو ما يساعد القارئ في التعرف على هذه الكتب ولو بشكل بسيط. في المثال (3) استعمل المترجم أسلوب الإيضاح في متن النص مباشرة. بحيث أضاف قبل عنوان الكتاب "Tuhfat-al-atfal" عبارة "a book called"، لتنبه القارئ إلى أن الاقتراض الموالي يخص كتاب. كما أضاف بعد العنوان ترجمة له إلى الإنجليزية، "Children's Precious Gift". وبهذه الطريقة يكون المترجم قد قام بإجراءات مختلفة لضمان تلقي النص. ومع ذلك فربما تكون هذه الإجراءات غير كافية، ف"تحفة الأطفال" هو نص شعري خاص بتحفيظ أحكام تجويد القرآن للأطفال، وهو نص معروف نسبياً، خاصة عند المتخصصين. فالتلقي في النص الإنجليزي، ونظراً لاختلاف المخزون الثقافي، يحيل إلى جزء من المعنى فحسب. وفي "الألفية"، و"الجوهرة"، و"الخريدة"، و"نفح الطيب" (4، 5) تم الاعتماد على الاقتراض، دون أي هامش أو تفسير. وقد لاحظنا في ترجمة الجزء الثالث من الأيام أن عناوين الكتب كثيراً ما تبقى على شكلها

الأصلي في الترجمة دون الشعور بالحاجة إلى إرفاقها بهامش. يتعامل المترجم مع قارئه تماماً كما تعامل الكاتب مع قارئ النص الأصلي، مع اختلاف بسيط هو أن القارئ العربي قد لا يحتاج الإرشاد غالباً. وحتى الإحالات التي قد يصعب فهمها لم تحتل لا الكاتب ولا المترجم على الإيضاح. إنَّ نهج مترجم هذا الجزء يختلف جذرياً عن نهج مترجم الجزء الثاني والذي لم يترك اسماً ولا عنواناً إلا وقدّم عنه معلومات لقارئ النص الإنجليزي. وهو ما يُحيلنا إلى فكرة أن شخص المترجم ورؤيته وأسلوبه قد تكون المتغير الأبرز في معادلة الإيضاح والتضمنين التي يسعى البحث لكشف خباياها.

أكد تحليل بعض النماذج عن المحتوى المتعلق بخصوصية اللغة العربية عن إخفاق أساليب الإيضاح اللغوي في الكثير من الأحيان في إبراز بعض من ملامح اللغة، لكن في قليل من الأحيان لم يتعارض هدف المترجم بتحقيق التواصل مع القارئ باستخدام أساليب الإيضاح مع إبراز سياق النص الأصلي. يتسبب غياب الهوامش في بعض الحالات في جعل التفاعل الثقافي أمراً صعباً حتى مع استخدام الاقتراض. وأحياناً يكون محتوى الهوامش هو ما قد يدفع بالفهم باتجاه معين، وهو ما قد يعيق نوع التواصل الثقافي الذي يسمح للقارئ بالحكم على الأشياء دون عوامل تأثير خارجية.

2.3.1.3.3 نماذج عن ترجمة المحتوى المتعلق بأسلوب النص

يتأثر أسلوب النص في الترجمة بأكثر من طريقة، وفي المدونة التي بين أيدينا تم رصد إخفاء لأسلوب النص العربي على مستوى التقنيات السردية، وكذا على مستوى التلون اللغوي وإظهار اللهجات المتعددة في النص، وأيضاً فيما يتعلق بالعبارات الاصطلاحية.

يتضمن الجدول أدناه بعض نماذج الترجمة المتعلقة بالتقنيات السردية

النص الأصل	الترجمة الإنجليزية
1. ومنذ ذلك الوقت أيضاً سلك الفتى في حياته طريقاً لم يكن يقدّر أن سيتّاح له سلوكها، فاتصل بالجريدة ومديرها الأستاذ لطفي السيد، وقويت الصلة بينهما حتى كان يلقاه مرّات كلّ أسبوع (الأيام، 180) 2. وهو يكتب إلى رئيس الجامعة هذا الكتاب: صاحب العطفة رئيس الجامعة المصرية كانت هذه الحرب الحاضرة مؤخّراً لي عن السفر إلى باريس والالتحاق بطلبة إرسالية الجامعة، كما قرّر مجلس الإدارة، وإذ كنت خريج الجامعة، وقد استفدت منها وتخصّصت لها، وأنا مضطّرّ إلى أن أبقى بمصر ريثما تنتهي هذه الحرب، فقد أردت أن أمضي هذه السنة في تدريس تاريخ الآداب العربية في الجامعة بغير أجر وأعتقد أنني قادر بمعونة الله وقديم فضل الجامعة عليّ أن أفيد الطلاب ونفسي بهذا الدرس فائدةً حسنة، وأبعث في الآداب وتاريخها شيئاً من الحياة غير قليل، فإذا راق هذا الاقتراح لمجلس الإدارة، فأنا أرجو أن يتفضل فيقرّرني «كذا» مدرّساً لهذه المادة في الجامعة ريثما تنتهي الحرب، وله الشكر والجميل (الأيام، 225)	It was at that time that my life took a direction I would never have guessed myself open to follow. I established a link with the <i>Jaridah</i> newspaper, whose director was Lûtfi al-Sayyid. Our association developed to the point where I was seeing him several times a week (<i>The Days</i>, 252) So I wrote to the President of the University, proposing in the circumstances that I teach for a year the history of Arabic literature, without salary, and expressing the conviction that I could greatly benefit the students, as well as myself, in this way and give a fillip to the study of literary history (<i>The Days</i>, 316)

الجدول 22/3: نماذج عن ترجمة التقنيات السردية

كما سبق الإشارة إليه في أكثر من مناسبة، أثر قرار مترجم الجزء الثالث من الأيام بتغيير أسلوب

رواية النص من ضمير الغائب إلى ضمير المتكلم بشكل كبير على طريقة تلقي النص. فقد حوّل هذا

القرار الراوي من شخص غير موثوق تماماً لأنّه لا يعيش الأحداث ولكن ينقل ما يحدث للفتى خاصة

ولبقية الشخصيات عموماً إلى شخص يمكن تصديقه لأنه يروي تجربته الخاصة. كما نتج عن هذا القرار تغيير في طبيعة النص، من شكل خاص من السيرة الذاتية يجعلها أقرب إلى الرواية، إلى سيرة ذاتية عادية يسرد فيها المعني بعض الأحداث التي يراها مهمة في حياته. يُظهر المثال (1) هذه الفكرة، بحيث أنّ نبرة النص الأصلي التي ميّزته وكانت أحد أسباب شعبيته اختفت في الترجمة وحلّ محلّها خطاب مختلف. وحتى وإن كانت الترجمة تعبّر عمّا جاء في النص الأصلي، أي أنّه لا توجد مشكلة في نقل المعنى، فإنّ هذا التغيير يعطي الانطباع بأنّ النصين مختلفين. والدافع وراء قرار المترجم هذا كما جاء على لسانه في المقدمة يأتي بهدف جعل النص أكثر مواءمة للغة الإنجليزية، أي جعله أسهل معالجة ووضوحاً للقارئ، أي أنّ هناك ضمناً تعارض بين أسلوب المترجم وبين إبراز التقنيات السردية للنص الأصلي.

في المثال (2)، نجد أنّ المترجم قد عمل على تغيير جانب سردي آخر في النص وهو الرسائل. بحيث يحتوي نص "الأيام" في جزئه الأخير على مجموعة من الرسائل بين الفتى والجامعة. وتعتبر الرسائل الموضع الوحيد في النص الذي ينتقل فيه السرد من ضمير الغائب إلى ضمير المتكلم. في أكثر من موضع أثر المترجم الحديث عن محتوى الرسائل دون إدراجها بالنص، أي على شكلها الخاص كرسالة، كما هو الحال في النسخة الأصلية. الاستثناء الوحيد هو أول رسالة والتي بقيت على شكل رسالة في الترجمة. ولقرار المترجم هذا تبعات واضحة على تلقي النص الإنجليزي، فالقارئ سيفهم أنّ هناك مراسلات تمت بين الفتى والجامعة، لكنّه لن يحظى بقراءتها نصّاً. طمس هذا الخيار الترجمي ملمحاً أسلوبياً نحسبه مهماً، ذلك أنّه يسمح للقارئ بسماع صوت الفتى مباشرة وملامسة طبائعه وأفكاره، فيما تحدّ الرواية بضمير الغائب من هذه الميزة. وأدّى هذا القرار الذي سبق بالتخلي عن شكل الرواية في النص الأصلي وتعويضها بضمير المتكلم، إلى طمس مزدوج. فمن جهة لا يمكن ملاحظة الفرق بين

أسلوب رواية النص وأسلوب رواية الرسالة، ومن جهة ثانية تلخيص المحتوى لا يعطي فرصة للقارئ

للاطلاع على تفاصيل كثيرة حول شخصية الفتى وتكوينه النفسي والفكري.

يشتمل الجدول الموالي على بعض النماذج عن ترجمة عبارات فيها تلون لغوي.

النص الأصل	الترجمة الإنجليزية
1. قد يكون ربح، واشترى صالون حلاقة كبيراً. بل لعلّه قفز مع القافزين غداة الاستقلال، واستولى على صالون فخم... (الزلزال، 56)	Maybe he made some money and bought himself a nice barber's shop. Who knows, maybe he hit the jackpot after independence and managed to buy himself a luxurious boutique! (<i>The Earthquake</i> , 69)
2. ضاقت المدينة، يا ربي سيدي ضاقت. (الزلزال، 8)	This city has become much too congested, my good sir! (<i>The Earthquake</i> , 28)
3. أه، يا يمة الحنّانة، تيتّم أطفالى. (الزلزال، 27)	" Ah, my God, help me . My children are orphans. " (<i>The Earthquake</i> , 44)
4. اليوم جمعة، صدقة لله يا مؤمنين (الزلزال، 41)	'Today is Friday. All ye faithful, give alms to the poor! ' (<i>The Earthquake</i> , 56)
5. على وجه ربي يا مؤمنين (الزلزال، 51)	For the sake of God my dear faithful (<i>The Earthquake</i> , 65)
6. يرحم والديك، اسمح لي أن أسألك (الزلزال، 69)	God have mercy on you and yours . Allow me to ask you a question. (<i>The Earthquake</i> , 80)
7. أين رحبة الصوف يرحم الله والديك (الزلزال، 167)	In which direction is wool market square, may God have mercy on you and yours, my good man. (<i>The Earthquake</i> , 164)
8. والله وحق ربي (الزلزال، 171)	As God is my witness (<i>The Earthquake</i> , 167)
9. وما (هاجوج وماجوج) هذا (الزلزال، 52)	What do you mean all hell broke loose? (<i>The Earthquake</i> , 66)
10. وهنّ يغنين الله يا ليل الله (الأيام، 13)	singing as they went "Allah Ya lail Allah" (My God! What a night! My God) (<i>The Days</i> , 12)

Uttering his customary cry 'Ya Sattar' (O Veiler), made his way to the guest room (The Days, 24)	11. وصاح صيحته المعتادة: "يا ستار" واتجه إلى المنطرة (الأيام، 23)

الجدول 23/3: نماذج عن ترجمة عبارات تعكس التلون اللغوي

إنّ وجود أكثر من لغة أو لهجة في النص الروائي هو أمر دارج، ويُستعمل دائماً لربط النص بواقعه وإعطائه نوعاً من المصداقية. ولاحظ برمان أنّ أكثر ما تفشل الترجمة في الإبقاء عليه هو هذه الخاصة الأسلوبية (Berman, 1985). في المثال (1) نلاحظ أنّ الفعل "ربح" يُستعمل في العامية الجزائرية للدلالة على أنّ الشخص أصبح غنياً، وتعني عبارة "قفز مع القافزين" اغتتم الفرصة. والفرصة المقصودة هنا هي الاستيلاء على ممتلكات المعمّرين الفرنسيين الذين أُجبروا على ترك أملاكهم في الجزائر غداة الاستقلال. أوضحت ترجمة "ربح" المعنى المقصود، لكنّها مع ذلك طمست نسيج النص فيما يتعلق بتلونه اللغوي، وإن كان هناك بعض التوافق في المعنى بين اللفظ العامي والفصح في "ربح". فيما اختار المترجم العبارة الاصطلاحية "hit the jackpot"، وتعني الربح السريع وغير المتوقع للمال (OLD)، مكافئاً لعبارة "قفز مع القافزين" وهو ما أدى لنفس النتيجة السابقة، أي الحفاظ على المعنى وطمس الأسلوب. على الرغم من أنّ استعمال العبارة الاصطلاحية في حدّ ذاته، قد يكون بغرض محاكاة أسلوب النص الأصلي. وما زاد من تعقيد المهمة على القارئ هو ترجمة "استولى" بـ "buy" أي "اشتري"، وهو ما يخفي الفكرة الأساسية لهذا المقطع كلية. فبالأساس هذه الفرص التي سنحت لبعض الجزائريين لم تكلفهم أي عناء مادي، فقد كان كافياً أن يكونوا بالمكان المناسب في الوقت المناسب ليحققوا هذا الثراء. ففي هذا المثال نلاحظ أنّ طمس الثقافة الجزائرية موجود على مستويين، الأول أسلوب النص والثاني سياقه التاريخي، وجاء الثاني نتيجة القرارات التي اتخذها المترجم بشأن لغة النص.

باستثناء المثالين الأخيرين، تتمحور بقية أمثلة هذه المجموعة حول عبارات من اللهجة العامية واسعة الانتشار بين مستعملي اللغة. فـ "يا ربي سيدي" (2)، تستعمل غالباً للتعبير عن الضيق أو

الغضب، وهو معنى لا يمكن لغير مستعملي هذه اللهجة فهمه، فلا شيء في ألفاظ العبارة يوحي به. ولا نعتقد أن العبارة الإنجليزية "my good sir"، سيدي الفاضل، قد نجحت في نقل المعنى، ناهيك عن التناقض الموجود بين المعنى الظاهر والمعنى الباطن للعبارة. و"يا يمة الحنانة" (3) عبارة تفيد التوسل وطلب العون، وفي الحقيقة هي مجرد عادة أكثر منها قناعة بأن أي عون سيأتي من الأم أو الأب أو أياً كان الشخص الذي يُتوسل باسمه. وفي هذه الحالة استعملت العبارة للتعبير عن حالة من الحزن العميق أحسّت بها "المغبونة" عندما أدركت دنو أجلها وبقاء أطفالها أيتاماً. فترجمتها بـ "my God help me"، وإن حافظت على حالة الحزن المعبر عنها في النص الأصلي، قد أخفت تماماً هذا الملمح المحلي في التعبير. ومن العبارات التي يستعملها المتسولون في الشارع "صدقة لله يا مؤمنين" (4) و "على وجه ربي يا مؤمنين" (5)، ولا يوجد تناقض بين المعنى الظاهر والباطن في العبارة الأولى، بينما "على وجه" في العبارة الثانية قد يحيل إلى غير المعنى الاصطلاحي، من أجل خاطر أو احتراماً لـ. وبينما نقلت الترجمة صورة عن الحالة عموماً، فإنّها مثل سابقتها لم تُبق على الطابع المحلي لطريقة التعبير. ونفس النتيجة تم التوصل لها بالنسبة لعبارات "يرحم والديك" (7) و "والله وحق ربي" (8). ففي هذه الأمثلة جميعاً لم تتمكن الترجمة من الحفاظ على تلون النسيج النصي العربي.

تعني "هاجوج وماجوج" (9) في العامية حالة الفوضى التي يسببها تواجد عدد كبير من الناس في مكان واحد، ومن الواضح أنها مستمدة من الفصحى "يأجوج ومأجوج". وقد اعتمد المترجم على العبارة الاصطلاحية "all hell broke loose" لاستدعاء نفس الصورة في النص الإنجليزي، وهي عبارة تستعمل في العامية الإنجليزية (OLD). أي أنّ المترجم في هذا المثال حاول تعويض عبارة عامية جزائرية بأخرى إنجليزية، في محاولة للإبقاء على شيء من التنوع الموجود في النص الأصلي. وفي آخر مثالين (10)، (11) لاحظنا أيضاً محاولة لإبراز للطابع المحلي في الترجمة لكن بأسلوب مختلف. فقد اعتمد المترجم على اقتراض العبارات كما هي، ثمّ ألحقها بترجمة حرفية. وفي هذه الحالة يكون القارئ قد أدرك أنّ في

هذا الموضوع أو ذاك استعمال للغة بشكل مختلف. وفي هذا بعض الإظهار للتلون اللغوي الموجود في النص الأصلي.

يجمع الجدول الموالي أمثلة عن ترجمة العبارات الاصطلاحية في المدونة، وهي الأمثلة التي يأتي تحليلها بعد الجدول مباشرة.

النص الأصل	الترجمة الإنجليزية
1. وسمننا في دقيقنا كما يقال (الزلازل، 47)	After all, we're all in this together. (<i>The Earthquake</i> , 61)
2. من لم يشبع من القصعة لا يشبع من لحسها (الزلازل، 135)	If you aren't satisfied by sticking your hand into the pot you won't get satisfied by licking it. (<i>The Earthquake</i> , 136)
3. رأس البومة، وجه النحس (الزلازل، 147)	He's got the head of an owl, a real jinx if ever I saw one. (<i>The Earthquake</i> , 146)
4. كالتبيب لا جار ولا حبيب (الزلازل، 147)	A hermit without family and neighbours. (<i>The Earthquake</i> , 147)
5. حنان الدجاجة بلا رضاعة (الزلازل، 84)	A good workhorse doesn't get sold! (<i>The Earthquake</i> , 93)
6. الشر يعلم السقاطة والعري يعلم الخياطة (الزلازل، 42)	تم حذف العبارة في الترجمة

الجدول 24/3: نماذج عن ترجمة العبارات الاصطلاحية

في هذه المجموعة من الأمثال الشعبية الجزائرية، اعتمد المترجم على أساليب متنوعة. فمرة يحاول نقل المعنى دون الالتفات إلى خصوصية استعمال مثل هذه العبارات في النص (سمننا في دقيقنا)، وهذا الخيار قد يكون بدافع تفضيل المعنى على الأسلوب كما قد يكون ببساطة لعدم قدرته على العثور على عبارة اصطلاحية مناسبة. ومرة يترجم حرفياً المثل (من لم يشبع من القصعة لا يشبع من لحسه، رأس البومة وجه النحس)، وهو خيار يسمح بإعطاء القارئ صورة عن الطريقة التي تعبر بها

الثقافة الأصلية حتى وإن عازه الفهم أو استغرب الطريقة. وفي المثل "كالتبيت لا جار ولا حبيب" (4) حافظ المترجم على نفس شكل المثل الأصلي، لكنّه استبدل لفظ "تبيب"، ويعني طائر الهدد في العامية (خريف، 2003م، 140)، بـ "hermit" لنقل نفس فكرة العزلة والابتعاد عن الناس، ولكن من خلال رجل الدين (OLD) وليس طائر "التبيب"، كما فضّل استعمال "family"، عائلة، بدل حبيب. ونتيجة لذلك جاءت العبارة المترجمة قريبة شكلاً ومضموناً من العبارة الأصلية، ولكن دون إبراز فكرة الطائر الذي يفضل العزلة، ودون الإبقاء على اللفظ العامي. وتعني عبارة "حنان الدجاجة بلا رضاعة" (5)، عدم الاعتماد على شخص ما في المحن لأنّه يطمئن بالقول دون أيّ نية للفعل (العبيدي، 2023م، 313)، وهو ما لا تذهب إليه العبارة المترجمة، والتي تحيل إلى فكرة أنّ الأشخاص الأكفاء لا يتم الاستغناء عنهم بسهولة. فالمعنى، والذي هو السبب عادة وراء استبدال العبارة الأصلية بما يكافئها، لم يتم نقله. ناهيك على أنّ فكرة ترجمة عبارة اصطلاحية من العامية الجزائرية بأخرى من الثقافة الإنجليزية، هي فكرة جدلية لما في ذلك من طمس للطريقة الخاصة التي تعبر بها كل ثقافة عن هذه الحالة أو تلك. وأخيراً قد يحذف المترجم المثل جملة واحدة كما في "الشر يعلم السقاطة والعري يعلم الخياطة"، ربما لصعوبة وجدها في نقله، أو لتقديره أن لا ضرر كبير يقع على المعنى مع الحذف، أو لأي سبب آخر. فيما يبدو يُبقي المترجم على العبارات الاصطلاحية التي يُوفق في إيجاد ترجمة حرفية مناسبة لها من منظوره. وقد يتخلّى عن تلك التي يعتقد أنها ستلبس الفهم على القارئ أو يعوضها بما يقابلها تقريباً في الثقافة الإنجليزية.

سمح تحليل أمثلة عن جوانب متعددة من الثقافة الأصلية كالطعام، واللغة، والدين، بالتأكيد على نسبية فكرتي الإيضاح والتضمين وكيفية عملهما على المستوى الثقافي. فنظراً لارتباط المفاهيم الشديد ببيئتها الأصلية، تؤدي أساليب الإيضاح في كثير من الأحيان إلى تعقيد مهمة القارئ من جهة، وإلى فشل مسعى التفاعل الثقافي من جهة ثانية.

2.3.3. الإيضاح والتضمين وعلاقتهما بالخطاب

نحاول في القسم الثاني من تحليل نص المدونة تسليط الضوء على كيفية عمل آليات الإيضاح والتضمين ضمن خطابات النص المختلفة ومدى قدرة المترجم على الإبقاء على الآراء الأصلية دون تغيير. ولهذا الغرض سيتم تحليل بعض الأمثلة المتعلقة بالسياق السياسي والتاريخي، وأمثلة أخرى تتعلق بالإيديولوجيا.

1.2.3.3. نماذج عن ترجمة المحتوى المتعلق بالسياق التاريخي والسياسي

سنقوم فيما يلي بتحليل ثلاث مجموعات من الأمثلة ترتبط جميعاً بالسياق التاريخي والسياسي لنصوص المدونة. تدور أمثلة المجموعة الأولى حول الأوضاع السياسية في مصر بداية القرن العشرين، بينما تركز أمثلة المجموعة الثانية على الأوضاع الاجتماعية في الجزائر قبل وبعد الاستقلال، وتتناول أمثلة المجموعة الأخيرة السياق الثقافي في مصر. يتضمن الجدول الموالي نماذج عن ترجمة محتوى مرتبط بالأوضاع السياسية في مصر بداية القرن العشرين، ويكون متبوعاً بتحليل الترجمة.

النص الأصل	الترجمة الإنجليزية
1. خرج الأستاذ الإمام من الأزهر في تلك القصة المعروفة، وبعد تلك الخطبة المشهورة التي ألقاها الخديوي على بعض العلماء (الأيام، 152)	the Imam retired from Azhar as the result of a celebrated incident, after the Khedive had delivered his famous speech before some of the learned sheikhs (<i>The Days</i> , 204)
2. وقد روى المصريون جميعاً عن الشيخ بعد ذلك العهد بأعوام طوال بيتاً آخر لم ينسه ظرفائهم بعد، وقد سار فيهم كما تسير الأمثال، وهو: إنا مع الأمراء والوفد والوزراء على وفاق له في القلب تأييد (الأيام، 154)	Many years later another verse of this sheikh's was on the lips of Egyptians everywhere, and has not yet been forgotten by the best of them. In fact it has become proverbial: <i>We are at one with the Princes and the Ministers and the Wafd,</i>

<i>And our hearts are firm in its support. (The Days, 207-208)</i> “Aren’t you studying Mubarrad’s Kamil?” Mubarrad was a Mu’tazelite, and to read him is a sin.” (<i>The Days</i>, 223)	3. ولكنكم تدرسون الكامل للمبرّد، وقد كان المبرّد من المعتزلة، فدرس كتابه إثم (الأيام، 166)

الجدول 25/3: نماذج عن ترجمة المحتوى المتعلق بالسياق السياسي في مصر بداية القرن

العشرين

يسلط المثال الأول الضوء على حادثة استبعاد الإمام محمد عبده من الأزهر على خلفية آرائه

المتحررة بنظر البعض. تتقل الترجمة الخطاب كما جاء في النص الأصلي، مع بعض الإيضاح على

مستوى "العلماء"، "learned sheikhs". لكن المترجم وجد من الضروري إلحاق الترجمة بهامش لشرح

السياق الذي أشار إليه النص الأصلي دون أن يتطرق إليه صراحة، وفيه:

Towards the end of 1904 the Khedive ‘Abbas Hilmy summoned a number of sheikhs to the Palace and proceeded to **denounce the modernist** group in the Azhar, and above all, of course, the Imam himself, whose **Anglophil liberalism** he mistrusted. The movement of reaction thus initiated was only momentarily successful. (*The Days*, 204)

"جمع الخديوي عباس حلمي مع نهاية عام 1904 عدداً من الشيوخ في قصره وقام بالتثديد بمجموعة المجددين

في الأزهر وعلى رأسهم بالطبع الإمام شخصياً، بسبب ميله للتحرر وفق النموذج الإنجليزي، وهو أمر مثير

للريبة. ولم يكتب لهذا التيار المعارض حديث الولادة سوى النجاح المؤقت." (ترجمتنا)

يحتوي الهامش تحديداً زمنياً، أي أنه يحيل القارئ إلى فترة تاريخية بعينها. لينتقل بعدها إلى

الحدث وهو اجتماع الخديوي عباس حلمي بعدد من العلماء في القصر لإدانة مجموعة العلماء المجددين

في الأزهر وعلى رأسهم الإمام والذي كان الخديوي يشك في ميله إلى التحرر الغربي. طبعاً هذا الشرح

صحيح نسبياً، لكن الصراع أعمق بكثير ولا يمكن اختزاله في هذا السبب. لكن على ما يبدو هذا التفسير

هو الأقرب لتفكير المترجم وفهمه وهو لا يخرج عما نلاحظه كثيراً في خطاب الغرب حول غيرهم من

تركيز دائم على فكرة الصراع الذي يكون أحد طرفيه دائماً هو المصيب لتبنيه القيم التي تشبه قيمهم أو

على الأقل ما يدّعون منها، "modernist"، "Anglophil". فالإمام محمد عبده صاحب مشروع فكري

وحاول تقديم حلول حقيقية للنهوض بالأمة دون التخلي عن قيمه الإسلامية (العقاد، 2013م). كما أن

خلاف عبده مع الخديوي بالأساس سياسي، كون الأول لا يثق بقدرة الأتراك على تولي حكم العرب كما رفض السماح ببيع أراضي الأوقاف وهو ما أجد الصراع (المرجع نفسه، ص135). فالهامش الذي يبدو في ظاهره إيضاحاً لما لم يُصرح به النص الأصلي، وبسبب الانتقائية في اختيار التفاصيل الموضحة، قد يكون سبباً في لبس الفهم على القارئ. كما قد تعزز هذه الانتقائية الانطباع الموجود أساساً لدى الغرب حول عداة المسلمين وكرههم لهم، الأمر الذي من شأنه أن يرسخ الصورة النمطية السلبية الموجودة أساساً ويؤجج حالة من النفور والتوجس من الآخر لا ضرورة لها.

في المثال الثاني أيضاً قدّر المترجم أنّ هناك ضرورة لتفسير موقف الشيخ المتناقض في هامش، لأنّ قارئ النص الإنجليزي لن يلتقط الملمح الفكاهي ما لم يفهم أنّ الجانبين اللذين يؤيدهما الشيخ هما خصمان سياسيان. لم يكتف المترجم بتوضيح الجانب السياسي، وهو الصراع بين حزب الوفد ووزراء الخديوي ولكن أيضاً بتوضيح عبارة "سار فيهم كما تسير الأمثال"، وتعني في النص الأصلي أنّ البيت نال من الشعبية والشهرة ما جعله في رتبة الأمثال. غير أنّ المترجم ربط ذلك بموقف الشيخ المتناقض، حتى أنّه بعد ذلك استعمل مثلاً إنجليزياً لتوضيح الصورة:

trying to run with the hare and hunt with the hounds (*The Days*, 207)

ارتأى المترجم في محاولته نقل المعنى كاملاً، بما تضمنه من إشارات إلى السياق السياسي، العمل على مستويين من الإيضاح في الهامش. ومن المؤكد أنّ وجود الهامش هنا قد غيّر تماماً من طريقة تلقي النص وسمح للقارئ بفهم أفضل للسياق السياسي، خاصة وأنّ المعلومات التي تضمّنها هي معلومات عامة لم يحاول المترجم التدخل كثيراً في تأويلها.

في المثال الثالث، وبما أنّ المترجم تعرض للكتاب في وقت سابق، كان التركيز على ماهية فكر

المعتزلة وأبرز وجوهه في الهامش.

In origin this word means "neutral" as between faith and unbelief, and so "sceptic." But the enemies of this **great school of intellectualist theologians** interpreted it as meaning "schismatic" or "seceder." (*The Days*, 223)

"يعني لفظ "المعتزلة" في الأصل "الحياد" كالوقوف بين الإيمان والكفر، وبالتالي "التشكيك". لكن أعداء هذه المدرسة العظيمة من علماء الدين العقلانيين أولوه بمعنى "الانشقاق" و"الانفصال". (ترجمتنا)

ولم يخل هذا المسعى من إقحام لبعض آراء المترجم حول هذه المدرسة الفكرية، التي لم تسلم كغيرها من الجدل، إذ وصفها بأنها مدرسة عظيمة لعلماء دين عقلاء. كما أشار إلى أن لفظ المعتزلة الذي يعني في الأصل الوقوف على الحياد بين موقفين لعدم القدرة أو الشك في أيهما أصح وكذا وجود منزلة بين المنزلتين (بين الكفر والإيمان مثلاً)، كثيراً ما ذهب المشككين إلى تفسيره على أنه مرادف للانشقاق والتمرد وحتى الارتداد. والحقيقة أن تسمية "المعتزلة" بهذا الاسم مرتبطة بحادثة تاريخية مشهورة بعد اعتزال واصل بن عطاء حلقة الحسن البصري، لقوله بالمنزلة بين المنزلتين، بحيث قال الأخير "اعتزلنا واصل"، وأيضاً لاعتزالهم قول الأمة وإجماع الصحابة والتابعين (العبدية وعبد الحليم، 1987م، ص104).

ولعل سبب ميل المترجم للمعتزلة هو تأثرهم بالفلسفة اليونانية (الربيعي، 2001م، ص39) وتقديمهم العقل على النصوص وأحياناً إبطالها على غير عادة علماء المسلمين (المرجع نفسه، ص44). فالمترجم هنا لم يكن محايداً في نوعية المادة التي عرضها على القارئ، والتي تجعله يتعاطف مع المعتزلة، في حين أن للتاريخ ربما رأي مغاير. إن ما يلفت الانتباه في هذا المثال أن كل هذه المعلومات لم ترد في النص الأصلي، كما أن إيرادها بهذا الشكل يزيد من شدة النقد الموجه لشيخ الأزهر لتضييقهم على المحتوى الذي قد لا يوافق آرائهم. أي أن الترجمة عملت بشكل ما على رفع درجة التوتر بين الأطراف المتصارعة مقارنة بما هو عليه الحال في النص الأصلي.

يتضمن الجدول الموالي مجموعة من الأمثلة تتعلق بالحياة الاجتماعية في الجزائر قبل وبعد

الاستقلال ويتبع بتحليل للأمثلة.

النص الأصل	الترجمة الإنجليزية
1. " أين قسنطينة بالباي وبالفقون وبن جلول وبن تشيكو وبن كرايه؟ زلزلت زلزالها. زلزلت زلزالها،	"Where is the Constantine of Belbey and Belfagoune, Ben Jaloul, Bel Tshikho and Ben Krara? There's already an earthquake, it's come and gone, and Ben Finara and

Ben Shair, Ben foul, Ben Tamin and every Ben so- and-so have arisen in its aftermath.” (<i>The Earthquake</i>, 38) At the time of the occupation, people looked either European or Arab, but not now. Today, you can tell the difference between the Shawi Berber from Ain Baida or Ain M'lila, from Banta, Khanshala or Shalghoum al-Id. You can tell who is from Fajj M'zala, Milia or Collo, or from Skikda, Zenah and Azzaba. (<i>The Earthquake</i>, 29) “We studied sacred scriptures and sat at the feet of our learned, pious teachers. We fought on the side of our reformist hero, Ibn Badis. May God shower him with His infinite mercy! We mastered the precepts of the four schools of Islamic law, but we never anticipated this abomination.” (<i>The Earthquake</i>, 27) 'Sure, why not? I'm proud to say that I'm in the reserves. The truth of the matter is that I am a soldier and I did complete my military training. I even participated in some major skirmishes. But since I didn't wear a military uniform and since I maintained contact with civilians from the cities and villages while on military missions, I was only given the title of "reservist" on my military record.' (<i>The Earthquake</i>, 78)	وحل محلها قسنطينة بو فناره وبوالشعير وبوالفول وبوطمين وبو كل الحيوانات والنباتات. " (الزلازل، 20) 2. زمن الاستعمار، كانت الملامح عامة: أوروبية، وعربية. أما الآن، فلا. ملامح الشاوي الصاعد من "عين البيضاء" أو من "عين مليلة"، أو "باتنة"، أو "خنشلة"، أو "شلغوم العيد"، واضحة، ولامح الفرجيوي القادم من "فج مزالة" أو "الميلي"، أو "القلي" بمختلف أنواعه، أو "السكيكدي"، أو الزناتي، والعزابي واضحة أيضا. (الزلازل، 10) 3. "قرأنا العلم الشريف، وجالسنا العلماء، وكافحنا مع الشيخ ابن باديس، تغمده الله برحمته الواسعة، وتفقهنا في المذاهب الأربعة، ولم نعتز على هذا المنكر." (الزلازل، 8) 4. ولم لا؟ أنا بكل فخر مسبل. وفي الحق جندي، قمت بكل ما يقوم به الجنود، حتى الاشتباكات الكبرى ساهمت فيها، غير أن عدم ارتدائي للباس العسكري، وفي الحق، اتصالي المستمر بالمدينين، وقيامي بالمهام داخل القرى والمدن، حكما علي بأن لا أكون إلا مسبلا في شهادة النضال. (الزلازل، 67)

الجدول 26/3: نماذج عن ترجمة المحتوى المتعلق بالحياة الاجتماعية في الجزائر قبل وبعد

الاستقلال

في المثال (1) يقابل النص العربي بين طبقتين من المجتمع، الأولى كانت مرموقة وبارزة اجتماعيا إبان الاحتلال الفرنسي، غالبا لاحتكاك أفرادها بطبقة المعمرين. أما الطبقة الثانية فقد كانت تعاني ويلات الفقر والجهل، ولم يتغير حالها إلا باندلاع ثورة التحرير والاستقلال اللذان بعثا فيها الأمل في المستقبل. ومن الطبيعي أن يكون هناك صدام بينهما لأن الطبقة الأولى، والتي تعتبر نفسها الأحق بالمدينة بعد

الفرنسيين، تنتظر للطبقة الثانية على أنها السبب في حالة الفوضى والاكتظاظ التي عمت بعد حركة الهجرة الكبيرة من الريف. من الواضح أنّ اختيار أسماء العائلات التي تمثل كل طبقة مدروس، فنجد في المجموعة الأولى ألقاب من أصول تركية أو غيرها معروفة وتبدأ كلّها بـ "بن" أو "بل" وكلاهما يعني "ابن"، فيما ابتدأت ألقاب المجموعة الثانية بـ "بو" وتعني "أبو" (زمولي، 2005م). غير أن النص المترجم استعمل "بن" لجميع الألقاب فلم يُمكن القارئ من التفريق بين المجموعتين حتى ولو شكلياً. المشكل الثاني وربما الأهم في هذه الترجمة هو فشلها في توضيح الصراع كما عبّر عنه الطاهر وطار الذي اختار في المجموعة الأولى ألقاب عائلات مرموقة من أصول تركية أو غيرها، فيما حملت ألقاب العائلات في المجموعة الثانية في معظمها معاني المحاصيل الزراعية وختم العبارة بـ "بو كل الحيوانات والنباتات" ليؤكد أن الصراع هو صراع بين أهل المدينة وأهل الريف. كل هذه التفاصيل غائبة تماماً في النص الإنجليزي الذي نظنه زاد من حيرة القارئ، فما معنى أن يحل "بن" محل "بن"؟ لم توفق الترجمة الإنجليزية في نقل هذا الصراع الاجتماعي والذي يُعدّ واحداً من زلازل كثيرة زعزعت استقرار مدينة قسنطينة من وجهة نظر الشيخ بولارواح. يحمل هذا المثال في طيّاته، إضافةً إلى البعد الثقافي، الفكرة الجوهرية للرواية وصراعها الأساسي، وأي قصور في الترجمة سيؤثر ليس فقط على الصورة الناتجة عن الثقافة الأصلية ولكن أيضاً على فهم المتلقي. فالفشل في نقل خطاب النص الأصلي فوّت على القارئ فهم طبيعة هذا الصراع الاجتماعي.

في المثال (2) أيضاً هناك مقارنة بين ملامح الأشخاص في فترة الاستعمار، وتغيّر هذه الملامح بعد الاستقلال. فإبان الاستعمار الفرنسي كانت طبيعة ملامح الأشخاص ترمز إلى حالة السلام والهدوء والتي انتهت بانتهاء هذه الحقبة وبروز ملامح جديدة ومتعددة على المشهد مُنبئةً بدخول عهد الفوضى. ولأنّ الملامح هنا رُبّطت بالمناطق الجغرافية، جاء النص دسماً من حيث الإحالات الثقافية. وحتى يتمكن المترجم من التعامل مع كلّ هذه التفاصيل في النص الإنجليزي أبقاها على حالها ما استطاع، مع قليل من الحذف في "فرجيوي"، وقليل من الإضافة في "Berber". لكن الاحتفاظ بكلّ هذه التفاصيل لا يضمن تلقيها

بالشكل المطلوب، خاصة وأنها في النص الإنجليزي تعتبر مجموعة من المجاهيل لا تحيل إلى أي فكرة واضحة. في هذا المثال بالذات لا يملك المترجم الكثير من الحلول، فهو مضطر للاحتفاظ بأسماء المناطق الكثيرة، وهو المعنى الذي سيتلقاه القارئ دون القدرة على ربط هذا المحتوى بأي صورة واقعية.

من الواضح أن المترجم في المثال (3) أراد أن يسلط الضوء على أن الشاب بولاروح وزملائه الطلاب كانوا يدرسون الشريعة الإسلامية بشكل أساسي. ثم ميز بين حالة التعلم العادية في المدارس والتي سيتخيلها قارئ النص الإنجليزي بمجرد قراءة كلمة "we studied" وتلك التي وصفها بولارواح (التعلم عند الشيوخ في المساجد) بإضافة عبارة "at the feet". كما أضاف "reformist hero" ليعطي القارئ فكرة عن شخصية الشيخ عبد الحميد ابن باديس وأنه مرتبط بحركة الإصلاح. تسمح هذه الإضافات بفهم أفضل للوضع الموصوف والذي اختصت به الدول العربية والإسلامية في الماضي، بحيث كان طلبة العلم يتتلمذون على يد المشايخ، ويركزون على العلوم الشرعية أكثر من غيرها. كثيرا ما يُنقَد لجوء المترجم المبالغ فيه إلى أسلوب الإيضاح لما له من تبعات على الأسلوب والمضمون، لكن فيما يخص هذا المثال جاءت الإضافات لصالح الثقافة الجزائرية التي ظهرت بعض تفاصيلها، وهو ما يعني أن النقل الثقافي في هذه الحالة تم بنجاح. كما أن خطاب النص الأصلي لم يتأثر بشكل سلبي مع كل الإضافات التي تم رصدها.

في المثال الأخير، يصور النص جانباً من تبعات الاستقلال على فئة واسعة من المشتركين في ثورة التحرير وهم المسبّلين، والذين لم يكونوا جنوداً نظاميين في جيش التحرير ولكن كان لهم دور كبير في تزويد الجيش بما يلزمه من معلومات ومؤونة وغيرها. "المسبّل" و"شهادة النضال"، إذًا، هي مصطلحات

خاصة بالثورة الجزائرية وجيش التحرير الوطني. المقابل الإنجليزي "reservist" و"military records"

توحي بأن الأمر يتعلق بجيش في حالة عادية وليس عن شعب ثائر من أجل حريته واستقلاله، وفي هذا طمس لصفحة هي الأهم في تاريخ الجزائر المعاصر. على الرغم من أن الترجمة بالأساس اعتمدت على

أساليب إيضاحية عدّة، إلا أنّ المحصلة النهائية فيما يخص تلقي القارئ للسياق التاريخي السليم تميل نحو الإبهام.

يتضمن الجدول الموالي نماذج عن ترجمات تتعلق بالسياق الثقافي في مصر وهو متبوع بتحليل للترجمة.

الترجمة الإنجليزية	النص الأصل
Al-Manfaluti made them the subject of criticism in his <i>Nazarât</i> under the title: <i>Nazarât al-Nazarât</i>, or "Views of Views." (<i>The Days</i>, 265) it made me feel I had become a reciter with a vengeance—or nearly so! (<i>The Days</i>, 269) These Egyptian professors differed sharply from one another. Some were turbaned and others already favoured the tarboush, while others again were in a state of transition between the two styles (<i>The Days</i>, 282) These were the circumstances. One of the deputies belonging to the Wafd wanted to stir up again the controversy about my book: <i>The Poetry of the Pre-Islamic Period</i> in the Assembly. Saa'd prevented him, saying: "That subject is finished: there's no point in going back to it." (<i>The Days</i>, 384)	1. وكان موضوعها نقد "نظرات" المنفلوطي رحمه الله، وكان عنوانها "نظرات في النظرات" (الأيام، 189) 2. حتى خُيِّلَ للفتى أنّه أصبح حافظاً أو قريباً من حافظ (الأيام، 191) 3. وكان الأساتذة المصريون يختلفون فيما بينهم اختلافاً شديداً، كان منهم المطربشون والمعممون والذين سبقت العمامة إلى رءوسهم ثم انحسرت عنها وجاء مكانها الطربوش (الأيام، 200) 4. كان ذلك حين أراد بعض النواب الوفديين أن يثير قصة الشعر الجاهلي مرة أخرى في المجلس، فردّه سعد عن ذلك قائلاً لقد انتهى هذا الموضوع فلا معنى للعودة إليه (الأيام، 280)

الجدول 27/3: نماذج عن ترجمة المحتوى المتعلق بالسياق الثقافي في مصر بداية القرن

العشرين

يبيد الراوي في المثال (1) أسفه على النقد الحاد الذي وجهه هو لكتاب المنفلوطي "النظرات"

من خلال مؤلفه "نظرات في النظرات". الترجمة تفيد بالعكس، أي أنّ المنفلوطي هو الناقد وليس المنتقد.

يسلط هذا المثال الضوء على ملمح من ملامح السياق التاريخي والفكري في مصر في النصف الأول من

القرن العشرين وهو السجلات الفكرية بين الكتّاب والمفكرين والتي كان طه حسين أحد أبرز وجوهها. من الواضح أنّ هناك خطأ في الترجمة أدى إلى طمس هذا الملمح نوعاً ما، ولم يُسهم اقتراض عناوين المؤلفات ولا حتى الترجمة الحرفية التي تلت في أي نوع من إبراز السياق، خاصة أنّها لم تأت مرفقة بهامش، بل على النقيض من ذلك زادت الأمر تعقيداً على القارئ الذي غالباً ما يكون على معرفة ضئيلة بسياق النص التاريخي. يصف المثال ذكرى يخجل الكاتب من تذكرها لعدم رضاه عن شطط مواقفه في الماضي وإنقاصه من شأن خصومه. فالخطاب هنا هو خطاب رجل ناضج بإمكانه الحكم على أخطاء الماضي بشيء من الحكمة. لكنّ خطأ الترجمة أخفى تماماً هذه الفكرة، كما أخفى فكرة السجلات الفكرية حين ساوى بين الضحية والجلاد.

يتعرض الكاتب في المثال (2) لمرحلة بداية الشباب بحيث كان له بعض التجارب الشعرية، قبل أن يصرف النظر عن هذا الميدان ويركز على الكتابة والنقد. اهتم المترجم بإيضاح فكرة شعور الفتى بأنه أصبح شاعراً مهماً، بيد أنّ الإحالة إلى السياق الأدبي والتاريخي التي أرادها الكاتب تم طمسها تماماً. لا شك أنّ المقصود هنا هو تسليط الضوء على الإحساس بالذات والأهمية، غير أنّ الأهمية لها صورة خاصة ومعينة وهي الشاعر حافظ إبراهيم، الذي يعدّ إلى جانب أحمد شوقي أبرز شعراء تلك الفترة. فأن تكون شاعراً مهماً يعني أن تصل إلى درجة إتقان حافظ، فالأخير في تلك الفترة كان هو المرجع. فتركيز المترجم على المعنى في هذا المثال دفعه إلى تغيير الخطاب الأصلي، ما نتج عنه إخفاء تام للسياق الثقافي الذي تم التعرّض له في النص الأصلي.

يتضمن النص العربي في المثال (3) ثلاثة أنواع من الأساتذة: المعممين في إشارة إلى شيوخ الأزهر والمطربشين وهم الأفندية أو العلمانيين، والصنف الثالث هم أولئك الذين كانوا ينتمون إلى الصنف الأول ثم تخلوا عن قناعاتهم وتبنوا قناعات الصنف الثاني. غير أنّ الترجمة عبّرت عن هذه الفكرة باستعمال تعبير "الحالة الانتقالية بين الصنفين" وهي ترجمة تفيد بهذا المعنى لكنها أيضاً تفيد بعكسه، أي

أنَّ العبارة الإنجليزية "in a state of transition" ليست واضحة بما يكفي ولا تحيل بالضرورة إلى فكرة انتشار التيار العلماني واقتناع الكثير من المعممين به وهو ما انعكس في تركهم العمامة وتبنيهم للطربوش. فهنا الصراع الفكري اتخذ من المظهر وسيلة للتفريق بين مختلف التيارات. كما أنَّ النزوح هو من تيار بعينه (المعممين) إلى التيار المنافس (المطربشين) ولا توجد حالة نزوح عكسي. ففهم هذه الفكرة مرتبط بفهم العلاقة بين المظهر والمدرسة الفكرية من جهة وفهم السياق التاريخي الذي ظهرت فيه الجامعة المصرية، بحيث كانت منافسة للأزهر على جذب الطلاب ومختلفة عنه كل الاختلاف في مناهج التعليم من جهة ثانية. إذا أخذنا كل هذه الأمور بعين الاعتبار يمكن القول بأنَّ الترجمة قد طمست بعض ملامح السياق السياسي وأربكت فهم القارئ.

يتعرض الكاتب في المثال الأخير لموقف يذكره لزعيم حزب الوفد آنذاك سعد زغلول والذي منع أحد نوابه من إعادة فتح موضوع كتابه "في الشعر الجاهلي" والذي كان قد هوجم على خلفية نشره هجوماً عنيفاً. ولم يزد المترجم عما جاء في الخطاب الأصلي إلا حين استعمل لفظ "controversy" للإشارة لـ "قصة". ومن الواضح أنَّ هذا الاختيار جاء بهدف إبراز السياق بشكل أفضل. ولا نعتقد أنَّ هذه الإضافة كانت ضرورية، خاصة وأنَّ القارئ كان قد تلقى في المقدمة الكثير من المعلومات عن هذه القضية بالذات. ففي مثل هذه الحالة، ونظراً للتهيئة المسبقة للقارئ، لم يتأثر الخطاب الأصلي بالترجمة كثيراً.

ومن هذا المنطلق يمكن الزعم بأنَّ التلقي أيضاً وإن خلا من الإيضاح، فإنه سيكون ناجحاً لنفس الأسباب. فعتبات النص إذاً ليست مجرد عناصر تحف النص ولكنَّ لها دوراً في تلقي المعنى وإيضاح السياق، وبالتالي السماح لخطاب النص الأصلي بالتجلي بشكل أفضل في الترجمة، لأنَّ المترجم قد تخلص مسبقاً من بعض أعباء الشرح والتفسير.

2.2.3.3 نماذج عن ترجمة المحتوى المتعلق بالآراء الفكرية والإيديولوجيا

سنقوم في هذا الجزء من الدراسة التحليلية بعرض نماذج ترجمة ترتبط بموضوع الآراء الفكرية

والإيديولوجيا. وقد تمّ جمع الأمثلة في الجدول أدناه.

النص الأصل	الترجمة الإنجليزية
1. فقد كان هؤلاء الشبان يضيقون بكتب الأزهر ضيقاً شديداً، يتأثرون في ذلك برأي أستاذهم «الإمام» في كتب الأزهر ومناهجه، وكانوا يسمعون من الأستاذ الإمام حين يشهدون درسه أو حين يزورونه في داره أسماء كتب قيمة في النحو والبلاغة والتوحيد والأدب أيضاً، وكانت هذه الكتب القيمة بغیضة إلى شيوخ الأزهر؛ لأنهم لم يألفوها، وربما اشتد بغضهم لهذه الكتب لأن الأستاذ الإمام قد دلّ عليها ونوّه بها، وكان الذين ينافسون الأستاذ الإمام من الشيوخ الأعلام يحاولون أن يذهبوا مذهبه فيدلون طلابهم على كتب قيمة أخرى، لا تقرأ في الأزهر؛ لأن الأزهريين لم يألفوا قراءتها (الأيام، 107)	These young men were extremely critical of the books and methods of teaching used at the Azhar. In this they followed the opinions of the Imam, who when they attended his lectures or visited him at his house used to give them the titles of valuable books on grammar, rhetoric, theology, and even literature . These books, despite their importance, were disdained by the sheikhs, because they had never read them ; perhaps too their repugnance was increased by the very fact of the Imam's approval . However, some of the more competent sheikhs were eager to follow in the Imam's footsteps , and recommended important books which were not read at the Azhar, simply because they never had been (<i>The Days</i> , 147). But the boy noticed something else which increased his aversion to the Azhar and his contempt for both sheikhs and students. He found that the men who mourned sincerely for the Imam did not wear turbans , but tarboushes (<i>The Days</i> , 205).
2. ولكن الفتى أحس شيئاً آخر زاد به انحرافاً عن الأزهر وانصرافاً عن شيوخه وطلابه، أحس أن الذين بكوا الشيخ صادقين وحزنوا عليه مخلصين لم يكونوا من أصحاب العمام، وإنما كانوا من أصحاب الطرابيش (الأيام، 135)	My attitude to literature was very old-fashioned . I was punctilious about word forms and proper usages . As I saw it, Al-Manfaluti's crime was to have made mistakes in language, using his words improperly and also inventing expressions not found in <i>Lisân al-'Arab</i> nor in <i>Al-Muhit Dictionary</i> (<i>The Days</i> , 265).
3. وكان الفتى قديم المذهب في الأدب لا ينظر منه إلا إلى اللفظ، ولا يحفل من اللفظ إلا بمكانه من معجمات اللغة، فكان عيب المنفلوطي عنده أنه يُخطئ في اللغة ويضع الألفاظ في غير مواضعها، ويصطنع ألفاظاً لم تثبت في «لسان العرب» ولا في «القاموس المحيط» (الأيام، 189)	and claimed that Egypt was indebted for her awakening to three men she must never forget. The first was the Shaikh al-Imam Muhammad Abduh, who had revived intellectual freedom, the second Mustafa Kamil who had kindled the fire of political
4. فزعم أن مصر مدينة بما أُتيح لها من اليقظة لثلاثة رجال لا ينبغي أن تنساهم. أولهم الأستاذ الإمام الذي أحيا الحرية العقلية والثاني مصطفى كامل الذي أذكى جذوة	

freedom, and the third Qasim Amin, who had renewed our social liberty. Sa'd read this speech of mine and formed a grudge against me because I had not mentioned him among these great names. (<i>The Days</i>, 383) I hated myself those days and, bored with life, went back to studying Abu -l-'Ala in a mood of self-rejection and disgust at life, drowning myself in a dark and total pessimism (<i>The Days</i>, 314).	الحرية السياسية والثالث قاسم أمين الذي أحيا الحرية الاجتماعية. وقرأ سعد هذا الحديث فوجد على الفتى؛ لأنه لم يذكره بين هؤلاء العظماء (الأيام، 280) 5. في تلك الأيام أبغض صاحبنا نفسه، وملّ حياته، وزاده درسه لأبي العلاء بغضاً لنفسه، وتبرّماً بحياته، وإغراقاً في التشاؤم المظلم الذي لا قرار له (الأيام، 224)

الجدول 28/3: نماذج عن ترجمة المحتوى المتعلق بالآراء الفكرية والإيديولوجيا

نلاحظ في المثال (1) تغييرات كثيرة على شكل الخطاب في الترجمة، وهي تغييرات لم تؤثر كثيراً

على الفكرة الأساسية للفقرة والتي تدور حول اختلاف الآراء الموجود بين الإمام محمد عبده وكثير من شيوخ الأزهر. فمثلاً نقل "يضيقون ضيقاً شديداً" إلى الإنجليزية بـ "extremely critical"، وهناك اختلاف بينهما في المعنى. فالأولى تعني نفاد الصبر بسبب وضع معين فيعتري الإنسان شعور بالغم أو الحزن أو الغضب (معجم المعاني الجامع)، بينما الثانية تعني أن تعبّر عن اعتراضك على شيء لما فيه من سلبيات (OLD)، ولكن العبارة الإنجليزية لم تحد كثيراً عن المعنى الأصلي. ونجد أنّ الترجمة تجعل الطلبة غاضبين بسبب الكتب والمناهج، وهو صحيح في العموم، لكن ليس ما يقوله النص. إذ أنّ ضيق الطلبة كان سببه الكتب، وأما الرأي حول الكتب والمناهج فهو للإمام. وترجمت عبارة "والأدب أيضاً" بـ "even literature"، وحتىّ الأدب، وهو ما يجعل التركيز على الأدب ربما أكبر في الترجمة، مع أنّ التركيز مقصود أيضاً في النص العربي، على اعتبار أنّ كتب الأدب كانت مستبعدة من مناهج الأزهر، وحث الطلبة على اقتنائها فيه شيء من الجراءة. كما أنّ عبارة "لم يألفوها" لا تعني بالضرورة "لم يقرؤوها" فمن الوارد أن يقرأ المرء نصاً ثم يلتفت عنه لما فيه من غرابة بالنسبة له. لاحظنا أيضاً حذف لفظ "ينافسون" في الترجمة، وقد أثر ذلك على الخطاب أيضاً، خاصة عندما استعمل المترجم "some of the more competent sheikhs were eager to follow in the Imam's footsteps"، وهو ما ينفي عنهم

صفة الخصومة ويضيف لهم صفة الإعجاب. وفي النص العربي تمرّد الطلبة مرتبط بتبنيهم لآراء الإمام محمد عبده. الكتب غير المألوفة هي الكتب التي لا يتم تدارسها ولكن هذا لا يعني بالضرورة عدم توفرها كما تذهب إليه الترجمة. هذا الخطاب جاء من وجهة نظر الفتى الشاب، ونظراً لصغر سنّه لم يتم توظيف الجانب السياسي والإيديولوجيا بطريقة فجّة. لكنّه عموماً ينقل ظروف صراع الإمام مع الأزهر وانفصاله عنه. لم تحاول الترجمة التحيز ولا إظهار موقف من الصراع وإنّما جاءت تقريباً بنفس حيادية النص الأصلي وربما لنفس الأسباب، وإن غيّرت من شكل الخطاب. فصغر سن الراوي لا يُتيح فرصة للتعبير عن آراء سياسية عميقة ومواقف واضحة، ولكن هناك وصف للتوتر الحاصل مع ميل واضح لموقف الإمام في النص الأصلي يبدو أنّ الترجمة أبرزته بشكل أكبر قليلاً.

في المثال (2) يزداد موقف الفتى السلبي من شيوخ الأزهر حدّة ويبدأ في إظهار إعجابه بأصحاب الطرابيش. وقد لاحظنا أيضاً تغييرات في شكل الخطاب في الترجمة نعتقد أنّها أثرت على تلقي المعنى الأصلي. فال "انحراف" وال "انصراف" في النص الأصلي تعني التخلّي أو الترك أو الابتعاد، واستعمال لفظي "aversion" و "contempt" في الترجمة يعطي لا محالة زخماً أكبر للمشاعر المعبر عنها، ويزيد من حدّة الموقف مقارنة بالنص العربي. وقد تم أيضاً حذف عبارة "بكوا الشيخ صادقين" في النص الإنجليزي، لكنّ المعنى العام لم يتأثر بشكل كبير. ويظهر تدخل المترجم الواضح في طبيعة الخطاب الذي يود لقارئه أن يتلقاه من خلال الهامش الذي وجد أنّه ضروري لتفسير الكناية في "أصحاب الطرابيش"، والتي عرّفها على أنّها طبقة المثقفين العلمانيين، "lay intelligentsia". فهذا الإيضاح أيضاً لا يخلو من الانتقائية لأنه يضع كل أصحاب الطرابيش في سلّة واحدة، لكنّه للإنصاف لا يخرج عمّا تضمنه الخطاب الأصلي الذي جعلهم الطرف النقيض لمؤسسة الأزهر. فالتغييرات التي لاحظناها على الخطاب لا تؤدي لمعنى مختلف في الترجمة، لكنّها حتماً تزيد من حدّته وتُخرجه من دائرة التلميح إلى التصريح.

المثال (3) مأخوذ من الجزء الثالث من كتاب الأيام والذي كُتب في مرحلة متقدمة من عمر

الكاتب عكس الجزأين الأولين، وهو ما يُفسر قدرة صاحبه على النظر إلى الأمور بشيء من الحكمة والهدوء قد لا يتوفرا مع فورة الشباب. فالكاتب، وبالعودة إلى الوراء، يجد أنَّ موقفه من المنفلوطي كان فيه شيء من الغلو والمبالغة. أضاف استعمال المترجم لضمير المتكلم بدل الغائب زخماً لمراجعة النفس هذه وجعلها أكثر تأثيراً، فأن تتحمل مسؤولية مواقفك وتعبّر عنها بلسانك هو أكثر مصداقية من أن تنقل ذلك عن أحدهم. فخطاب الترجمة اختلف عن خطاب النص الأصلي من حيث القوة والمصداقية، غير أنَّه بطبيعة الحال طمس آلية الخطاب ذاتها، لأنه، وكما أسلفنا، قرار رواية النص من منظور الغائب له مبرراته وأثره الخاص على القارئ.

يعدّد الفتى في المثال (4) الأسماء التي يظنُّها وراء النهضة في مصر، ولا يذكر سعد زغلول ضمنها فيغضب الأخير عندما يسمع مقالة الفتى. يأتي هذا المثال في معرض حديث الفتى عن أسباب الجفاء بينه وبين زعيم حزب الوفد. لاحظنا أن الترجمة قدمت مكافئين اثنين للفعل "أحيا" وهما "revived" و"renewed"، لكنَّ هذا لم يؤثر على المعنى العام للخطاب ويجب أن يُقرأ على أنَّه نوع من تجنب التكرار وحسب، فمعلوم أنَّ التكرار في اللغة الإنجليزية قد يؤخذ على أنَّه ركافة في الأسلوب. ولعلَّ ترجمة "وجد على"، وتعني غضب، بـ "took a grudge against me" تأخذ الخلاف بين الرجلين إلى مستوى أعلى وأعمق من الواقع ومما يصوّره النص العربي ليس في هذا المثال فحسب وإنما في مناسبات أخرى عديدة. فهناك برود في العلاقة، لكنّه لم يتطور أبداً ليصبح عداوة أو ما شابه. في هذه الحالة أيضاً، يلعب خطاب الترجمة دوراً في جعل الأمور أكثر سوءاً مما هي عليه في النص الأصلي وبالتالي تصوير الخلاف في ذهن القارئ بشكل أشدّ مما هو عليه في الأصل.

يسلط المثال (5) والأخير الضوء على تأثر الكاتب الشديد بشخصية أبي العلاء المعري وفكره.

ونقطة التأثير التي يتحدث عنها المثال هي التشاؤم والنظرة السوداوية للأمور. فقد كان الكاتب يمر بفترة

عصيبة من حياته جعلت المشاعر السلبية هي الطاغية على تفكيره، وما زاد الطين بلة أنه مع حالته النفسية عاد ليدرس مؤلفات المعري وهو ما عزّز شعور اليأس فيه. ففي النص العربي يُقرن الكاتب تدهور حالته النفسية بعودته لدراسة أبي العلاء. نلاحظ في خطاب الترجمة أنه تم إخفاء العلاقة بين النظرة السوداوية للكاتب ونظرة أبي العلاء المتشائمة، وبالتالي أخفى فكرة التأثير التي تمّ شرحها. في هذه الحالة يكون خطاب الترجمة قد حال بين القارئ وبين الفهم الصحيح لطبيعة الرابط بين الرجلين، وأبعد من ذلك ربما دور المعري المحوري في تشكيل شخصية وفكر الكاتب. فللترجمة إذاً القدرة على إبهام شيء من السياق التاريخي من خلال إجراءات بسيطة على مستوى الخطاب.

تبين لنا من خلال تحليل الأمثلة أعلاه أنّ للترجمة القدرة على التأثير على الخطاب الأصلي للنص بدرجات متفاوتة. فأحياناً تُغيّر الترجمة في بعض تفاصيل الخطاب دون أن يتأثر المعنى العام. وفي أحيان أخرى قد ينتج عن الترجمة خطاب أقل أو أكثر حدّة من الخطاب الأصلي وفي هذا إخفاء. ومن الممكن أيضاً أن تُغيّر الترجمة من معنى الخطاب لدرجة يصبح معها التلقي مختلف، وهو ربما أخطر أنواع تأثير الترجمة على الخطاب لأنّ من شأنه أن يشوّه صورة الثقافة الأصلية.

3.2.3.3 نماذج عن ترجمة المحتوى المتعلق بإبراز للآخر

نحاول من خلال تحليل المجموعة الموالية من الأمثلة الوقوف على مدى نجاح الترجمة في إبراز

الآخر. وقمنا بتقسيم الأمثلة إلى مجموعتين، تتعلق المجموعة الأولى بموضوع التعليم، فيما تحوي

المجموعة الثانية مواضيع مختلفة.

الترجمة الإنجليزية	النص الأصل
I found myself preparing for the Azhar examination leading to the Alim degree . I had received what was called in those days the <i>ta'yin, or syllabus</i> , namely the studies assigned for the candidates (<i>The Days</i> , 255) though his degree, if he secured it, would bring him not only the title of Doctor (<i>The Days</i> , 141)	1. رأى الفتى نفسه يتهيأ للإمتحان في الأزهر لينال درجة العالمية، وقد تلقى الفتى ما كان يسمى حينئذ بالتعيين، وهو الدروس التي يجب أن يعدّها (الأيام، 183)
He had managed to secure a degree— if only a third-class one— and now he was one of the <i>'ulema</i> . (<i>The Days</i> , 145)	2. ليظفر بهذه الدرجة التي تمنحه لقلب العالم (الأيام، 102)
in the exchanges on the thesis refused to grant me <i>magna cum laude</i> standing. (<i>The Days</i> , 286)	3. وظفر بالدرجة الثالثة وأصبح من العلماء (الأيام، 105)
the Ramadan¹ holiday , and the other short breaks which occur from time to time in the university year (<i>The Days</i> , 140).	4. وأبى أن أثناء المداولة أن يمنح الفتى درجة الامتياز (الأيام، 202)
	5. وإجازة الصوم وهذه الإجازات القصار التي كانت تتخلل دراسة الأزهريين أحياناً (الأيام، 101).

الجدول 29/3: نماذج عن ترجمة المحتوى المتعلق بإبراز الآخر موضوعها التعليم

تسلط الأمثلة الضوء على فكرة تأثير اختيارات المترجم على مدى ظهور "الآخر" في النص

المترجم، وكلّها موضوعها الدراسة والتخرج. نلاحظ أنّ المترجم استبدل مصطلح "العالمية" (1) باقتراض

"عالم"، دون أي تفسير أو هامش، وهذا لم يؤثر على المعنى لأنّ الحاصل على درجة العالمية يُمنح لقب

عالم. فهذه الترجمة سمحت بإبراز الآخر من حيث أنّها نبّهت القارئ إلى اختلاف الحالة التعليمية

الموصوفة عن تلك التي يعرفها وتعود عليها وكذا اختلاف اسم الدرجة العلمية. وهذا لم يكن الحال في

المثال (2)، بحيث اختار المترجم مصطلح "دكتور" للتعبير عن الدرجة العلمية المحصل عليها، ويبدو أنّ

المترجم فضّل التواصل مع القارئ على أيّ إبراز للآخر في الترجمة. يجعل هذا الخيار الترجمي القارئ مقتنع بوجود تشابه بينه وبين الثقافة الأصلية من حيث الألقاب العلمية وهذا أمر غير صحيح ضمن السياق التاريخي للنص، فهذه الألقاب ظهرت في مرحلة لاحقة، أي بعد تأسيس الجامعة المصرية، وعودة البعثات العلمية من الخارج. فهذا الخيار فيه تجاهل لاختلاف الآخر. ويجب النظر إلى هذين الخيارين من منظور أسلوب المترجم أيضاً (Saldanha, 2008). فالمثال الأول مأخوذ من الجزء الثالث من كتاب الأيام والذي يميل صاحبه إلى إبراز الثقافة الأصلية، بينما المثال الثاني مأخوذ من الجزء الثاني من نفس الكتاب لمترجم يُفضّل تفسير كلّ شيء لقارئه.

ونلاحظ فيما يتعلق بمصطلح "تعيين" (1)، والذي تمّ اقتراضه هو الآخر في الترجمة، أنّه قد أضيف له في متن النص "or syllabus" لتوضيحه، مع أنّ هذا لم يكن ربما ضرورياً لأن النص قدّم التفسير في الجملة التي تلي مباشرة. ولكنّ هذا لم يمنع الترجمة من النجاح في إظهار وجه آخر من أوجه اختلاف "الآخر". وتنطبق هذه الملاحظة على ترجمة "العلماء" بـ "ulema" (3)، وهو في المثال لقب أكثر منه صفة، على الرغم من أنّ اللفظ في حدّ ذاته قد يُحمل على معناه العام "scholar" ويكون صحيحاً نسبياً. لكنّ المترجم في المثال (4) أثر أن يعبّر عن درجة "الامتياز" على طريقة ثقافته هو فاستعمل العبارة اللاتينية "magna cum laude standing"، وتعني ثاني أعلى درجات التقدير

(Cambridge) بعد "summa cum laude" وقبل "cum laude" (Merriam Webster). ولو أنّه استعمل "with great distinction" والتي تحمل نفس المعنى (Merriam Webster) لما جاز إبداء هذه الملاحظة. لأنّ الفكرة تتعلق بطريقة التعبير، فاستعمال اللغة الإنجليزية يجعل العبارة عامة ويمكن أن تنطبق على أيّ حالة. لكنّ استعمال العبارة اللاتينية يعطي العبارة خصوصية الذات وينفي عنها اختلاف الآخر، وقد يدفع حتى القارئ للاعتقاد أنّ الدرجات العلمية تُقارب بنفس الطريقة في الأزهر، وهذا طبعاً أمر عارٍ عن الصحة.

في المثال (5) استعمل المترجم "Ramadhan holiday" لنقل عبارة "إجازة الصوم"، وأرفقها بهامش

جاء فيه:

"The month of fasting, during which Moslems neither eat nor drink nor smoke between sunrise and sunset. It comes ten days or so earlier each year than the last, reckoning by the Gregorian calendar, and is followed by the festival of the Lesser Bairam." (*The Days*, 140)

"شهر الصوم هو الشهر الذي لا يأكل فيه المسلمون ولا يشربون ولا يدخنون من شروق الشمس وحتى غروبها. يأتي كل عام متقدماً عشرة أيام عن العام الذي سبقه حسب التقويم الميلادي. ويكون متبوعاً باحتفال العيد الصغير." (ترجمتنا)

وما يلفت الانتباه في هذا الهامش هو طبيعة المعلومات التي ارتأى المترجم أن يقدمها للقارئ للتعريف

بهذا الشهر الكريم. بحيث ركز على فكرة الامتناع عن الأكل والشرب من شروق الشمس حتى غروبها

وأضاف لسبب ما التدخين لقائمة الممنوعات. ثم شرح للقارئ كيف يتقدم موعد الشهر كل عام عن العام

الذي سبقه بنحو عشرة أيام وفق التقويم الميلادي. ويكون هذا الشهر متبوعاً بعيد الفطر والذي استعمل

اللفظ التركي "Bairam" للتعبير عنه. من المؤكد هنا أن السياق انتقائي لأبعد الحدود ولم يحاول بأي

شكل تعريف الصوم للقارئ كونه مفهوماً روحياً ومعنى أبعد بكثير من فكرة الامتناع عن الطعام والشراب.

وهو امتناع لا وزن له مالم يلتزم المسلم بسلوك معين وبضبط للنفس طيلة الشهر. كما أن تعريف القارئ

بموعد قدومه ليس أولوية أبداً، ولم يزد اللفظ التركي الأمر إلا تعقيداً، فالقارئ قد يعتقد أن اللفظ مستعمل

في الثقافة الأصلية وهذا غير صحيح. فالطريقة التي حاول المترجم بها إبراز الآخر لم تسمح بتصوير

المفهوم في عمقه الديني ولم تتح للقارئ سوى تفسير سطحي. ونقل المترجم "دراسة الأزهرين" ب

"university year"، وهي ترجمة تصر على تجاهل السياق الأصلي الذي لم تكن الجامعة بمفهومها

المعاصر قد ظهرت فيه بعد.

يشتمل الجدول الموالي نماذج متنوعة ترتبط بمدى إبراز الآخر في الترجمة.

الترجمة الإنجليزية	النص الأصل
He came on the heels of a Jew or ; European who once owned the place (<i>The Earthquake</i>, 80) Now, if the elite of this country, both the wealthy and the clerics, stand united, on guard against the designs of these freethinkers, and keep them from achieving their goals, then this nation will be saved and our religion will remain intact. (<i>The Earthquake</i>, 84) When they had each taken their share of this tart aperitif, they started eating. (<i>The Days</i>, 121) In front of European passengers I could not take food in my fingers and eat in the Egyptian fashion with one or both hands (<i>The Days</i>, 319) First the West pounced on us militarily and then they dazzled us with their science and technology. The rock is eroding. We've been watching it for centuries in utter fear and amazement. When the West came, they tore apart our caves and tunnels and: patched them over with bridges. They displayed their mastery of cement with the bridges at Qantara Gate, Sidi M'sid and Sidi Rashid. Then, as if that wasn't enough to show off their skill, they twisted ropes of steel and built with iron and suspended their bridge in mid-air. All you people who live on this grand cliff, who never cease to fear it and marvel at its wonders, see how we have conquered it! So trample on it as you may, with your feet or on your horses and carriages. Because, one way or the other, the West will come back and do more destruction to it than they've ever done before. (<i>The Earthquake</i>, 140)	1. إثر خروج الإسرائيليين والأوروبي من الحانوت (الزلازل، 69) 2. إذا ما توحّد أشراف هذه الأمة من الأغنياء والعلماء، ووقفوا وقفة رجل واحد ضد مشروع هؤلاء الزنادقة، وأحبطوه، فستُنقذ هذه الأمة ويسلم دينها (الزلازل، 73) 3. حتى إذا أخذوا حظهم من هذا الماء المالح الحارّ الذي كان يُحرّش المعدة فيما يقولون مخلصين، أقبلوا على طعامهم (الأيام، 84) 4. ولا يستطيع أن يأكل أمام المسافرين من الأوروبيين بيديه كليهما أو إحدهما كما كان يصنع في مصر (الأيام، 228) 5. الغرب عندما سحقنا عسكرياً، راح يبهزنا علمياً وتكنولوجياً. الصخرة المتآكلة.. ظللنا عشرات القرون تنفرج عليها في خوف كبير وإعجاب شديد. الغرب عندما جاء خربها بالكهوف والأنفاق، وخاطها بالجسور. تفنن بالإسمنت في باب القنطرة وسيدي مسيد وسيدي راشد، ثم كأنما لم يكفه ذلك لإظهار براعته، راح يفتل حبالاً من الفولاذ، ويبني بالحديد، ويعلق في الفضاء. يا ناس الجرف الكبير الذي ما تنفكون تخافونه وتتعجبون منه، قهرناه. مروا فوقه من حيث شئتم، راجلين أو راكبين. ولو يعود اليوم، الغرب بشكل أو بآخر، يفعل فيه أكثر مما فعل. (الزلازل، 139)

الجدول 30/3: نماذج عن ترجمة المحتوى المتعلق بإبراز الآخر

إنّ استعمال المترجم لـ "who once owned"، كان يملك، مكافئاً لـ "خروج" في المثال (1) مثير

للاهتمام. ولهذا كما نحسب دلالة عميقة، فاستعمال "خروج" في النص العربي قد يعني أنّ صاحب الأرض الحقيقي يرى أنّ الأوروبي خرج مما لا يملك أصلاً. بيد أنّ استعمال "من كان يملك" في الترجمة يوحي بأنّه في الضفة المقابلة هناك قناعة بأنّ الأوروبي كان المالك قبل أن يُجبر على المغادرة، وهو أمرٌ صحيح نسبياً، ولكنه في صيغته هذه يرفع عنه صفة المستولي. ولا يوجد ما يدعو للدهشة في هذا، فلو تطابقت النظرتين لكانت الدهشة أكبر. من الطبيعي أن يكون المنظور الغربي مختلف ومتسق مع فكرة الاستعمار كما عاشها الظالم وليس المظلوم. ففي هذا المثال ما تمّ إخفاؤه بعض الشيء ليس "الآخر" في حدّ ذاته، ولكن الرابط بينه وبين "الأنا" أو "الذات"، وهو رابط فهمه مرهون كلياً بالجهة التي ننظر منها ولا يخضع عادة للموضوعية والحياد، ولكن للسردية التي يفصّل كلّ طرف تصديقها. ولا تخلو ترجمة "علماء" بـ "clerics" و"زنادقة" بـ "free thinkers" في المثال (2) من هذه الجدلية. المقصود بالعلماء في النص الأصلي هم علماء الدين أو الشيوخ وهو ما يفسر اختيار المترجم للفظ "clerics"، وهو لفظ خاص بالمسيحية (Merriam Webster)، يمكن استعماله للتعبير عن رجال الدّين في المطلق (OLD). وربما لا يخلو هذا الاختيار من إسقاط على الذات خاصة وأنّ العلماء هم طائفة خاصة من رجال الدين. وبينما يحيل اللفظ العربي "زنديق" إلى الكثير من المعاني السلبية مثل الضلال والخبث والإلحاد (معجم المعاني الجامع)، نجد أنّ المكافئ الإنجليزي "free thinkers" يستدعي عند القارئ سلسلة من المعاني الإيجابية على غرار الحرية والديمقراطية وغيرها. فصحيح أن النص العربي يقابل بين رجل الدّين والزنديق، أي من لا يلتزم بتعاليم الإسلام، لكن هذه المقارنة جاءت من باب السخط لا التقدير. نعتقد أنّ هذه الترجمة حاولت من خلال بعض الإسقاطات على الذات التأثير على خطاب الترجمة وحمل القارئ على التعاطف مع "الزنديق"، الطرف المصيب، الباحث عن الحرية من منظور "الذات" الأوروبية.

موضوع المثالين (3، 4) هو الطعام. يتعلق المثال (3) بالعادات الغذائية التي فرضتها الحالة الاقتصادية على الطبقة الفقيرة في مصر بداية القرن العشرين، بحيث كان الطلاب يشربون "الماء الملح الحاد الذي كان يُحرش المعدة" قبل تناول الطعام اعتقاداً منهم أن ذلك يُسهّل الهضم ويحمي المعدة. بيد أن المترجم اعتبرها مجرد مقبّلات على الطريقة الأوروبية "tart aperitif"، على الرغم من إقامته في مصر لفترة واختباره لهذه الثقافة عن قرب. ونتج عن هذا الإسقاط على الذات طمس تام لفكرة وظيفة هذا المشروب وهي حماية الجهاز الهضمي وتقويته لأن نوعية الطعام المتاح محدودة وغير ذات جودة. ونجد في المثال التالي (4) نوعاً مختلفاً من الإبهام سببه التعميم. بحيث أن الفتى كان يستعمل يديه للأكل لأنه لم يكن يحسن استعمال الأدوات المخصصة لذلك، وهو ما وجد صعوبة في فعله أمام المسافرين الأجانب، "كما كان يصنع في مصر". تفيد الترجمة بأن استعمال اليدين للأكل هو من عادات المصريين، "in the Egyptian fashion"، وهو أمر ليس صحيحاً تماماً. فهذه العادة كانت منتشرة بين أهل الريف، لكن في المدينة مثلاً نجد طبقات مختلفة وعادات طعام مختلفة أيضاً. ففي خضم محاولة المترجم إظهار ملمح من ملامح الثقافة المصرية نجده قد بالغ في التعميم وبالتالي أعطى للقارئ صورة غير دقيقة عن الآخر المصري. كما أن هذا التعميم طمس أيضاً فكرة أن ظرف الفتى الخاص هو ما يدفعه لاستعمال يديه للأكل، وهي الفكرة المحورية في المثال.

يعكس المثال الأخير (5) نظرة الجزائري الدونية لذاته وإنبهاره بكل ما يأتي من وراء البحار وبأن الأوروبي متفوق عليه في كل شيء من جهة، وبغضه لهذا الأوروبي ولكل ما يفعله من جهة ثانية. لم يحاول المترجم التأثير كثيراً على هذه الفكرة سواء بالسلب أو بالإيجاب إلا عندما وصل للعبارة الأخيرة. بحيث حاول الإيضاح في موضع واحد: "يفعل فيه أكثر مما فعل"، أين استعمل الاسم "destruction" لتحديد طبيعة الفعل التي ضُمنت في النص العربي. وغيّرت ترجمة عبارة "لو يعود الغرب اليوم، بشكل أو بآخر" بـ "Because, one way or the other, the West will come-back" المعنى نسبياً، وجعلت من

عودة الغرب ليس مجرد احتمال ولكن أمر محتوم. يعكس هذا المقطع طبيعة العلاقة المعقدة التي تربط الجزائري بالأوروبي، الفرنسي تحديداً. فمن جهة هناك اعتراف بالتفوق، ومن جهة ثانية هناك إحساس بأن ما يقومون به في البلاد هو تخريب وليس تطوير. الترجمة لم تحافظ تماماً على الخطاب الأصلي، ولعلّها دفعت قليلاً باتجاه نقد الجانب المظلم للاستعمار من خلال التصريح بطابعه الهدام. يمكن القول أنّ الترجمة زادت من عمق الهوة بين الأنا والآخر لتشيدها على فكرة العودة الأكيدة للغرب بهدف المزيد من الهدم والتدمير وهو ما لم يقله النص الأصلي صراحة.

إنّ تحليل الأمثلة المتعلقة بإبراز الآخر في الترجمة أو إسقاطه على الذات يجعلنا نخلص إلى أن من بين أسباب إبراز الآخر من عدمه في الترجمة هو أسلوب المترجم، فهناك من يميل إلى التركيز على خصوصية النص الثقافية وهناك من يفضل مقروئية النص. وقد يلجأ المترجم أيضاً للإسقاط على الذات في بعض الحالات دون أن يكون لذلك أثر سلبي على الترجمة، ولكن في حالات أخرى يتسبب هذا الإسقاط في إخفاء اختلاف الآخر وخصوصية السياق. قد تغيّر الترجمة من وجهة نظر الآخر لتجعلها أقرب للمنطق الأوروبي، وقد تتسبب في نقل صورة مجتزأة وغير واقعية عن الآخر بسبب التعميم غير المبرر. كما قد يكون السياق الانتقائي سبباً في إبراز الآخر بشكل سطحي. وأخيراً من الممكن أن تعمل الترجمة على تعميق هوة الخلاف في وجهات النظر.

خلاصة

لقد حاولنا في هذا الفصل التطبيقي تحليل كيفية عمل آليات الإيضاح والتضمنين في الترجمة الأدبية من العربية إلى الإنجليزية في ضوء المقاربات الثقافية للترجمة. وقد دلّت نتائج التحليل على أنّ لعبت النص دور مهم في حث القارئ على فهم النص بشكل بعينه. كما أنّ إمكانية نجاح التفاعل الثقافي من خلال الترجمة تكون مرهونة بعوامل كثيرة لعلّ أهمها أسلوب المترجم ومجال التفاعل. فقد وجدنا أنّ حظوظ تفاعل القارئ مع تفاصيل الثقافة الإسلامية هي الأقل من بين كلّ الجوانب التي قمنا بتحليلها. كما وقفنا على الطبيعة النسبية لمفهومي الإيضاح والتضمنين، بحيث كثيراً ما تكون إرادة المترجم في الشرح والتفسير سبباً في فشل فتح نافذة على الثقافة الأصلية. أما فيما يتعلق بالخطاب فقد تبين أنّ للترجمة تأثير قد يصل حدّ تشويه صورة الثقافة الأصلية. وأخيراً، وجدنا أنّ الترجمة قليلاً ما تعمل على إبراز الآخر، وفي معظم الأحيان يكون هناك محاولة لفهمه بطريقة سطحية أو من خلال إسقاطه على الذات.

الفصل الرابع

الإيضاح والتضمنين في الترجمة
الأدبية من الإنجليزية إلى العربية
في ضوء المقاربات الثقافية للترجمة

تمهيد

سنقوم في هذا الفصل التطبيقي الثاني بتحليل المدونة الإنجليزية/العربية متبعين نفس منهج الفصل السابق. ففي مرحلة أولى سنقوم بتقديم نصوص وترجمات المدونة، ثم ننتقل لتحليل عتبات النص مركزين على المقدمات، والعناوين، والأغلفة. والقسم الثالث والأخير سيُعنَى بتحليل أمثلة من النص للوقوف على طرق عمل الإيضاح والتضمنين في النص المترجم من منظوري التفاعل الثقافي والخطاب.

1.4. التعريف بالمدونة الإنجليزية/العربية

تحتوي المدونة الإنجليزية-العربية على روايتين باللّغة الإنجليزية وهما *Atonement* (2000م) للروائي البريطاني إيان ماك إيوان، و *Beloved* (2005م) للكاتبة الأمريكية طوني موريسون (Toni Morrison)، وترجمتهما إلى العربية "الكفارة" (2012م) لمحمد درويش و"محبوبة" (1989م) لأمين العيوطي على الترتيب.

1.1.4. رواية *Beloved*، المؤلفة، والمترجم

سنقوم فيما يلي بتقديم عرض موجز حول رواية *Beloved* ومؤلفتها، ومن ثمة ننتقل لتقديم الترجمة. ولقد حاولنا قدر الإمكان إدراج المعلومات التي من شأنها أن تعين القارئ على فهم الدراسة التحليلية.

1.1.1.4. تقديم رواية *Beloved*

صدرت رواية *Beloved* للكاتبة الأمريكية طوني موريسون عام 1987م، ولاقت الرواية منذ تاريخ صدورها اهتماماً كبيراً من طرف النقاد انعكس في كم المقالات والدراسات التي نُشرت حولها. وموريسون،

الحائزة على جائزة نوبل للأدب عام 1993م، هي كاتبة مهمومة بمعاناة السود والنساء في أمريكا. وحاولت من خلال رواياتها تسليط الضوء على حجم الضرر البالغ الذي تعرض له الأمريكيون من أصول إفريقية جراء سياسات التمييز العرقي، وكيف أن سنوات طويلة من العبودية في ماضي يبدو بعيداً ألقت وما زالت تلقي بظلالها على مكانة هذه الفئة في المجتمع الأمريكي، على نظرتها لذاتها وعلاقتها بالآخر الأبيض التي يشوبها الحقد والشك واللوم (Cohen, 2009, 95). فما يؤرق موريسون في كتاباتها هو استحالة فهم التركيبة النفسية والذهنية للأمريكيين من أصول إفريقية اليوم دون الرجوع للماضي، فهذا التوتر الدائم الذي يطبع العلاقة بين مختلف المجموعات العرقية والأمريكيين البيض حتى الساعة، يجب أن يُقرأ في سياقه التاريخي الصحيح، وأي تفسير خارج هذا الإطار سيكون لامحالة ناقصاً وغير دقيق. وعلى الرغم من المكانة المرموقة التي حظيت بها موريسون في الدوائر الثقافية والأدبية العالمية، إلا أنها ما فتئت تُذكر أن كتاباتها لا طائل من ورائها إن لم تتمكن من مخاطبة الجماعة والأفراد الذين تحكي قصصهم وأوجاعهم، فهي لا تلتفت كثيراً لآراء النقاد، سواء كانت إيجابية أو سلبية، لكن قد تتأثر عندما لا تصل رسالتها إلى القراء، الذين هم السبب الحقيقي وراء وجود النص (Furman, 2014, 3). فإحساسها ووعيتها بالتهميش الذي يعاني منه الأمريكيون من أصول إفريقية، ومن ذلك طريقة تمثيلهم في الأدب الأمريكي، جعلها مدافعة شرسة عن هذه الطائفة، النساء منها خاصة. وكُرست قلمها ليكون صوتاً لأولئك الذين يعانون في صمت، كما شرحت بكثير من الواقعية مشاكل الصراع العرقي في أمريكا وأسبابه.

تروي رواية *Beloved* قصة أم، "سيث" (Sethe)، تضع حداً لحياة ابنتها البالغة من العمر سنتين حتى تُجَنِّبها حياة العبودية وويلاتها. لتبدأ الأم بعدها رحلة طويلة من المعاناة مع الفقد والندم. والرواية مأخوذة عن قصة حقيقية لامرأة تدعى مارغريت غارنر (Margret Garner) حاولت عام 1851م قتل أبنائها، وبالفعل قتلت واحداً ونجا اثنين آخرين بعد تعرضهما لجروح بالغة. وعند استجوابها، بدت المرأة

في حالة من الطمأنينة والسلام، وأشارت إلى أن الدافع وراء ارتكاب الجريمة هو حبها الشديد لأبنائها ورفضها القاطع لأن يستسخوا حياة الذل والمهانة التي عاشتها هي من قبل، فالموت مكان آمن بالنسبة لها، ولا يمكن لأحد أن يؤذي أبنائها عندما يرحلون عن الحياة (المرجع نفسه، ص 61). ويبدو أن فكرة ما يمكن للإنسان أن يفعله للدفاع عن أحبائه، ونوعية الخيارات التي قد لا تكون مقبولة أخلاقياً لكن مبررة بالنظر لسياقها التاريخي والاجتماعي قد كانت ملهمة بالنسبة لموريسون، التي استطاعت أن ترصد تجربة إنسانية فردية واجتماعية على حدٍ سواء. فعلى الصعيد الفردي عملت موريسون من خلال شخصية "سيث" على مناقشة فكرة الأمومة من منظور شديد التطرف، في محاولة منها لإعطاء المعاناة والخوف والتحدي شكلاً ملموساً. فسيث، المرأة السوداء الباحثة عن الحرية، الهاربة نحو الشمال الأمريكي الذي ألغى قانون العبودية، تتحدى حين تقع في الأسر وترفض الاستسلام بطريقة لا يمكن تخيلها حتى. ومن خلال "سيث" وشخصيات الرواية الأخرى، تسلط موريسون الضوء على العقوبة الجماعية التي تعرض لها الأمريكيون السود أثناء فترة العبودية، وكيف أثر ذلك على فهم هذه الفئة لذاتها وطبيعتها علاقتها بالآخر عقوداً، وحتى قروناً، بعد ذلك.

تدور أحداث الرواية في فترتين زمنيتين مختلفتين، ولا تتبع تسلسلاً زمنياً واضحاً. وتعتمد كثيراً على تقنية الفلاش باك للانتقال بين الحقبين. تبدأ أحداث الرواية عندما تقرر "سيث" الهروب من كنتاكي إلى أوهايو، لأنها ترفض فكرة أن يكون أبنائها ملكاً لغيرها، للسيد الأبيض. وعندما يلحق بها المالك لإجبارها على العودة، تقرر جمع أبنائها وأخذهم للغابة لقتلهم، حتى لا يعودوا لقيود العبودية من جديد. وتذبح "سيث" ابنتها التي تضع لها اسماً على شاهد قبرها، "محبوبة". بعدها تتمكن "سيث" من العودة لبيت الجدة "بايبي ساغ" (Baby Sugg) والعيش رفقة أبنائها في بيت مسكون بروح الطفلة الذبيحة، روح غاضبة لائمة. بعد ثمانية عشر عاماً، تأتي إلى باب "سيث" فتاة شابة، هي تجسيد لروح الطفلة، لتقلب حياتهم التي كانت قد بدأت في الاستقرار رأساً على عقب، وتضع "سيث" مرة أخرى أمام اختيار صعب.

يتجلى في الرواية نوعان من الصراع، الأول داخلي بين "سيث" وذاتها، بعد ما أقدمت عليه من جرم حيال طفلتها، والثاني خارجي بينها وبين مجتمعها الذي حاكمها وهمشها ورفض تمردها واستقلاليتها (Furman, 2014, 66). وقد نجحت موريسون في إعطاء صورة شديدة الواقعية عن الضرر النفسي الناجم عن مؤسسة العبودية وممارساتها من خلال أسلوب يجمع بين جمالية يتيحها تدفق الخيال وفجاجة تقرضها قسوة الأحداث المسرودة. وعالجت موريسون في *Beloved* بكثير من العمق فكرة عاطفة الأمومة وقوتها وكيف أنَّ هذه العاطفة يمكنها أن تبعث في المرأة روح المحارب كما أنها قد تكون سبباً في استسلامها وانكسارها. ففي البداية كانت الأمومة الدافع القوي لـ "سيث" لاتخاذ قرارات جريئة كالهروب والقتل. بالنسبة لـ "سيث" أبناؤها هم الجانب المضيء منها، ويقع على عاتقها تحريرهم من مؤسسة العبودية مهما كلف الأمر، وهو ما جعلها تواجه بشراسة ولا ترضخ في أحلك الأحوال (المرجع نفسه، ص74). شعور الأمومة ذاته، كان سبباً في القسم الأخير من الرواية في انهيار "سيث" وخضوعها لابتنزاز "محبوبة" العاطفي، من جهة بسبب شعورها بالذنب، ومن جهة ثانية بسبب الخوف. فالدافع وراء هذا الشعور لا يقل أهمية عنه، بل إنه هو من يُحدد العواقب.

وقد تنوعت أساليب السرد في رواية "محبوبة"، بحيث اعتمدت على تعدد الرواة، فيطلع القارئ على نفس الحدث من أكثر من شخصية ومن أكثر من زاوية. وهذا التقاطع في الحقيقة يُجبر القارئ على التركيز والانتباه للتفاصيل علّه يخرج بقراءته الخاصة فيما يخص هذا الحدث أو ذاك. فكل شخصية تنتظر للحدث بحسب فهمها له، ومدى قربها أو بعدها عنه. كما أنَّ تاريخ كل شخصية وخصوصية معاناتها تطبع بالتأكيد رؤيتها للأحداث وحكمها على ما يستحق أن يُذكر وما لا يستحق، لدرجة تناقض الروايات حول بعض الأحداث أحياناً، تماماً كما يحدث في الحقيقة. كما اعتمدت موريسون على تقنية السرد القصصي (Storytelling)، الذي تطفئ به "سيث"، ظمأ "محبوبة" لماضٍ كان من المفترض أن تكون جزءاً منه. وعلى الرغم من التحفظ الذي كانت تبديه "سيث" في السابق بشأن استرجاع ذكريات

الماضي لأنّ هذا يعني عيش نفس الألم مرتين، إلا أنّ مشاركتها مع "محبوبة" كان فيها نوعاً من المتعة الخاصة. وتتيح هذه التقنية مستوىً ثانٍ من السرد، تقوم من خلاله الشخصيات بإكمال بعض أجزاء القصة التي بقيت ناقصةً على المستوى الأول من السرد. ولنفس الغرض تستعمل الكاتبة تقنية استدعاء الذاكرة (rememory¹) (Scarpa, 1992, 96-97)، للحديث عن الماضي وذاكراته القاسية لدرجة تجعل هذه الذكريات كيانات حية لا تظهر فقط لصاحبها، بل لأيّ كان يُصادف أن يتواجد بالفضاء الذي تتواجد فيه هذه الذكريات.

في عام 1998م أُطلق فيلم سينمائي مقتبسٌ عن الرواية، من إخراج جوناثان دامي (Jonathan Demme) وبطولة أوبرا وينفري (Oprah Winfrey)، داني جلوفر (Danny Glover) وآخرين (Encyclopedia Britannica). وعلى الرغم من فشله التجاري إلا أنه لاقى استحسان النقاد وتم ترشيحه لجائزة الأوسكار في فئة الأزياء.

2.1.1.4. تقديم ترجمة رواية *Beloved* إلى اللغة العربية

صدرت ترجمة رواية *Beloved*، "محبوبة"، عام 1989م، بالقاهرة ونشرها مركز الأهرام للترجمة والنشر. وقد ترجمها وقدم لها أمين العيوطي (توفي 2017م)، وكان أستاذاً بقسم اللغة الإنجليزية وآدابها بجامعة القاهرة. وترجم العيوطي أعمالاً مسرحية وروائية من الأدبين الإنجليزي والأمريكي، كما ألف عدداً من الروايات بالعربية أولها "الصمت والصدى" (1970م)، كما أنّ له العديد من الدراسات حول الأدب والمسرح. وعلى ما يبدو يميل العيوطي لترجمة الأعمال "المهمة"، إضافةً إلى "محبوبة" قام العيوطي بترجمة رواية *Lady Chatterley's Lover* ("عشيق الليدي تشاترلي") ل د. هـ. لورانس، و *Cold Mountain* ("الجلد البارد") لتشارلز فريزير، و *Dinner at the Homesick Restaurant* ("عشاء في مطعم المشتاقين")

مصطلح صاغته موريسون للتعبير عن فكرة عدم اختفاء الماضي، وبقائه كامناً في مكان ما في انتظار فرصة للظهور مجدداً¹

للأهل") لأن تايلر، ومسرحيات Stephen D ("ستيفن د") و Exiles ("منفيون") لجيمس جويس والتي أعدّها للمسرح هيو لينارد.

والجدير بالذكر أنّ أيّ معلومات إضافية حول المترجمين العرب شحيحة للغاية، فقد حاولنا البحث عن آراء المترجم حول الترجمة ونظرتهم لها دون أن نحظى بما يُرضي الفضول. فمقدمات الترجمة التي كتبها المترجم لا تتعرض لموضوع الترجمة ولا بأي شكل، وكلّ اهتمامها منصب على النصوص الأصلية وتحليلها الأدبي. وورد اسم العيوطي عرضاً في مقدمة مترجم آخر، من باب النقد. بحيث أوضح عبد المقصود عبد الكريم، والذي ترجم هو الآخر رواية "عشيق الليدي شاترلي"، أنّ ترجمة العيوطي للرواية جاءت "مختصرة بشكل مغل" (عبد الكريم، 2018م). وهو ربما ما دفع البعض للتساؤل عن أسباب هذه الخيانة في الترجمة، مرجحين أن يكون الخوف من محتوى الكتاب أو ممارسة شكل من أشكال الرقابة الذاتية هو السبب (رمضان، 2017م). والحقيقة أنّ اتهام عبد الكريم فيه بعض التجنّي، فالعيوطي لم يترجم نفس النسخة من الرواية، أي أنّه ترجم أصلاً نصّاً مختلفاً (مركز الاتحاد للأخبار، 2018م). وهذه الحادثة وإن كانت مفيدة للباحث عموماً، فهي لا تنفع المسعى الرامي لمعرفة شخص المترجم أكثر.

2.1.4. رواية *Atonement*، المؤلف، والمترجم

نستعرض فيما يلي، بشكل موجز وبسيط، أهم سمات رواية *Atonement* وخصائصها الأدبية، وكذا بعض المعلومات عن المؤلف، يكون متبوعاً بتقديم للترجمة والمترجم. وكما بالنسبة لرواية المدونة الأولى، حاولنا قدر الإمكان انتقاء المعلومات المعروضة.

1.2.1.4. تقديم رواية *Atonement*

صدرت رواية *Atonement* عام 2001م، وهي من تأليف الروائي البريطاني إيان ماك إيوان. وقد اتسمت أعماله الأولى بالسوداوية، وفضاضة المشاهد، وصدامية المواضيع. لكنه عاد ليخفف من حدة وصفه، ومباشرته المبالغ فيها، في أعماله التي كتبها وهو رجل ناضج ومسؤول عن عائلة. وقد نالت روايته *Amsterdam* (1998م) ("أمستردام") جائزة البوكر للكتاب سنة صدورها. كما تم اقتباس العديد من أعماله في السينما، ومنها الرواية موضوع الدراسة (Luebering, 2011, 252-253). ومثل *Beloved* تلتفت رواية *Atonement* إلى الورا، إلى التاريخ، إلى الذاكرة. الشخصية الرئيسية في الرواية هي فتاة في الثالثة عشر من عمرها عند بداية الأحداث وتُدعى بريوني تاليس (Briony Tallis). تُغطي أحداث الرواية ستة عقود من الزمن، لكن التركيز يكون على أحداث بعينها قبل وأثناء الحرب العالمية الثانية وتحدث القفزة الزمنية في الرواية فقط في الخاتمة. أول هذه الأحداث والمحرك الأساسي لما تبعه من وقائع هو الاعتداء على لولا (Lola) قريبة بريوني، وكيف ادّعت بريوني أنّ روبي (Robbie)، ابن الخادمة، والذي كان في الأصل مهتماً بأختها سيسيليا (Cecilia) هو الفاعل. كان لكذبة بريوني تداعيات كارثية على حياة روبي وسيسيليا وعلاقتهم، وجعل بريوني تعيش تحت وطأة الشعور بالندم ومحاولة التكفير عن فعلتها عبر الخيال. فخيال بريوني كان بالأساس السبب فيما حدث لأبطال الرواية، إذ أنّها تخيلت أشياء غير موجودة وفرضتها على الواقع، كما أنّ حبها للكتابة (الخيال) أصبح في نظرها الطريق الوحيد للخلاص.

جاءت الرواية في ثلاثة أجزاء وخاتمة قصيرة بعنوان "لندن 1999"، وكلها محاولات سردية من بريوني، في محاولة للتكفير عن ذنبها من خلال الكتابة، كتابة تعتمد بشكل أساسي على تقنية تيار الوعي. في الجزء الأول تروي بريوني ما حدث يوم الاعتداء، عام 1935م، وهي أشبه برواية بقلب رواية. أحداث الجزء الثاني تدور حول روبي، الذي بعد سجن دام ثلاثة أعوام جرّاء شهادة بريوني الزور، أُجبر على الالتحاق بالجيش والمشاركة في الحرب العالمية الثانية الدائرة رحاها في أوروبا. وتنتهي تجربة روبي في الحرب بمقتله أثناء انسحاب القوات البريطانية من فرنسا عام 1940م. أما الجزء الثالث فيتم فيه التركيز على تجربة عمل بريوني ممرضة في الحرب (Bently, 2008, 148-152)، وكيف واصلت من خلال هذا العمل محاولاتها للتكفير عن ذنبها تجاه روبي، وذلك بمساعدة جنودٍ مثله.

يُعد ماك إِيوان، كاتباً له مكانة مرموقة في المشهد الأدبي البريطاني وأحد نجومه اللامعة في عصرنا هذا. ومثل موريسون لم تتعارض هذه المكانة مع رواج أعماله بين جمهور القراء، فجمع هو الآخر بين اهتمام النقاد والدارسين من جهة، وشعبية واسعة تعكسها مبيعات رواياته من جهة ثانية. وهو كاتب على ما يبدو شديد الاهتمام بالمعرفة عموماً، ولا تحدّه مدرسة أدبية بعينها. ففي الرواية التي بين أيدينا نجد في البداية إحالة إلى الروائية جاين أوستين، بحيث يؤكد أنه أفاد كثيراً من التجارب الروائية التي ظهرت في القرن التاسع عشر. كما أنّ للحادثة وما بعد الحادثة أثر بارز في بناء الرواية عنده، بحيث تكون بريوني شغوفة برواية "الأمواج" (*The Waves*) لفيرجينيا وولف وتحلم بأن تكون كاتبة بمثل صيتها. الجانب ما بعد الحداثي يبرز في خذلان الكاتب للقارئ وعدم الاستسلام لإرادته، فهو لا يقدم له النهاية التي يريد، من قبيل أن يجتمع روبي ويسييليا مثلاً (Ellam, 2009, 16-17). يضع ماك إِيوان القارئ أمام حقيقة واحدة، وهي أنّ كل ما كان بصدد قراءته هو محض خيال، ففي رواية الأحداث إخضاع للواقع لسطوة الخيال، رواية الأحداث في حدّ ذاتها هي لعبة يمسك فقط الراوي بخيوطها.

يمكن تصنيف رواية *Atonement* على أنها رواية تاريخية، رواية حرب، رواية أفكار، ورواية ما بعد حداثية. وهناك في كل مرة ما يُبرر التصنيف وما يُعقد مهمة القارئ أو المترجم. وأهم ما يُميز الرواية هو أسلوبها الذي اعتمد على تقنية السرد الماورائي (Metafiction)، أو بشكل أكثر دقة (Metanarrative) بالنسبة لبعض النقاد الذين يرون أن موضوع الكتابة ليس مصرح به بالشكل الكافي الذي يسمح باستعمال المصطلح الأول. ففي الحقيقة، لغير المعتاد على روايات ماك إيوان، يحتاج القارئ لا محالة لأكثر من قراءة لفهم الرواية بشكل صحيح. يستعمل الراوي ضمير المتكلم فقط في آخر أجزاء الرواية، وهنا يتفاجأ القارئ بأن كل ما سبق في الأجزاء الثلاثة الأولى هو مجرد محاولات لكتابة رواية، وأن سرد كل الأحداث جاء من منظور فتاة مراهقة يغلب الوهم على حكمها على الأشياء، وفهمها للواقع وعالم البالغين، وهو ما من شأنه أن يدفع القارئ للشك في صحة ما سبق سرده من أحداث، وحتى فكرة التكفير عن الذنب باستعمال الكتابة تُصبح موضع ريبة (Ellam, 2009, 31). يعد الجزء الرابع أو خاتمة الرواية فضاءً للمواجهة بين القارئ والكاتب، فرواية الأحداث تخضع لرؤية الكاتب وبالتالي لسلطته.

كما يشتمل النص على الكثير من الإحالات لنصوص أخرى، أو ما يعرف بالتناص، الأمر الذي يَدُل على محورية فكرة الخيال في الرواية، فبين تخيل الواقع وواقعية الخيال تقبع موهبة المؤلف وقدرته على الإبداع وزعزعة ما استقر عند القارئ من فهم عن دور الكاتب وكيفية عمل الرواية. في الجزء الأول من الرواية ينتقل السرد بين الشخصيات المختلفة لكن من خلال عدسة بريوني، فيتمكن القارئ من رؤية الأحداث من جوانب مختلفة وفي نفس الوقت التعمق في التركيبة النفسية لكل شخصية. ولا يتم الانتقال من الراوي الغائب إلى الراوي المتكلم إلا في خاتمة الرواية، ليرفع الستار عن راوٍ غير موثوق، بحكم سنه، أفعاله، ووظيفته (الكتابة) وهو بريوني. في الجزأين الثاني والثالث تعتمد الرواية على تقنية الرسائل في سرد الأحداث، وهي إحدى مستويات السرد التي يسعى من خلالها الراوي لإقناع القارئ بصحة

الأحداث المسرودة لأنها تأتي على لسان أصحابها، كما أنها تسمح بالتوغل في أعماق هذه الشخصيات (Ellam, 2009, 54-55).

وقد تم اقتباس الرواية في السينما عام 2007م بفيلم بنفس العنوان من إخراج جو رايت وبطولة جايمس ماكوفوي، كايرا نايتلي، وساورز رونان. وحقق الفيلم نجاحاً تجارياً كبيراً عند عرضه بدور السينما، كما حصد العديد من الجوائز السينمائية المهمة على غرار الغولدن غلوب. لكن هناك من النقاد من رأى بأن إصرار المخرج وكاتب السيناريو على اتباع خطى ماك إيوان في طريقة سرد الأحداث لم يخدم الفيلم (Ellam, 2009, 69)، الذي كانت بدايته قوية لكنه لم ينجح في الاستمرار بنفس القوة لأنه وببساطة النص والفيلم لا يخضعان لنفس المنطق.

2.2.1.4. تقديم ترجمة رواية *Atonement* إلى اللغة العربية

صدرت الترجمة العربية لرواية *Atonement*، "الكفارة"، عام 2012م عن دار الآداب. وقد ترجمها المترجم العراقي محمد درويش (1950م. 2023م)، وهو مترجم عراقي له باع طويل في الميدان، إذ أنه عكف على ترجمة عدد ليس بقليل من الأعمال الأدبية، والتي تنوعت بين الرواية والمسرح والنقد الأدبي، من الإنجليزية إلى العربية والعكس منذ سبعينات القرن الماضي (عبد الرحمن، 2023م) نذكر منها "فن الرواية" (*The Craft of the Novel*) لكونن ولسن، "المنفى المزدوج" (*A Double Exile*) لغاريث غريفش، "الحصار" (*The Siege*) لإسماعيل كدري، "جيم المحظوظ" (*Lucky Jim*) لكينغزلي أميس، "مذكرات من نجا" (*The Memoirs of a Survivor*) لدوريس لسينج، الكثير من روايات إليف شافاك، "كيف نقرأ الأدب" (*How to Read Literature*) لتيري إيجلتون، "السقوط الحر" (*Free Fall*) لويليام جولدنج (William Golding)، وروايتي "أمستردام" (*Amsterdam*) و (*Atonement*) لماك إيوان.

والمتفحص لسيرة محمد درويش الذاتية يمكنه بكل يسر استقراء شغفه بالترجمة وقناعاته بدورها الكبير في مد جسور التواصل بين الثقافات من خلال الأفكار. وما يؤكد هذه القناعة هو ترجمته لبعض أهم الأعمال العراقية إلى الإنجليزية نذكر منها "بدر شاكر السياب: الرجل والشاعر" (Badr Shakir Al Sayyab: Man and Poet)، ومسرحية "النخلة والجيران" لغائب طعمه فرمان. ويربط البعض بين جبرا إبراهيم جبرا ومحمد درويش من حيث الرؤية الترجمية، وتبني كليهما لفكرة ضرورة مخاطبة النص المترجم للمتلقي (سعيد، 2023م). ومن النقاد من قارن بين أسلوبي درويش وجبرا في الترجمة. ذلك أن الأخير أحيانا، ولفرط اهتمامه بسلامة اللغة العربية للنص وضمان مقروئيته، يضرّ بشيء من محتوى النص الأصلي، بيد أن الأول نجح في كسب رهان المقروئية والمحافظة على هوية النص الأصلي في آن (المدى، 2023م). ويرى آخرون أن ما ميّز درويش في مسيرته الترجمية الطويلة هو قدرته على الوقوف في وجه الانحياز والقدرة على الموازنة بين الذات والثقافة والآخر دون شطط. كما أنه من المترجمين القلائل الذين يحرصون على تقديم ترجماتهم وهو ما يعطي النص المترجم زخماً أكبر ويُسهّم في تلقّيه بشكل أفضل (وكالة نخيل عراقي، 2022م).

2.4. تحليل عتبات النص ودورها في إيضاح أو تضمين السمات الثقافية للنصوص الأصلية

لمّا كان موضوع البحث هو تقصي آليات نقل الملامح الثقافية من خلال الترجمة، ومحاولة فهم ما قد يُتيح هذا النقل بسلاسة وما قد يُعيقه (الإيضاح والتضمنين)، وجدنا أنه من الضرورة بمكان تناول عتبات النص بالفحص والتحليل. فالوقوف على الرسائل التي قد تحملها عتبات النص عن الترجمة لا يقل أهمية عن الاهتمام بتحليل النص. إذ تلاحظ طاهر-غورتشاغلار (Tahir-Gurcaglar, 2002, 58) في هذا الصدد أن الاعتماد على ترجمة النصوص الأصلية وحدها في الدراسة يجعلها ناقصة. ففهمنا

الحالي للترجمة ليس كافي، فمن الضروري لفهم السياق الثقافي للنصوص الاطلاع على الاستراتيجيات والمعايير التي كانت سائدة في هذه الفترة أو تلك، وتؤكد الباحثة على أن:

“This requires the researcher to expand her material to cover secondary texts that offer meta-discourses on translation and help to capture the general socio-cultural forces giving shape to translations.” (Tahir-Gurcaglar, 2002, 58)

"يتطلب هذا من الباحث توسيع مادة بحثه لتتضمن نصوصاً ثانوية من شأنها تسليط الضوء على خطاب الترجمة وتساعد على فهم السياق الاجتماعي والثقافي العام الذي تخرج فيه الترجمات إلى النور." (ترجمتاً) ويسمح هذا التوسع في مادة البحث بإعادة النظر في النتائج المتوصل إليها من خلال تحليل النصوص. ولأهداف الدراسة التحليلية سنعمد تعريف بيلات (Pellat, 2013, 1) لعبارات النص:

“any material additional to, appended to or external to the core text which has functions of **explaining**, defining, instructing, or supporting, **adding background information**, or the relevant opinions and attitudes of scholars, translators and reviewers.”

"أي مادة مضافة إلى متن النص، ملحقة به، أو منشورة بشكل منفرد وظيفتها الشرح، التعريف، التعليم، أو الدعم. هذه المادة المضافة قد تعطي القارئ معلومات أساسية، أو تعرض آراء ومواقف العلماء، المترجمين، والمراجعين." (ترجمتاً)

بالطبع يكون التركيز الأكبر على المقدمات، والعناوين، والأغلفة والتي حاولنا دراستها بما يتصل بموضوع

البحث بكثير من الإسهاب. وحتى تتوضح الفكرة أكثر ويربط القارئ بوضوح بين المقاربات الثقافية

للترجمة ووجود هذا النوع من التحليلات يمكن الاستشهاد بإحدى المفكرات في الترجمة، ماريا تيموكسكو،

والتي في معرض تفسيرها للأسباب التي دفعتها للحديث عن الكثير من تفاصيل حياتها الشخصية

وميولاتها الفكرية والسياسية في مقدمة لكتاب حول نظرية الترجمة، أشارت إلى أنه لن يضير المترجمين

ومنظري الترجمة التقديم لأعمالهم. فإطلاع القارئ على شيء من المعلومات الشخصية والآراء بخصوص

اللغة والثقافة والسياسة والترجمة قبل كل ذلك، من شأنها أن تُعين القارئ على فهم النص الذي بين يديه

في إطاره الصحيح (Tymoczko, 2007, 11-12). فمن وجهة النظر هاته، يقتضي التنظير للترجمة في

العصر الحالي تزويد القارئ بما أمكن من معلومات شخصية عن المنظّر لأنها تسمح بفهم أصح لمواقفه

النظرية واتجاهه الفكري. ولا يختلف الأمر كثيراً بالنسبة لممارسة الترجمة، فالترجمة التي تحوي مقدمة تكون دون شك أكثر ثراء من غيرها، وتلك التي يوضح فيها المترجم خياراته وميوله أنفع للقارئ من سواها. وقد كشفت الكثير من الدراسات حول الترجمة وعتبات النص تم التطرق إليها في الفصل النظري الثاني عن الدور المحوري للأخيرة في توجيه القارئ وتلقي النص، وبالتالي تأثيرها المباشر على طبيعة صورة ثقافة النص الأصلي في الثقافة المستهدفة.

1.2.4. تحليل مقدمات المترجمين

لا ينحصر دور المقدمة في تزويد القارئ بالمعلومات أو التوضيح والتفسير، فهي قد تكون مساحة مناسبة لتمرير رسائل أو الدفاع عن مواقف وآراء، ويزيد على ذلك في النصوص المترجمة دور الوساطة الثقافية. فموقع المترجم بوصفه حلقة وصل بين عالمين يجعل من مقدمته وسيلة لتخليص القارئ من بعض جهله وأفكاره المسبقة حول ثقافة النص الأصلية، وحثّه على تغيير شيء من الأفكار التي قد تكون موجودة لديه (McRae, 2012, 80). ولا يمكن بأي حال إنكار التأثير المباشر لمحتوى هذه النصوص على القارئ، الذي سيبدأ حتماً تجربة القراءة بفهم مُسبق لا ينفصل بالضرورة عن حكم مُسبق، هو حكم المترجم أو كاتب المقدمة أياً كان (Pellatt, 2013, 3). وتعريف مقدمة المترجم (Translator's preface) الذي تعتمد عليه الدراسة هو تعريف ماكراي (McRae, 2012, 66) على أنها "كل المقدمات أو الخواتم (للمترجم أو غيره) والملاحظات والتعليق التي تكون سابقة أو لاحقة للنص الأصلي المترجم، ويُستثنى من هذا الهوامش" (ترجمتنا).

أفرد العيوطي ما يزيد عن ستة عشرة صفحة للتقديم للترجمة (موريسون، 1989م، ص3-20)،

وهي مقدمة طويلة بعض الشيء، مقسمة إلى أجزاء، يناقش كل جزء ملمحاً خاصاً من ملامح رواية *Beloved*. ففي البداية تعرّض المترجم إلى سيرة موريسون الذاتية وكيف كان لنشأتها أثر واضح على

أسلوبها الروائي. ليسلط بعدها الضوء على موضوع الرواية بشيء من التفصيل. ثم ينتقل المترجم بعدها للحديث عن خصوصية الرواية من حيث أسلوبها واستلهاها من الموروث الشفوي الإفريقي، وكذا الدور المحوري للموسيقى في كتابتها. وقد انعكس كل هذا في طبيعة لغة التي الكتابة، بحيث تتحدث شخصيات الرواية لهجة الزوج الأمريكيين البسطاء، باقتضابها وبساطتها. كما جاءت بنية الرواية بشكل غير مألوف في الأدب الأمريكي وإن شبّه البعض أسلوبها بأسلوب جويس وفولكنر، لكن في الحقيقة مشروع موريسون مختلف. ويختم المترجم مقدمته بتوضيح أهمية أعمال موريسون وغيرها من الكتاب الأمريكيين من أصول إفريقية، بحيث سمحت هذه الأعمال بتمثيل هذه المجموعة بشكل صادق وحقيقي، كما عالجت موضوع التاريخ وضرورة رفع الستار عن فضائع الماضي إن كانت هناك إرادة حقيقية في التصالح مع هذا الماضي وتغيير الحاضر للأفضل.

أول ملاحظة يمكن إبدائها حول هذه المقدمة هو احتوائها على معلومات قيّمة جداً حول الرواية وسياقها التاريخي والأدبي. فعلى الرغم من صدور الترجمة بعد فترة وجيزة من صدور النص الأصلي (عامين)، إلا أنّ خلفية المترجم الأدبية والأكاديمية مكنته من الإلمام بشتى تفاصيل العمل ووضعها بين يدي القارئ بكثير من التنظيم والوضوح. ونعتقد أنّ هذه المقدمة قد أسهمت دون شك في إيضاح الكثير من الملامح الثقافية المرتبطة بالرواية بشكل مباشر أو غير مباشر، وبالتالي تشجيع القارئ، بعد تزويده بشيء من الفهم من شأنه تسهيل تلقي النص، على خوض غمار الرواية. والجدير بالذكر أنّ ترجمات روايات موريسون الأخرى التي تمكّنّا من الاطلاع عليها، وهي أربعة، جاءت دون مقدمات باستثناء واحدة².

رواية "جاز" ترجمة محمد عبد إبراهيم (1995)، رواية "العين الأكثر زرقة" ترجمة فاضل السلطاني (1997)، رواية "رحمة" ترجمة ² أنطوان باسيل (2014)، رواية "فردوس" ترجمة علي باشا (1999)، وهي التي جاءت مع مقدمة لكن ليس بقلم المترجم.

غير أن المثير للاهتمام في هذه المقدمة، من وجهة نظرنا، هو أمر مختلف كلياً. فعلى الرغم من الشرح المفصل الذي قدّمه المترجم حول أسلوب السرد الخاص للرواية ولغتها، والتي من شأنها أن تضع المترجم أمام تحديات حقيقية، إلا أنه لم ير ضرورة للتعليق على الترجمة وإطلاع القارئ على الحلول التي رآها مناسبة لتقديم النص بشكله هذا دون سواه. فلا يوجد مبرر حقيقي لعدم إبداء بعض الملاحظات حول الترجمة، في حين قيل الكثير عن النص الأصلي وخصوصياته. وفي الواقع يبدو أن العيوطي لا يميل كثيراً للحديث عن الجانب المتعلق بعمله في ترجماته، فنجد مثلاً في مقدمة ترجمته "ستيقن.د." و"منفيون" (2001م) يخصص مقدمة طويلة للحديث عن جويس وأعماله وأسلوبه، وصعوبات إعداد أعمال جويس للمسرح، والفرق بين مختلف المسرحيات التي أعدت عن نفس النص، دون التعرض لتجربته في الترجمة ولو بالإشارة. ويبدو أن هذا متعلق بأسلوب الترجمة عنده، فقد لاحظنا أن ترجمته "محبوبة" لا تحوي أي هوامش على الإطلاق، وهو ما يدل على أن المترجم يفضل التعامل مع النص في حدوده، دون أي إضافات.

بالنسبة لـ "الكفارة"، ترجمة *Atonement*، لم تتجاوز المقدمة الست صفحات، ولم تأتي مفصلة مثل مقدمة "محبوبة"، لكن المترجم حاول في إيجاز توجيه القارئ وتزويده ببعض المعلومات المفيدة عن خصوصية رؤية ماك إيوان الأدبية وأسلوبه، وكيف انعكس ذلك على بنية النص وطبيعة الشخصيات. كما أشرنا آنفاً، تعتبر المقدمة وسيلة من وسائل إيضاح ملامح النص الثقافية، وفي النص الذي بين أيدينا شرح المترجم كيف أن خلفية الكاتب الفكرية وإيمانه بسوداوية الحياة وعبثيتها قد تجلت في العجز الذي سيطر على أبطال الرواية أمام اختبارات الحياة، وفي مشاهد الحرب التي لشدة هول الدمار وانتشاره أصبحت عادية. كما يوجه المترجم القارئ إلى آلية السرد غير المألوفة للرواية، والتي قد تلبس الفهم حتى على قارئ النص الأصلي. يمكن القول أن المقدمة طابعها تعليمي، ولم تسترسل في أي أحاديث جانبية تجعلنا نرى فيها إبهاماً لملامح الثقافة، ونحسب ما جاء ذكره قد أوضح بقدر معين الثقافة البريطانية

وطبيعة مشهدها الأدبي. والمأخذ الوحيد على هذه المقدمة، هو خطأ في اسم الشخصية الرئيسية الثالثة "سيسيليا"، والتي في ثلاث مواضع أشار إليها المترجم على أنها "لولا"، وهذا السهو في الواقع يؤثر على فهم الأحداث بشكل صحيح.

وقصد التوسع أكثر في تحليل دور مقدمات الترجمة في إبراز أو طمس الملامح الثقافية للنص، قررنا العودة لما تحويه مكتبتنا المتواضعة من ترجمات عربية لأعمال أدبية باللغة الإنجليزية (ويفوق عددها الستون ترجمة)، والوقوف أكثر على طبيعة المقدمات التي يمكن إيجادها في الأعمال الأدبية المترجمة. لاحظنا أن عدداً غير قليل من المترجمين لا يلجأ للمقدمة في الترجمة أصلاً، وهو أمر أكثر شيوعاً فيما يصطلح على تسميته بالأدب الشعبي، وأيضاً أدب الطفل. فبعض الأعمال قد تلقى رواجاً عند عامة القراء دون أن تلقى حفاوة النقاد أو اهتمامهم مثل "شيفرة دافينتشى" (2004م) (The Da Vinci Code) لدان براون، والتي تُعزى شهرتها الواسعة أساساً لما أثير حول موضوعها من جدلٍ وليس لتميز تقنياتها الأدبية. بالنسبة لأدب الطفل، في الغالب لا يهتم المترجم والناشر على حدٍ سواء بتقديم هذا النوع من الأعمال، ربما بالنظر لطبيعة المتلقي، الطفل، والذي قد لا يستوعب كل التفاصيل التي تميل المقدمات لإدراجها. وعلى ما يبدو تشترك الترجمة الأدبية إلى العربية في هذا مع لغات أخرى كالسويدية، حيث أبدت أولف نوربرغ (Ulf Norberg, 2012, 106) ملاحظات مماثلة عن الترجمة الأدبية إلى السويدية، خاصة فيما يتعلق بعدم لجوء المترجمين للمقدمات واقتصار ذلك في غالب الأحيان على الأدب النخبوي والمترجمين أصحاب الخلفية الأكاديمية وهو ما سنأتي على تفصيله فيما يلي.

في بعض الترجمات قد يكفي المترجم بتقديم نبذة موجزة عن حياة المؤلف وأعماله، دون الخوض في تفاصيل أسلوبه ورؤيته الأدبية. ونوع المقدمات هذا يمكن إيجادها في أي مكان، فهو لا يحمل طابعاً خاصاً، وفائدته قليلة³. لكن أحياناً، تحمل المقدمة على إيجازها طابعاً خاصاً، وتكون فيها محاولة لتوجيه

مثال ذلك مقدمة "فئران ورجال" لجون شتاينبك، ترجمة سمير عزت نصار والصادرة عن الأهلية للنشر والتوزيع (2007) ³

القارئ نحو فهم النص بطريقة معينة. وهذا ما ذهب إليه مترجم رواية "مزرعة الحيوان" (2015) (*Animal Farm*) لجورج أورويل، بحيث كان تركيزه على موضوع الرواية، وعبقورية الكاتب، والمنظور الذي يتعين على القارئ مقارنة النص منه (ص 65). في حالات نادرة، نجد مقدمات مقتضبة يكون موضوعها في الحقيقة همّاً يورق المترجم أكثر منه محتوى قد يُفيد القارئ ويأخذ بيده في رحلة القراءة. ومثال ذلك مقدمة دعد أحمد السليمان لترجمتها "نثریات مختارة" (*Selected Prose*) لأوسكار وايلد، والتي عبرت فيها عن إشكالية الإبداع والمبدع في هذا العصر، والتي لم تستثن ميدان الترجمة. ففي حين يوجد الكثير من المترجمين القادرين على إنتاج ترجمات قيمة، يأبى النقاد والناشرين وحتى القراء الالتفات لهم وإنصافهم، لأن معايير التقييم مرتبطة بصيت المترجم ومكانته العلمية والأدبية، وهي معايير تراها المترجمة غير واقعية. فأكثر من الشهادة، تتطلب الترجمة موهبة قد لا تتوفر لصاحب الشهادات العليا. من حيث الإسهام في إيضاح الملامح الثقافية للنص الأصلي، لا شك أنّ الكفة ترجح لمقدمة "مزرعة الحيوان"، إذ أنّ المعلومات الواردة فيها تضع القارئ في السياق التاريخي للعمل وتشرح بشكل مبسط وموجز رمزية الحيوانات واسقاطاتها على أرض الواقع. كما تُبرز رؤية الكاتب والغرض من الرواية. أما فيما يخص مقدمة دعد السليمان فهي لا تُسهم بأي شكل في إيضاح سمات النص الأصلي الثقافية، بيد أنّها مع ذلك تلقي ببعض الضوء على جانب يدخل عادة ضمن المسكوت عنه في الثقافة العربية. فهناك إيضاح للسياق الثقافي للترجمة، وهذا قد يبدو غير ذي صلة بالثقافة الأصلية، لكنّ العلاقة بين الاثنين وثيقة. فحتى وإن تعلق الأمر بالترجمة، فالنفاصيل المحيطة بولادة النص لا بدّ أن تلقي بظلالها على المحتوى المترجم، وبالتالي تكون مؤثرة ولو بصفة غير مباشرة في نوعية الصورة المنقولة عن الثقافة الأصلية. لمثل هذه المقدمة فائدة عامة، لكن مدى انعكاس ذلك على النص المترجم فيما يتعلق بإيضاح ملامحه الثقافية يتطلب حتماً بحثاً أعمق يمر لا محالة عبر التحليل النصي للترجمة.

النوع الأخير من الترجمات هو ذلك الذي يحوي مقدمات طويلة نسبياً، ويُعنى بأدق تفاصيل الكاتب، من حيث سيرته الذاتية، وأسلوبه وانتمائيه الفكري. وقد لاحظنا أنَّ هذا النوع عادة ما يقترن وجوده بأهمية العمل الأدبي ومكانته، كالأعمال الحائزة على جائزة نوبل للأدب مثلاً، أو كلاسيكيات أدب ما. وتتدرج مقدمتي المدونة ضمن هذا النوع، فهما تركزان على السياق التاريخي والأدبي للنصوص وأصحابها، وهو ما من شأنه أن يُهون على القارئ شيئاً من صعوبات النص، ويبين له بعض الخصوصيات الثقافية التي قد تكون غائبة عن ذهنه. غير أنَّه، وكما أشرنا سابقاً، يضلُّ السواد الأعظم من هذه المقدمات شحيحاً بالمعلومات فيما يتعلق بالسياق الذي ظهرت فيه الترجمات إلى النور، المترجم وتوجهاته وما إلى ذلك. وقد يتساءل القارئ إن كان هناك فائدة تُرجى، من منظور ثقافي بحت، من تضمين المقدمات هكذا معلومات. نعتقد أنَّ الإجابة نعم، على الأقل بالنسبة للباحثين، فإن كان هدف الدراسة الأساسي هو رصد ما أمكن من العوامل التي تؤثر في آلية نقل ملامح الثقافة الأصلية عبر النص المترجم، فإنَّ المعرفة الدقيقة بالسياق التاريخي والأدبي للنص المترجم وصاحبه لا تقل أهمية عن أي معارف أخرى تسوقها المقدمات. كما أنَّ الإحاطة الجيدة بالظروف التي صاحبت ظهور الترجمات تسمح بتحليل أكثر واقعية للنص. صحيح أنَّ الباحث مُطالبٌ بتنويع مصادره، لكن ما تُوفره المقدمات له، له أهميته الخاصة.

والحقيقة أنَّ تجنب الحديث عن التجربة الشخصية للمترجم مع هذا العمل أو ذاك أبعد ما تكون عن حالة فردية اختص بها العيوطي أو درويش، فحتى في حال وجود مقدمات طويلة للترجمات، غالباً ما يكون اهتمام المترجم منصباً على تحليل النص وسياقه لما في ذلك من تنوير للقارئ. بالنسبة لمن يحاول تقصي ما قد يؤثر، سلباً أو إيجاباً، في نقل السمات الثقافية للنص الأصلي إلى متلقي النص المترجم، سيكون من المفيد تقاسم بعض الأشياء مع المترجم، خاصة فيما يتعلق بالصعوبات التي واجهها. فمثل هذه المعلومات من شأنها أن تُجنَّب الباحث تخمينات قد تحيد بتحليله عن جادة الصواب،

أو على الأقل ستكون بمثابة المرشد للسبيل الواجب سلكه. باختصار، يكون للمعلومات التي تتضمنها المقدمات عموماً دور في توجيه القارئ نحو فهم معين وحثه على تبني رؤية المترجم وقراءته الخاصة للرواية وكل ما يُحيط بها، وهو أمر طبيعي، فهناك قصد وراء كل ما يُكتب، والترجمة لا تشذ عن هذه القاعدة. أما إدراج معلومات عن عملية الترجمة من عدمه فهو ليس بالأمر المهم لعموم القراء، لكن فيه الكثير من النفع للدارسين والمتخصصين.

فمثلاً بدى أمر مناقشة بعض جوانب الترجمة ملحاً في ثلاث ترجمات لرواية جويس المعروفة *Ulysses*، وفي الحقيقة من جوانب مختلفة وكلها مثيرة للاهتمام. ففي الطبعة الثانية لترجمة طه محمود طه (1994م)، يُنبه الناشر القارئ إلى ضرورة احترام الجهد المبذول لإخراج هذا العمل للنور حين يقول: "ويكفي أن ندلل بأن وقت الترجمة الفعلي كان 14 عاماً، أضاف إليها 6 سنوات سبقتها للتجهيز، ناهيك عن الأسفار والجهد والبسالة فوق كل ذلك" (ص1). ولم يُنكر الناشر اختلاف الرؤى بينه وبين المترجم حول طبيعة النص المترجم لكن هذا لم يمنعه من أن يكون منصفاً، لوعيه بأن من يخوض المعركة ليس بأي حال كمن يتفرج عليها (ص1). أما المترجم فقد أراد من خلال مقدمة الطبعة الجديدة أن يشرح التغيرات التي طرأت على الترجمة وأسبابها، ذلك أن نصاً منقحاً للرواية صدر بعد صدور الترجمة، وهو نص عمل الباحثون على تصويبه لمدة سبع سنوات، وتطلب الأمر من المترجم ثلاثة أعوام لتصويب ترجمته (ص3). أما مقدمة الطبعة الأولى لعام 1982م فدارت في مجملها حول عبقرية جويس وتقرّد أسلوبه والخصوصية الشديدة للرواية التي بين يدي القارئ من حيث التقنية واللغة. غير أن المترجم قام في الجزء الأخير من المقدمة بالحديث عن الظروف التي صاحبت العمل على الترجمة ومراجعتها على مدار سنوات، وكيف أن التصدي لترجمة هذا العمل تطلب الكثير من الشجاعة والصبر والجهد والبحث (ص9). هيأت هذه المقدمات الثلاث القارئ بما لصعوبات محتملة في الفهم من الوارد أن يواجهها، كما أماطت الحجاب عن الكثير من التفاصيل حول تاريخ الأدب وجويس والرواية، وهنا تكمن أكبر فوائدها.

كما أنَّها حضرت القارئ العربي لتقبل ما قد يعتبره معقداً وغير مفهوم على أنه سمة في النص لا خلل في لغة الترجمة.

في ترجمة صلاح نيازي (2001م)، تُركز مقدمة المترجم على الأسباب الشخصية التي دفعته إلى ترجمة الرواية مرة ثانية، وأوجه اختلاف نصه عن سابقة. فالمترجم اعتبر أنَّ طه محمود طه كان منشغلاً بالمعنى ووضوحه مما جعل الترجمة تُغفل جانباً مهماً في النص الأصلي وهو الشكل واللغة والتقنية. فجاءت الترجمة لتعرض النص من منظور مختلف يكاد لا يلتفت للقارئ، تماماً مثل النص الأصلي، ويُركز على مشروع جويس الإبداعي. أما ترجمة محمد لطفي جمعة (2007م)، فهي وإن كانت آخر ترجمة في الظهور، إلا أنها أول ترجمة فعلية لقسم من الرواية، لكنَّ المرض حال دون إتمام المترجم لمشروعه. وزخرت الترجمة بمقدمة غاية في الثراء من توقيع الناقد إبراهيم عوض، الذي تعرض بكثير من التفصيل لحياة المترجم ومشروعه الفكري والأدبي. كما قابل بين هذه الترجمة وترجمة طه محمود طه، وأبدى الأسباب التي تدفعه لتفضيل الأولى. بالنسبة للباحثين تعدُّ مثل هذه المقدمات كنوزاً حقيقية، لما تسلطه من ضوء على تفاصيل تقع داخل النص وخارجه لكن لها تأثيراً مباشراً على النص المترجم. لم تكن هذه المقدمات، في بعض أجزائها، موضحة لسمات الثقافة الأصلية فحسب، بل إنَّها جاءت موضحة لبعض السمات الثقافية العربية أيضاً والتي بشكل أو بآخر أثَّرت على طبيعة النص المترجم.

تُحيلنا هذه الملاحظات إلى أهمية أسلوب المترجم (Kamenicka, 2008)، وضرورة إدخاله إلى المشهد (Saldanha, 2008)، إن كان هناك نية حقيقية لمحاولة فهم ظاهرة غاية في التعقيد والتشعب، مثل ظاهرة نقل السمات الثقافية عبر الترجمة، بشيء من العمق والرصانة. أحياناً، ولأهداف توجيهية بحتة، يأتي خطاب المقدمات موضوعياً إلى حدٍّ كبير ويكون التركيز فيها منصّباً على النص وصاحبه وهي في شكلها هذا تسمح بإيضاح بعض سمات النص الأصلي الثقافية إلى حدٍّ معين، ذلك أنَّ أي تحيز فكري أو تعصب ديني أو عرقي، من شأنه أن يعيق هذا النقل، يكون غير محسوس، وقد يأتي تلميحاً في بعض

العبارات دون أن يؤثر مباشرة على الاتجاه العام للنص. في أحيان أخرى يحاول المترجم من خلال ما في ظاهره تقديم للنص تمرير بعض الرسائل المتعلقة برؤيته وقناعاته.

في حالات نادرة، يضعنا المترجم مباشرة في قلب صراعاته وحروبه الشخصية، كما هو الحال مع

عبد المجيد حسيب القيسي، صاحب "الفوضيون" (1989م)، وهي ترجمة لمسرحية *The Nihilists* لأوسكار وايلد، والذي خصص مقدمة الطبعة الثانية للحديث عن معاناته ومعارضته للنظام السياسي، وكيف كان بطلاً لا يخشى في الحق لومة لائم، وضحية تعرضت للاضطهاد في آن. وبغض النظر عن مدى صدق الآراء الواردة وموضوعيتها فإن ما يلفت الانتباه هو التركيز على الخلفية السياسية التي صاحبت نشر الترجمة وما بعدها بشكل صريح ومباشر. إنَّ ما يحيط بالمترجم والترجمة من ظروف لا تفيد القارئ في رحلة تعرفه على ثقافة النص الأصلي، لكن من البديهي أن يكون لها الأثر في الترجمة، والمقدمات هي وسيلة لتوجيه الباحث لما قد يحويه النص المترجم من "مشاكل" إذا تم تحليلها وقراءتها بشكل صحيح.

2.2.4. تحليل عناوين الترجمات وأغلفتها

يضع جينات غلاف الكتاب وعنوانه (من حيث الشكل) ضمن فئة من العتبات تخص الناشر أو

دار النشر، "publisher's peritext" (Genette, 1987/1997, 16) أكثر من الكاتب (أوالمترجم)، وهما بالتالي يخضعان لاعتبارات تختلف عن تلك التي تخضع لها المقدمة. إذ يمكن للناشر أن يستغل مساحة الغلاف لوضع معلومات متنوعة صنفها جينات إلى ثمانية عشر صنفاً (18) يمكن إيجادها على وجه الغلاف (المرجع نفسه، ص 24)، نذكر منها اسم الكاتب وعنوان الكتاب ودار النشر، وستة عشر (16) صنفاً يمكن إيجادها على ظهر الغلاف (المرجع نفسه، ص 25-26)، نذكر منها معلومات شخصية

وببيليوغرافية، ردود أفعال النقاد أو الصحافة على العمل أو الكاتب، وغيرها. وهو ما يعطي إشارة واضحة على تعدد الآليات التي يمكن أن تُستغل بها هذه المساحات لتحقيق أهداف تجارية أو ثقافية.

وفيما يذكر جينات أن حجم اسم الكاتب على الغلاف يتناسب طردياً مع سمعته الأدبية، وأن هذه السمعة تكفل نوعاً ما بعضاً من نجاح العمل حتى قبل أن يُقرأ (المرجع السابق، ص 39)، وعلى الرغم من حديثه مطولاً عن أنواع الأسماء التي قد تتواجد على أغلفة الكتب، لكن ما يلفت الانتباه هو عدم تعرضه للترجمة أو أسماء المترجمين ولو بشكل عارض. بالنسبة لما هو متوفر لدينا من أمثلة، يمكن القول أن أغلفة الكتب المترجمة إلى العربية غالباً ما تخصص مساحة بارزة لاسم كاتب النص الأصلي والعنوان، أما اسم المترجم، إن وُجد، فيكون عادة بخط صغير وفي زاوية مهمة. فهناك احتمال من ثلاثة، إما أن يظهر اسم المترجم على استحياء في الغلاف، أن يظهر اسم المترجم على ورقة العنوان الداخلية دون أن يتواجد على الغلاف، أو ألا يُكتب اسم المترجم ويتم الاكتفاء بالكاتب الأصلي ودار النشر. ولاحظنا أن مكانة المترجم الأدبية أو العلمية تكون غالباً سبباً في ظهور اسمه على الغلاف، على غرار جبرا إبراهيم جبرا ومترجمي مدونة البحث مثلاً. وقد لاحظنا أيضاً أن الدرجة العلمية للمترجم (دكتور) تتواجد كثيراً على الترجمات إلى العربية، على الأقل تلك التي تمّ الاطلاع عليها، في حين لا يبدو هذا التقليد موجوداً في الترجمات إلى الإنجليزية.

بالنسبة للعنوان والغلاف لاحظنا أن الترجمتين قد اعتمدتا على النقل الحرفي للعناوين، وهو أمر مفهوم ويعكس محتوى النص بشكل جيد، فرواية *Beloved* تقوم على شخصية بنفس الاسم وأي تغيير للعنوان كان من شأنه أن يطمس ليس فقط فكرة الرواية ولكن أيضاً رؤية موريسون الإبداعية. وصحيح أن إمكانية تغيير العنوان في رواية *Atonement* أكبر، لكننا نحسب أن قرار المترجم بالاحتفاظ بالعنوان الأصلي قرار صائب لأنه حافظ على الرابط الموجود مع النص بنفس قوة الرابط الأصلي. ونجد في الترجمة "محبوبة" إشارة على الغلاف إلى أن الرواية من روائع الأدب الأمريكي وأنها حائزة على جائزة

بوليتزر لعام 1988م. أما صورة الغلاف، وهي أحد العناصر المكونة لما يُصطلح على تسميته بـ "العتبات المرئية"، فجاءت عبارة عن فتاة زنجية وكأنها وراء قضبان، ولا يفهم من تعابير وجهها إن كانت حزينة أو غاضبة. والصورة خاصة بالناشر العربي وليس لها علاقة بالرواية الأصلية. بالنسبة للتفاصيل حول أهمية الرواية فهي استراتيجية تسويقية لا يكاد يخلو منها أي إصدار، أصلياً كان أو ترجمة، فبالأكيد هناك نوع من التحفيز يأتي مع معرفة أن المرء بصدد قراءة نص جيد وعمل مهم. لكن في الحقيقة فوز عمل روائي بهذه الجائزة أو تلك ليس ضامناً لتجربة قراءة ممتعة، فالقراءة ترتبط بالذوق وتختلف التجربة من فرد لآخر. ثم إن قضية الجوائز والاستحقاق هي موضوع لا يتسع المجال لمناقشته في هذا البحث، لكنّه مع ذلك ليس أقل تعقيداً. ومع ذلك هناك بعض التفاصيل عن الثقافة والأدب الأمريكي يمكن للقارئ أن يستشفها، كوجود الجائزة واسمها.

بالانتقال لصورة الغلاف، نلاحظ أنّها تخدم بشكل جيد مضمون الرواية، فغالبا الفتاة على الغلاف هي "سيث" بطلة الرواية، ومن الواضح أنها تعاني وتناضل من أجل الحرية. بالنسبة للقارئ العربي، ما يمكن استخلاصه من الصورة ليس معلومة بعينها ولكن فكرة عامة بأن النص مهتم بفئة بعينها من الشعب الأمريكي وهم الزنوج وبمعاناتهم لقرون مع عنصرية الأمريكيين البيض. من هذا المنظور يمكن اعتبار هذه الصورة وسيلة من وسائل إيضاح بعض الملامح الثقافية الموجودة في النص، وفي المجتمع الأمريكي بشكل عام.

بالنسبة لـ "الكفارة"، وعلى خلاف النص الأصلي الذي فيه تنويه بأن الرواية هي ضمن القائمة القصيرة لجائزة البوكر لعام 2001، لم ترد في غلاف الترجمة أي معلومات إضافية بخصوص النص من حيث قيمته الأدبية أو أهمية كاتبه. وفيما يبدو اختار الناشر طريقة مختلفة للترويج، بحيث اعتمد على صور مأخوذة من الفيلم السينمائي المقتبس عن الرواية، مع التركيز على القصة الرومانسية بين "روبي" و"سيسليا" وكذلك على الممثلة "كيرا نايتلي"، على اعتبارها وجهاً معروفاً ليس فقط في الغرب ولكن أيضاً

في العالم العربي. فكأنني بالناشر يحاول إخبار القارئ أنه سيجد بين صفحات هذا الكتاب الفيلم المشهور الذي يُحتمل أن يكون قد شاهده، أو الممثلة المفضلة لديه. وقد انتشر اتجاه واسع لإعادة طباعة الكتب، الأعلى مبيعاً خاصة، بعد اقتباسها للسينما. و على اعتبار أن شراء حقوق النص لترجمته منفصلة عن حقوق صورة الغلاف يمكن فهم سبب عدم وجود ترجمات بنفس غلاف النص الأصلي (Gerber, 2012, 54). وطبعاً لا يخفى على القارئ ما يمكن أن يترتب على هذا التغيير من أثر على كيفية تلقي النص. وتسمح مقارنة غلاف الترجمة بغلاف النص الأصلي بإدراك كيف أن لما يظهر على الغلاف علاقة مباشرة بالطريق الذي يُراد للقارئ أن يسلكه. إذ اختارت طبعة النص الأصلية صورة بألوان باهتة، أشبه بصور الأبيض والأسود، لفتاة في بداية شبابه، حافية القدمين تجلس على درج عتيق، تبدو مستغرقة في التأمل وفي الوقت ذاته توحى بشيء من العناد والتمرد في شخصيتها. بعيداً في الخلفية يمكن ملاحظة وجود حديقة. كل تفاصيل الصورة تحاول تلخيص أهم عناصر الرواية بكثير من الإبداع، فبريوني موجودة في قلب الصورة لأنها هي المحرك الرئيسي للأحداث، ولولا كذبتها تلك لما كان لهذه الرواية وجود. كما تُنبئ الوضعية التي التقطت فيها صورة الفتاة بأهمية الخيال كونه فكرة محورية في الرواية. طبعاً كل هذه التفاصيل غابت في النص المترجم لأنه اختار وسيلة مغايرة وهي الفيلم. نعتقد أن هذا الاختيار يهدف في المقام الأول لتحقيق الربح المادي، لكن فيما يتعلق بأي مساهمة فعلية في إيضاح الملامح الثقافية للنص الأصلي وإعادة بناء المعنى من خلال الصورة فهي غير موجودة، بل على العكس إنَّ الصور المختارة من شأنها أن تُلبس الفهم على القارئ وتحمله على تأويل النص في غير إطاره الصحيح.

أحياناً نجد أن اهتمام الناشر يذهب إلى عناصر من شأنها جذب انتباه القارئ، مثل الغلاف، الذي يتم استغلاله لوضع كل ما من شأنه إقناع القارئ بقيمة الرواية التي بين يديه. فمثلاً في الترجمة "شيفرة دافينتشي"، نجد صورة للموناليزا، أشهر أعمال ليوناردو دافينتشي وأحد أهم العناصر التي تدور

حولها الرواية. كما نجد تنويهاً بأن الرواية تم تحويلها إلى عمل سينمائي ضخم. وفي ظهر الغلاف أدرجت بعض ردود الأفعال الإيجابية حول النص الأصلي. والتركيز على هذه الجوانب يكون عادة مدفوعاً برؤية تجارية بحثة لدى الناشر الذي يستهدف مبيعات أكبر للكتاب وبالتالي العائد المادي، ولا أدل على ذلك من أن ترجمات أعمال المؤلف⁴ الأخرى جاء على غلافها بأن الأعمال هي لمؤلف "شيفرة دا فينشي"، أي أن هناك نية في استغلال صيت هذه الرواية لتحقيق الربح والنجاح مع الأعمال الأخرى. طبعاً، حين يكون الهدف مادياً بالأساس، نجد أن التركيز على الشق الثقافي لا يكون أولوية، فلا يصبح لعتبات النص هنا، أي تأثير يُذكر على تجلي السمات الثقافية للنص الأصلي في الترجمة، ويبقى الأمر متروكاً للنص وما قد تجود به ثنياه.

هناك ملاحظتين أخيرتين تتعلقان بردود الأفعال الإيجابية والصدى الذي لاقته الأعمال في الصحف والمجلات والكيفية التي استغل بها ظهر الغلاف. في "الكفارة" تصدرت قائمة بالجوائز والترشيحات الرواية وجاءت متبوعة بالكثير من الإشادات من مجلات وصحف أدبية وغير أدبية. وحتى ظهر الغلاف استغل لنفس الغرض. من الواضح أن الناشر يحاول التأثير على القارئ بشتى السبل، وبما أن مثل هذه الاستراتيجية واسعة الانتشار في سوق الكتب بشكل عام، فيمكن القول أن إدراج هذا النوع من المعلومات يجعل النص أكثر جاذبية، وبالتالي يؤثر بشكل إيجابي على مبيعات النص وانتشاره. أما في "محبوبة"، فقد اختار الناشر وضع بعض التعليقات المشيدة بالقصة وصاحبيتها في آخر الكتاب، فمن الواضح أن الهدف التجاري ليس أولوية، وما يؤكد هذه الفكرة هو أن ظهر الغلاف استُغل للفت انتباه القارئ أن هدف سلسلة "من روائع الأدب الأمريكي" هو معرفي في المقام الأول، ذلك أنها "تكفل فهماً عميقاً للأوضاع في هذا البلد القارة، الولايات المتحدة، على نحو لا تتيحه أي قراءات مهما اتسعت عن أوضاعها الاجتماعية وحضارتها وسياساتها واقتصادها وعلومها وفنونها." وسواء كان الهدف

رواية "ملانكة وشباطين" (2005) ورواية "حقيقة الخديعة" (2006)⁴

تجارياً أو ثقافياً، فإنَّ القارئ العربي قد تمكن من التعرف على بعض التقاليد الأدبية الموجودة في الغرب وعلى دور المجالات والصحف في تمكين أو زعزعة صورة عملٍ أو أديب ما، كما أنَّ حجم ردود الأفعال المرصودة يشير إلى الاختلاف البين بين الثقافتين العربية والغربية في هذا العصر فيما يتعلق بدور الأدب ومكانته. يمكن بإيجاز القول بأن ما جاء في بداية أو نهاية المدونة أو على ظهر الغلاف، كشف عن جانب من السياق التاريخي والأدبي لهذه الأعمال، وبالتالي أسهم بشكلٍ إيجابي في إيضاح بعض الملامح الثقافية للنصوص الأصلية.

3.4. تحليل آليات إيضاح وتضمنين المحتوى الثقافي في المدونة في ضوء المقاربات الثقافية

سنقوم في هذا القسم الثاني من الدراسة بتحليل أمثلة من المدونة لرصد مدى تأثير التفاعل الثقافي مع النص وخطابه بمختلف أساليب الإيضاح والتضمنين التي تستعملها الترجمات. ولما كان تركيز النصوص على الملامح الثقافية مختلف، فسنحاول قدر المستطاع الاحتفاظ بتقسيم يشبه تقسيم الفصل التطبيقي السابق في حدود ما تسمح به طبيعة الأمثلة محللة. ذلك أنَّ النصوص الإنجليزية جاءت شحيحة بالمحتوى الديني، الذي كان شديد الغزارة في النصوص العربية. كما أنَّ النصوص الإنجليزية جاءت غنية بالمحتوى التاريخي والعمراني والأدبي، وهو ما حتمَّ إجراء تعديلات على الجوانب الثقافية المعنية بالتحليل. لكنَّ هذا لا يؤثر بأي شكل على الدراسة، لأنَّ المقصود هو فهم آليات الترجمة وهذا لا يكون بالضرورة من خلال نفس الجوانب، فالهدف من التقسيم في المقام الأول تسهيل عملية التحليل وربطها بموضوعات تجعل عملية القراءة أكثر سلاسة.

1.3.4. الإيضاح والتضمن وعلاقتهما بالتفاعل الثقافي

نحاول في هذا الجزء من الدراسة تحليل كيفية عمل آليات الإيضاح والتضمن في النصوص المترجمة ومدى تأثير هذه الأساليب على التواصل الثقافي بين القارئ والثقافة الأصلية.

1.1.3.4. التفاعل الثقافي بين إيضاح وتضمن المحتوى الخاص بالمأكل والملبس والمحيط

سنقوم فيما يلي بتحليل بعض الأمثلة عن التفاعل الثقافي المرتبطة بتفاصيل الحياة اليومية الخاصة بثقافة النص الأصلي، وذلك من خلال فحص آليات عمل أسلوب الإيضاح والتضمن في النص. فمن المعلوم أنّ أكثر ما يميز الثقافات بعضها عن بعض هو تقاليد الطعام واللباس والعمارة وما يرتبط بهم. فيما يلي سنقوم بتحليل نماذج عن الترجمة من خلال مجموعات منفصلة، تُعنى كلّ مجموعة بخصوصية ثقافية بعينها.

1.1.1.3.4. نماذج عن ترجمة أسماء الأطعمة

نقوم في الجداول أدناه بعرض بعض النماذج عن ترجمة أسماء الأطعمة قصد تحليلها والوقوف على مدى نجاح أو فشل أساليب الإيضاح في إبراز ملامح الثقافة الأصلية. وقد تم تقسيم الأمثلة إلى ثلاث مجموعات (م1)، (م2)، (م3).

النص الأصل	الترجمة العربية
1. To prepare a special roast dinner (<i>Atonement</i> , 33)	أن تعد وجبة عشاء تتألف من لحم الروست (الكفارة، 64)
2. to the pool to drink the punch (<i>Atonement</i> , 67)	للتناول مشروب البانش (الكفارة، 108)

قال ماسي. انه لم يذق ولم يسمع في حياته عن باتيه كبد الإوز، وأنه من الآن فصاعدا لن يأكل شيئا عداه (الكفارة، 273)	3. Mace said that he had never tasted, never even heard of, goose liver pâté , and from now on, he would eat nothing else. (<i>Atonement</i> , 198)
ام تريدين سلطة الغراتن بالكرنب (الكفارة، 156)	4. "A cauliflower gratin salad?" (<i>Atonement</i> , 105)
وراحت سيث توزع البودنج على الأطباق (محبوبة، 126)	5. Sethe was dishing up bread pudding (<i>Beloved</i> , 76-77)

الجدول 1/4: نماذج عن ترجمة أسماء الأطعمة (م1)

في الأمثلة الخمسة الأولى، نلاحظ اعتماداً على الاقتراض، يكون أحياناً مرفوقاً بهامش (2، 4). والحقيقة أنّ وحدة الأسلوب في الأمثلة لا تضمن تشابهاً في النتائج المحصل عليها فيما يخص التفاعل الثقافي المراد الوصول إليه كما سنبين الآن. فقرار استعمال أسلوب الاقتراض مع الإيضاح في "وجبة عشاء تتألف من لحم الروست"، في المثال (1) غير مفهوم أصلاً، إذ أنّ المقصود في المثال هو مائدة أو حفلة شواء (OLD). ولا نعتقد بأن استعمال مصطلح "الروست" يخدم بأي شكل فكرة التفاعل الثقافي، فهذه المحاولة للإيضاح لم تزد الأمر إلا تعقيداً خاصة والأمر يتعلق بفكرة بسيطة وعامة موجودة في مختلف الثقافات وهي فكرة حفلة الشواء. في المثال (2) أضاف المترجم المصطلح العام "مشروب" للاسم المقترض "البانش" وزاد هامشاً أوضح فيه أن "الشراب مؤلف من عصير فاكهة أو أكثر مع سكر وماء" (ص 108). ولم يخلو هذا الهامش من انتقاء في السياق، فمن الواضح أنّه تجنّب الإشارة إلى أنّ المشروب في الغالب يُحضّر بإضافة المشروبات الكحولية لعصير الفواكه (OLD). فالحال أنّ الهامش التعريفي أخفى عمداً فيما نعتقد جانباً من المعنى، وهو أمر يتعلق بتقدير المترجم أن ما من ضرورة لإدراج هذا التفصيل تحديداً في التعريف لاعتبارات عرقية في الغالب.

يسلّط المثال (3) الضوء على حالة مختلفة، فاستعمال الاقتراض "باتيه" من شأنه بالفعل أن

يوضح المعنى للقارئ خاصة وأنّ اللفظ شائع الاستعمال في الكثير من الدول العربية. وبالتالي سمح

الاقتراض في هذه الحالة، بالنظر لتواتر استعماله عند العرب، من إبراز إحدى خصوصيات المطبخ الفرنسي، وبالتالي تحقيق تفاعل مع الثقافة الأصلية. أما في المثال (4)، وعلى الرغم من وجود حالة مشابهة للمثال السابق فيما يتعلق بمصطلح "غرانت" والذي يعدّ هو الآخر مصطلحاً معروفاً وواسع الانتشار خاصة مع وجود قنوات طبخ كثيرة على مختلف الأرضيات والوسائط، إلا أنّ المترجم قدّر أنّ هناك حاجة لإضافة هامش. ولم يزد الهامش عما هو موجود في المعاجم الإنجليزية (OLD, Cambridge, Merriam Webster)، ولا نعتقد أنّ أيّ فائدة ترجى منه نظراً، كما أسلفنا، للاستعمال الواسع للمصطلح في المجتمعات العربية. ولعلّ ترجمة "cauliflower" بـ "كرنب" هو المشكلة الأكبر، لأنّ الأمر يتعلق بنوعين مختلفين من الخضار. وصحيح أن مصطلح "بودنج" (5) هو الآخر اقتراض مُستعمل في اللغة العربية، ولكن ربما بوتيرة أقل من المثالين السابقين، إلا أنّ الترجمة فشلت في إبراز هذه الخصوصية. فالنص الإنجليزي يتحدث عن نوع خاص من البودنج، "bread pudding"، وهو نوع من الحلوى يُخلط فيه الخبز مع البيض والحليب، ثمّ يضاف إليه السكر والفواكه الجافة (OLD). فحتى وإن كان الاقتراض شيئاً ما راسخ (البعلبكي، 2007م، 738)، فهو يبقى مصطلح عام ويحيل إلى التحلية دون أن يُحدّد نوعها. من خلال هذه المجموعة الأولى من الأمثلة يتضح أنّ لأسلوب الاقتراض نتائج متفاوتة فيما يتعلق بالتفاعل الثقافي وأنّ استعمال الهوامش لا يعزز بالضرورة نجاعة هذا التفاعل. يستعرض الجدول الموالي المجموعة الثانية (م2) من نماذج ترجمة أسماء الأطعمة

النص الأصل	الترجمة العربية
6. "A horseradish sauce salad?" (Atonement, 105)	سلطة الجرجير بالصلصة (الكفارة، 156)
7. "What did you think of our baguettes and ficelles?" "And our croissants?" (Atonement, 309)	ما رأيك في رغيف مستطيل؟ وما رأيك بالمعجنات الهلالية الشكل؟ (الكفارة، 410)

فرغوا من الكرنب حين دفعت كواحل الخنزير المدخنة اللامعة في كومة على أطباقهم. (محبوبة، 126)	8. The cabbage was all gone and the shiny ankle bones of smoked pork were pushed in a heap on their plates. (<i>Beloved</i> , 76-77)
لتذوق حساء ذيل الثور (محبوبة، 416)	9. taste oxtail soup (<i>Beloved</i> , 293)
اشترت دنفر حلوى وعرقسوسا ونعناعاً وليمونادة (محبوبة، 101)	10. Denver bought horehound, licorice, peppermint and lemonade. (<i>Beloved</i> , 58)
عسل النحل والشمع الذي يحتويه، شطائر السكر، مولاس العسل الأسود الذي تجمد وأصبح صلباً في العلبة، الليمونادة، الملابس، وأي نوع من الحلوى (محبوبة، 111)	11. Honey as well as the wax it came in, sugar sandwiches, the sludgy molasses gone hard and brutal in the can, lemonade, taffy and any type of dessert. (<i>Beloved</i> , 66)
قطعت سيث حبة لفت سويدية أربعا (محبوبة، 115)	12. Seth cut a rutabage into four pieces (<i>Beloved</i> , 69)
أعطت دنفر مكيالا من البازلاء الجافة لفرزها ونقعها أثناء الليل (محبوبة، 115)	13. She gave Denver a half peck of peas to sort and soak overnight. (<i>Beloved</i> , 69)
يمكننا أن نشوي بعض البطاطس (محبوبة، 299)	14. "We could roast some taters," (<i>Beloved</i> , 206)

الجدول 2/4: نماذج عن ترجمة أسماء الأطعمة (م2)

في المجموعة الثانية من الأمثلة (6-14) نلاحظ اعتماداً على أسلوب الترجمة الحرفية حيناً والمكافأة حيناً آخر، مع وجود إضافات إيضاحية وأيضاً حذف هنا وهناك بدرجات مختلفة وبانعكاسات متباينة على التفاعل الثقافي بين القارئ والثقافة الأصلية. ففي المثال (6)، نجد أنّ المترجم استعمل مصطلح "جرجير" مكافئاً لـ "horseradish" وهو اختيار غير دقيق لأنّ الجرجير من الخضروات الورقية، بينما نوع الخضروات المقصود في النص الإنجليزي هو "الفجل الحار" (البعليكي، 2007م، 435) وهو من الخضروات الجذرية. كما في مثال سابق (4)، وكذلك في مجموعة الأمثلة الخاصة بالنباتات والحيوانات لاحظنا أنّ الترجمة تنقصها الدقة وهو أمر لا علاقة له بالاختلاف الثقافي. قد يُخفق مسعى التواصل الثقافي في مثل هذه الحالات بسبب نقص في تركيز أو كفاءة المترجم وليس لوجود عوائق ثقافية معينة. ويسلط المثال (7) بالمقابل الضوء على مثل هذه العوائق في الترجمة، فلفظي "baguette"

و "ficelle" في النص الإنجليزي هما لفظين فرنسيين استعمالاً في معرض حديث عن تفوق الفرنسيين في صناعة المخبوزات والمعجنات. قرّر المترجم استعمال "رغيف مستطيل" للأول وحذف الثاني، وهو ما أثر سلباً على التفاعل الثقافي. إذ يفقد الجمع بين لفظي رغيف ومستطيل للمنطق، فكأنني أقول للقارئ دائرة مستطيلة، لأن رغيف يحيل إلى نوع خاص من الخبز دائري الشكل، بينما يحيل اللفظ الفرنسي إلى الخبز مستطيل الشكل. كان من الأنسب استعمال اللفظ العام "خبز" بدل "رغيف". ويمكن رد قرار الحذف إلى صعوبة إيجاد المكافئ المناسب من جهة وإلى تقدير المترجم إلى أنّ الخسارة ليست كبيرة، ف "ficelle" هي شكل مصغر من الخبز المستطيل (Larousse). وثاني مشاكل هذه الترجمة هو إخفاؤها للتنوع اللغوي الموجود. وأثر المترجم في نفس المثال استعمال عبارة "معجنات هلالية الشكل"، وهو اختيار يسمح بالحد الأدنى من الفهم، على الرغم من أنّ لفظ "croissant" شائع الاستعمال وربما كان لاقتراضه نتيجة أفضل على التواصل الثقافي. لكن عموماً لم توفق الترجمة الحرفية وما صاحبها من حذف في إبراز هذه الخصوصية الفرنسية في صناعة الخبز. في المثال (8)، لم يؤثر حذف لفظ "bones" على نقل فكرة الطبق المذكور في النص الأصلي، كما لم يكن للترجمة الحرفية أي أثر سلبي على إبراز طبيعة هذا الطبق. فحتى وإن جهل القارئ هذا النوع من الطعام فإن الترجمة بهذا الشكل تسمح بإعطاء تصور واضح عنه، حتى وإن اختلفت العادات الغذائية بين الثقافتين. وقد لاحظنا نفس الأمر بالنسبة للمثال (9)، إذ يمكن بسهولة تصور طبيعة الطبق من خلال الترجمة الحرفية، وإن كان من المتوقع أن يستغرب القارئ نوع الحساء في حد ذاته.

يذكر المثال (10) عدداً من أنواع الحلوى التي اشترتها دنفر في نزهتها، ولم تُفلح الترجمة في إبراز التفاصيل والتنوع الموجود في النص الإنجليزي. فقد تُرجم مصطلح "horehound" باللفظ العام "حلى"، وهي ترجمة تطمس كلياً الخصوصية التي يحيل إليها اللفظ الإنجليزي، إذ يعني الأخير نوعاً من الحلوى بنكهة عشبة طبية تسمى "الفراسيون" (البلبكي، 2007م، 434). كما أنّ ترجمة "peppermint"

ب "نعناع" ليست خاطئة، لكننا نعتقد أنّ المقصود في النص هو الحلوى بنكهة النعناع. ولم تؤثر ترجمة "lemonade" ب "ليمونادة"، بدل عصير الليمون، على تلقي المعنى، لأنّ هذا الاقتراض أيضاً شائع الاستعمال في الدول العربية. ولوحظ نفس النوع من المشاكل في ترجمة المثال (11)، بحيث تُرجمت "sludgy molasses" ب "مولاس العسل الأسود"، وفي هذا خطبين، أولاً إضافة "عسل أسود" وهو غير موجود في النص الأصلي، وثانياً استعمال الاقتراض "مولاس" والذي بالتأكيد سيلبس الفهم على القارئ في غياب أي توجيه إضافي. والمراد هنا دبس السكر (البعليكي، 2007م، 587)، ولم تسمح الترجمة بنقل هذا المغزى. وتعني "taffy" نوعاً من الحلوى المصنوع من تشكيل دبس السكر (OLD)، واختيار المكافئ "ملبس" ليس دقيق تماماً، لأنّ الأخير نوع مختلف من الحلوى، "ثقل من لوز ونحوه يُلبس سكرًا" (رضا، 2006م، 1524). يُظهر لنا هذان المثالان كيف يمكن للترجمة أن تخفي خصوصية بعض أنواع الأطعمة من خلال الإضافات غير الدقيقة، وكذا الاعتماد على مكافئات غير مناسبة أو اقتراض يزيد من غموض المعنى. ولا توجد في الأمثلة (12، 13، 14) مشاكل من هذا النوع، ولكن يمكن ملاحظة إضافة "الجافة" إلى "بازلأء" في ترجمة المثال (12)، على الرغم من أنّ وجود لفظ "نقع" كفيل برفع اللبس، إذ لا تُنقع الحبوب الطازجة. واستعمل لفظ "بطاطس" (14) لترجمة "taters"، وهي ترجمة على صحتها تخفي جانب اللهجة المحلية في اللفظ الإنجليزي (Merriam Webster).

يستعرض الجدول الموالي المجموعة الثالثة (م3) من نماذج ترجمة أسماء الأطعمة

النص الأصل	الترجمة العربية
15. ate a piece of Ella's head cheese . (<i>Beloved</i> , 222)	أكل ستامب قطعة رغيف ايللا المحشو بلحم رأس الخنزير المتبل (محبوبة، 321)
16. "Will you be wanting a Brussels sprouts salad ?" (<i>Atonement</i> , 105)	أترغبين في سلطة الكرنب ذي الرؤوس الصغيرة الناعمة؟ (الكفارة، 156)
17. Beloved looked at the sweet bread in Denver's hands (<i>Beloved</i> , 66)	نظرت محبوبة إلى شرائح البنكرياس في يدي دنفر (محبوبة، 111)
18. The launch of Rainbow Amo had been a triumph (<i>Atonement</i> , 49)	لم يكن افتتاح رينبو آمو انتصاراً (الكفارة، 83)
19. the greater challenge yet of Army Amo, the khaki bar with the Pass the Amo! Slogan (<i>Atonement</i> , 49-50)	ثمة تحدٍّ أكبر يمثلته آرمي آمو، قطعة الشوكولا بلون الخاكي وعليها شعار "ناولني الآمو". (الكفارة، 84)
20. "We're calling it the Army Amo ." " Amo amas amat ," she said. (<i>Atonement</i> , 62)	إنّنا نسمي هذا هذه القطعة آرمي آمو. قالت: - آمو أماس أمات (الكفارة، 101)

الجدول 3/4: نماذج عن ترجمة أسماء الأطعمة (م3)

يبدو أنّ هناك مجهوداً إيضاحياً أكبر في الأمثلة (15، 16، 17)، وهو ما يمكن ربطه

بصعوبات في الترجمة. وتعكس ترجمة "head cheese" بـ "رغيف محشو بلحم رأس الخنزير المتبل"

(15) رغبة المترجم في إزالة أي غموض محتمل لدرجة أنّه أضاف "رغيف محشو" مع أنّه غير موجود

في النص الأصلي. سمحت الترجمة للقارئ بتصور واضح لماهية الطبق، لكنّ الإضافة التي أشرنا إليها

لم تكن ضرورية ولا تسهم بأيّ شكل في تلقي هذه الخصوصية بشكل صحيح. وتجنب المترجم نقل اسم

مدينة "بروكسل" الموجود في نوع السلطة في المثال (16)، وقام باستبدالها بـ "الكرنب ذي الرؤوس

الصغيرة الناعمة"، وهو توصيف لهذا النوع من الخضار، لكن ربما كان من الأصح استعمال "رؤوس

الكرنب الصغيرة" لإعطاء صورة واضحة عن هذه السلطة. نعتقد أنّ هذه الترجمة أنجع من "كرنب

بروكسل"، والتي قد تجعل القارئ في حيرة من أمره. ويلاحظ في المثال (17) أنّ المترجم أضاف لفظ "شرايح" وقرر أنّها شرايح "بنكرياس" وهو الاحتمال الأكبر، على الرغم من أنّ اللفظ الإنجليزي قد يعني أيضاً الغدة الصماء (OLD). تنبه هذه الأمثلة إلى الحالات التي تكون فيها أسماء الأطعمة أو الأطباق غير مرتبطة بمكوناتها ولا يمكن التكهن بماهيتها ما لم تكن هناك معرفة سابقة بها، وخيار توضيح طبيعتها في الترجمة يبدو منطقياً ويسمح بالتعرف عليها بشكل أفضل، حتّى وإن كان الثمن إخفاء شيء من الثقافة الأصلية يتعلق بطريقة التسمية.

ترتبط الأمثلة الثلاثة الأخيرة (18، 19، 20)، بفكرة الترويج والتسويق للمنتجات الغذائية، ويخص نوع من الشوكولاتة. وقد اختار المترجم في معظم الأحيان الإبقاء على أسماء العلامات التجارية على حالها كما جاءت في النص الأصلي، "رينبو آمو"، "آرمي آمو". لا تتأثر الترجمة سلباً في هذه الحالة لأنّ من السهل على القارئ التعامل مع أسماء العلامات حتى ولو لم يحط إحاطة كاملة بمعناها. لكنّ هذه الاستراتيجية لم تكن ناجعة في حالة المثال (20)، إذ أنّ الاحتفاظ بالعبارة اللاتينية "Amo, Amas, Amat" في النص العربي من شأنه أن يخلق صعوبة لدى المتلقي الذي لن يفهم في الغالب المعنى المضمن في العبارة عكس قارئ النص الأصلي. وتعني العبارة "أنا أحب، أنت تحب، هو يحب" ويجب الانتباه أنّ هذه العبارة، تماماً مثل شعار "ناولني الآمو" (19)، هدفها جذب الاهتمام، أي أنّ هناك عمل على الإيقاع والموسيقى والتركيب حتى تتعلق الأذن في مرحلة أولى ومن ثمة يقتنع المستهلك بالمنتج. ويتّبع المترجمون عادة أساليب مختلفة لمحاولة تحقيق هذا الانجذاب للنص أولاً، ثمّ المنتج في مرحلة لاحقة. لكن لوحظ في الأمثلة التي بين أيدينا عدم تركيز على هذا الجانب التجاري في الترجمة، وقد يعود ذلك لورود هذه الأمثلة في سياق أدبي، وهو أمر لم يثن كاتب النص الأصلي عن تقديمها بصيغة إخبارية جليّة. وقد تغير أسلوب الترجمة في "khaki bar" بحيث تم تفسير المقصود بـ "bar"، "قطعة شوكولاتة"، كما أضيف اللفظ العام "لون" للاقتراض "خاكي" وهو اقتراض لا مبرر له في ظلّ وجود

المكافئ العربي "كاكي" (البلعكي، 2007م، 501). يمكن القول أنّ الجانب الإشهاري والترويجي هو أكثر جانب تمّ إهماله في ترجمة هذه الأمثلة، ويعود ذلك ربما لورودها ضمن نص روائي وليس إعلان تجاري. لكنّ هذا لا يعدّ مبرراً كافياً خاصة إذا كان كاتب النص الأصلي شديد الانتباه لكلّ تفصيل في النص، ويعطيه حقّه من الألفاظ والموسيقى والوصف والتأريخ دون كلل أو ملل. وينعكس هذا الإهمال حتماً على مدى تفاعل القارئ مع الثقافة الأصلية، وقدرته على فهم الطبيعة الرأسمالية للمجتمع وأهمية النجاح المادي لأفراده.

2.1.1.3.4. نماذج عن ترجمة أسماء الأثاث واللوازم المنزلية

نقوم فيما يلي بتحليل نماذج عن ترجمة أسماء الأثاث واللوازم المنزلية مقسمة إلى مجموعتين (م1) و(م2) في جدولين منفصلين. يحتوي الجدول الموالي على نماذج المجموعة الأولى.

النص الأصل	الترجمة العربية
1. In the delicious gloom of her canopy bed (<i>Atonement</i> , 4)	إلى ظل سريرها اللّذيد (الكفارة، 28)
2. and set the vase on a chest of drawers by a four-poster bed (<i>Atonement</i> , 45)	ووضعت المزهريّة، فوق خزانة ذات أدراج على مقربة من سرير ذي أربع قوائم عالية (الكفارة، 78)
3. a floral wallpapered box with a louring wardrobe and candlewick bedspread (<i>Atonement</i> , 84)	صندوق بورق جدران تزيّنه الأزهار وخزانة ثياب موحشة وغطاء فراش مطرز بغزل قطني (الكفارة، 129)
4. The canvas chairs (<i>Atonement</i> , 49)	الكراسي المطوية (الكفارة، 83)
5. on an American cherry-wood table (<i>Atonement</i> , 20)	فوق منصدة من خشب الشيري الأمريكي (الكفارة، 47)
6. on the silk chaise longue in the drawing room (<i>Atonement</i> , 44)	فوق الأريكة الحريرية في غرفة الاستقبال (الكفارة، 77)
7. Like Marshall, Cecilia sat apart, on the harpsichord stool . (<i>Atonement</i> , 176)	جلست سيسيليا شأنها شأن مارشال على كرسي بعيد قليلا (الكفارة، 247)

على الكرسي المصنوع من خشب الصفصاف المطلي باللون الأزرق الباهت والحصيرة الكبيرة من الفلين (الكفارة، 109)	8. the faded blue wicker chair , and underfoot, the giant cork mat (<i>Atonement</i> , 69)

الجدول 4/4: نماذج عن ترجمة أسماء الأثاث واللوازم المنزلية (م1)

لقد جاء نص رواية *Atonement* خصوصاً غنياً بالتفاصيل المتعلقة بالأثاث ونوعه والمواد التي صُنِع منها. واعتمد المترجم أساليب متنوعة في تعامله مع هذه التفاصيل. ففي المثال (1) تجنب المترجم ذكر نوع السرير، "canopy bed"، واكتفى بالمصطلح العام "سرير"، وهو خيار عَوِّل فيه المترجم ربما على النص المرافق أين يُذكر الظِّل. ولكنَّ هذا لا يمنع حقيقة أن القارئ العربي لن يلاحظ خصوصية هذا النوع من الأسرة في الترجمة، وهي أسرة مزودة بغطاء من الخشب أو القماش أشبه بالسقف (Cambridge)، وهو ما يفسر وجود الظِّل بالأساس. وقد سمحت الترجمة الحرفية في المثال (2) بتلافي التعميم السابق، إذ تمكن المترجم من إعطاء القارئ صورة واضحة عن نوعية الأثاث المقصود. ويمكن قول الأمر نفسه عن المثال (3)، فلم نلاحظ مشكلة في ترجمة أسماء الأثاث، لكن كان من الواضح وجود بعض الصعوبة في ترجمة نوع غطاء السرير، "candlewick"، ويعني غطاء قطني ناعم محاك بطريقة خاصة تجعل بعض الخطوط تبرز وتعطيه هذه التسمية (OLD)، أي أن التسمية مرتبطة بطريقة الحياكة. واستعمل المترجم "غزل قطني" لإيصال هذا المعنى، وهو ما يذهب إليه المورد (2007م، 148)، وتجمع العبارة بين فكريتي المادة المستعملة وهي القطن والعملية وهي الحياكة أو الغزل. ونعتقد مع ذلك أن الترجمة لا تعطي فكرة دقيقة عن نوعية الغطاء، حتى وإن كان مجهود المترجم في إبراز ذلك جلياً. أما في المثال (4) فقد استعاض المترجم عن المادة التي صُنِع منها الكرسي، "canvas"، بصفة أخرى وهي "الطي". وصحيح أن الكراسي المصنوعة من قماش القنب (البعلبكي، 2007م، 149) كثيراً ما تكون من النوع الذي يُطوى، لكنّها قد تكون أيضاً من النوع العادي، وتطمس الترجمة بهذه الطريقة نوعية الكراسي الخاصة وتُدخلها ضمن فئة الكراسي المطوية بشكل عام. وتسمح هذه الأمثلة بملاحظة

وجود ميل للمترجم بالانتقال من الخاص إلى العام، وتجنب التدقيق في التفاصيل وهو ما أدى في كثير من الأحيان إلى إخفاء جانب من الثقافة الأصلية متعلق بشكل خاص للحياة اليومية الأثاث جزء منه. أي أنّ أسلوب التضمنين في هذه الحالة هو ما أدّى إلى طمس السياق الأصلي بعض الشيء.

تسلط الأمثلة (5-8) الضوء على الحالات التي ترتبط فيها الخصوصية بمادة الصنع أو الشكل.

إذ اختار المترجم الاحتفاظ بلفظ "cherry" على حاله في الترجمة (5)، وهو قرار غير مفهوم في ظل وجود المكافئ العربي الواضح "كرز". فقد يعتقد القارئ أنّ المقصود هو نوع من الأشجار لا يعرفه، فهذا الاقتراض لا يسمح لمن ليس لهم معرفة بالّلغة الإنجليزية من ربط المصطلح بمعارفهم السابقة وبالتالي يخفي المعنى في النص العربي. وتخفي ترجمة "chaise longue" (6) بالمصطلح العام "أريكة" هي الأخرى النوعية الخاصة للأريكة المقصودة باللفظ الإنجليزي، ويعني مقعد قليل الارتفاع له ظهر وذراع واحد، ويمكن للشخص أن يتمدد فوقه (OLD). وكذلك الحال بالنسبة لترجمة "harpsichord stool" بـ "كرسي" (7) والتي تطمس ليس فقط نوع الكرسي ولكن أيضاً خصوصيته من حيث استخدامه للعزف. و "stool" هو نوع من الكراسي دون ظهر (OLD)، أما "harpsichord" فهي آلة موسيقية قديمة تشبه البيانو ولكن تعمل بآلية مختلفة (OLD)، وكلا التفصيلين غائب في الترجمة. ويذكر المثال (8) نوعين من الأشجار هما الخيزران، "wicker"، والفلين، "cork"، بيد أن المترجم استعمل الصفصاف بدل الخيزران وأضاف العبارة التوضيحية "المصنوع من خشب". تمت الإشارة من قبل إلى أنّ ترجمة أسماء النباتات والأشجار تعوزها أحياناً الدقة، للاختلاف الموجود ربما بين طبيعة البلدان العربية والطبيعة الأوروبية. تنوعت أساليب الترجمة في هذه المجموعة من الأمثلة أيضاً، لكنها تؤكد النتيجة المتوصل إليها سابقاً وهي الاستعمال غير المبرر للاقتراض والميل للتعميم الذي يخفي الكثير من تفاصيل الثقافة الأصلية. يتضمن الجدول الموالي المجموعة الثانية (م2) من نماذج الترجمة الخاصة بأسماء الأثاث

واللوازم المنزلية.

النص الأصل	الترجمة العربية
9. by the three faded Chesterfields (<i>Atonement</i> , 20)	ثلاث أرائك باهته الألوان من طراز تششرفيلد (الكفارة، 48)
10. A Chippendale sofa (<i>Atonement</i> , 45)	أريكة من طراز شيبينديل (الكفارة، 78)
11. Under the chintz counterpane (<i>Atonement</i> , 45)	من تحت اللِّحاف القطني المزركش (الكفارة، 78)
12. Put them in the big Tuscan bowl (<i>Atonement</i> , 105)	ضعيها في طاس كبير (الكفارة، 155)
13. The vegetables in lidded serving dishes, or on platters of faded Spode (<i>Atonement</i> , 128)	مررت اطباق الخضراوات المغطاة، أو المنتظمة في آنية من الخزف السبودي (الكفارة، 186-187)

الجدول 5/4: نماذج عن ترجمة أسماء الأثاث واللوازم المنزلية (م2)

يتعلق المثالان (9، 10) بأنواع أثاث بريطاني عريقة، ولتسميتهما ملابسات تاريخية قدر المترجم أنَّ القارئ يجب أن يلمَّ بها فأرفق الترجمتين بهامشين. وتجدر الإشارة قبل تحليل الهوامش إلى أنَّ المترجم في هذين المثالين أيضاً استعمل أساليب توضيحية من قبيل إضافة "أرائك من طراز" (9)، أو "من طراز" (10)، وهي إضافات توجه انتباه القارئ إلى أنَّ ما سيلي ذكره هو اسم نوع من الأرائك، وبالتالي تسهل عليه معالجة النص وتوضح له المعنى. في الهامش الأول أوضح المترجم أنَّ الـ "أريكة كبيرة الحجم، نسبة إلى إيرل أوف تشستر فيلد تمتاز بمساندها المرتفعة" (ص 48). إذا ما قورنت المعلومات الموجودة في الهامش مع تلك التي توفرها المعاجم أحادية اللغة الإنجليزية نجد أنَّ الأخيرة تركز في تعريفاتها على أهم خاصية لهذه الأرائك وهي الارتفاع المتساوي للظهر والمساند (OLD, Cambridge, Collins). فلم يوضح الهامش رغم وجوده هذه الفكرة ولكنه بالمقابل أوضح نسبة الاسم إلى شخص من النبلاء. ووُجدت نفس الملاحظات في الهامش الثاني والذي ينسب هو الآخر الاسم لمصمم أثاث بريطاني معروف ويصف أسلوب الأثاث بالخفيف والرقيق (ص 78). لكنَّ البحث في مصادر أخرى يؤكد العكس، إذ يتميز هذا النوع من الأثاث بالمبالغة في التزيين (OLD, Collins). تغتد هذه الهوامش للدقة، وقد تكون

سبباً في تصور خاطئ لدى القارئ. أي أنّ وجود الهامش في حدّ ذاته لا يكفل بالضرورة تفاعلاً ثقافياً، فالأمر منوط بنوعية المعلومات المقدمة والتي قد تكون أحياناً مضلّة. نتج عن قرارات المترجم المختلفة من حذف واقتراض وإضافة وتهميش وتعميم بعض الإبراز لخصوصية الأثاث المذكور في النص الأصلي، وكثير من الإبهام الذي أثر سلباً على حظوظ القارئ في التواصل مع الثقافة الأصلية.

ولا توحى ترجمة "chintz counterpane" (11) بـ "اللّحاف القطني المزركش" للوهلة الأولى بوجود أي خلل في المعنى المنقول. لكن نلاحظ بقليل من التفحص أمرين اثنين؛ أولاً أنّ لفظ "مزركش" والذي استعمل للتخصيص يبقى عاماً بالنسبة للفظ الإنجليزي "chintz" والذي يعني الغطاء القطني المزين بالورود وفيه شيء من اللّمعان (Cambridge)، ثانياً استعمل النص الإنجليزي اللفظ القديم "counterpane" بدل اللفظ الدارج "bedspread" لأنّ أحداث الرواية تدور في الماضي، في ثلاثينيات القرن العشرين. فتكون الترجمة في هذه الحالة قد أخفت جانبيين من الثقافة الأصلية، ولم تسمح لقارئ النص العربي بالاطّلاع عليهما. وحذف المترجم الصفة "Tuscan" في المثال (12)، وهو ما ينفي الخصوصية عن الوعاء في الترجمة. كما أبهم الفرق بين "lidded serving dish" و "platter" (13) في الترجمة نتيجة إسقاط فكرة التقديم، "serving" في الأولى، واستعمال المكافئ العام آنية في الثانية، في حين يعني اللفظ الإنجليزي طبق التقديم الكبير (OLD). وأضاف المترجم هامشاً في هذا المثال للتعريف بخزف "Spode"، ذكر فيه أنّ الأخير من أرقى أنواع الخزف (ص 187)، وهي معلومة لا تفيد القارئ كثيراً وكان من الأنفع ربما ربطها بالثقافة الإنجليزية. فخزف "سبود" هو صناعة محلية ويعدّ أحد أعرق أنواع الخزف في إنجلترا (OLD). تبرز هذه الأمثلة الثلاثة كيف تؤثر الترجمة سلباً على نقل أوجه متعددة لثقافة النص الأصلي بسبب التعميم أو الحذف أو حتى السياق الانتقائي في الهامش والذي لم يكن مفيداً في هذه الحالة خاصة وأنّ المترجم أشار في النص إلى أن الأمر يتعلق بالخزف.

3.1.1.3.4. نماذج عن ترجمة المصطلحات الخاصة بالأزياء والمظهر

سنقوم فيما يلي بتحليل بعض نماذج ترجمة المصطلحات الخاصة بالأزياء والمظهر تم تقسيمها

إلى ثلاث مجموعات (م1)، (م2)، (م3). يتضمن الجدول الموالي نماذج المجموعة الأولى.

النص الأصل	الترجمة العربية
1. a green gingham frock (<i>Atonement</i> , 11)	سترة قطنية خضراء (الكفارة، 37)
2. the antique peach and cream satin dress (<i>Atonement</i> , 14)	الثوب القديم المصنوع من قماش الأطلس بلون الخوخ والأبيض الحليبي (الكفارة، 41)
the blue satin sheath dress (<i>Atonement</i> , 116)	الثوب الأزرق الضيق (الكفارة، 171)
3. She wore pleated flannel trousers that ballooned at the hips and flared at the ankle, and a short-sleeved sweater made of cashmere . Other tokens of maturity included a velvet choker of tiny pearls , the ginger tresses gathered at the nape and secured with an emerald clasp (<i>Atonement</i> , 34)	كانت ترتدي بنطالا قطنيا ذا ثنيات ينتفخ عند الردفين ويتسع عند الكاحل، وكنتزة قصيرة الأكمام مصنوعة من الكشمير. ومن بين المؤشرات الأخرى على نضوجها لفاف مخملي ذو لآلى صغيرة، وخصلات شعر حمراء اللون، تجمعت في مؤخرة عنقها وثبتت بماسكة شعر خضراء اللون (الكفارة، 41)
4. The neck scarf and the rope belt around his flannel trousers may have been playful Romany touches . (<i>Atonement</i> , 83)	وربما كان للفاف عنقه والحزام الحليبي الذي يلف بنطاله القطني مسحة غجرية (الكفارة، 128)
5. A black crêpe de chine dress (<i>Atonement</i> , 96)	ثوب من الكريب الأسود (الكفارة، 145)

الجدول 6/4: نماذج عن ترجمة مصطلحات خاصة بالأزياء والمظهر (م1)

تتعلق الأمثلة في معظمها بأسماء قطع الملابس والأقمشة التي صنعت منها وطريقة خياطتها

وأيضاً ألوانها. وقد لوحظ اعتماد نفس أساليب الترجمة المذكورة آنفاً وهو ما أدى إلى طمس الكثير من

تفاصيل ثقافة النص الأصلي. ففي المثال (1) أخفت الترجمة جانبين اثنين وهما نوع اللباس وشكله. إذ

تعني كلمة "frock" فستان، وهي كلمة قديمة استخدمها قليل اليوم (OLD)، ولكنها تُرجمت بـ "سترة"،

وهي ترجمة غير دقيقة من جهة ولا تعكس جانب القدم وهو جانب مهم في سياق النص لأنه يحاكي الفترة التاريخية التي تدور فيها أحداث الرواية. كما تحيل الصفة "gingham" إلى القماش القطني على شكل مربعات (Cambridge)، وهذا الجانب أيضاً لا يظهر في الترجمة. واختار المترجم لفظ "أطلس" بدل "ساتان" لنقل اللفظ الإنجليزي "satin" في المثال (2)، ولا يوجد في هذا خطب من الجانب اللغوي (البلعكي، 2007م، 813)، لكننا نحسب أنه وبالنظر لشيوع استعمال الاقتراض "ساتان" فإن استعماله كان سيعزز التفاعل الثقافي أكثر. واختار المترجم في مناسبة أخرى (3) حذف اسم القماش في الترجمة وهو ما يمكن إبعازه إلى غزارة التفاصيل في النص الأصلي والتي قد تُجبر المترجم على التغاضي عن بعضها أحياناً وعدم نقلها في الترجمة. ويعني "sheath dress" ذلك النوع من الفساتين الذي يتناسب مع شكل الجسم تماماً (OLD)، واستعمال الصفة "ضيق" للتعبير عنه وإن كانت صحيحة فهي عامة ولا تحيل القارئ بالضرورة لنوع الفستان المقصود.

يحتوي المثالان (3، 4) على مجموعة من مصطلحات الألبسة والتي نجح المترجم في نقلها إلى العربية دون أي حذف. لكن توجد مع ذلك بعض الملاحظات تتعلق بترجمة عبارة "velvet choker of tiny pearls" بـ "لفاع مخملي ذي لآلي صغيرة"، إذ يبدو أن المعنى الأقرب من خلال سياق النص هو "العقد الضيق" وليس "اللفاع". و"emerald" هو درجة لامعة من اللون الأخضر تشبه الزمرد (Cambridge)، وكان من الأبسط استعمال "زمرد" في الترجمة بدل "أخضر" الذي يعدّ في هذه الحالة لفظاً عاماً. وصحيح أن مصطلح "flannel" يعني القماش الصوفي الناعم (البلعكي، 2007م، 352)، لكن الاستدلال عليه بلفظ "قطني" تعوزه الدقة. ونفس الأمر يمكن قوله على ترجمة "crêpe de chine" (5) بـ "كريب"، إذ أن اللفظين يُحيلان لنوعين مختلفين من القماش. فهذه الأمثلة، وإن نجحت في إبراز جانب المظهر دون عوائق كبيرة، تبقى غير مثالية في صياغتها التي كان من الممكن أن تكون أفضل وتتجنب التعميم الذي تم تحليله أعلاه.

يحتوي الجدول الموالي على المجموعة الثانية (م2) من نماذج ترجمة المصطلحات الخاصة

بالأزياء والمظهر.

الترجمة العربية	النص الأصل
ثوب سهرة ذا لون أخضر غامق. مكشوف الظهر (الكفارة، 147)	6. the figure-hugging dark green bias-cut backless evening gown with a halter neck. (<i>Atonement</i> , 97)
ثوب حريري متموج مظفور في الجزء الأعلى من منطقة الصدر ومطرز الحاشية (الكفارة، 147)	7. a moiré silk dress with a pleated bodice and scalloped hem (<i>Atonement</i> , 97)
استحسنت خياطته من خلال صدريتها الحريري (الكفارة، 148)	8. she approved of the firm caress of the bias cut through the silk of her petticoat (<i>Atonement</i> , 98)
قرمزي ذلك يعني احمر لكن عندما تتحدثين عن القטיפه فإنك تقولين قرمزي! (محبوبة، 75)	9. Carminé. That means red but when you talk about velvet you got to say ' carminé. ' (<i>Beloved</i> , 41)
ربما كان قطنيا ناعما محكم الفتل (محبوبة، 79)	10. " Lisle probably. White cotton lisle. " (<i>Beloved</i> , 43)
ويدها تدلكان الجلد الرطب الذي كان له ملمس الشامواه، ويبدو في لون التفاه (محبوبة، 179)	11. her two hands stroking the damp skin that felt like chamois and looked like taffeta. (<i>Beloved</i> , 114)

الجدول 7/4: نماذج عن ترجمة مصطلحات خاصة بالأزياء والمظهر (م2)

تُظهر الأمثلة (6، 7، 8) كيف أنّ مصطلحات الخياطة وتصميم الأزياء قد تكون هي الأخرى

مصدر صعوبة للمترجم. ففي المثال (6) حذف المترجم "figure hugging"، وتعني الملابس الملائمة

لشكل الجسم (Cambridge)، و "bias-cut"، وتعني قصّة قطرية في الفستان (Cambridge)، و "halter

neck"، وتعني الفستان الذي يُشدّ إلى الرقبة بخيوط ويكون مكشوف الظهر والذراعين (Cambridge).

اكتفت الترجمة في هذه الحالة بالحدّ الأدنى من الإخبارية وفوتت على القارئ فرصة التصور الدقيق

للفستان الموصوف. وعلى النقيض من ذلك حاول المترجم في المثال (7) الاحتفاظ بتفاصيل الخياطة

كما جاءت في النص الأصلي، فذكر أولاً نوع القماش مفصلاً كما جاء في النص الأصلي، ثم انتقل إلى "pleated bodice" والتي ترجمها إلى "مظفور في الجزء الأعلى من منطقة الصدر". ما يلفت الانتباه هو ترجمة "pleated" بـ "مظفور" على الرغم من أنه استعمل في مثال سابق (3) المكافئ الأقرب "تنيات"، كما تمّ إيضاح المصطلح "bodice" بعبارّة طويلة بعض الشيء على الرغم من وجود المكافئ "صدر" (البلعبيكي، 2007م، 116). وبالنسبة لـ "scalloped hem" فقد استعمل المترجم "مطرزة الحاشية"، وهذا ليس صائب تماماً لأنّ المقصود بالعبارّة الإنجليزية هو إعطاء الحاشية شكلاً مموجاً بقص القماش وليس تطريزه (OLD). وفي المثال (8) استعمل المترجم لفظ "خياطة" للتعبير عن "bias-cut" وهو ما يحفظ جزء من المعنى، لكن ترجمة "petticoat" بـ "صدرية" أعاد الأمور إلى نقطة الصفر، ذلك أنّ اللفظ الإنجليزي يعني تنورة داخلية وليس صدرية، ولم يعد شائع الاستعمال اليوم (OLD). فلم توفق هذه الترجمة أيضاً في الحفاظ على المحتوى المتعلق باللباس ولا على البعد التاريخي الذي يمثله استعمال ألفاظ لم تعد دارجة اليوم. بالمحصلة تشير هذه الأمثلة إلى أنه سواء حذف المترجم مصطلحات الخياطة أو احتفظ بها فإنّه لم يوفق في إبراز هذه المعاني في النص العربي، أو أعطائها دلالات مختلفة، وهو ما من شأنه تثبيط التفاعل الثقافي.

الأمثلة (9، 10، 11) كلّها مأخوذة من رواية *Beloved*، والملاحظ أنّها مختلفة بعض الشيء ولا تنبئ بنفس النوع من الصعوبات في الترجمة المحلّة حتى الآن. فمثلاً في المثال (9)، لم يستسهل المترجم واستعمل "قرمزي" مرادفاً لـ "carmine"، وهو ما جعل النص العربي موفق في نقل فكرة النص الأصلي. وكذلك الحال بالنسبة للمثال (10) بحيث كان المترجم متنبهاً لنوع القطن المقصود في النص وأعطى ترجمة تبرز هذه الخصوصية. ولم يؤثر استعمال الاقتراض في المثال (11) في تقديرنا، حتّى في ظلّ غياب الهوامش، على نجاعة التفاعل الثقافي، ويرجع ذلك ربما إلى كون هذه الألفاظ دارجة نسبياً في العالم العربي كونها أسماء أقمشة. صحيح أنّ هذه الأمثلة لا تتطوي على تحديات كتلك المحلّة

سابقاً، لكن على ما يبدو يلعب أسلوب المترجم وفهمه للترجمة دوراً في الطريقة التي يتم بها تدليل الصعوبات والحصول على أفضل نتيجة ممكنة. ومن المؤكد أنّ أسلوب الترجمة في *Beloved* مختلف عن أسلوب ترجمة *Atonement*.

يشتمل الجدول الموالي على المجموعة الثالثة (م3) من نماذج ترجمة المصطلحات الخاصة

بالأزياء والمظهر.

الترجمة العربية	النص الأصل
ويرتديان قميصين تحتانيين وبنطالين قصيرين (الكفارة، 36)	12. wore singlets over trunks (<i>Atonement</i> , 11)
تم حذف العبارة في الترجمة وفيها ماركة الحذاء ومكان شرائه	13. Yes. Ducker's in The Turl . (<i>Atonement</i> , 61)
حذاء من نوع بروغ (الكفارة، 133)	14. A pair of black brogues (<i>Atonement</i> , 86)
قلدت قلادتها ذات اللون الكهرماني الأسود (الكفارة، 145)	15. A nicklace of pure jet (<i>Atonement</i> , 96)
وكذلك فرانسيس التي كانت تتكلم الفرنسية بعذوبة، وتسببت في هيجان عالمي عندما وضعت على عينها نظارة أحادية الزجاجاة (الكفارة، 160)	16. Francine, who spoke beautiful French and had outraged the world by wearing a monocle (<i>Atonement</i> , 108)

الجدول 8/4: نماذج عن ترجمة مصطلحات خاصة بالأزياء والمظهر (م3)

جاء المثال (12) ضمن سياق خروج الطفلين مبللين من المسبح، فنوع الملابس المذكور

مستعمل للسباحة في هذه الحالة. وتُرجم لفظ "singlets" بـ "قميصين تحتانيين"، ويُلاحظ هنا استعمال

"تحتانيين" بدل "داخليين" وهو اللفظ الدارج أكثر. كما أوضحت الترجمة أنّ طفلين اثنين هما من يرتديان

هذه الثياب. وتُرجم لفظ "trunks" بـ "بنطالين قصيرين". تتسم هذه الترجمة بشيء من العمومية مقارنة

بالنص الأصلي لكن هذا ليس من شأنه التأثير على الصورة التي سيتلقاها القارئ عن مظهر الطفلين

الموصوف والتي لن تختلف كثيراً عن الصورة الأصلية. أما حذف العبارة في المثال (13) فسيؤدي قطعاً

إلى إخفاء ملمح ثقافي في الترجمة، ويتعلق الأمر هنا بفكرة العلامات التجارية، "Ducker"، والأماكن المشهورة، "The Turl". وينتج عن هذا الحذف بشكل غير مباشر طمس لطبيعة المجتمع الإنجليزي في تلك الفترة، فنوعية الملابس التي يرتديها الفرد والأماكن التي يرتادها تلعب دوراً مهماً في طريقة حكم الآخرين عليه ومدى تقبلهم أو نفورهم منه. كما يعكس المثال الطبيعة الاستهلاكية للمجتمع والتي تشبه إلى حد بعيد المجتمعات العربية اليوم. ويوجد في المثال (14) شيء من الإيضاح وشيء من التضمنين في الوقت نفسه، فقد حذف المترجم لون الحذاء وأضاف "حذاء من نوع" لتنبية القارئ لأن ما سيلبي ذكره هو اسم علامة تجارية خاصة بالأحذية، مع العلم أن النص الإنجليزي استعمل اللفظ "pair"، زوج، وليس حذاء. لكن بالمجمل مجرد الاحتفاظ بهذه التفاصيل في النص العربي يسمح للقارئ بفهم طبيعة المجتمع من هذا الجانب والدور المحوري للمظهر فيه. فيما يعكس المثال (15) خلافاً في الترجمة لا علاقة له بأي صعوبات ثقافية. إذ تعني كلمة "jet" نوع من المعادن الصلبة يُصقل وتُصنع منه المجوهرات (OLD)، كما يعني لون هذا المعدن، الكهرماني أو الأسود. لكن من الواضح في المثال أن المقصود هو المادة وليس اللون بعكس ما ذهبت إليه الترجمة.

ونجد أن المترجم بالغ بعض الشيء في الإيضاح في المثال الأخير (16)، إذ لم تكن هناك ضرورة حقيقية لإضافة "على عينها"، لأنه المكان الطبيعي الذي توضع عليه النظارة. ومن الجيد أن المترجم لم يحذف هذا المثال لأنه يسلط الضوء على ظاهرة انتشار وضع هذا النوع من النظارات لأنها على الموضة وليس لأي نقص في النظر (Encyclopedia.com).

تُظهر هذه الأمثلة في مجملها كيف تتسبب الترجمة في إخفاء الكثير من الملامح الثقافية المتعلقة بالمظهر الخارجي واللباس. في بعض الأحيان تكون غزارة المعلومات في مقطع صغير من النص دافعاً لتراجع المترجم عن نقلها كلها، فيحذف جزءاً منها. في أحيان أخرى تكون الأخطاء وعدم

تدقيق الترجمات وراء إعطاء فهم ناقص أو صورة مغلوطة عن الثقافة الأصلية. أخيراً، يلعب أسلوب المترجم أيضاً دوراً مهماً في إبراز أو إخفاء هذه الملامح.

4.1.1.3.4. نماذج عن ترجمة أسماء الأماكن ومصطلحات العمران

سنقوم فيما يلي بتحليل نماذج ترجمة تتمحور حول أسماء الأماكن ومصطلحات العمران مقسمة إلى مجموعتين اثنتين (م1) و(م2). يتضمن الجدول الموالي نماذج المجموعة الأولى.

الترجمة العربية	النص الأصل
والذي هرب بحثاً عن الأمان في كلية كل الموتى بأوكسفورد (الكفارة، 33) الى غرفة التمرينات الخالية (الكفارة، 35) في وسط الغرفة (الكفارة، 42) غرفة الحضانة (الكفارة، 66) بيت وفق طراز آدم (الكفارة، 47) شيد معبد الجزيرة على غرار هندسة نيكولاس ريفيت (الكفارة، 113) مستوقد حديث نسبياً شيد على الطراز القوطي (الكفارة، 48) بيت طفولتهما الذي بدت في هذه اللحظة سماته المعمارية القروسطية المشوشة بسيطة (الكفارة، 161) الردهة ذات الأرضية المفروشة بالقرميد الأبيض والأسود (الكفارة، 47) وسط فسحة الأرض المربعة المكسوة بالبلاط (الكفارة، 82)	1. Cecil who had fled to the safety of All Souls College, Oxford (<i>Atonement</i> , 8) 2. to the empty rehearsal room—the nursery — (<i>Atonement</i> , 8) the centre of the nursery (<i>Atonement</i> , 15) Nursery (<i>Atonement</i> , 35) 3. An Adam-style house (<i>Atonement</i> , 19) 4. built in the style of Nicholas Revett in the late 1780s (<i>Atonement</i> , 72) 5. the almost new Gothic fireplace (<i>Atonement</i> , 20) 6. they faced their childhood home whose architecturally confused medieval references seemed now to be whimsically lighthearted (<i>Atonement</i> , 109) 7. black and white tiled hall (<i>Atonement</i> , 19) 8. in the center of the checkered, tiled expanse (<i>Atonement</i> , 48)

الجدول 9/4: نماذج عن ترجمة أسماء الأماكن ومصطلحات العمران (م1)

تُرجم اسم الكلية في المثال (1) ترجمة حرفية وأضاف المترجم هامشاً طويلاً نسبياً يُعرِّف القارئ على تاريخ هذه الكلية وسبب تسميتها بهذا الاسم وهي معلومات قد لا تتوفر أيضاً لقارئ النص الأصلي. يبدو الهامش وكأنه دخل في تفاصيل غير ضرورية لفهم النص ولكنها بالتأكيد مفيدة لتواصل القارئ مع الثقافة الأصلية. ولاحظنا اهتمام مترجم رواية *Atonement* بإضافة الهوامش لأي محتوى في النص يُقدّر أنه غير واضح بما يكفي. وقد أحصينا نحو ثمانين هامشاً في الرواية، وهذا ليس بالعدد القليل ويشير إلى أنّ هناك قناعة لدى المترجم باستغلال هذه المساحة لتكملة أي نقص في المعنى في النص أو تزويد القارئ بمعلومات إضافية تساعد على فهم أفضل. في المثال (2) تعني كلمة "nursery" غرفة الرضيع أو غرفة لعب الأطفال (OLD)، وهي كلمة لم تعد تُستعمل كثيراً في الوقت الحالي. ولم يهتم المترجم بخصوصية هذه الغرفة إلا في مرة واحدة، "غرفة الحضانة"، وهي ترجمة على صحتها لا تناسب سياق النص والذي يحيل إلى غرفة اللعب أو غرفة الأطفال. ولعل وجود هذا النوع من الغرف في تلك الفترة التاريخية كان حكرًا على الطبقات الميسورة في المجتمع الإنجليزي، وهو الملمح الذي تخفيه الترجمة باعتمادها المكافئ العام "غرفة"، أو الحذف.

تكشف الأمثلة (3، 4، 5، 6) عن أسلوب المترجم في نقل مصطلحات الهندسة المعمارية، ويبدو أن لا مناص من تقديمها جميعاً بمفردات من قبيل "وفق طراز" أو "على غرار هندسة" وكلها عبارات إيضاحية توجه فهم القارئ نحو المعنى المطلوب. ففي المثال (3)، لم يكتف المترجم بإضافة عبارة توضح أنّ المقصود بالمصطلح شكل خاص من البناء ولكنه أضاف هامشاً يوضح فيه المدرسة التي ينتمي إليها روبرت آدم، والمنسوب إليه الطراز المعماري. لا يفيد الهامش كثيراً غير المتخصص في العمارة، فوجود المعلومة لا يكفل وحده التصور الدقيق للفكرة لعموم القراء. ولكن هذا لا يمنع تحقق التواصل الثقافي، إذ يكفي القارئ معرفة وجود طراز معماري بهذا الاسم لينشأ رابط بينه وبين النص، وله فيما بعد أن يُطوره كما يشاء. وينطبق هذا على المثال (4) والذي جاء دون هامش، ونعتقد مع ذلك أنّ

الخصوصية تمّ نقلها وأنّ القارئ سيتلقى ما يحتاجه لفهم فكرة النص دون أن يكون مطّلعاً بالضرورة على هذه المعارف الهندسية الصرفة. ولم يُرفق المترجم المثال (5) أيضاً بهامش، لأنّه كان قد شرح المصطلح "Gothic"، "قوطي" في مناسبة سابقة (ص 46)، وركز فيها أيضاً على الجانب التاريخي، وهذا أمر إيجابي لكنّه لا يساعد القارئ على تصور شكل المستوقد. ولم يكن الإشكال في المثال (6) في ترجمة المصطلح الهندسي ولكن في ترجمة العبارة التي تصفه، "whimsically lighthearted" بـ "بسيطة"، وهو ما يتحول بالفكرة من المبنى الذي يشع بهجة على نحو غريب (OLD) إلى المبنى الخالي من أيّ إبداع معماري. وتؤثر الترجمة بهذه الطريقة دون شك على تلقي القارئ للمعنى الصحيح حتى ولو لم تخف ملمحاً ثقافياً بعينه.

واستعمل المترجم طريقتين مختلفتين لترجمة الصفة "tiled" في المثالين (7، 8)، "مفروشة بالقرميد" في الأول و "مكسوة بالبلاط" في الثاني. وصحيح أنّ استعمال لفظ القرميد للأرضية ليس خاطئ لغوياً (معجم المعاني الجامع)، ولكنّ الدارج هو استخدام البلاط للأرضيات، والقرميد للأسقف والشرفات والجدران، وحتى يتفادى المترجم اللبس أضاف العبارة الإيضاحية "ذات الأرضية" وهو ما مكّن من الاحتفاظ بالمعنى في النص العربي. وأخفى المترجم في المثال (8) صفة أخرى وهي "checkered" وتعني البلاط الذي يكون فيه لونين مختلفين (OLD). كما يحوي المثالين مصطلحي بناء آخرين هما "hall" و "expanse" واللّذين ترجما بـ "ردهة" و "فسحة" على الترتيب، وهي ترجمة تركز على أهم خلاف بين الفضاءين، فالأول مغلق وداخل البيت، والثاني مفتوح وخارج البيت. عموماً أبرزت هذه الترجمات أكثر مما أخفت وسمحت بالتالي للقارئ بتصور واضح للأماكن الموصوفة.

يحتوي الجدول الموالي على نماذج ترجمة المجموعة الثانية من أسماء الأماكن ومصطلحات

العمران.

النص الأصل	الترجمة العربية
9. by the French windows (<i>Atonement</i> , 20)	الى جانب الباب الزجاجي (الكفارة، 47)
10. All the panes were gone from the pretty, Georgian windows . (<i>Atonement</i> , 72)	أما الألواح الزجاجية، فلم يعد لها من وجود على النوافذ الجورجية الجميلة. (الكفارة، 113-114)
11. The best front-of-house roles (<i>Atonement</i> , 34)	أفضل الأدوار في الواجهة (الكفارة، 66)
12. The bungalow (<i>Atonement</i> , 86)	البيت الريفي الصغير (الكفارة، 133)
13. At Sotheby's (<i>Atonement</i> , 24)	في مزاد ساوثبي (الكفارة، 53)
14. We got them in Liberty's (<i>Atonement</i> , 60)	لقد إشتريته من متجر ليبرتي (الكفارة، 98)
15. Smoking on the stairway when her father was installed in his Whitehall ministry (<i>Atonement</i> , 47)	وكان التدخين على الدرج عندما عين والدها في وزارة الحكومة البريطانية (الكفارة، 80)
16. The grammar school (<i>Atonement</i> , 86)	المدرسة الثانوية (الكفارة، 133)
Before he had even heard of grammar schools (<i>Atonement</i> , 91)	وقبل أن يسمع بالمدارس الثانوية (الكفارة، 138)
To the local grammar (<i>Atonement</i> , 88)	في المدرسة الثانوية (الكفارة، 134)

الجدول 10/4: نماذج عن ترجمة أسماء الأماكن ومصطلحات العمران (م2)

تتنقل ترجمة "French window" (9) ب "الباب الزجاجي" المعنى لكنّها تخفي عن القارئ طريقة التسمية الخاصة. وسلط المترجم الضوء على الأخيرة في المثال (10) إذ أضاف هامشاً شرح فيه للقارئ أنّ تسمية "نوافذ جورجية" مرتبطة بحقبة تاريخية حكم فيها إنجلترا ملوك باسم جورج (ص 114). وهذا الهامش مفيد للقارئ لأنّه يسمح له بفهم جزء من تاريخ هذه النوافذ، لكنّه لا يسمح له بتصور شكلها ما لم يكن لديه معرفة سابقة بها. وتُبهم ترجمة "front-of-house roles" (11) ب "أفضل الأدوار في الواجهة" المعنى كلياً. إذ تعني العبارة الإنجليزية "الأماكن المخصصة للجمهور في المسرح" (Cambridge) وفي

سياق النص كانت البطلة "بريوني تحضر لعرض مسرحي وجهزت له كل ما يلزم من بطاقات ولوحة إشهارية وغيرها، وكان الطفلان يتقاتلان للحصول على بطاقات لأفضل الأماكن لمشاهدة العرض. ولا تفيد الترجمة العربية بهذا المعنى كما أنه من الصعب فهم المغزى المقصود منها في سياق النص. كما تنقص الدقة ترجمة "Bungalow" (12) بـ "البيت الريفي الصغير" لأنه يعطي الانطباع للقارئ بأن هناك انتقال من منطقة إلى أخرى، والحقيقة أن البيت المقصود موجود في محيط بيت تاليس، أين تقع أحداث الجزء الأول من الرواية. ويعني المصطلح الإنجليزي البيت المكون من طابق واحد، أرضي، أو طابق ونصف (OLD) وهو ليس بالضرورة صغير. وأضاف المترجم كلمة "مزد" والتي جاءت مضمنة في "at Sotheby's" (13) لتوجيه القارئ نحو فهم طبيعة المكان وزاد مع ذلك هامشاً يوضح أن القاعة من أهم قاعات المزاد في لندن. والمأخذ الوحيد على هذه الترجمة هو طريقة تعريب اسم القاعة "ساوثبي" والتي تُخفي طريقة النطق السليمة "سائبي". واتباع المترجم نفس الأسلوب في المثال (14) بحيث أضاف كلمة "متجر" لتنبية القارئ، وهي إضافة لن تحيل القارئ إلى أهمية المتجر كونه أحد أهم مراكز الموضة في لندن. وفكرة المثال (15) تدور حول مظاهر تمرد سيسيليا، والتي لا تتعدى التدخين علناً في غياب والدها عن المنزل أثناء انشغاله في عمله في الوزارة وهو العمل الذي يُشار إليه ضمناً في لفظ "Whitehall"، وهو الشارع اللندني الذي تتواجد فيه الكثير من المكاتب الحكومية (OLD)، ومن الدارج استعمال هذا الاسم للإشارة إلى الحكومة البريطانية ووزرائها (OLD). وقد تم طمس العلاقة بين المكان وما يحمله من معنى مضمن عندما قرر المترجم أن يحذفه في الترجمة ويستعيز عنه بالمعنى المباشر "الحكومة البريطانية". وصحيح أن أحد معاني "installed" هو التعيين في منصب، لكن من الواضح أن المعنى المقصود في النص هو الإقامة براحة (OLD)، لدرجة أنه يمضي معظم وقته في العمل ولا يحضر إلى البيت إلا نادراً. وأخيراً، في المثال (16)، وفي أكثر من مناسبة نقل المترجم "grammar school" بـ "مدرسة ثانوية"، وهو تعميم يحوي المعنى العام لهذا النوع من المدارس لكنه يطمس كلياً فكرة

ظهور التعليم العام في بريطانيا، والذي شكلت فيه المدارس المذكورة أحد أنواع المدارس الثانوية، إلى غاية الحرب العالمية الثانية، إذ بدأ النظام بالتغير بعد ذلك وظهرت بدائل أخرى (Encyclopedia Britannica). تخفي ترجمة هذه الأمثلة في مجملها الكثير من الملامح الثقافية للمجتمع الإنجليزي وتقوض التفاعل الإيجابي بين قارئ النص العربي وهذه الثقافة.

5.1.1.3.4. نماذج عن ترجمة المصطلحات الفنية

سنقوم فيما يلي بتحليل نماذج عن ترجمة المصطلحات الفنية جمعناها في الجدول الموالي.

النص الأصل	الترجمة العربية
1. the half-scale reproduction of Bernini's Triton in the Piazza Barberini in Rome. (<i>Atonement</i> , 18)	والنسخة المصغرة لتمثال تريتون لبيرينيني الموجود في ميدان باربريني في روما (الكفارة، 45)
2. The only painting , a vast canvas (<i>Atonement</i> , 125)	اللوحة الوحيدة (الكفارة، 183)
3. The portrait , in the style of Gainsborough , showed an aristocratic family—parents, two teenage girls and an infant, all thin-lipped, and pale as ghouls— posed before a vaguely Tuscan landscape . (<i>Atonement</i> , 125-126)	كانت اللوحة المرسومة وفق أسلوب غاينزبورو تظهر أسرة أرستقراطية - أبوين ومراهقتين وطفلاً رضيعاً، كلهم من ذوي الشفاه الرقيقة والوجوه الشاحبة كالغيلان-وقد وقفوا أمام منظر طبيعي في توسكانيا (الكفارة، 184)
4. breaking the tableau apart. (<i>Beloved</i> , 115)	محطمة اللوحة إلى أجزاء (محبوبة، 181)
5. Chinoiserie in general bored her (<i>Atonement</i> , 24)	كانت الزخرفة الصينية تثير ضجرها (الكفارة، 53)
6. The vase was respected not for Höroldt's mastery of polychrome enamels or the blue and gold interlacing strapwork and foliage (<i>Atonement</i> , 24)	وقد حظيت الزهرية باحترام وتقدير لا بسبب لغز طلاء المينا المتعدد الألوان الذي لجأ إليه هورولدت أو بسبب استخدامه الشفرة والزخرفة الورقية للونين الأزرق والذهبي (الكفارة، 53)

مؤطرة بإطار معدني جميل يشوبه لون الزنجار (الكفارة، (127)	7. In a belle époque metal frame tinged with verdigris was a photograph of his parents (<i>Atonement</i> , 82-83)

الجدول 11/4: نماذج عن ترجمة المصطلحات الفنية

تحتوي هذه المجموعة من الأمثلة عدداً لا بأس به من المصطلحات الفنية التي يتوجب على المترجم الانتباه لها ولخصوصية استعمالها إذا أراد الحصول على ترجمة تحفظ هذا الجانب وتبرزه في النص العربي. نلاحظ في المثال (1) أنّ المترجم اكتفى باللفظ العام "مصغرة" لنقل الصفة "half-scale" وهي الصفة التي تحدّد على وجه الدقة حجم التصغير بالنصف، كما تم إضافة كلمة "تمثال" لإظهار طبيعة العمل الفني المذكور، وهامش يعرف القارئ ببرنيني وأهم أعماله ومدرسته الفنية. وفي العموم يسمح هذا الأسلوب في الترجمة بإبراز الخصوصية المذكورة في النص الأصلي وبالتالي تواصل القارئ مع الثقافة الأصلية. تُميط الأمثلة (2، 3، 4) اللّثام على واحد من أكثر عيوب الترجمة عموماً، وليس فقط إلى العربية، وهو ما يصطلح عليه برمان "التقير الكمي" (1985، 75) أو ميل المترجم للدلالة على مرادفات متعددة للفظ بنفس الكلمة في الترجمة. والمقصود هنا كلمة "لوحة" والتي تنقل إلى العربية كلاً من "painting"، "canvas"، "portrait"، و "tableau"، وتخفي بالتالي الفروق الموجودة بينها وتجعل القارئ يتصورها جميعاً بنفس الطريقة. والحقيقة أن مصطلح "painting" هو المصطلح الأعم من بين الكلمات الإنجليزية المذكورة ويعني الصورة المرسومة باستعمال الألوان (Cambridge)، في حين تُستعمل "canvas" أيضاً للإشارة إلى اللوحة الفنية ولكن من خلال القماش الخشن الذي يتم الرسم عليه (OLD). وتعني "portrait" نوعاً خاصاً من اللوحات الفنية الذي يُظهر عادة الوجه والكتفين، وفي بعض الحالات، كما في المثال، قد تجمع اللوحة أكثر من شخص (Cambridge). أما "tableau"، وهو اقتراض من الفرنسية، فيعني اللوحة أو المنحوتة التي تحتوي لحظة تاريخية، قصصاً أسطورية أو إنجيلية (Collins). يؤكد هذا الشرح أنّ ترجمة كلّ هذه الألفاظ بنفس الطريقة يُخفي الاختلافات الفنية الموجودة بينها ولا

يسمح للقارئ بتلقي المحتوى الفني بشكل عميق يمكنه من فهم هذا الجانب من الثقافة الأصلية وبالتالي تحقيق نوع من التفاعل الثقافي. وتزيد ترجمة مصطلحات فنية أخرى وردت في المثال (3) وهي: "in the style of Gainsbourough"، "portrait"، "pose"، "landscape" من حالة التعميم والتلقي المجمل الذي لا يساعد القارئ على الولوج لعوالم النص الأصلي. إذ أنّ ترجمة "posed" بـ "وقفوا" على صحتها لم تأخذ اللفظ الإنجليزي في معناه الفني والذي يعني أخذ الوضعية المناسبة من أجل الصورة (Collins). ولوحظ نفس الخطب مع "landscape" والذي تُرجم بـ "منظر طبيعي" وهذا أيضاً صحيح لغوياً لكنه ليس المقصود "فنياً" في المثال وهو "الخلفية"، ففي خلفية المكان الذي تقف فيه العائلة تظهر منطقة توسكانيا ولكن بشكل غير واضح. فتكون الترجمة قد طمست الكثير من البعد الفني الموجود في لغة النص الأصلي. وحتى مع إضافة هامشين اثنين للتعريف بالفنان والمنطقة فإنّ الإشكال يبقى موجوداً لأنه متعلق بأسلوب صياغة النص والذي فضّل استعمال الكلمات في معناها الأكثر شيوعاً بدلاً من الانتباه إلى استعمالاتها كمصطلحات فنية خاصة.

وعلى الرغم من أنّ مصطلح "Chinoiserie" في المثال (5) هو الآخر مصطلح فني ويعني استعمال أسلوب الزخرفة الصينية في تزيين الأثاث والأقمشة والأواني ونحوها (Collins) فإنّ توضيح الفكرة بإضافة مصطلح فني في النص العربي، "زخرفة"، سمح بالاحتفاظ بالملح الفني في الترجمة. ولقد اختلف الوضع في المثال (6) بسبب خطأ في الترجمة جعل من فهم النص العربي مهمة صعبة. ففيما يبدو خلط المترجم بين لفظي "mastery" و "mystery" في الترجمة مما أنتج نص غير مفهوم: "لغز طلاء المينا"، في حين أنّ المقصود هو مهارة أو براعة الفنان المذكور في استعمال طلاء المينا. ومما زاد من صعوبات التلقي في هذا المثال وجود الكثير من المصطلحات الفنية الدقيقة مثل "polychrome enamels"، "interlacing strapworks" و "foliage" والتي كان المترجم على وعي بضرورة نقلها مع الاحتفاظ بهويتها الفنية. بحيث تجمع "طلاء المينا المتعدد الألوان" بين الترجمة الحرفية والإضافة في

"طلاء" والتي تهدف إلى إعلام القارئ بطبيعة المادة. وأضاف المترجم مصطلح "زخرفة" في هذا المثال أيضاً لتوضيح معنى "ورقية". بيد أن استعماله لـ "شفرة" في النص العربي غير مفهوم ولا يسمح للقارئ بمعالجة النص بسلسلة خاصة وأنه لا يشير بأي شكل إلى ماهية تقنية الرسم المذكورة في النص الإنجليزي والتي تعني وضع زخرفات صغيرة بشكل أشربة وجمعها بطرق مختلفة لتكون معاً زخرفة أكبر (Merriam Webster). باختصار تضمنت ترجمة هذا المثال أخطاءً في الترجمة كانت هي السبب الأساسي في طمس الخصوصيات الفنية التي زخر بها النص الأصلي.

حذف المترجم في المثال (7) مصطلح "belle époque"، وهو المصطلح الذي استعمل في النص الأصلي لتحديد الحقبة التاريخية التي يعود إليها الإطار. ويؤثر هذا الحذف على تفاعل القارئ مع الثقافة الأصلية لأنه يحجب وجود فترة رخاء اقتصادي وازدهار فني، في فرنسا خاصة، سبقت الحرب العالمية الأولى (Merriam Webster). وبهدف التوضيح أضاف المترجم كلمة "مؤطرة" للفظ "إطار" وهذا النوع من الإضافة لا يضيف أي معنى للنص، فأن تضع الصورة في إطار أو أن توطرها هما نفس الشيء، ويكفي استعمال أحد اللفظين لإيصال المعنى. وحتى يستدعي المترجم فكرة الفترة التاريخية أضاف "جميل"، وهذه الإضافة لا تبرز إطلاقاً معنى النص الأصلي، بل على العكس من ذلك تأخذ المعنى باتجاه خاطئ. يكشف هذا المثال كيف أن الحذف في الترجمة قد يخفي منطقياً شيئاً من ملامح الثقافة الأصلية، لكن حدة هذا الإخفاء قد يتسبب بها الإيضاح غير المدروس وإضافة معلومات قد تكون مكررة أو خاطئة. وفي كلتا الحالتين تكون محاولة المترجم لتفسير الفكرة للقارئ باعثاً لإفشال التواصل مع الثقافة الأصلية.

6.1.1.3.4. نماذج عن ترجمة المصطلحات الموسيقية

سنحاول فيما يأتي تحليل بعض نماذج ترجمة المصطلحات الموسيقية قسمناها إلى ثلاث

مجموعات. يحتوي الجدول الموالي على المجموعة الأولى من النماذج.

النص الأصل	الترجمة العربية
1. and rented deck chairs to listen to elderly men of the Salvation Army playing Elgar adapted for brass band. (<i>Atonement</i> , 287)	واستأجرتا كرسيين طويلين قابلين للطي لكي تستمعا إلى شيوخ من جيش الخلاص وهم يعزفون موسيقى إليغار المعدة لفرقة عزف نحاسية (الكفارة، 381)
2. and the band began a medley of old-time favorites with "It's a Long Way to Tipperary," (<i>Atonement</i> , 289)	وانهماك الفرقة في عزف مقطوعات قديمة مثل "إنه طريق طويل إلى تريبيري" (الكفارة، 383)
3. He couldn't go back to " Storm upon the Waters " that they sang under the trees of Sweet Home, so he contented himself with mmmmmmmm , throwing in a line if one occurred to him, and what occurred over and over was " Bare feet and chamomile sap,/ Took off my shoes; took off my hat. " It was tempting to change the words (Gimme back my shoes; gimme back my hat), (<i>Beloved</i> , 48-49)	لم يكن بوسعها أن يعود إلى "عاصفة على المياه" التي كانوا يغنونها تحت أشجار سويت هوم، ولذا قنع بـ م م م م م م، وهو يدخل فيها شطرا إذا عن له أحدها، ولكن ما عن له المرة بعد المرة: "قدمان حافيتان ونسغ البابونج، خلعت حذائي، خلعت قبعتي". كان من المغري تغيير الكلمات إلى (أعدي إلي حذائي؛ أعدي إلي قبعتي). (محبوبة، 87)
4. She passed her grade exam with a tiny piece by Debussy. (<i>Atonement</i> , 308)	لقد اجتازت امتحاناتها بعزف قطعة صغيرة لديبوسي (الكفارة، 409)

الجدول 12/4: نماذج عن ترجمة المصطلحات الموسيقية (م1)

تعج هذه المجموعة من الأمثلة بمعلومات موسيقية وتاريخية تتعلق ببريطانيا والولايات المتحدة،

ومما لا شك فيه أن إبراز هذه المعلومات في النص العربي هو فقط ما يكفل التواصل الثقافي. يذكر

المثال (1) معزوفة موسيقية لـ "إليغار" يعزفها أفراد من "جيش الخلاص". وفي هامش أوضح المترجم أن

"إليغار" هو موسيقار إنجليزي كما حرص على تذكير القارئ بانتمائه إلى طبقة النبلاء حين استبق الاسم

بلقب "السير"، "Sir" (ص 381)، وعادة ما يكون وراء انتقاء هذا النوع من المعلومات رغبة في إعطاء أهمية أكبر لما يُقرأ، ولكن في حالة الترجمة تُستخدم مساحة المقدمة لهذا الغرض، أما في متن النص فلا نتوقع انبهار القارئ لمجرد معرفته بلقب الموسيقار. على أي حال، هذا الهامش، شأنه شأن كثير من الهوامش المحللة سابقاً، يعطي القارئ معلومة عامة تفيده ولكنها في نفس الوقت لا تساعد في تلقي النص، فهي معلومة لا تصف طبيعة الموسيقى مثلاً وبالتالي لا تسمح بتصور معين لها. كما قد تترك عبارة "جيش الخلاص" قارئ النص العربي غير المحيط بالثقافة الإنجليزية، لأنه لا يعلم أن المقصود هو جمعية خيرية مسيحية تعمل على مساعدة المحتاجين في جميع أنحاء العالم، وقد استلهمت من الجيش طريقة التنظيم والعمل ولهذا سميت بهذا الاسم (Encyclopedia Britannica). ففي هذا المثال ومع أنه لم نلاحظ أي حذف أو إضافة، باستثناء "موسيقى" قبل "إليغار"، إلا أن القارئ قد لا يتمكن من التواصل مع النص بسبب المحتوى التاريخي والموسيقي الذي يتطلب معرفة بالثقافة الإنجليزية لفهمه.

في المثال (2)، وباستثناء لفظ "medley" الذي حذف في الترجمة، نجح النص العربي في نقل المعلومات الموسيقية والتاريخية بوضوح. لكن المثال يدور حول أغنية معروفة ومرتبطة في وجدان الإنجليز بأحداث الحرب العالمية الأولى بحيث كان الجنود يرددونها (Irish Central) وهذا تحديداً ما لا يمكن للترجمة أن تفعله مع قارئ النص العربي، إذ أن هكذا نوع من التفاعل يستلزم أن تكون جزءاً من الثقافة الأصلية. وتنطبق نفس الملاحظة على المثال (3) والذي يدور هو الآخر حول أغنية "storm upon the waters" والتي ترتبط عند بول.د بطل رواية *Beloved* بذكرات وحنين لحياته في سويت هوم. والحقيقة أن استعمال الموسيقى والأغاني عند موريسون جزء لا يتجزأ من أسلوب النص وموضوعه، وفي حالة بول.د تستعمل الأغاني بوصفها الحاجز الذي لا يسمح باستحضار الماضي لعدم ملاءمته لظروف الحاضر وهو ما يحيل إليه عدم التذكر والاكتفاء بترديد الموسيقى، في حين تحيل مقاومته لتغيير كلمات الأغنية إلى عدم اقتناعه بوجود فرصة حقيقية للحصول على حياة عائلية مع سيث بعد سنوات طويلة

قضاها في الترحال (Wolfe, 2004, 271). وحتى يتمكن القارئ من التعامل مع كل هذه التفاصيل يجب أن يكون محيطاً ببعد الأغنية التاريخي والثقافي. وأضاف المترجم في المثال (4) عبارة "بعزف" ليلفت انتباه القارئ أنّ الأمر متعلق بالموسيقى. وجاء في هامش مرفق معلومات عن أصول الموسيقى الفرنسية واعتباره موسيقياً مجدداً، وليس في محتوى الهامش أي نوع من المبالغة فقد كان لديبوسي تأثير واضح على تطور الموسيقى (Encyclopedia Britannica). وتؤكد هذه الأمثلة جميعاً أنّ الإلمام بالسياق التاريخي والثقافي يكون في بعض الأحيان ضرورياً لتفاعل القارئ مع النص الأصلي. تساعد الهوامش أحياناً في هذا الصدد إذا كانت نوعية المعلومات المدرجة ضمنها منتقاة بعناية لهذا الغرض تحديداً. يحتوي الجدول الموالي على المجموعة الثانية من نماذج ترجمة المصطلحات الموسيقية

النص الأصل	الترجمة العربية
5. Arabian Nights Dancer cut her performance to three minutes (<i>Beloved</i> , 58)	واختصرت راقصة الليالي العربية رقصتها إلى ثلاثة دقائق (محبوبة، 100)
6. who could hardly wait for Abu Snake Charmer , who followed her. (<i>Beloved</i> , 58)	الذين كانوا يتحرقون شوقاً إلى "الساحر أبو ثعبان" الذي تلاها (محبوبة، 101)
7. when the three of them stood together watching Midget dance (<i>Beloved</i> , 58)	عندما وقف ثلاثتهم معها يشاهدون رقصة قدم- (محبوبة، 101)

الجدول 13/4: نماذج عن ترجمة المصطلحات الموسيقية (م2)

تطرح الأمثلة (5، 6، 7) نوعاً مختلفاً من الإشكالات المتسبب الرئيسي فيها هو أسلوب المترجم. فمن غير المفهوم أن يختار المترجم الترجمة الحرفية "ليالي عربية" لنقل العبارة الإنجليزية "Arabian Nights" (5)، وهي عبارة من المعلوم أنّ مكافئها العربي هو "ألف ليلة وليلة". وتختلف الصورة التي يستدعيها القارئ عند قراءة العبارة الأولى عن تلك التي يستدعيها عند قراءة العبارة الثانية. وفي عالم الاحتفال والاستعراض الموصوف في النص، يبدو أن المقصود في الغالب هو سحر ألف ليلة وليلة، أما الليالي العربية فلا يمكن حتى التكهن بطبيعة العالم الذي تحيل إليه. كما قرر المترجم نقل العبارة "Abu

"Snake Charmer" (6) إلى "الساحر أبو ثعبان"، وهو خيار لم يُربك القارئ كثيراً، لكن مع وجود بديل أبسط، "أبو ساحر الثعابين"، لا يترك مجالاً لسوء الفهم، نتساءل لماذا فضّل المترجم السبيل الأصعب. وتسبب خطأ مطبعي في المثال (7) في إبهام المعنى في "رقصة قدم" والمقصود "قزم". كل هذه العبارات جاءت في معرض وصف نزهة عائلية قامت بها دنفر مع أمها وبول. د، ومع وجود كل هذه المشاكل التي لم يكن وراءها أي اختلاف ثقافي أو مشاكل متعلقة بالسياق، ولكنها ناتجة عن قرارات ترجمية غير مفهومة، لم تسمح الترجمة بتواصل فعال للقارئ مع الثقافة الأصلية.

يشتمل الجدول الموالي على ثالث مجموعة من نماذج ترجمة المصطلحات الموسيقية

النص الأصل	الترجمة العربية
8. Each one enters like a prima donna , convinced its performance is the reason the world has people in it. (<i>Beloved</i> , 136)	كلّ فصل يدخل وكأنّه المغنية الرئيسية، معتقداً أنّ أدائه هو السبب في أنّ العالم به ناس. (محبوبة، 211)
9. like a lullaby (<i>Beloved</i> , 319)	كأنّه أغنية مهد (محبوبة، 451)
10. by the unplayed, untuned harpsichord (<i>Atonement</i> , 20)	آلة البيانو القيثاري التي لم يعزف عليها أحد (الكفارة، 48)
11. Francine, who spoke beautiful French and had outraged the world by wearing a monocle, had gone with him to a Gilbert and Sullivan (<i>Atonement</i> , 108)	وكذلك فرانسيس التي كانت تتكلّم الفرنسية بعذوبة، وتسببت في هيجان عالمي عندما وضعت على عينها نظارة أحادية الزجاجاة ورافقته إلى جلوبرت وسوليفان (الكفارة، 160)

الجدول 14/4: نماذج عن ترجمة المصطلحات الموسيقية (م3)

تحتوي الأمثلة الأربعة الأخيرة (8، 9، 10، 11) مصطلحات موسيقية تمّ التعامل معها بطرق مختلفة. ففي المثال (8) لا يمكن اعتبار "المغنية الرئيسية" مكافئ غير مناسب لـ "prima donna"، ولكنّه لا يُظهر خصوصية الاقتراض الإيطالي (Merriam Webster)، والذي يرتبط استعماله في هذا السياق بالذات بفكرة الموسيقي الأوبرالية والتي تعدّ إيطالياً مهداً لها. فالترجمة كانت دقيقة في نقل المعنى لكن لم تنجح في الاحتفاظ بهذا الملمح الثقافي. وتسمح ترجمة مصطلح "lullaby" (9)، والذي يعني أغنية هادئة

تُغنى للأطفال حتى يهدؤوا ويناموا (OLD)، ب "أغنية مهد" بإبراز جانب الموسيقى وجانب الطفولة في نفس الوقت. وكان من الممكن استعمال لفظ "تهويده" والذي يؤدي نفس المعنى في اللغة العربية (البلبكي، 2007م، 544). ويذكر المثال (10) صفتين اثنتين لآلة "harpsichord" وهما "unplayed" و "untuned"، احتفظت الترجمة بالأول وحذفت الثاني، وبالتالي حُجبت على القارئ معلومة أنّ الآلة لم تكن موزونة. ومن غير المعروف إذا كان القارئ العربي قادر على التعرّف على آلة "البيانو القيثاري" لأنها آلة أصبحت قليلة الاستعمال في هذا العصر وحلّ محلّها البيانو وهو لا يشترك في هذا مع قارئ النص الإنجليزي الذي تختلف علاقته مع الموسيقى، الكلاسيكية خاصة، ومع مختلف الآلات الموسيقية المستعملة في إطارها. أخيراً يشير المثال (11) إلى علمين من أعلام الأوبرا في بريطانيا وهما "جلبرت وسوليفان" واللذين عُرفا بتطويرهما للأوبريت الفكاهية القصيرة (Encyclopedia Britannica). وعلى غير عادته لم يضيف المترجم هامشاً ولا حتى عبارة إيضاحية توجه القارئ بشكل ما نحو المعنى المقصود. فالقارئ الذي لا يعرف سلفاً هاتين الشخصيتين لا يمكنه أن يفهم الإحالة في النص. يحتوي المثال على ملمح تاريخي وموسيقي يتطلب فهمه معرفة مسبقة بهذا الجانب من الثقافة الإنجليزية. عموماً، ولأسباب مختلفة، لم يكن نقل المحتوى الموسيقي في هذه المجموعة من الأمثلة هو الأفضل وهو ما من شأنه التأثير سلباً على التواصل الثقافي.

7.1.1.3.4 نماذج عن ترجمة أسماء النباتات والحيوانات

سنقوم فيما يلي بتحليل بعض نماذج ترجمة أسماء النباتات والحيوانات قسمناها إلى ثلاث

مجموعات. يحتوي الجدول الموالي على نماذج المجموعة الأولى (م1) والتي تخص أسماء الأزهار.

الترجمة العربية	النص الأصل
ومرت بالزهور الوردية من تحت السياج الغائر في التربة (الكفارة، 45)	1. and past the rhododendrons beneath the ha-ha (<i>Atonement</i> , 18)
مجموعة غير منتظمة من الأعشاب والزهور (الكفارة، 47)	2. the untidy bunch of rosebay willow herb and irises (<i>Atonement</i> , 20)
كما أن التوزيع المتساوي بين زهور السوسن والدفلى الأرجوانية الزهر سوف يفسد الأثر المرجو منه (الكفارة، 52)	3. too even a distribution between the irises and the rosebay willow herb ruined the effect (<i>Atonement</i> , 23)
نبات البابونج. وزهر الاقحوان (الكفارة، 48)	4. Camomille and feverfew (<i>Atonement</i> , 20)
شمت رائحة نعناع الماء والبابونج والكافور (الكفارة، 158)	5. she smelled the pennyroyal , chamomile and feverfew crushed underfoot (<i>Atonement</i> , 106)
عذبة مثل كولونيا زنبقة الوادي (محبوبة، 83)	6. sweet--sweet as lily-of-the-valley cologne . (<i>Beloved</i> , 45)
زهرة صغيرة في شعري (محبوبة، 117)	7. A little sweet william in my hair (<i>Beloved</i> , 70)
ارتبطت كل مرة بزهرة الحواشي حتى اكتشف الكولونيا (محبوبة، 66)	8. Accompanied every time by wild veronica until she discovered cologne (<i>Beloved</i> , 34)
نعناع فيما أظن أو غار أو كافور ربما (محبوبة، 279)	9. Mint , I believe, or sassafras . Comfrey , maybe. (<i>Beloved</i> , 188)
وتلك الزهور الحمراء الطويلة التي يسميها الناس دايان (محبوبة، 328)	10. and those tall red blossoms people call Diane . (<i>Beloved</i> , 226)
تم حذفها في الترجمة	11. Sweet william , morning glory , chrysanthemums . (<i>Beloved</i> , 319)

الجدول 15/4: نماذج عن ترجمة أسماء الأزهار (م1)

تزخر المدونة الإنجليزية، مقارنة بالعربية، بالكثير من المعلومات حول الأزهار والأشجار والحيوانات. تخص الأمثلة (1-11) أسماء الأزهار، والتي تُرجمت بأساليب عدّة. في المثال (1) قدّم المترجم المكافئ المعجمي "الزهور الوردية" (البعلبكي، 2007م، 787) للفظ الإنجليزي "rhododendrons"، ولكنّ هذا لم يمنع وجود مشاكل في التلقي. فالقارئ لن يستنتج ألياً أنّ "الوردية" هو اسم الزهرة وليس صفتها وأنّ المترجم أضاف اللفظ العام "الزهور" لتنبيه القارئ، مع أنه في هذه الحالة كان يتوجب ألا يكون لفظ "الوردية" معرّفاً. كما أنّ المكافئ العربي مضللّ بعض الشيء لأن هذا النوع من الزهور له ألوان متعددة (OLD). فلا يمكن الجزم بأنّ قارئ النص العربي فهم نوع الزهرة المقصودة. واستخدم المترجم في المثالين (2، 3) طريقتين مختلفتين لترجمة نفس الأسماء. فترجم "rosebay willow herb" مرة ب "أعشاب" ومرة ب "الدفلّ أرجوانية اللون"، وترجم "irises" مرة ب "الزهور" ومرة ب "زهور السوسن". وفيما تتسم الترجمة الأولى بالعمومية المفرطة والتي تخفي لامحالة نوع النباتات المقصودة، تميل الترجمة الثانية لشيء من الغلو في التوضيح، فاستعمال "السوسن" و "الدفلّ" وحدهما كان يكفي لإيصال المعنى لكنّ المترجم زاد معلومات أخرى نحسبها غير ضرورية.

في المثال (4)، نلاحظ استعمال لفظي "نبات" و "زهر" لتوضيح طبيعة النباتات المذكورة، ونجد هذه الإضافة غير ضرورية لأنّ احتمال ألا يعرف القارئ هذه الأزهار ضئيل. كما أنّ البابونج، حاله حال الأقحوان، هو نوع من الزهور وإشارة المترجم للأول بنبات قد تُشوش على الفهم. وخير دليل على أنّ الإضافة في مثل هذه الحالات غير ضرورية هو المثال (5)، بحيث كانت الترجمة واضحة وفعالة دون الحاجة إلى أيّ إضافات. لكنّ هذا المثال يجعلنا نطرح تساؤلات حول دقة ترجمة هذا المحتوى إلى العربية. فقد تُرجم لفظ "feverfew" في المثال السابق ب "أقحوان"، وفي هذا المثال ب "كافور"، وهو نفس اللفظ الذي استعمل لترجمة "comfrey" في المثال (9). ويمكن إرجاع نقص الدقة هذا إلى الاختلاف في المحيط النباتي بين أوروبا وأمريكا والعالم العربي من جهة، وإلى طريقة الاصطلاح في ميدان البيولوجيا،

فكثيراً ما تكون هناك أسماء تطلق على أكثر من نوع لأنها تحيل للفصيلة الأعم. فقد اختار المترجم في المثال (9) ترجمة "sassafras"، وهو نوع أمريكي من شجر الغار (البلبكي، 2007م، 813) بالمصطلح العام "غار"، وهي الترجمة التي تمنح القارئ معلومة صحيحة وتحجب عنه خصوصية المحيط النباتي في أمريكا. وفيما عدى ذلك، فقد لوحظ اعتماد المترجم على المكافئات في "زنبقة الوادي" (6)، "زهرة الحواشي" (8)، وعلى الاقتراض في "دايان" (10)، وعلى الحذف المباشر في المثال (11)، أو الحذف غير المباشر من خلال استعمال المصطلح العام "زهور" في المثال (7). وما يمكن استخلاصه من كل الأمثلة المذكورة هو أنّ ترجمة أسماء الزهور لها أساليب متعددة، لا تكون ناجعة دائماً نظراً لميل المترجم للتعميم أحياناً، وإلى اعتماد مكافئات غير دقيقة أحياناً أخرى، وإلى الحذف حين تتقطع السبل. ومع ذلك يجب الانتباه إلى أنّ الاختلافات في طبيعة المحيط النباتي هي من أهم أسباب صعوبة ترجمة مثل هذا المحتوى.

يحتوي الجدول الموالي على المجموعة الثانية (م2) من نماذج ترجمة أسماء الحيوانات والنباتات، وتخص أسماء الأشجار.

النص الأصل	الترجمة العربية
12. wintry sedge (<i>Atonement</i> , 20)	خشب البردي الشتوي (الكفارة، 48)
13. Cypress, yellow poplar, ash and palmetto drooped under five days of rain without wind. By the eighth day the doves were nowhere in sight, by the ninth even the salamanders were gone. (<i>Beloved</i> , 129)	مالئت أشجار السرو والحوار الأصفر والدردار والنخل القصير تحت خمسة أيام من المطر بدون ريح في اليوم الثامن لم يكن اليمام في مرمى البصر في أي مكان، وفي التاسعة اختفت حتى حيوانات السمندر (محبوبة، 200-201)
14. So he raced from dogwood to blossoming peach. When they thinned out he headed for the cherry blossoms, then magnolia, chinaberry, pecan, walnut and prickly pear. (<i>Beloved</i> , 133)	وهكذا أنطلق يعدو من أشجار قرانيا إلى أشجار خوخ مزهرة. وعندما تباعدت أتجه إلى زهور الكرز، ثم الماجنوليا، وأشجار الأزادروخت، وأشجار الجوز الأمريكي، وأشجار الجوز والتين الشوكي (محبوبة، 206)

فالبستنة لم تكن أكثر من فانتازيا بوهيمية (الكفارة، (138)	15. Landscape gardening was no more than a bohemian fantasy. (<i>Atonement</i> , 91)

الجدول 16/4: نماذج عن ترجمة أسماء الأشجار (م2)

في الأمثلة (12، 13، 14) تكرر استعمال أساليب الإيضاح في شكل ألفاظ جامعة تسبق الاسم المراد تقديمه مثل "خشب"، "أشجار"، و"حيوانات". وتركز الأمثلة على أسماء الأشجار الموجودة في بعض مناطق الولايات المتحدة الأمريكية. وتأرجحت خيارات المترجم بين اعتماد الأسماء العربية في أغلب الحالات والاقتراس في حالات قليلة. وقد اختلفت الأسماء العربية بين تلك المألوفة لدى القارئ على غرار "الخوخ" و "الدردار"، والأقل شيوعاً مثل "قرانيا"، و"الأزادخت". أما الاقتراس فمثاله "مغنوليا". وفي مثل هذه الحالات يصعب التكهن بمدى تواصل القارئ مع النص وقدرته على تصور المحيط المراد وصفه، لأنّ هذا النوع من المعارف يختلف من قارئ إلى آخر، فهناك قارئ مطلع وقارئ أقل اطلاعاً. فطريقة الترجمة لم تكن عائقاً أمام التلقي الصحيح إذا ما استثنينا قرار المترجم بنقل "cherry blossoms" ب "زهور الكرز" بدل "أشجار الكرز"، خاصة وأنّ المثال يصف حالة فرار في الغابة بين الأشجار، غير أنّ ما قد يخلق صعوبة للقارئ هو عدم معرفته بأنواع الأشجار المذكورة. ويتعلق المثال (15) بمدى صحة ترجمة "landscape gardening" ب "البستنة"، ذلك أنّ العبارة الإنجليزية تعني فن تصميم الحدائق والأماكن العامة وإعطائها شكلاً جذاباً (Cambridge)، في حين يشير اللفظ العربي إلى علم زرع البساتين وفلاحتها (معجم المعاني الجامع). فمن الواضح أنّ الترجمة أخفت المعنى المقصود وأشارت إليه بطريقة مجملّة لا تسمح للقارئ بتلقيه.

يحتوي الجدول الموالي على المجموعة الثالثة (م3) من نماذج ترجمة أسماء الحيوانات والنباتات، وتخص أسماء الحيوانات.

النص الأصل	الترجمة العربية
16. whose black carapace had affinities with some form of matchbox-dwelling insect . A stag beetle ! (<i>Atonement</i> , 96)	لمظهرها الأسود صلة بنوع من الحشرات التي تقيم في علبة الكبريت، خنفساء! (الكفارة، 145-146)
17. an overflowing basket of vegetable trimmings which Betty would take home to feed to her Gloucester Old Spot , fattening for December. (<i>Atonement</i> , 104)	سلة مملوءة بالخضروات كانت بيتي قد عزمت على حملها إلى بيتها لتناولها في مكانها القديم في غلوشستير (الكفارة، 154)
18. ignoring the Friesians already congregating in the shade (<i>Atonement</i> , 19)	متجاهلاً حشداً من الناس المتجمهرين (الكفارة، 47)
19. destroying the nests of the teal and the gray wagtails . (<i>Atonement</i> , 279)	فدمرت بذلك أعشاش البط النهري الصغير وطيور الماء الرمادية (الكفارة، 371)

الجدول 17/4: نماذج عن ترجمة أسماء الحيوانات (م3)

وتكشف الأمثلة الأربعة الأخيرة (16، 17، 18، 19) بعضاً من الإشكالات التي تطرحها ترجمة أسماء الحيوانات والتي كثيراً ما ترتبط بإغفال الخصوصية ونقلها بصيغة عامة تُمَيِّع المعنى. ففي المثال (16) استبدل المصطلحين الدقيقين "carapace"، وتعني طبقة تغطي وتحمي الحيوان (Cambridge) و "stag beetle"، والتي تشير إلى أن جنس الخنفس ذكر (Merriam Webster)، بمصطلحين أقل دقة وهما "مظهر" و "خنفساء" مما نتج عنه إخفاء شكل الحشرة وجنسها. وقد يُخَيِّل للقارئ أن هذه المعلومات ليست مهمة طالما عرف القارئ نوع الحشرة المقصودة، ولكن في النصوص الأدبية طريقة سرد الأحداث والوصف المصاحب لها هي جزء رئيسي من رسالة النص، فالتغاضي عما جاء من تفاصيل يؤثر حتماً على تأويل القارئ للنص. وهذا ما يعكسه المثال (17)، أين تسببت الترجمة الخاطئة في إعطاء قارئ النص العربي رسالة تختلف كلياً عن رسالة النص الأصلي. إذ تعني عبارة "Gloucester Old Spot" نوع

هجين ونادر من الخنازير يكون مرقط بالأسود (Collins)، ومن الواضح في المثال أن بيتي تنوي إطعام الخنزير لتحضيره لأعياد آخر السنة وليست هي من ستتناول الطعام. في حين تذهب الترجمة إلى معنى مختلف تماماً من خلال الترجمة الحرفية للعبارة خاصة وأنّ ذلك تصادف مع وجود منطقة في بريطانيا بهذا الاسم (Collins). فهذا الخلط بين المكان والحيوان لم يطمس في النص العربي نوع الحيوان الخاص فحسب، بل أيضاً وجود تقاليد غريبة تتمثل في تسمين الحيوانات حتى تكون بالحجم المناسب وقت الأعياد. وحجب خطأ آخر في الترجمة في المثال (18) نوعاً آخر من الحيوانات على القارئ العربي وهو "Friesians"، وهي الأبقار السوداء والبيضاء (OLD)، بعد أن تُرجمت بـ "حشد من الناس". فعلى الرغم من خبرة المترجم الكبيرة تم رصد الكثير من الأخطاء في "الكفارة" والتي تسبب بعضها في تغيير المعنى وإخفاء الملامح الثقافية للنص الأصلي، وتصبح عملية التواصل الثقافي في مثل هذه الحالات مستحيلة. وأخفى المثال الأخير (19)، ولكن بدرجة أقل من الأمثلة السابقة، جوانب من معاني أسماء الحيوانات المذكورة في الترجمة. إذ يُحيل اللفظ الإنجليزي "teal" إلى نوع من البط البري الصغير، لكنّ الترجمة طمست صفة "البري"، والجدير بالذكر أنّ المترجم استعمل المكافئ الذي يقترحه المعجم (البلعكي، 2007م، 953)، ولكنّ استعمال لفظ "البط" دون أي تحديد للمعنى يجعل عدداً أكبر من أنواع البط ينضوي تحت هذا المسمّى. ويصف اسم "wagtail" أهمّ صفة في هذا الطائر وهي هزّ الذيل إلى الأعلى والأسفل عند الحركة (Merriam Webster). واستخدام المترجم لـ "طيور الماء" في النص العربي غير مفهوم لأنّ لا أحد من المعاجم التي تم استخدامها في هذا التحليل يذكر أنّ هذا الطائر يعيش بالقرب من المسطحات المائية. فبينما يُساعد اسم الطائر في النص الإنجليزي القارئ على تصور إحدى صفات الطائر، نجد أنّ الترجمة العربية أخفت هذا الملمح، بل وعقدت مهمة القارئ أكثر بإعطائه الانطباع أنّ الطائر المذكور هو نوع من طيور الماء. ولو أنّ المترجم استعمل المكافئ المعجمي "الدُّعرة" (البلعكي،

2007م، 1040) لكان نجاح في الاحتفاظ بشيء من الصورة الأصلية في الترجمة لأنّ طريقة هز الطائر لذيله توحى بحالة من الذعر.

لقد تم طمس أسماء الأزهار والأشجار والحيوانات في الترجمة بطرق مختلفة، ولكن تبقى النقطة السوداء هي كثرة الأخطاء والتي تؤدي لا محالة إلى تغيير رسالة النص الأصلية وإبهام الكثير من ملامحها. في بعض الأحيان يكون المحتوى الدسم للنص الأصلي السبب الوحيد وراء صعوبات التلقي والتواصل. فالمقاطع التي تصف المحيط الطبيعي في بريطانيا أو أمريكا قد تكون مبهمة للقارئ غير الملم بهذا الجانب من الثقافة الأصلية. وفيما عدا هاتين الحالتين، قد تتسبب المبالغة في التعميم هي الأخرى في إخفاء ملامح المحيط النباتي والحيواني للنص الأصلي.

2.1.3.4. التفاعل الثقافي بين إيضاح وتضمنين المحتوى التاريخي

يتناول هذا الجزء من البحث إمكانية التفاعل الثقافي عبر المحتوى التاريخي الذي تزخر به نصوص المدونة. ولقد ارتأينا لهذا الغرض تناول موضوعات أربع ترتبط بهذا المجال وهي المصطلحات والأحداث التاريخية، المصطلحات الحربية، المحتوى الديني، والمصطلحات الطبية. وتجدر الإشارة إلى أنّ الأخيرة مأخوذة في بعدها التاريخي ضمن سياق النص.

1.2.1.3.4. نماذج عن ترجمة المصطلحات والأحداث التاريخية

سنقوم فيما يلي بتحليل نماذج عن ترجمة المصطلحات والأحداث التاريخية تم تقسيمها إلى مجموعتين. يحتوي الجدول الموالي على نماذج المجموعة الأولى (م1).

النص الأصل	الترجمة العربية
1. There was a sighting of him, back in the days of the General Strike , carrying pamphlets on a train. (<i>Atonement</i> , 146)	وقد شوهد في الأيام التي عم فيها الإضراب، حاملاً المنشورات في أحد القطارات. (الكفارة، 210)
2. Before the Armistice (<i>Atonement</i> , 24)	قبل اعلان الهدنة (الكفارة، 54)
3. After Munich last year, he was certain, like everyone else, that there would be a war. (<i>Atonement</i> , 208)	فقد كان متأكداً بعد ميونيخ في العام الماضي أن الحرب واقعة لا محالة (الكفارة، 286)
4. Long ago, before the war, before Wandsworth (<i>Atonement</i> , 241)	منذ زمن بعيد، قبل اندلاع الحرب، وقبل واندزورث (الكفارة، 327)
5. Abyssinia Question (<i>Atonement</i> , 9)	القضية الإثيوبية (الكفارة، 34)
6. The War had been over four or five years then, but nobody white or black seemed to know it. (<i>Beloved</i> , 63)	الحرب قد انتهت منذ أربع سنوات أو خمس عندئذ، ولكن لم يكن يبدو أن أحد ابيض أو اسود يعرف ذلك (محبوبة، 106)

الجدول 18/4: نماذج عن ترجمة المصطلحات والأحداث التاريخية (م1)

تدور هذه الأمثلة في مجملها حول أحداث تاريخية تضمنتها نصوص المدونة، وقد تعاملت الترجمة مع هذا المحتوى، على غرار غيره، بأساليب متنوعة. في المثال (1) يحيل المصطلح "General Strike" إلى حدث معروف في التاريخ البريطاني ويعود إلى عام 1926، عند خروج ملايين العمال للشارع ثائرين على الوضع الاقتصادي المزري (Historic UK). واستخدام المترجم لكلمة "إضراب" لا يوحي بأنه يشير إلى حدث تاريخي بعينه، ويعطي انطباع بأنه حدث وارد الوقوع مع العلم أن الإضراب العام المذكور هو الوحيد الذي عاشته بريطانيا في تاريخها (Historic UK). فبالنظر لاحتمال عدم معرفة القارئ بهذه الجزئية من التاريخ البريطاني، لا تسمح الترجمة بتلقي هذا المحتوى وتحت القارئ على فهم السياق بشكل خاطئ خاصة وأنه لم يلحقه بهامش. ونفس الأمر لوحظ في المثال (2) مع مصطلح "Armistice" والذي يشير إلى اتفاق الهدنة بعد هزيمة ألمانيا في الحرب، فلولا توضيح هذا التفصيل في الهامش ربما التبس الأمر على قارئ النص العربي، مع أن السياق هنا يسمح باستنباط المعنى. وفي المثال (3) استعمل

المترجم نفس إحالة النص الأصلي، اسم المدينة الألمانية "ميونيخ"، لكن المقصود هو اتفاقية ميونيخ لعام 1938، بين ألمانيا ودول المحور، والتي فشلت بمجرد قرار هتلر ضمّ المزيد من الأراضي التشيكية (Encyclopedia Britannica). وفي تقديرنا لا يُشكل هذا الإبقاء على المعنى مضمناً خطراً كبيراً على الفهم أو التلقي خاصة إذا ما عرفنا أنّ تاريخ الحربين العالميتين هو جزء من مناهج التدريس في الكثير من الدول. تكشف هذه الأمثلة أنّ إبراز الأحداث التاريخية في الترجمة مرهون ليس فقط بطريقة تعامل المترجم معها ولكن أيضاً بطبيعتها، فبعض الأحداث، نظراً لبعدها العالمي، تكون أسهل في النقل من غيرها.

في المثال (4) يستحضر روبي ذكرياته ما قبل الحرب، ويحيل اسم المدينة "Wordsworth" إلى السجن الذي كان يقبع فيه قبل أن يلتحق بالجيش، وهو سجن نزل به عديد المفكرين وشهد أحداثاً كثيرة (Encyclopedia Britannica). ويستطيع قارئ النص العربي غالباً استنتاج علاقة المدينة بالسجن، لكنّه لن يتمكن من ربط فهمه بالجانب التاريخي للمكان. ويأتي ذكر "القضية الأثيوبية" (5) في النص في معرض الحديث عن المواضيع المملة والتي لا يجب مناقشتها. ويرتبط هذا المصطلح باعتداء إيطاليا على أثيوبيا ومحاولة ضمّها إلى الإمبراطورية الإيطالية بين عامي 1935 و1936 (Encyclopedia Britannica). وهذه القضية، مثل اتفاقية ميونيخ، تعتبر من الأحداث الممهدة لاندلاع الحرب العالمية الثانية، وقد تكون من هذا المنطلق جزءاً من مخزون القراء المعرفي فلا تخلق صعوبة في التلقي. والحرب المقصودة في المثال (6) هي الحرب الأهلية الأمريكية، ولم تحاول الترجمة توضيح المعنى بل نقلته بنفس أسلوب النص الأصلي، مع اختلاف بسيط هو أنّ قارئ النص الأصلي لن يجد أيّ صعوبة في فهم المعنى على عكس قارئ النص المترجم. باختصار، قد تساعد الهوامش على فهم هذا النوع من المحتوى، كما قد تساهم بعض أساليب الإيضاح في توجيه القارئ نحو المعنى المطلوب، وفي حال لم يتوفر

الأميرين فإن الأمر كله منوط بمخزون القارئ المعرفي. أي أن التواصل الثقافي يكون ممكناً إذا كانت هناك أرضية مشتركة بين المتلقي والنص.

يتضمن الجدول الموالي القسم الثاني من نماذج ترجمة المصطلحات والأحداث التاريخية.

النص الأصل	الترجمة العربية
7. In between that calamity and this, they had visited George III in London , published a newspaper, made baskets, led Oglethorpe through forests, helped Andrew Jackson fight Creek , cooked maize, drawn up a constitution, petitioned the King of Spain , been experimented on by Dartmouth , established asylums, wrote their language, resisted settlers, shot bear and translated scripture. All to no avail. The forced move to the Arkansas River , insisted upon by the same president they fought for against the Creek , destroyed another quarter of their already shattered number. (<i>Beloved</i> , 131)	وفيما بين تلك الكارثة وهذه، كانوا قد قاموا بزيارة الملك جورج الثالث في لندن، ونشروا جريدة، وصنعوا سلالاً، وقادوا أوجلثورب خلال الغابات، وساعدوا أندرو جاكسون على محاربة هنود الكريك، وطبخوا الذرة، وأصدروا دستوراً، وقدموا عريضة لملك إسبانيا، وأجرت عليهم دارتموث تجارب، وأقاموا المصحات، وكتبوا لغتهم، وقاوموا المستوطنين، وصادوا الدببة وترجموا الكتاب المقدس. كله بلا جدوى. كان الانتقال الاضطراري إلى نهر أركانساس الذي أصّر عليه نفس الرئيس الذي حاربوا معه ضدّ هنود الكريك، قد دمر ربعاً آخر من عددهم المدمر سلفاً (محبوبة، 203-204)
8. No more discussions, stormy or quiet, about the true meaning of the Fugitive Bill , the Settlement Fee , God's Ways and Negro pews ; antislavery, manumission, skin voting, Republicans , Dred Scott , book learning, Sojourner's high-wheeled buggy, the Colored Ladies of Delaware , Ohio , and the other weighty issues that held them in chairs, scraping the floorboards or pacing them in agony or exhilaration. No anxious wait for the North Star or news of	لم تعد هناك مناقشات، عاصفة أو هادئة، حول المعنى الحقيقي لمشروع قانون الهاربين، أجر الاستيطان، أساليب الله ومقاعد خشبية طويلة في كنيسة للملونين، الحركة المناهضة للعبودية، العتق من العبودية، التصويت للملونين، الجمهوريون، دريد سكوت، تعلم القراءة، عربة المقيمين العالية العجلات، نساء ديلاوير الملونات، أوهايو، وقضايا أخرى لها وزنها تبقىهن جالسات في كراسيهن، أو يكشطن ألواح الأرضية أو يذرعنها في ألم أو بهجة. لا انتظار متلهف لجريدة "نورث ستار" أو أخبار عن الاستعادة. لا زفر عند سماع خيانة جديدة أو تصفيق لانتصار صغير (محبوبة، 295-296)

	a beat-off. No sighing at a new betrayal or handclapping at a small victory. (<i>Beloved</i> , 204)

الجدول 19/4: نماذج عن ترجمة المصطلحات والأحداث التاريخية (م2)

يتعلق المثالان الأخيران (7، 8) بأحداث طبعت تاريخ السود والهنود في أمريكا، وجاءت طويلة نسبياً لكثرة الإحالات التاريخية التي تضمنتها. فتذكر الأمثلة شخصيات تاريخية مثل الملك جورج الثالث والذي اقترنت فترة حكمه باستقلال الولايات المتحدة عن بريطانيا، ولم يزد المترجم على إضافة اللفظ العام "ملك" لتوجيه فهم المتلقي. وكذا "أوغلثورب" مؤسس ولاية جورجيا، و"أندرو جاكسون" سابع رؤساء الولايات المتحدة. وكان لكل واحد من هؤلاء دور في كتابة التاريخ الأمريكي، والعبودية واستضعاف الهنود جزء منه. والجدير بالذكر أنه وعلى عكس مترجم *Atonement*، لا يميل مترجم *Beloved* إلى استعمال الهوامش مطلقاً، فالرواية تحتوي على هامش واحد متعلق بعنوان الرواية. ولأسلوب المترجم هذا أثر واضح على تلقي النص. ففي المقاطع الغنية بالمحتوى التاريخي، وفي ظل غياب الهوامش والإضافات البسيطة في متن النص، نحسب أن تلقي النص العربي سيكون أكثر صعوبة من نظيره الإنجليزي لأن هذا الجانب التاريخي لا يشبه تاريخ الحرب العالمية، واحتمالات إمام القارئ به أقل. وما سيزيد تلقي النص صعوبة هو أنه يحاول إعطاء قراءة بديلة للتاريخ، تكشف عن معاناة السود وتجريدهم من إنسانيتهم إبان فترة العبودية (Tanritanir & Aksak, 2008, 250)، دون إغفال ما مرّ به السكان الأصليون من مشقة بسبب استغلال البيض لهم.

فالمثال (7) يتعرض لأحداث مختلفة عاشتها قبائل الشيروكي بسبب أطماع الرجل الأبيض التي لا حدود لها والتي أدت إلى موت عدد كبير منهم. تتقل الترجمة الأحداث كما جاءت في النص الأصلي دون أي تدخل أو توضيح وهو ما يدفعنا للاعتقاد أن عدد غير قليل من المعلومات سيكون عسياً على فهم قارئ النص العربي. ونفس الأمر يمكن قوله على المثال (8) والذي يعجّ هو الآخر بأحداث أثرت

سلباً أو إيجاباً على حياة السود في أمريكا، والمجال لا يتسع لشرح كلِّ الإحالات التاريخية لأنَّ هذا ليس الهدف، ولكن يجب أن ينتبه القارئ أنَّ كلَّ ما ذُكر في النص الإنجليزي له معنى تاريخي، ولا يمكن بأي حال فهم المغزى اعتماداً على الترجمة، والتي كما أسلفنا اكتفت بنقل محتوى النص بشكل حرفي تقريباً. فلا يمكن في هذه الحالة لوم الترجمة على عدم تحقق تواصل ثقافي بين القارئ والنص، فزخم المعلومات التاريخية في مقطع قصير من النص تحتم معرفة جيدة بالتاريخ الأمريكي إذا أراد القارئ تلقي النص دون عوائق. وربما تكمن مشكلة الترجمة في النقل الحرفي لعبارتي "God's ways" و "Negro pews"، والتي تبقى المعنى مضمناً كما جاء في النص الأصلي، وهو ما يجعل من الصعوبة بمكان فهم فكرة أنَّ الله بإعطائه القوة للبيض باركهم بشكل ما، وأنَّ الكنيسة التي هي مكان للعبادة تفرض على السود الجلوس في أماكن خاصة. وحاول المترجم الحفاظ على بناء النص الأصلي ما استطاع وهو خيار يقدم النص على القارئ ويخلق صعوبات في معالجة النص. والخطأ الوحيد المسجل في الترجمة يخص "Sojourner" والذي اعتبره المترجم "مقيمين" في حين أن المقصود هو "Sojourner Truth" وهي أمة سوداء أصبحت ناشطة بعد تحريرها، وتعد اسم معروف في معركة سود أمريكا نحو الحرية (Encyclopedia Britannica). وصحيح أنَّ هذا الخطأ تسبب في إخفاء هذه المعلومة في الترجمة، لكن حظوظ معرفة القارئ بها في حال لم يحدث خطأ ضئيلة. باختصار، لم تحذف الترجمة، ولم تُخطئ إلا في موضع واحد، ولم تبالي في الإيضاح، ومع ذلك فإنَّ الغالب على ظنِّنا هو عدم قدرة القارئ على فهم السياق التاريخي الموصوف والمقصود بالاتكال على قراءة النص وحده.

من الواضح أنَّ ترجمة المحتوى التاريخي تتأثر أقلَّ من غيرها بأسلوب المترجم وقراراته، ذلك أنَّ الإلمام بالسياق والمعرفة المسبقة بهذا الحدث التاريخي أو ذاك هو ما يضمن تفاعل حقيقي بين القارئ والنص. ووحدها الهوامش هي ما قد يساعد القارئ غير المطلع على تاريخ الثقافة الأصلية على فهم هذا

البعد في النص، غير أنَّ بعض المترجمين لا يحبذون استعمالها لقناعتهم ربما أنَّ النص الأدبي ليس المكان الأنسب للإيضاح والتفسير.

2.2.1.3.4. نماذج عن ترجمة المصطلحات العسكرية والحربية

سنقوم فيما يلي بتحليل نماذج عن ترجمة المصطلحات العسكرية والحربية تم تقسيمها إلى ثلاث مجموعات. يحتوي الجدول الموالي على المجموعة الأولى من النماذج (م1).

النص الأصل	الترجمة العربية
1. He also took the dead captain's revolver . He wasn't trying to impersonate an officer . He had lost his rifle . (<i>Atonement</i> , 191)	كما أنه استولى على مسدس النقيب الميت أيضاً. إنه لا يحاول تقليد أحد الضباط، فقد فقد مسدسه (الكفارة، 263)
he took the revolver . The corporals reached for their rifles . (<i>Atonement</i> , 197)	وأمسك مسدسه، كما أمسك العريفان ببندقيتهما (الكفارة، 272)
2. they propped the Lee-Enfields against a wooden crate (<i>Atonement</i> , 197)	أسند لي أنفيلدز إلى صندوق خشبي (الكفارة، 271)
3. a formation of about fifty Heinkels (<i>Atonement</i> , 214)	قوامها زهاء خمسين قاذفة من طراز هاينكيلز (الكفارة، 294)
4. Bren-gun carriers (<i>Atonement</i> , 216)	عربات تحمل مدافع برن (الكفارة، 296)
5. "ME 109 . Must have been his machine gun . (<i>Atonement</i> , 223)	ام اي 109 لا بد أن هذا هو مدفعه الرشاش (الكفارة، 305)
6. after the Messerschmitt's casual pass, they would be back. (<i>Atonement</i> , 225)	فبعد مرور الطائرات ميسر شميديت العابرة، سوف ترجع ثانية (الكفارة، 308)
7. A Stuka carried a single thousand-pound bomb. (<i>Atonement</i> , 236)	ثمة طائرة نوع ستوكا تحمل قنبلة واحدة زنتها ألف باوند (الكفارة، 320)

الجدول 20/4: نماذج عن ترجمة المصطلحات العسكرية والحربية (م1)

لقد جاء نص *Atonement* على وجه الخصوص زاخراً بالمصطلحات الحربية والعسكرية، وكثرة

الأمثلة وتنوعها هو ما دفعنا لإدراج عدد لا بأس به منها في الجدول أعلاه. يسلط المثال (1) الضوء

على فكرة الرتب العسكرية وكيف أنّ الفرق بين الضباط والجنود يتضح من خلال نوع السلاح الذي يحملونه، فيحمل الضابط المسدس بينما يحمل الجندي البندقية، حتى أنّ حمل الجنديّ للمسدس قد يؤخذ على أنه محاولة لتقمص شخصيته. لم تنجح الترجمة في إظهار أيّ من هذه المعلومات بسبب استعمال نفس اللفظ "مسدس" لنقل نوعين مختلفين من الأسلحة وهما "revolver" و "rifle". وما زاد الأمر تعقيداً هو ترجمة الفعل "impersonate"، ويعني انتحال أو تقمص شخصية بهدف الخداع أو المزاح (OLD)، بـ "تقليد" والتي قد تلبس الفهم على القارئ. أثرت قرارات المترجم على نقل فكرة النص وطُمست المقابلة بين الرتبتين العسكريتين. وتدارك المترجم الخطأ الأول في مناسبة ثانية وفرّق بين السلاحين في الترجمة.

تُبرز الأمثلة (2-7) كيفية تعامل المترجم مع أسماء الأسلحة المختلفة، والملاحظة الأولى في هذا الشأن هي عدم لجوء المترجم إلى الهوامش إلا في حالة واحدة (6). ويوجد تفسير منطقي لقرار المترجم هذا، فأسماء الأسلحة على غرابتها لا تخلق صعوبة حقيقية للمتلقي، إذ يكفي معرفة طبيعة القطعة المذكورة ليتشكل لدى القارئ صورة عن المعنى المنشود، وهو ما جاء في الغالب مضمناً في النص الأصلي وموضحاً في الترجمة. في المثال (2) احتفظ المترجم باسم البندقية كما جاء في الأصل ولم يضيف أيّ معلومة لتوجيه القارئ، ويسمح النص مع ذلك بفهم أنّ المقصود هو قطعة سلاح. أما ما لن تتيحه هذه الترجمة بالتأكيد فهو أنّ البندقية المذكورة كانت السلاح المعتمد للجيش البريطاني في الحربين العالميتين الأولى والثانية (Encyclopedia Britannica). وفي المثال (3) تم إضافة "قاذفة من طراز" لاسم الطائرة وهو ما يوضح المعنى تماماً. والجدير بالذكر أن ماك إيوان، كاتب النص الأصلي، قام ببحوث تاريخية معمقة وأطلع على كثير من الوثائق التاريخية ليعطي سرده التاريخي أكبر مصداقية ممكنة. فمن المهم النظر إلى إصراره على استعمال المصطلحات الحربية بدقة على أنّه نوع من التوثيق للحرب، وإن كان ذلك من خلال عمل روائي. وكذلك حملت الأمثلة (4، 5) في طياتها ما يدلّ على نوع السلاح وهو ما يسهل معالجة النص على القارئ. بالنسبة للطائرات الحربية في الأمثلة (6، 7)، أضاف

المترجم ما يوجه القارئ لهذا المعنى على غرار "طائرة" أو "طائرة من طراز"، كما اختار المترجم أن يلحق هامش بالمثل (6) ليُعلم القارئ أنّ الطائرة منسوبة لاسم مصممها (ص 308). ومن غير الواضح لماذا اختار المترجم هذه الطائرة بالذات ليعطي القارئ معلومات حولها على عكس "هينكل" أو "ستوكا" مثلاً. في كلّ الأحوال، لا يضيف الهامش الكثير للقارئ فيما يتعلق بفهم النص، وأيّ معلومات حول نوعية الأسلحة وملابس استعملها في الحرب تتطلب بحثاً إضافياً من قبل القارئ، ونتوقع أنّ نفس الأمر يقع على عاتق قارئ النص الأصلي وإن كان بدرجة أقل. فما يمكن استخلاصه من هذه الأمثلة هو أنّ غرابة الأسماء على القارئ لا تعيق الفهم، وأن الجانب الذي لن تنجح الترجمة في إبرازه هو الجانب التاريخي المتعلق بصناعة وتسويق هذه الأسلحة إبان الحرب العالمية الثانية، وهو جانب قد يكون بنسبة كبيرة مجهولاً لدى قارئ النص الأصلي أيضاً.

يحتوي الجدول الموالي على المجموعة الثانية من نماذج المصطلحات العسكرية.

النص الأصل	الترجمة العربية
8. A perfect day for the Luftwaffe . (<i>Atonement</i> , 214)	يوم مثالي للسلّاح الجوي الألماني (الكفارة، 294)
9. All they could hope to achieve against a Panzer division was an extra hour or two for the retreating soldiers. (<i>Atonement</i> , 216)	أملهم الوحيد أن ينجحوا في. تأخير الفرقة الألمانية المدرعة ساعة أخرى يتمكن فيها الجنود من إكمال انسحابهم (الكفارة، 297)
10. slipping in behind a couple of Highland Light Infantry men. (<i>Atonement</i> , 217)	وسار من خلف جنديين من وحدة مشاة الهايلاند الخفيفة (الكفارة، 297)
11. They came up behind some more HLI men. (<i>Atonement</i> , 218)	وصلوا في سيرهم إلى وراء جنود من وحدة مشاة الهايلاند الخفيفة (الكفارة، 299)
12. Someone, as usual, was cursing the RAF . (<i>Atonement</i> , 222)	وكما هو مألوف فقد صب أحدهم اللعنات على سلاح الجو الملكي (الكفارة، 304)

كان العريف ماسي يعمل طباخ في الوحدة نفسها التي كان فيها العريف نيتل وهي وحدة تابعة لفيلق الخدمات الخاص بالجيش الملكي (الكفارة، 269)	13. Corporal Mace was a cook in the same RASC unit as Corporal Nettle. (<i>Atonement</i> , 196)

الجدول 21/4: نماذج عن ترجمة نماذج عن ترجمة المصطلحات العسكرية والحربية (م2)

يحتوي المثالان (8، 9) على مصطلحات تشير إلى الجيش الألماني، أو الخصم في سياق أحداث الحرب. وقد تم إخفاء طريقة التسمية الخاصة والتي تقصد الكاتب استعمالها في النص العربي، ولكن المعنى لم يتأثر بشكل كبير. فترجمة "Luftwaffe"، بـ "سلاح الجو الألماني"، و "Panser Division" بـ "الفرقة الألمانية المدرعة" يسمح للقارئ بفهم واضح للسياق دون أن يمنحه فرصة معرفة الاسم المستعمل للدلالة عليها. فـ "الفرقة المدرعة" لها معنى عام ولا تعطي القارئ أي إشارة على خصوصية الفرقة المذكورة في النص الأصلي والتي تعدّ من أهم نقاط قوة الجيش الألماني والتي سمحت له باحتلال مناطق عدّة في أوروبا. والحال نفسه بالنسبة لـ "Luftwaffe"، فسبب هذه التسمية له أيضا أسبابه التاريخية المتعلقة بالحصار الذي كان مضروباً على ألمانيا ومنعها من امتلاك قوة جوية، وهو ما اضطرها إلى التحايل على هذه القرارات بمنشآت مدنية في ظاهرها، ولكنها لعبت دوراً أساسياً في ترجيح الكفة الألمانية أثناء المواجهات المسلحة (Encyclopedia Britannica). ولم توفق الترجمة التي اعتمدت على إيضاح طبيعة القوات المذكورة في النص الأصلي في جعل القارئ يتفتح على هذا الجانب من التاريخ الذي يعكسه هذين المصطلحين.

في الأمثلة (10-13) يمكن رصد ميل المترجم إلى إيضاح كل العبارات المختصرة في النص العربي. ويبدو هذا القرار في ظاهره الأقرب للمنطق، لأنّ إبقاء المختصرات على حالها في الترجمة سيكون حتماً عائقاً أمام الفهم. غير أنّ هذا القرار كان له أثره على نوعية النص الناتج. فقد اختار الكاتب أن يعبر عن نفس الهيئة في المثالين (10، 11) مرة باستعمال الاسم المفصل ومرة باستعمال الاسم المختصر، ولا يظهر هذا التنوع في الأسلوب في الترجمة التي كانت نفسها في الحالتين. من جهة ثانية

تبدو الأسماء المختصرة في الأمثلة غير مألوفة حتى بالنسبة لقارئ النص الأصلي لأنها تتعلق بهيئات عسكرية. بمعنى أن احتمال عدم معرفة القارئ بهذه المعلومات لم يثن الكاتب عن استعمالها في خضم مسعاه لإعطاء النص مصداقية أكبر، لكن المترجم فضّل عدم المجازفة.

يتضمن الجدول الموالي ثالث مجموعة لنماذج ترجمة المصطلحات العسكرية والحربية (م3)

النص الأصل	الترجمة العربية
14. As he came up, he saw a major from the Bufs (<i>Atonement</i> , 220)	وفيما هو يتقدم. إلى هذه البقعة، رأى راندا من المتحمسين (الكفارة، 301)
15. "Here you go. Courtesy of the Green Howards ." (<i>Atonement</i> , 239)	"تفضل، الفضل يرجع إلى غرين هاواردز ." (الكفارة، 324)
16. The bridge was held by the Coldstream Guards . (<i>Atonement</i> , 243)	كان الجسر تحت سيطرة حرس كولدستريم (الكفارة، 330)
17. The Yankees in control left the Rebels out of control. They got to the outskirts of Mobile, where blacks were putting down tracks for the Union that, earlier, they had torn up for the Rebels . (<i>Beloved</i> , 317)	ترك الشماليون المسيطرون المتمردين في حالة يتعذر السيطرة عليهم فيها. وصلوا إلى ضواحي موبيل، حيث كان السود يقيمون خطوطاً حديدية للاتحاد، كانوا هم من نزعوها قبلاً للمتمردين . (محبوبة، 447، 448)

الجدول 22/4: نماذج عن ترجمة نماذج عن ترجمة المصطلحات العسكرية والحربية (م3)

تذكر الأمثلة (14-17) عدداً من الفرق العسكرية التابعة للجيش البريطاني، وتباينت طرق نقلها

إلى العربية. إذ يحيل لفظ "The Bufs" (14) إلى فرقة مشاة تابعة لمنطقة "كانت/Kent" (Collins)،

واستخدام المترجم للفظ "المتحمسين"، وهي ترجمة حرفية، في النص العربي يخفي عن القارئ أن

المقصود هو فرقة عسكرية بالأساس. واعتمد المترجم على الاقتراض في "جرين هاواردز" (15) وأرفقه

بهامش يشرح فيه بإسهاب السياق التاريخي لظهور الفرقة المذكورة وسبب التسمية (ص 324) وهو ما

يرفع أي لبس قد ينتج عن الاقتراض. ولم يكن الاقتراض في "كولدستريم" (16) عائناً أمام التلقي لأن

معرفة السياق التاريخي لهذه التسميات ليس ضرورياً لفهم النص ولكن إلمام القارئ به يجعل التلقي أكثر

سلسلة ويسمح بتواصل ثقافي أفضل. فعموماً، وباستثناء الحالة الأولى، لم يكن لأسلوب الترجمة أثر سلبي على إبراز هذا الملمح العسكري وتقريبه للقارئ. في المثال الأخير (17) نلاحظ تخلي المترجم عن الخصوصية في لفظ "the Yankees" لصالح لفظ أشمل وهو "الشماليون"، والمقصود هنا هو جنود الولايات المتحدة الشمالية إبّان الحرب الأهلية الأمريكية (Collins). وتتنقل الترجمة المعنى المقصود ولكنها تتخلى عن الطريقة التي تم بها الإشارة إلى هذا المعنى. ويزخر المثال بمصطلحات أخرى مرتبطة بالحرب الأهلية على غرار "المتمردين" والاتحاد" والتي تم نقلها حرفياً. تشبه هذه الترجمة أسلوب المترجم عموماً والذي يركز على الاحتفاظ بشكل النص الأصلي قدر الإمكان. وقد تخلق صعوبة في الفهم في حال لم يكن القارئ على معرفة جيدة بسياق الحرب الأهلية الأمريكية التاريخي، لكنها في الوقت نفسه تضع قارئ النص العربي على قدم المساواة مع قارئ النص الأصلي من تلقي النص بصعوباته والتعامل معها كلّ حسب طبيعته.

باختصار، نجحت ترجمة الأمثلة المتعلقة بالمصطلحات العسكرية والحربية عموماً في نقل المعاني الموجودة في النص الأصلي. غير أنّ كلّ المشاكل التي تمّ رصدها كانت بسبب نقص الدقة في الترجمة وليس بسبب أيّ عوائق ثقافية لا يمكن تجاوزها.

3.2.1.3.4. نماذج عن ترجمة المصطلحات الدينية

سنحاول فيما يلي تحليل بعض نماذج ترجمة المصطلحات الدينية والمقسمة إلى مجموعتين.

يحتوي الجدول الموالي على المجموعة الأولى منها (م1).

النص الأصل	الترجمة العربية
1. from the <i>Book of Common Prayer?</i> (Atonement, 10)	من كتاب الصلوات (الكفارة، 36)

بدأ قسيس ومعاونيه يرشون البترول على صناديق تحتوي على أناجيل وكتب صلاة (الكفارة، 329) أيها الإله الأزلي، خالق البشر وحافظهم جميعا، يا واهب كل النعم الروحية، يا مؤلف الحياة السرمدية: أرسل بركاتك الى هذين العبدین، هذا الرجل وهذه المرأة (الكفارة، 431) وضعت آخر قرميدة في مكانها بعد أن أنجز القس تصريحه الاحتفالي - رجل وامرأة مرتبطان معا - ووضع نظارته على عينيه من جديد وذكرت كلمة ترينتي التي سميت بها كنيسته، وتلت ذلك صلاة أخرى وقراءة في المزمور (الكفارة، 431) سأدعو الذي ليس شعبي شعبي والتي ليست محبوبة محبوبة. رسالة بولس الرسول إلى أهل رومية 9: 25 (محبوبة، الاستهلال)	2. a chaplain and his clerk were dousing cases of prayer books and Bibles with petrol. (<i>Atonement</i>, 243) 3. “O Eternal God, Creator and Preserver of all mankind, Giver of all spiritual grace, the Author of everlasting life: Send thy blessing upon these thy servants, this man and this woman . . .” (<i>Atonement</i>, 326) 4. The last brick was set in place as the vicar, having put his glasses back on, made the celebrated pronouncement—man and wife together—and invoked the Trinity after which his church was named. There were more prayers, a psalm, the Lord’s Prayer and another long one in which the falling tones of valediction gathered into a melancholy finality. (<i>Atonement</i>, 326) 5. I will call them my people, which were not my people; and her beloved, which was not beloved. ROMANS 9:25 (<i>Beloved, epigraph</i>)

الجدول 23/4: نماذج عن ترجمة المصطلحات الدينية (م1)

تختلف النصوص الإنجليزية عن النصوص العربية من حيث كثافة المحتوى الديني في النص،

فالنصوص العربية جاءت ثرية بالإحالات القرآنية والاقتباسات الدينية المتنوعة. يعتبر الدين من

المواضيع التي بنت عليها موريسون روايتها واعتمدت على بعض الاقتباسات الإنجيلية التي أعادت

صياغتها لتناسب مع رسالة النص، وهو ما جعل هذه الاقتباسات متوالية بعض الشيء وقد يصعب

التنبه لها حتى في النص الأصلي (Guth, 1994). فرغم الحضور القوي للدين في الرواية إلا أنّ ذلك لم يكن صريحاً كما هو الحال في النصوص العربية وهو ما يفسر قلة الأمثلة مقارنة بالفصل السابق.

في المثال (1)، يذكر النص "*The Book of Common Prayer*"، وهو كتاب الصلوات الذي كان معتمداً في الكنيسة الأنجليكانية حتى ثمانينات القرن الماضي (Collins)، أي أنّ الكتاب المقصود هنا

محدد، وهو ما لا يظهر في النص العربي الذي يوحي بأنه كتاب صلوات في المطلق دون أيّ خصوصية، لا يختلف عن "prayer books" (2) في المثال الذي يليه، الأمر الذي يحجب على القارئ هذه المعلومة المتعلقة بالممارسة الدينية في إنجلترا في الترجمة. ويعني مصطلح "chaplain" رجل الدين الموكل إليه مهمة في مؤسسة عامة مثل المستشفى أو الجيش. ويُخرج المقابل العربي "قسيس" المعنى عن الخصوصية المذكورة. والجدير بالذكر أنّ اللغة العربية تستخدم مصطلح "قس/ قسيس" مكافئاً لعدة ألفاظ كنسية من قبيل "minister"، "priest"، "pastor" وهذا راجع إلى تعدد المرجعيات الدينية المسيحية، ف "priest" مصطلح كاثوليكي بالأساس ولكن يستخدم اليوم من طرف طوائف مختلفة، أما "pastor" و "minister" فهي مصطلحات بروتستانتية (Collins). لكن في المثال الذي بين أيدينا لا يمكن رد الأمر إلى تعدد المرجعيات، فمشكلة الترجمة هي أنها تخفي فكرة أنّ رجل الدين يمارس نشاطه خارج الكنيسة، وهو ما يطمس جانباً من الممارسات الدينية المسيحية في النص العربي. والتزم المترجم ترجمة حرفية

للخطاب الديني في المثال (3)، وهي ترجمة تنقل المعنى بشكل فعال، إذا ما استثنينا ترجمة "author" بـ

"مؤلف" في حين أنّ المعنى المقصود هو "الخالق". ومع ذلك لم تستطع الترجمة أن تحاكي نبذة النص الدينية، بمعنى أنّ قارئ النص العربي قد لا يشعر باختلاف هذا الخطاب عن الخطاب الديني الإسلامي لو لم يُعلم مسبقاً بأنّ المتحدث رجل دين مسيحي. كما لم تظهر الترجمة استعمال اللفظ القديم "thy"،

ومن الوارد استعمال مصطلحات قديمة في هذا السياق نظراً لاعتماد المتحدث على النصوص الإنجيلية.

يمكن القول أنّ المشكلة في هذا المثال هي مع الجانب غير الملموس من النص، فهي تكمن في تفاصيل

تكاد تكون غير ملحوظة لكنها مع ذلك تؤثر في طريقة تلقي النص ومدى وعي القارئ بغيرية المتحدث واختلافه.

ويُطرح إشكال الألقاب الكنسية مرة ثانية في المثال (4) مع مصطلح "vicar" والذي تُرجم ب "قس"، وقد سبق الإشارة إلى أنّ المصطلح العربي لا يفرق بشكل واضح بين الرتب أو الألقاب الكنسية. ويعني اللفظ الإنجليزي قس في الكنيسة الأنغليكانية مسؤول عن كنيسة وما جاورها من مناطق (Collins). ويمكن إدراج هذا المثال ضمن نطاق الإفقار الكمي في الترجمة، فقد لاحظنا استعمال العديد من المصطلحات في النص الإنجليزي، تم نقلها جميعاً باستعمال "قس/قسيس". وجاءت العبارة "celebrated pronouncement" هي الأخرى في سياق ديني فهي تحيل إلى الخطاب الديني الذي يُلقى عادة في مناسبة الزواج، وهو ما يجعل الترجمة العربية غير دقيقة، ولا تظهر خطاب القس بهذا المعنى. وصحيح أنّ الكنيسة تحمل اسم "Trinity"، لكن القس هنا ذكرها كمفهوم ديني في معرض خطابه، ومن هذا المنطلق يطرح قرار المترجم بالاقتراض مشكلاً لأنّه يوحي بأنّ الأمر يتعلق حصراً باسم الكنيسة، في حين يرمي النص الأصلي إلى المعنيين. وفي آخر المثال ذكّر لعدد من الصلوات المسيحية، احتفظ المترجم باثنتين وحذف الباقي، ومما حُذف عبارة "The Lord's prayer" وهي صلاة لقّنها السيد المسيح بنفسه لأتباعه (Collins) بحسب الرواية المسيحية. تسببت قرارات المترجم المختلفة بحجب الكثير من المعاني الدينية المسيحية، وأدت بذلك إلى تقليل حظوظ التفاعل الثقافي مع هذا المحتوى.

يوضح المثال (5) العبارة الاستهلالية (epigraph) التي تصدرت رواية *Beloved* والمقتبسة من الإنجيل. والملاحظة الأولى هي أنّ المترجم قام بتوضيح مصدر الاقتباس في الترجمة، "رسالة بولس الرسول إلى أهل رومية"، وهذه الإضافة وإن كانت تساعد القارئ على تحديد مصدر النص بدقة فهي لا تسمح بفهم أسهل للاقتباس في حدّ ذاته. فرسالة موريسون من خلال هذا الاقتباس هي إحياء ذكرى كلّ أولئك المنسيين من السود الذين ماتوا أثناء رحلة العبور إلى العالم الجديد أو ضمن مؤسسة العبودية التي

مارست عليهم كل أشكال العذاب والاضطهاد (Tai, 2016, 218). كما أنّ في هذا الاقتباس إحالة مباشرة لعنوان الرواية. وما قد يزيد من صعوبة تلقي قارئ النص العربي هو أنّ رسائل موريسون من خلال الإحالات الإنجيلية التي تضمنتها الرواية تختلف عن الرسائل الأصلية وتعتمد في معظم الوقت على مشاركة القارئ في بناء المعنى، شأنها شأن الكثير من النصوص ما بعد الحداثيّة. باختصار، ليست الترجمة في هذه الحالة هي العائق الحقيقي أمام القارئ، ولكن رؤية الكاتبة وفهمها للنص الأدبي، وطريقة بناء القصة، بدءاً من هذا الاستهلال، كلّها تصعّب المهمة ولا تسمح بتقدير مدى التفاعل مع النص وفهمه.

يحتوي الجدول الموالي على المجموعة الثانية من نماذج ترجمة المصطلحات الدينية.

النص الأصل	الترجمة العربية
6. In winter and fall she carried it to AME's and Baptists, Holinesses and Sanctifieds, the Church of the Redeemer and the Redeemed. (Beloved, 102)	في الشتاء والخريف كانت تحمله إلى المعمدانيين أصحاب القداسة والمقيمين، إلى كنيسة المخلص والمفتدين (محبوبة، 162-163)
7. Before it was the Church of the Holy Redeemer (Beloved, 257)	قبل أن تصبح كنيسة المفتدى المقدس (محبوبة، 369)
8. Uncalled, unrobed, unanointed (Beloved, 102)	دون أن تستدعى أو ترتدي رداء الكهنوت أو تمسح بالزيت (محبوبة، 163)
9. maybe he was not the high-minded Soldier of Christ he thought he was (Beloved, 200)	ربما لم يكن جندي المسيح صاحب المبادئ السامية كما كان يظن نفسه (محبوبة، 290)
10. IT WAS a tiny church no bigger than a rich man's parlor. The pews had no backs, and since the congregation was also the choir, it didn't need a stall. (Beloved, 257)	كانت كنيسة بالغة الصغر ليست أكبر من بهو رجل غني. لم يكن للمقاعد ظهور، ولما كان جميع المصلين هم أيضاً جوقة المنشدين، فلم تكن بحاجة إلى مذبح (محبوبة، 369)

الجدول 24/4: نماذج عن ترجمة نماذج عن ترجمة الدينية (م2)

يحتوي المثال (6) على الكثير من المصطلحات الدينية لها معاني محددة تم التعامل معها بأساليب مختلفة. فقد حذف المترجم الاسم المختصر "AME" والذي يشير إلى "African Methodist Episcopal Church"، ومع هذا الحذف تختفي معلومة تاريخية، فالكنيسة المذكورة هي أول كنيسة للسود في أمريكا، وأسست على خلفية تضيق البيض على الملونيين فيما يخص مقاعد الجلوس (Encyclopedia Britannica). واحتفظ المترجم بأسماء الكنائس المتبقية ونقلها كالتالي: "Baptists"/ "المعمدانيين"، "Holinesses"/ "أصحاب القداسة"، "Sanctified"/ "المقيمين"، و"the Church of the Redeemer and the Redeemed" ب "كنيسة المخلص والمفتدين". وكانت الترجمة الحرفية فعالة إلا في حالة "أصحاب القداسة"، وهو أحد معاني اللفظ الإنجليزي، لكنه لا يوحي بأن المقصود هو اسم كنيسة. وقد كان المترجم وفياً لنهجه في هذا المثال أيضاً، إذ حرص على الحفاظ على بنية النص الأصلي، وهو الخيار الذي يؤثر لا محالة على تأويل النص، لأن الأسماء في النص الإنجليزي تحيل القارئ دون أي لبس إلى أسماء الكنائس، وهو ما لا يوفره النص العربي. من جهة ثانية يتطلب التعامل مع المحتوى عالي التركيز بالتفاصيل الدينية، العدد الكبير من المذاهب الدينية في هذا المثال، جهداً إضافياً من القارئ لفهمه، لكن مجرد الإبقاء على جميع الأسماء في الترجمة من شأنه أن يضع القارئ في سياق النص الصحيح، وله بعد ذلك أن يبحث إن شاء. فالمهم في سياق النص هو أن يعرف القارئ أنّ بيبي سجز تنقلت بين كنائس عدة قبل أن تقرر خدمة مجتمعتها بشكل منفرد. فقرار المترجم بحذف جزء من النص وترجمة الباقي حرفياً رفع من درجة صعوبة التلقي وقلل من فرص التواصل الثقافي الناجح. وينطبق هذا الحكم على المثال (7) بحيث ترجم اسم الكنيسة ترجمة حرفية، تعطي صورة تقريبية عن معنى الاسم، ولا تسمح بالتنبؤ بأي شيء حول السياق التاريخي والديني.

يحمل المثال (8) هو الآخر رسالة دينية غير مباشرة، إذ يصف كيف أصبحت بيبي سجز المرشد الديني والطبيب الروحي لطائفها من السود، دون الحاجة لأن تأخذ المسار المسيحي الطبيعي

الذي يؤدي إلى هذا المقام من تلقي الرسالة الإلهية (Collins) وارتداء الزي الديني والتبرُّك بدهن الزيت. ترك المترجم العبارة على حالها مع إيضاح الصفة "unrobed"، "دون أن ترتدي رداء الكهنوت". وهو الإيضاح الذي مكّن القارئ من الانتباه إلى المعنى الديني المضمن في العبارة. فغير العارفين بتقاليد الدين المسيحي قد لا يتمكنون من فهم مغزى العبارة. وتجدر الإشارة إلى أنّه مع إصرار المترجم على عدم استعمال الهوامش، وكذا الاحتفاظ بشكل النص الأصلي، تكون مثل هذه الإيضاحات هي الوسيلة الوحيدة لتوجيه القارئ نحو بعض المعاني الغامضة بين الفينة والأخرى. أما المثال (9) فيحتوي على إحالة إنجيلية "Soldier of the Christ" (2 Timothy 2: 3) يُراد بها أنّ المسيحي الحق يجب أن يبذل قصارى جهده لإعلاء كلمة المسيح ولا يجب أن ينشغل عن ذلك بأمور الحياة الأخرى (openbible). وكبقية الإحالات الدينية، استعملت العبارة في النص في سياق مختلف نسبياً، بحيث جاءت على لسان بول. وهو يراجع نفسه بعد حكمه المتسرع على سيث. أي لم يكن رحيماً ولا متفهماً كما كان يظنّ نفسه. ورفعت الترجمة الحرفية من درجة صعوبة النص العربي بعض الشيء، فمن غير المؤكد فهم القارئ للمعنى المضمن في العبارة الإنجيلية، ومن غير المؤكد أيضاً معرفة القارئ بأصل العبارة، لكن العبارة الموالية، "صاحب المبادئ السامية"، رفعت بعض اللبس عن المعنى. وعليه تكون الترجمة قد أخفت جانباً من المعنى مرتبط بالدين المسيحي والإنجيل وتسببت بذلك في إعاقَة التفاعل الثقافي.

يضم المثال (10) عدداً من المصطلحات الخاصة بالكنيسة وهي "pews"، "congregation"، "choir" و"stall". وترجم المصطلح الأول بـ "مقاعد"، وهي ترجمة على صحتها لا تظهر نوع المقاعد الخاص بالكنائس والذي يكون طويلاً يتسع لعدد من المصلين ويتم تنظيمها في شكل صفوف (Collins). وتُرجم المصطلح الثاني بـ "المصلّين" وهو مصطلح يستدعي عند جمهور القراء شكلاً مختلفاً من العبادة وهي صلاة المسلمين. ويعني اللفظ الإنجليزي اجتماع عدد من الأفراد بالكنيسة بغرض العبادة (Cambridge). والحقيقة أنّه ومع استعمال هذه المصطلحات في الترجمة لا نتوقع أيّ صعوبة في التلقي

لأن صورة الكنيسة وهي ممثلة بأشخاص جاؤوا للعبادة ليست بالصورة الغريبة أو غير المألوفة، فالقارئ بإمكانه تصور المعنى دون مشاكل. وتُرجم المصطلح الثالث بـ "جوقة المنشدين"، وهو المعنى المقصود هنا، والمصطلح يحيل أيضاً لمكان جلوس الجوقة في الكنيسة (OLD)، ولم تتسبب هذه الترجمة في أي إخفاء للمعنى. ولم يكن الوضع مشابهاً بالنسبة للمصطلح الأخير، والذي تُرجم بـ "المذبح"، وهي ترجمة غير دقيقة. فالمصطلح الإنجليزي يحيل للمقاعد الأمامية في الكنيسة والمخصصة لجلوس رجال الدين والمنشدين، وتختلف عن المقاعد الأخرى باحتوائها على مساند أذرع (Collins). والمذبح جزء مختلف من الكنيسة، "altar"، وهو أشبه بطاولة موضوعة على مستوى مرتفع نسبياً تُقام عليها بعض الطقوس الدينية (Merriam Webster).

يشير تحليل هذه الأمثلة إلى أن ترجمة المحتوى الديني مجال شائك بطبيعته ويؤدي في الكثير من الأحيان إلى طمس الملامح الدينية ومنع القارئ من التعرف على ممارسات دينية تختلف عما ألفه. من الوارد أن تتسبب قرارات المترجم وأسلوبه في هذا الإبهام، ولكن قد تكون الاختلافات الثقافية هي الأخرى دافعاً وراء عدم إبراز الجانب الديني في النص المترجم.

4.2.1.3.4. نماذج عن ترجمة المصطلحات الطبية

سنقوم فيما يلي بتحليل نماذج عن ترجمة المصطلحات الطبية المرتبطة بالسياق التاريخي للنص والموضحة في الجدول أدناه.

النص الأصل	الترجمة العربية
1. a patient in her care had quaffed her carbolic gargle —according to the porter who saw it, down in one like a pint of	شربت إحدى مريضاتها جرعة كبيرة من حامض الكربوليك إستناداً إلى رواية حمال شاهدها كأنها تشرب جرعة كبيرة من الجعة وتوكت صحتها وتقيأت على دثارها (الكفارة، 360)

ضمادات، أوعية كلى، محاقن للحقن تحت الجلد، ثلاثة أوعية جديدة للتعقيم، وعدد كبير من الرزم عليها علامة أكياس بنيان لم توضح حتى الآن طريقة استعمالها (الكفارة، 363) أما بقية الفتيات فقد حصلن على تعليم مناسب في الإسعاف الأولي وكنّ يعرفن الشيء الكثير عن الدم والأجسام الميتة (الكفارة، 365) كان الوقت هو وقت المحاضرات الخاصة بالنظافة، والاستحمام بالجرام، باستخدام نماذج بالحجم الطبيعي (الكفارة، 367) والخضوع للرقابة اليومية من المبولة إلى بوفريل (الكفارة، 367)	Guinness—and was violently sick across her blankets (<i>Atonement</i>, 270) 2. dressings, kidney bowls, hypodermics, three new autoclaves and many packages marked “Bunyan Bags” whose use had not yet been explained. (<i>Atonement</i>, 272) 3. Most of the other girls had done first-aid courses, and some had been VADs already and were familiar with blood and dead bodies (<i>Atonement</i>, 274) 4. This was the time of hygiene lectures, and of practicing blanket-baths on life-size models (<i>Atonement</i>, 275) 5. and to submit to the daily routine “from bedpan to Bovril,” (<i>Atonement</i>, 276)

الجدول 25/4: نماذج عن ترجمة نماذج عن ترجمة الطبية

يروي جزء من رواية *Atonement* فترة تدريب بريوني على التمريض وتزامن ذلك مع اندلاع الحرب العالمية الثانية وتغير ظروف العمل في المستشفى. وقد عمل الكاتب في هذا الجزء أيضاً على الجانب الوثائقي، بحيث حرص على استعمال المصطلحات الدقيقة التي ترصد المشهد الطبي في تلك الفترة التاريخية. وتظهر الأمثلة أعلاه بعضاً من هذه المصطلحات. نلاحظ في المثال (1) استعمال الفعل "quaff" والذي يعني تجرّع كمية كبيرة من المشروب (Collins)، وتُرجم بالعبرة "شربت جرعة كبيرة"، أي أنّ المترجم احتاج أن يضيف ما يوضح طريقة الشرب، مع أنّ هناك فعل في اللغة العربية يفيد المعنى الأصلي وهو "يعبّ" (البلعكي، 2007م، 747). وتمّ اتباع نفس الأسلوب الإيضاحي في ترجمة "carbolic gargle"، بحيث أضيف لفظ "حامض" لاسم المشروب، لكن في الوقت ذاته تمّ تضمين الاسم "gargle" وهو السائل المستعمل لمضمضة الفم (Collins). أي أنّ المعقّم المقصود في المثال هو ذلك المستعمل في الغرغرة وهذا ما لا تظهره الترجمة. ولتقريب الصورة تم تشبيه ما قامت به المريضة بما

يفعله شارب الخمر من خلال العبارة "pint of Guinness". وأخفت الترجمة هنا أيضاً وحدة قياس السوائل "pint" (OLD) بترجمة تقريبية "جرعة كبيرة". كما أنّ العبارة "violently sick across her blankets" تعني تقيأت بشكل عنيف لدرجة اتسخ معها فراشها، وفي هذه الحالة تكون الإضافة "توعكت صحتها" غير ضرورية كما أنّها توحي بأن المترجم أخذ بعين الاعتبار المعنى الأول للفعل "sick" وهو المرض، وهو معنى مضمن في النص الإنجليزي، لكن المقصود هو معنى آخر لنفس الفعل وهو "تقيأت". فعموماً أوصلت الترجمة المعنى الذي تضمنه النص الأصلي لكن بكثير من الإخفاء لتفاصيل تساعد القارئ على وضع النص في سياقه التاريخي الصحيح.

يذكر المثال (2) عدداً من المستلزمات الطبية التي كانت ضرورية للطواقم الطبية. ويعني مصطلح "kidney bowls" أوعية على شكل كلية توضع فيها الضمادات والأدوية مثلاً، والعبارة المترجمة حرفياً "أوعية كلى" مبهمة وتدفع القارئ للاعتقاد بأن المقصود هو أوعية مخصصة لوضع الكلى. واضطر المترجم لاستعمال عدد أكبر من الكلمات لنقل المعنى في "hypodermics"، ولكن النتيجة كانت إيجابية من حيث إبراز المعنى. يعني "autoclave" جهاز تعقيم قائم على مبدأ الضغط (Collins)، وهو ما يجعل الترجمة العربية غير دقيقة لاستعمالها لفظ "أوعية". ولا يسمح الاقتراض في "بنيان" بأي توضيح للمعنى، والحقيقة أن النص الأصلي أيضاً لا يعطي القارئ أي إشارات حول وظيفة هذه الأكياس في المثال، بمعنى أنّ قارئ النص الأصلي قد تكون له الأسبقية على قارئ النص المترجم فقط إن كان يعرف مسبقاً هذا المستلزم الطبي الذي استحدث خصيصاً بسبب الحرب وحالات الحروق الكثيرة بين الجنود المصابين. يمكن القول أنّ ترجمة هذا المثال تأرجحت بين إبراز المحتوى الطبي وإخفائه، وفي معظم الحالات كان نقص الدقة في الترجمة وراء الإخفاء.

ويمكن تسجيل إضافة وحذف في المثال (3) تسبب كلاهما في طمس صورة عمل التمريض في بريطانيا أثناء الحرب العالمية الثانية. فقد أضاف المترجم عبارة "التعليم المناسب" وهي معلومة لا يذكرها

النص الأصلي، وهي إضافة توجي للقارئ بأنّ التعليم الذي تلقته الممرضات مميز عن غيره وهذا غير صحيح. كما حذف المترجم الكلمة المختصرة "VADs" وتعني "Voluntary Aid Detachment"، وهي فرق تمييز مكونة من المدنيين المتطوعين لتقديم الخدمات الطبية للجنود (British Red Cross). ونحسب أنّ هذا الحذف قد أبهم معنى في النص متعلق بالسياق التاريخي مما قلّل من إمكانيات التواصل مع الثقافة الأصلية في هذا الجانب. كما تأثر المعنى العام للفكرة أيضاً بهذا الحذف، لأنّ المنتسبين لهذه الهيئة (VAD) هم المقصودين بالجزء الأخير من العبارة وليس الممرضات بشكل عام.

يحتوي المثال (4) على عدد من المصطلحات الخاصة بتدريب الممرضين نجح المترجم في نقل معظمها بالشكل المناسب مثل "نماذج بالحجم البشري" و "محاضرات خاصة بالنظافة". لكن لوحظ إشكال في نقل "practicing blanket baths" أين أسقط المترجم فعل "التدريب" في النص العربي مع أنّه مهم للمعنى إذ يُظهر أنّ الممرضات في حالة تمرّن ولسن في حالة عمل عادية. كما أنّ الترجمة الحرفية "الاستحمام بالحِرام" لا تساعد القارئ كثيراً في فهم المعنى المقصود في النص، وتعني العبارة الإنجليزية عملية تحميم الأشخاص العاجزين عن مغادرة أسرّتهم (Cambridge). ومن المنصف القول أنّ المصطلح الإنجليزي ليس أكثر وضوحاً وربما يصعب فهمه على القارئ غير العارف بمثل هذه العبارات الطبية الخاصة. ويتمحور المثال (5) أيضاً حول ممارسة التمريض، وفيه وصف لبعض مهام الممرضين بشيء من التضمنين وهو ما احتفظ به المترجم في النص لكنّه أضاف هامشاً لتوضيح معنى "بوفريل" للقارئ فيه نبذة عن ماهية المادة وتاريخ ظهورها وحتى أصل الكلمة والذي لم يكن دقيق تماماً (ص 367).

والمقصود بالمثال أنّ على الممرضات الالتزام بمهام التنظيف والعناية بالمرضى دون أيّ تقصير. وقد شكّل "Bovril" في صورته المختلفة جزءاً من وجبات الجنود في ساحة الحرب وكثيراً ما تمّ تسويقه على أنّه طعام بمنافع خارقة، وجعل الإقبال الواسع على المنتج منه أحد معالم الثقافة البريطانية وربما هذا ما دفع

المترجم لإضافة هامش. عموماً لم تخف الترجمة أكثر مما أخفى النص الأصلي من معاني وساعد

الهامش القارئ في أن يقف على نفس مسافة القارئ الأصلي من الفهم.

توضح هذه الأمثلة أنّ ترجمة المصطلحات الطبية لم تكن موفقة في الكثير من الحالات، أحياناً

بسبب استعمال هذه المصطلحات في معناها المجازي، وأحياناً بسبب اختيارات المترجم. إنّ ارتباط هذه

المصطلحات بجوانب من الثقافة الإنجليزية يجعل الإخفاق في ترجمتها إخفاً في إبراز هذه الملامح

الثقافية في النص العربي.

3.1.3.4. التفاعل الثقافي بين إيضاح وتضمنين المحتوى المتعلق بالّغة وأسلوب النص

يهتم هذا الجزء من الدراسة التحليلية بكشف كيفية تأثير الاختلاف بين اللّغتين العربية والإنجليزية

على إبراز خصوصيات اللّغة الإنجليزية المعبر عنها في النص الأصلي من جهة، ومدى تأثير أسلوب

النص بقرارات المترجم من جهة ثانية. ولهذا الغرض تم اختيار مواضيع لغوية وأسلوبية متنوعة للوقوف

على مختلف طرق إظهار أو إخفاء الخصوصيات اللّغوية والأسلوبية.

1.3.1.3.4. نماذج عن ترجمة المحتوى المتعلق بخصوصية اللّغة الإنجليزية

سنقوم في هذا الجزء من الدراسة التحليلية بالتطرق لأربع مواضيع تتعلق كلّها بجوانب خاصة في اللّغة

الإنجليزية وكيفية ترجمتها وهي الجانب الشفهي للّغة ومصطلحاته، التعابير المجازية، الشعر، والكتب.

وسيتم تحليل كلّ مجموعة من الأمثلة مباشرة بعد الجدول الذي يحوي نماذج الترجمة. ويشتمل الجدول

الموالي على نماذج عن ترجمة الجانب الشفهي للّغة ومصطلحاته.

النص الأصل	الترجمة العربية
1. 'sorreeee' (Atonement, 15)	آآآأسفة (الكفارة، 43)

كان بياروت شأنه شأن شقيقه يملك القدرة على أن يجعل كلامه خالياً من أي معنى فكان يناغم مجموعة من الكلمات (الكفارة، 64) رافعا صوته (الكفارة، 65) تم حذف العبارة في الترجمة "إنه جنس غلط" تلفظت كلمة جنس باللكنة الفرنسية، بحسب ظنّها، بمقطع واحد، لكنّها لم تستطع أن تعقل لفظ الحرف الأخير (الكفارة، 77) أنّ الكلمة لها دلالتها، وأن لفظها يوحي بمعناها (الكفارة، 168) سيس – سيسليا (الكفارة، 80) لكنها برغم ذلك كانت تفضل لو عدّلت، أو عقّدت، من استخدامها لكلمة "شاهدت". القضية هي قضية معرفة أكثر ممّا هي قضية مشاهدة (الكفارة، 240) أصوات مثل سيث عندما تخطئ ثقب الإبر، أنة ناعمة عندما ترى كسرا في حافة طبقها الجيد الواحد، المناقشة الخافتة الودودة التي تحي بها دجاجاتها (محبوبة، 294)	2. Like his brother, Pierrot had the knack of depriving his lines of any sense. He intoned a roll call of words (<i>Atonement</i>, 33) 3. Producing this time a roll-call on a rising chromatic scale (<i>Atonement</i>, 34) 4. Now came a roll call on the old monotone, with a break of register, a yodel, on the final syllable. (<i>Atonement</i>, 34) 5. "It's the wrong genre!" She pronounced it, as she thought, in the French way, monosyllabically, but without quite getting her tongue round the r. (<i>Atonement</i>, 45) 6. the word was at one with its meaning, and was almost onomatopoeic. (<i>Atonement</i>, 114) 7. Sis-Celia (<i>Atonement</i>, 47) 8. However, she would have preferred to qualify, or complicate, her use of the word "saw." Less like seeing, more like knowing. (<i>Atonement</i>, 170) 9. a sth when she misses the needle's eye; a soft moan when she sees another chip in her one good platter; the low, friendly argument with which she greets the hens. (<i>Beloved</i>, 203)

الجدول 26/4: نماذج عن ترجمة نماذج عن ترجمة الجانب الشفهي للغة ومصطلحاته

تعبّر بريوني في المثال (1) عن امتعاضها بالتشديد على الحرف الأخير كما يُنطق لا كما يكتب، "e"، وقدّر المترجم أنّ التشديد على نفس الحرف قد لا يؤدي الغرض بوضوح في الترجمة فوضع التشديد على الحرف الأول، "آ". وهذا القرار سليم نسبياً لأنّه ينقل حالة الشخصية وفي الوقت ذاته يحافظ على فكرة أنّ الحالة يتم التعبير عنها بطريقة كلام بعينها، وبذلك يكون تغيير مكان الصوت المعني

بالتشديد غير مؤثر على الصورة المراد نقلها هنا. ولا تنطبق هذه الملاحظة على الأمثلة (2، 3، 4) بحيث أدى قرار المترجم بتجاهل تركيز النص الأصلي على فكرة الكتابة والأداء المسرحي كونهما جزء من أسلوب السرد الماورائي في النص إلى طمس أحد أهم أهداف الرواية وهي استعمال لغة الكتابة بوصفها إحدى أدوات السرد. ففي المثال (2) يحيل اللفظ "lines" إلى النص المسرحي وبالتحديد إلى الجزء منه الذي يتوجب على "Pierrot" أدائه. وترجمته بـ "كلام" تنقل المعنى بشكل عام لكن لا تأخذ بعين الاعتبار أهمية استعمال مصطلحات الكتابة ودورها في بناء فكرة النص الأساسية وهي المقابلة بين الواقع والخيال. وزاد هذا الإخفاق في النقاط هذا الملمح الأسلوبي في ترجمة "intoned a roll call of words" بـ "يناغم مجموعة من الكلمات"، في حين أنّ المقصود هنا هو طريقة القراءة العالية والآلية كأن تقرأ قائمة أسماء الحضور مثلاً (Collins)، أي أنّ القراءة هنا خالية من أيّ مشاعر أو إبداع في الأداء. ويلاحظ في هذه الحالة مشاكل على مستوى المعنى والأسلوب، لأنّ النص العربي لم يلتفت بتاتاً إلى خصوصية استعمال مصطلحات المسرح والكتابة. وتجاهلت الترجمة أيضاً المصطلح الموسيقي "chromatic scale" والذي استعمل في المثال (3) لتحديد الطريقة التي آل إليها أداء الشخصية في المحاولة الثانية، واكتفى المترجم هنا أيضاً بوصف عام "رافعاً صوته". وقرار المترجم بحذف العبارة في المثال (4) أدى لا محالة إلى المزيد من الإبهام. إذ تؤكد العبارة إصرار الكاتب على جعل مصطلحات الكتابة واللغة بطلا رئيسيا في الرواية وعدم انتباه المترجم إلى أهمية هذه الخصوصية الأسلوبية.

حاول المترجم في المثال (5) تطبيق الوصف الخاص بنطق الكلمة الفرنسية مستعملاً كلمة عربية، "جنس" وهو ما اضطره إلى تضمين حرف الكلمة الأخير والذي كان مذكوراً في النص الأصلي. بشكل عام يستطيع القارئ أن يفهم الفكرة، لكن الترجمة التي نبّهت القارئ إلى أنّ بريوني نطقت كلمة فرنسية بشكل خاطئ استعملت كلمة عربية، وهو ما يخفي في النص العربي التنوع اللغوي ويحاول نقل المعنى للقارئ مع كثير من المجاهيل، فلا الكلمة الفرنسية مذكورة ولا الحرف المقصود ظاهر. ويدور

المثال حول خاصية مرتبطة باللغة الفرنسية وهي طريقة نطق الحرف "r" والمعروفة بصعوبتها عند غير الفرنسيين. ونجحت الترجمة مع ذلك في الإبقاء على المصطلح اللغوي "monosyllabic" من خلال المكافئ "مقطع واحد"، وهو ما يسمح بمحاكاة ولو جزئية لأسلوب النص الأصلي. وجاء المثال (6) في سياق مونولوج داخلي تناقش فيه بريوني كيف يمكن لكلمة أن تشبه الشيء الذي تدلّ عليه، واستعملت لذلك مصطلحاً لغوياً يستعمل في الأصل لوصف الكلمات التي تشبه الأصوات التي تحيل إليها، "onomatopoeic" (Collins). ونجحت الترجمة في نقل المعنى المقصود، لكنّها فشلت في استعمال المصطلح اللغوي وإن كان من الواضح محاولة استدعاء المعنى من خلال "لفظها" أي أنّ طريقة نطق الكلمة توحى بمعناها. وتجمع كلمة "Sis-Celia" (7) التي جاءت على لسان ليون بين صفة الأخت "sister" واسمها "سيسيليا"، وفي الكثير من المناسبات في النص ينادي الأخ أخته باللفظ المختصر "sis" وفيه المعنيين. لا تبرز الترجمة هذه الفكرة وتظهر الأمر على أنّه تردد أو نحوه فينطق الشخص جزءاً من الكلمة ثم ينطقها كاملة. كما أنّ معنى الأخت الظاهر في اللفظ الإنجليزي مبهم في النص العربي نتيجة اختيار الترجمة الحرفية، ما أدى إلى عدم الحفاظ على الجانب الشفهي في العبارة وفكرة تشابه نطق الكلمات. ولم تنجح الترجمة في المثال (8) أيضاً في إبراز أهمية اختيار الكلمات بالنسبة للفكرة. فالمثال جزء من مونولوج داخلي لبريوني تحاول فيه وصف شهادتها ضدّ روبي، والتي من وجهة نظرها بوصفها كاتبة تحتاج إلى مراجعة الكلمات المستخدمة لأن معنى "شاهدت" في حالتها هو أقرب ل كلمة "عرفت" من "رأت". فالقضية في المثال هي قضية لغوية. والمعنى واضح في الترجمة أيضاً لكنّ التركيز على الجانب اللغوي غير ظاهر بما يكفي مقارنة بالنص الأصلي. والحقيقة أنّ فكرة اعتماد النص على مفهوم الكتابة الروائية في بناء النص الأسلوبي هو أكثر ما أخفقت الترجمة في إبرازه.

يركز المثال (9) على فكرة التعبير على الأصوات، والتي غالباً ما تكون من خلال كلمات تحاكي في تركيبها الصوت المقصود. فاستعمال الصوت "sth" بوصفه لفظاً، أجبر المترجم على إضافة

كلمة "أصوات" قبل الترجمة الحرفية "سيث" حتى لا يخط القارئ بين الصوت والشخصية الرئيسية. وترُجمت "soft moan" ترجمة حرفية "أنّة ناعمة"، والمقصود أنّة خافتة، فاستعمال الصفة "ناعم" وارد لنعت الصوت، لكن المعنى الأقرب في سياق النص هو الصوت الخافت. وهو ما تؤكد العبارة الموالية والتي تركز بدورها على الصوت المنخفض. ولا تبدو الترجمة الحرفية "مناقشة" مناسبة هي الأخرى للمعنى المقصود في سياق النص والذي يميل أكثر إلى خصومة أو شجار عابر. بالمجمل نجد إصرار مترجم رواية *Beloved* على الترجمة الحرفية مبرر ومنطقي وفي غالب الأحيان فعّال في نقل معنى النص الأصلي والحفاظ على تركيبه. لكن في هذه الحالة أنقصت الترجمة الحرفية من تشديد النص الأصلي على نقل مشاعر سيث وحالتها المزاجية عبر مجموعة من الأصوات.

يتضمن الجدول الموالي مجموعة من نماذج ترجمة التعابير المجازية

النص الأصل	الترجمة العربية
1. But they had trials , a catastrophe of their own (<i>Atonement</i> , 12)	لكن ثمة محاكمات ، وكانت كارثية بالنسبة لهم (الكفارة، 36)
2. Briony positioned her cast (<i>Atonement</i> , 12)	رتبت بريوني دورها (الكفارة، 44)
3. She had interesting uncles and aunts on her mother's side (<i>Atonement</i> , 21)	لديها أخوال وخالات يثيرون الاهتمام (الكفارة، 50)
4. living for the weekends and his rowing eight. (<i>Atonement</i> , 64)	متطلعا الى إجازة نهاية الأسبوع (الكفارة، 104)
5. three pairs of young nettles were sacrificed for the incompetence of the twins—retribution was indifferent and granted no special favors to children. Then playwriting itself became a nettle, became several in fact; the shallowness, the wasted time, the messiness of other minds, the hopelessness of pretending—in	تمت التضحية بثلاث من القراص بسبب عدم كفاءة التوأمين - كان القصاص غير متحيز، ولم يمنح الأطفال أي امتياز، ثم أضحي التأليف المسرحي قرصاً بدوره، بل أكثر من قرّاص: الضحالة، الوقت الضائع، وفوضى العقول الأخرى، ولا جدوى من التظاهر -إنّها شوك في حديقة الآداب ولا بدّ من موتها (الكفارة، 116)

لا بد أن آرنست كان محققاً عندما منحها صبياً مثله (الكفارة، 136)	the garden of the arts, it was a weed and had to die. (<i>Atonement</i> , 73-74)
جناساً تصحيفياً مدسوساً مثل الكلمتين "uncle" و "a nut" (الكفارة، 168)	6. There must have been something right with Ernest to have given her a boy like this. (<i>Atonement</i> , 89)
بارع لكن المدرس ضربه على أية حال ليبريه أن التعريفات تخص القائمين على التعريف - لا على الأشياء التي يقومون بتعريفها. (محبوبة، 326)	7. insinuating anagrams—an uncle and a nut, the Latin for next (<i>Atonement</i> , 114)
	8. Clever, but schoolteacher beat him anyway to show him that definitions belonged to the definers—not the defined. (<i>Beloved</i> , 225)

الجدول 27/4: نماذج عن ترجمة نماذج عن ترجمة التعبيرات المجازية

تُبرز هذه المجموعة من الأمثلة كيفية نقل العبارات المجازية أو الألفاظ المتعددة المعاني أو خصائص لغوية أخرى، ومن الملاحظ في أغلب الحالات اعتماد الترجمة الحرفية وهو ما قد يشير إلى أنّ المترجم لم ينتبه للاستعمال الخاص للغة الإنجليزية في هذا السياق أو ذاك. ففي المثال (1) في استعمال الكاتب لفظ "trials" للإحالة لفكرة التجربة الصعبة وليس المحاكمة، فكان من الأنسب في هذه الحالة استعمال "محنة" بدل "محاكمة"، ويبدو أن المترجم لم يدقق المعنى لأنّ السياق لا يسمح أبداً بالاختيار الذي ذهب إليه والذي نتج عنه ترجمة غير مفهومة. وكذلك الحال بالنسبة للمثال (2) بحيث لم ينتبه المترجم إلى المعنى المقصود بالاسم "cast"، فالمثال يُظهر بريوني المخرجة تحاول توجيه الممثلين على المسرح، فهي إذاً تعطيهم إرشادات حول أماكن وقوفهم على المسرح، واللفظ الإنجليزي هنا يشير إلى الممثلين وليس الدور. ولم تسلم الصفة "interesting" في المثال (3) من فخ الترجمة الحرفية، فمن الواضح في المثال أنّ المعنى المقصود هو أنّ لبريوني أقارب مهمين يمكنهم أن يقدموا لها يد العون، في حين أنّ الترجمة توهي بأنهم أشخاص يجذبون انتباه الآخرين. في كلّ هذه الأمثلة تأثرت الترجمة سلباً، وبدأ النص العربي مفكك وغير مفهوم.

يأتي المثال (4) في إطار الحديث عن شخصية ليون وكيف أثر رفضه للمساعدة المادية من والده على طبيعة الحياة التي يحياها، والتي انحصرت في ممارسة التجديف والاستمتاع بوقته في عطلة نهاية الأسبوع. وينقل استعمال العبارة "living for" هذا المعنى في النص الأصلي، بيد أن "متطعاً" في الترجمة لا تشير إلى فكرة تكريس الوقت وإعطاء الأهمية. وأدى حذف جزء من العبارة، "rowing eight" إلى المزيد من الطمس في الترجمة. لم تمنح اختيارات المترجم القارئ فرصة التعرف على الشخصية كما رسمها الكاتب، الأمر الذي يخلق اختلاف في نوعية المعنى الذي يتلقاه مقارنة بقارئ النص الأصلي. أما المثال (5) فيتمحور حول رمزية نبات القراص، "nettle"، وجاء في مناقشة أطول بكثير مما يظهر في المثال، ومن الواضح هنا أن اللفظ استخدم بمعنى الانزعاج الحاد والعاثر (Merriam Webster) لأن بريوني كانت مستاءة من أقربائها. ونظراً للصورة المعقدة التي أراد الكاتب نقلها في النص الأصلي عبر هذا التشبيه وجد المترجم نفسه مضطراً لإضافة هامش يُعلم فيه القارئ أن التشبيه الذي استعمله الكاتب يصعب فهمه في النص الأصلي، فما بالك بالترجمة وراح بعد ذلك، يشرح للقارئ طبيعة النبات (القراص) محور التشبيه في الفقرة. إن هوامش بمثل هذا المحتوى نادرة في الترجمة، إذ يكون التركيز في الغالب على ما هو خارج النص، أما أن تُحاول تبرير الصعوبة وشرح المعنى المقصود في النص فهذا ليس بالأمر الدارج. ومن الوارد أن المترجم قد استشعر صعوبة حقيقية في التلقي وإلا ما كان ليُقدم على هذه الخطوة ربما. من جهة ثانية يستعمل المثال فكرة الأدب والكتابة كوسيلة لنقل حالة بريوني النفسية، ولم يتجاهل المترجم في هذا المثال هذه الخصوصية لكنه غير شيئاً من الصورة باعتباره "لا جدوى من التظاهر" نوعاً من تنفيس بريوني عن غضبها وليس مرتبطاً بتشبيه القراص الذي سبقه وهذا غير صحيح، فالفائدة التي لم تعد ترجى من التظاهر هي أيضاً من الأعشاب الضارة التي يتوجب نزعها من حديقة الآداب. لم يتم في هذا المثال تجاهل أهمية الأسلوب لأن المعاني الأدبية مذكورة بشكل مباشر، وساعد الهامش القارئ على فهم أفضل للتشبيه المقصود.

تُرجمت العبارة "something right with" بـ "محق" في المثال (6)، وهي ترجمة حرفية لم تراعي فكرة أن بيتي ترى أن الشيء الوحيد الجيد في زوجها هو أنه كان سبباً في وجود ابنها، ولا مجال هنا للحديث عما إذا كان محقاً أو لا. تسبب قرار المترجم بتغيير رسالة النص الأصلية وتلقي القارئ العربي فكرة مغلوطة. ووجد المترجم في المثال (7) صعوبة واضحة دفعته للاحتفاظ بالألفاظ الإنجليزية في النص العربي وإضافة هامش طويل نسبياً لشرح الصورة البيانية للقارئ. يتعلق الأمر بـ "anagram" ويعني أن تُشكل كلمة أو عبارة بتغيير ترتيب الحروف في كلمة أو عبارة أخرى (Cambridge). وأول مشاكل الترجمة هي في المقابل العربي "جناس تصحيفي"، وهو مصطلح بياني خاص باللغة العربية بطريقة يصعب معها تطبيقه على غيرها من اللغات لأنه يعني ببساطة تشابه الكلمات في شكل الكتابة واختلافها في النطق، أو بعبارة أخرى اختلاف الكلمات من حيث تنقيط الحروف مثل "عز" و "غر" مثلاً (مطلوب، ج2، 2006م، 70). ثاني مشكلة تسبب بها اختيار المترجم لكلمة "مدسوس" مكافئاً لـ "insinuating" ليس لخطأ فيها ولكن لتعدد دلالاتها والتي قد تلبس الفهم على القارئ، في حين أن المعنى المراد في المثال هو التلميح وتضمنين المعنى. وأخيراً، ولأن بريوني ضربت مثلاً بكلمتين إنجليزييتين، وجد المترجم نفسه مضطراً لاستعمال نفس الكلمات دون ترجمتها لعلّ القارئ يستشف المعنى، ليس هذا فحسب، بل أضاف هامشاً مفصلاً يشرح فيه للقارئ لماذا لم يكن بإمكانه ترجمة الكلمات إلى العربية وتطبيق المثال عليها لأن ذلك سيعني حتماً ضياع الفكرة فعمة وبندقة غير متجانسان، كما قدّم شرحاً للصورة البيانية المقصودة. ومن اللافت في هذا المثال أيضاً لجوء المترجم لهامش لشرح معاني في النص وليس لأي إيضاح ثقافي كما هو الحال غالباً.

وتعتمد الكاتبة في المثال الأخير (8) على استعمال ثلاث مشتقات للفظ "define" لنقل معنى في غاية الأهمية في الرواية وهو تجريد السود من إنسانيتهم واعتبارهم متعلقات أو ممتلكات يفعل بها البيض ما يحلو لهم (Wolfe, 2004, 264). ولاحظ المترجم هذا التفصيل ونقل المعنى كما جاء، لكنّه لم يحافظ

على فكرة الاشتقاق وهي جزء من الأسلوب مع أنها ممكنة. عموماً، لوحظت في هذه المجموعة من النماذج مشاكل كثيرة في الترجمة تسببت فيها الترجمة الحرفية وعدم أخذ المعاني المضمنة والتلميح بعين الاعتبار. ونتج عن قرارات الترجمة تشويه لأسلوب النص الأصلي ولغته وأيضاً إخلال بالمعنى ورسالة النص العامة. كما تمّ تسجيل محاولات المترجم توضيح بعض الصور البيانية والمعاني التي ورائها من خلال الهوامش وهو أمر قليل الحدوث، فبالعادة يركز المترجمون في الهوامش على الإحالات الثقافية.

يتضمن الجدول الموالي مجموعة من نماذج ترجمة الشعر ومصطلحاته

الترجمة العربية	النص الأصل
في حمأة كابوس الظلام كل كلاب أوروبا تتبحر (الكفارة، 279) إلى جانب القصيدة في صحاري القلب/ دع نافورة الشفاء تتطلق (الكفارة، 328)	1. <i>In the nightmare of the dark, / All the dogs of Europe bark. (Atonement, 203)</i> 2. next to the poem. <i>In the deserts of the heart/Let the healing fountain start. (Atonement, 242)</i>
قليل من الأرز قليل من الفاصوليا لا لحم بينهما العمل الشاق ليس سهلاً والخبز الجاف ليس مدهناً (محبوبة، 86) كانت الأغنيات التي تعلمها من جورجيا مسامير ذات رعوس مفلطحة لطرقها وطرقها وطرقها.	3. Little rice, little bean, No meat in between. Hard work ain't easy, Dry bread ain't greasy. (<i>Beloved</i> , 48)
ضعوا رأسي على شريط السكة الحديدية، والقطار يأتي، يهدئ رأسي. لو وضعت ثقلي في الجير الحي، لجلدت النقيب حتى يصاب بالعمى. خمسة سنتات نكلة، عشرة سنتات عُشر دولار، كسر الصخور هو كسر للوقت (محبوبة، 87)	4. The songs he knew from Georgia were flat-headed nails for pounding and pounding and pounding. Lay my head on the railroad line, Train come along, pacify my mind. If I had my weight in lime, I'd whip my captain till he went stone blind. five-cent nickel, Ten-cent dime, Busting rocks is busting time. (<i>Beloved</i> , 48)
	5. he had comfort in a pretense, and a rhythm at least for his feet. He

ولكنه يلتبس الراحة بالتظاهر، ثمة إيقاع محدد في قدميه. يسير على امتداد الريف حتى البحر، جملة من ست كلمات، يسير على إيقاع هذه الكلمات الآن (الكفارة، (301	walked/across/the land/until/he came/to the sea. A hexameter . Five iamb s and an anapest was the beat he tramped to now. (<i>Atonement</i> , 219)

الجدول 28/4: نماذج عن ترجمة نماذج عن ترجمة الشعر ومصطلحاته

قد يتبادر للذهن أنّ ترجمة مقاطع شعرية من اللغة الإنجليزية إلى العربية أسهل نسبياً من الحالة العكسية بالنظر لخصوصية القصيدة العربية. سنحاول في هذه المجموعة من الأمثلة الحكم على مدى صحة هذه الفكرة والكشف عن طبيعة صعوبات إبراز هذا المحتوى اللغوي الخاص في الترجمة. لم ينجح المترجم في المثال (1) في الاحتفاظ بالجناس الموجود في "dark" و "bark" بسبب الترجمة الحرفية المطبقة، ولكنه حاول لفت انتباه القارئ أكثر لطبيعة النص بوضعه في شكل بيتين من الشعر الحر. ووفقت الترجمة في نقل المعنى، ولكن نقل المعنى في مثل هذه الحالة لا يجب أن يكون هاجس المترجم الوحيد حتى وإن كان النص ليس شعرياً بالأساس. ونفس الأمر يمكن ملاحظته في المثال (2)، إذ فشلت الترجمة في الحفاظ على الجانب الموسيقي في النص والذي تحقق في النص الإنجليزي من خلال اللفظين "heart" و "start". ويتم إعلام القارئ مسبقاً في المثالين بطبيعة النص الموالي، "قصيدة"، وهو ما قد يساعده على توقع أنّ الترجمة قد أخفت جانباً من شعرية النص. والملاحظ أنّ النص الأصلي ميّز بين بيوت الشعر ونص الرواية من خلال نوع الخط المستعمل وهذا ما لم يظهر في الترجمة. فما يمكن قوله إجمالاً حول هذين المثالين هو أنّ الترجمة وضعت القارئ في السياق الصحيح دون أن تقدم له نصاً شعرياً بالمعنى المعروف.

المثال (3) وإن بدا شبيهاً بسابقه من حيث الاعتماد على الترجمة الحرفية، إلا أنّ استعمال اللهجة الإنجليزية السوداء وسياق الأغنية يضعان عبئاً أكبر على المترجم، فالأغنية جزء من ماضي الشخصية ومعاناتها، كما أنّ الأغاني والموسيقى هي جزء من تقنية موريسون السردية (Wolfe, 2004,)

(266). بمعنى آخر، حتى لو لجأ المترجم لنفس الحل، الترجمة الحرفية، فإنّ الانعكاسات على النص المترجم ليست نفسها في الحالتين. فالأغنية مقتبسة عن أغنية "Sis Joe" وهي أغنية سكك حديدية معروفة، واختيار بول.د لهذه الأغنية جاء بغرض استحضار ماضي حزين طبعته معاناة طويلة أثناء بناء السكك الحديدية (Morgan, 2008). فالترجمة الحرفية في هذه الحالة تنقل معنى النص دون مشاكل لكنّها لا تقول شيئاً عن الجانب الشفهي في اللّغة المستعملة ولا عن سياقها التاريخي الذي هو جزء من معنى النص وليس منفصلاً عنه. ولا تختلف الأغنية في المثال (4) عن سابقتها، فهي أيضاً مقتبسة عن عدّة أغانٍ شعبية، وتتحدث عن عبثية تاريخ بناء السكك الحديدية وكيف يفقد البعض حياته في سبيل توفير حياة مريحة للبعض الآخر، وهنا أيضاً استعمال الأغنية ليس محض صدفة ولكنّ كلماتها وألحانها تعبّر عن حزن عميق وغضب مكبوت. وأكثر من هذا تعتقد موريسون أنّ الشخصيات تلجأ للغناء حين تعجز الكلمات عن التعبير عمّا يختلج في الصدر من مشاعر، أي أنّ جانباً مهماً من فهم النص لا يتأتّى إلا بتلقي المعاني المضمنة في الأغاني (Morgan, 2008). وصحيح أنّ الترجمة في هذا المثال أيضاً لم تراع الجانب الموسيقي، لكنّ هذا ليس العائق الحقيقي أمام فهم القارئ الذي لا يملك أيّ معرفة بهذه الأغاني الشعبية ولا بطريقة اقتباسها وتغييرها بما يتناسب مع موضوع الرواية خاصة في جانبها المتعلق بتاريخ معاناة السود المنسي.

يتعلق المثال الأخير (5) بالجانب الاصطلاحي للّغة الشعرية، ولم يهتم المترجم بنقل المصطلحات التي اختار الكاتب إقحامها في النص الأصلي. إذ يصف المثال حالة روبي المزرية ومحاولته الوصول إلى البحر دون أن تؤثر في مسعاه المخاطر والجثث المتناثرة في كلّ مكان، فراح يشغل تفكيره بمحاولة ضبط إيقاع مشيته مع الكلمات التي يتلفظ بها. ذكر النص الإنجليزي عدداً من المصطلحات مثل "hexameter"، "iamb"، "anapest"، و"beat"، فيما حوت الترجمة العربية مصطلحاً وحيداً "إيقاع". وطبعاً القضية هنا ليست قضية نقل معنى لأنّ الفكرة بسيطة، ولكن استخدام هذه اللّغة

الخاصة مرتبط بأسلوب الرواية المبني على موضوع الكتابة، وعدم نقل هذه الألفاظ يخفي تماماً هذا الجانب الأسلوبي في الترجمة. إنَّ ترجمة المحتوى الشعري تضع المترجم دائماً أمام تحديات حقيقية، ولم تتجح أغلب الترجمات في توفير نص شعري حقيقي في الترجمة. في بعض الحالات يكون للشعر أهمية في فهم معاني عميقة في النص، وفي هذه الحالة يؤدي فشل الترجمة إلى فشل في تلقي النص، حتّى وإن كان المترجم ليس ملاماً لعدم توفر الكثير من الحلول أمامه. لكن قد يقع اللوم على المترجم حين يتجاهل مفاتيح أسلوب النص ويدمرها شيئاً فشيئاً في الترجمة.

يتضمن الجدول الموالي مجموعة من نماذج ترجمة عبارات موضوعها الكتب والمؤلفين

والإحالات الأدبية.

النص الأصل	الترجمة العربية
1. <i>The trials of Arabella (Atonement, 4)</i> 2. between Rabindranath Tagore and Quintus Tertullian. (Atonement, 7) 3. of her younger sister Hermione (Atonement, 8) 4. Richardson's Clarissa (Atonement, 21) 5. "I'd rather read Fielding any day." <i>(Atonement, 25)</i> 6. Beyond the compass were his copies of Auden's Poems and Housman's A Shropshire Lad. (Atonement, 82) 7. a memory of reading the Orioli edition of Lady Chatterley's Lover , which he had bought under the counter in Soho. <i>(Atonement, 132)</i>	محاكمات ارابيلا (الكفارة، 28) بين مؤلفات رابندراناث طاغور و كوينتوس ترتليان (الكفارة، 32) اختها الأصغر سنا هيرميوني (الكفارة، 33) رواية كلاريسا لريتشاردسون (الكفارة، 49) الأفضل قراءة رواية لفيلدنغ في اي يوم (الكفارة، 55) الى جانب البوصلة بعض النسخ الخاصة به من ديوان "قصائد" للشاعر أودن وديوان "فتى شروبشاير" للشاعر هاوسمان (الكفارة، 125-126) ذكرى قراءة طبعة اوريولي من رواية "عشيق الليدي تشاترلي" التي سبق وأن اشتراها خفية من حي سوهو (الكفارة، 193)

ممثلو مسرحية الليلة الثانية عشر، وهم واقفون على العشب، كان هو قد أدى دور مالفوليو ياله من دور مناسب (الكفارة، 127)	8. the cast of <i>Twelfth Night</i> on the college lawn, himself as Malvolio , cross-gartered. How apt. (<i>Atonement</i> , 82)
وكان كتاب التشريح لغراي قد استهل برسومه (الكفارة، 126)	9. <i>Gray's Anatomy</i> was open by a folio pad of his own drawings (<i>Atonement</i> , 82)
"أن تكون أو لا تكون" قالت مؤيدة: "تلك هي القضية" (الكفارة، 99)	10. "To be or not to be." "That is the question," she agreed. (<i>Atonement</i> , 61)
جذب كتابا من الكتب الخاصة بالطبيعة، وكان عن مدينة فرساي (الكفارة، 129)	11. From among the landscape books he took the volume on Versailles (<i>Atonement</i> , 84)

الجدول 29/4: نماذج عن ترجمة عناوين الكتب والمؤلفين والإحالات الأدبية

تميّز نص رواية *Atonement* بغزارة الإحالات الأدبية من مؤلفات ومؤلفين وحتى اقتباسات. والملاحظة العامة هي أنّ المترجم أرفق معظم هذه الأمثلة بهوامش وهو القرار الذي ينمّ عن اهتمام المترجم الخاص بالمحتوى الأدبي. سبق وأنّ أشرنا في معرض تحليل مثال سابق إلى أنّ قرار المترجم باختيار "محاكمة" مكافئاً للفظ الإنجليزي "trial" هو قرار يجانبه الصواب لأنّه لا يأخذ سياق النص بعين الاعتبار. وينطبق نفس الحكم على المثال (1) والذي يشير إلى عنوان المسرحية التي ألّفها بريوني، وهي مسرحية قُدِّم للقارئ موضوعها سلفاً في أول صفحة من الرواية. وموضوع المسرحية يدور حول معاناة أرابيلا بعد قرار متسرع وخاطئ قلب حياتها رأساً على عقب، وهو ما يجعل الترجمة "محاكمات" خالية تماماً من المعنى. اختار الكاتب أن يبدأ روايته بتعريف القارئ على بريوني المؤلفة، وهو اختيار يعكس محورية فكرة الكتابة في الرواية، وتؤدي الترجمة غير الدقيقة للعنوان لإرباك القارئ لأنّها تناقض وصف القصة الذي سبقها، كما تؤثر هذه الترجمة على تلقي معنى النص بشكل عام.

وأضاف المترجم في المثال (2) لفظ "مؤلفات" للفت انتباه القارئ لمعنى الأسماء التي سيلي ذكرها، كما أرفقت الترجمة بهامش للتعريف بالمؤلفين. لكن لاحظنا أنّ المترجم ركز على أهم مؤلفات

طاغور ومكانته الأدبية، أما ترتليان فقد ربطه بفكرة معروفة عنه وهي أن الإيمان الأعمى هو سبيل الخلاص الوحيد. أي أن المترجم ينتقي من السياق الأصلي ما يظنه الأنفع لقارئه، وهو ما يفسر اختلاف محتوى الهوامش من مؤلف لآخر. وفيما يتعلق بهذا المثال فقد ساعد الهامش القارئ على فهم أفضل للنص على الرغم من أنه لا توجد ضرورة حقيقية للتعرف على الأشخاص المذكورين للفهم. لكن تصور بعض الأشياء المرتبطة بهؤلاء المؤلفين تزيد لا محالة من جودة تلقي النص وهو ما يحفز التفاعل الثقافي. كما أرفق المترجم المثال (3) بهامش يوضح فيه أن اسم الخالة "هرميوني" يحيل إلى إحدى شخصيات مسرحية شكسبير "قصة شتاء"، وفي هذه الحالة أيضاً لم تكن هذه المعلومة ضرورية لقارئ النص المترجم لكن نظراً لأهمية فكرة الكتابة في هذه القصة يمكن القول بأن اختيار اسم الشخصية كان متعمداً وهو ربما ما انتبه إليه المترجم وأراد لفت انتباه قارئه إليه. أما في النص الأصلي فيمكن للكثير من القراء إجراء هذا الإسقاط دون الحاجة إلى مساعدة. فقرار المترجم بإضافة هامش هنا ساهم في إبراز جانب أدبي من الثقافة الأصلية وفي الوقت نفسه سمح بتلقي النص بشكل أفضل. جاءت قرارات المترجم في هذين النموذجين في صالح التفاعل الثقافي.

تحتوي الأمثلة على الكثير من أسماء الكتاب والكتب تشكّل في مجموعها جزءاً مهماً من المشهد الأدبي الإنجليزي. وأرفق المترجم المثال (4) بهامشين اثنتين طويلتين ومفيدتين للغاية للقارئ لأنهما يشرحان بكثير من التفاصيل السياق التاريخي والأدبي. وبمقارنة هذه المعلومات مع ما تقترحه الموسوعة البريطانية وجدنا أن ما جاء في الهامش طابعه توجيهي والانتقاء فيه محصور في التركيز على ما قد ينفع القارئ أكثر دون الكثير من الإطالة أو الشرح. كما لاحظنا أن المترجم يضيف لفظ "رواية" أو "كتاب" قبل كل مؤلف للتوضيح، ولكن أيضاً نظراً لاختلاف اللغة العربية عن الإنجليزية في هذا الجانب، فالإشارة إلى عنوان الكتاب مباشرة تبدو غير مستساغة في اللغة العربية. وينتقل المثال (5) إلى كاتب آخر هو هنري فيلدينغ والذي أرفقه المترجم بهامش هو الآخر لا يختلف في محتواه عن سابقه، ويساعد

القارئ في التعرف أكثر على أدباء إنجلترا. لكن المثال في النص يأتي كنوع من المقارنة بين فيلدينغ وريدشاردسون، وهذا لأسباب تاريخية في الحقيقة. أي أنّ ماك إيوان لم يختار فيلدينغ عبثاً ولكن لخصومة بينه وبين كاتب رواية "كلاريسا"، كما أنهما كانا يتنافسان على الريادة الأدبية في عصرهما (Encyclopedia Britannica). فتكون بذلك الهوامش قد ساعدت القارئ على فهم السياق بشكل عام دون أن تلفت انتباهه لسبب هذه الاختيارات الأدبية بالأساس والتي يمكن ردّها إلى شعبية هذه الروايات ورواجها بين فئة الشباب خاصة، إضافة إلى وجود خلاقات معروفة لدى العامة لأنّ فيلدينغ نشر مؤلفات انتقد فيها رواية "بامبلا" لنفس الكاتب (Encyclopedia Britannica). عموماً، يكون للهوامش دور إيجابي في إظهار بعض من ملامح الثقافة الأصلية حتى ولو لم تتجح في الأخذ بيد القارئ نحو جزء من مغزى النص.

ولم يختلف الحال بالنسبة للمثال (6) والذي أضيف له هو الآخر هامشين طويلين وغنيين بالتفاصيل، لكن مع تركيز واضح على المدارس الفكرية للشاعرين، فيذكر المترجم أنّ الأول كان يساري الهوى، فيما تسببت إحدى مقالات الثاني في إثارة زوبعة من الجدل. فيما يخص الشاعر أودن، يعد اهتمامه بالسياسة جزء من شبابه، وبالتالي فتسليط المترجم الضوء على هذا الجانب يستند للمنطق. ولكن نجد أنّ ما ركز عليه المترجم بالنسبة للشاعر هاوسمان قد يكون من منطلق اهتمام شخصي به، وما يدفعنا لهذا الحكم هو نعتة للمقالة المذكورة بـ "الرائعة" (ص 126). إذاً، وعلى الرغم من اشتراك جميع الهوامش المحللة حتى الآن في وظيفة إبراز السياق الأدبي للثقافة الأصلية، لكن تحليل محتوى الهوامش قد يسمح باستقراء تفاصيل أخرى لها هي الأخرى أهميتها في التلقي، وهو ما يعطي المترجم نوعاً من السلطة، لأنّه هو من يقرر نوع المعلومات التي يعرضها على القارئ. فيما عدا ذلك نحسب إضافات من قبيل "ديوان" و"شاعر" استعمالاً سليماً لتراكيب اللغة العربية أكثر منه محاولة للإيضاح.

يتعرض المثال (7) لحادثة معروفة في تاريخ الأدب وهي منع نشر رواية "عشيق الليدي تشاترلي" للكاتب د.ه. لورانس بسبب محتواها غير الأخلاقي، وهو ما جعل اقتناء روبي لها مغامرة في حد ذاته. يظهر في النص الإنجليزي اسم دار النشر لأنه مهم، فهذه الطبعة الإيطالية لم يكن مرخص لها، كما تظهر طريقة الاقتناء، "under the counter" للتشديد على فكرة مخالفة القوانين. واحتفاظ المترجم بالمعلوماتين في الترجمة لا يكفل للقارئ بالضرورة فهماً للسياق المقصود وهو ما دفع المترجم لإضافة هامش يشرح فيه للقارئ سبب منع الرواية ومختلف طبعاتها. أما بخصوص الترجمة، فقرار المترجم باستعمال لفظ "خفية" لنقل عبارة "under the counter" يُضعف المعنى ويُخفي الجانب الاصطلاحي. فأن تشتري شيئاً خفية لا يعني بالضرورة مخالفتك للقانون، وهو المعنى المضمن في العبارة الإنجليزية (Collins). يلعب الهامش في هذا المثال أيضاً دوراً محورياً في فهم النص وإبراز حيثيات القضية المُشار إليها ضمناً في النص الأصلي، وبالتالي تحقيق نوع من التواصل مع الثقافة الأصلية.

يصف المثال (8) صوراً لروبي في الجامعة، الصورة الأولى تجمعها مع رفاقه الذين شاركوه تمثيل مسرحية "الليلة الثانية عشر" لشكسبير، والثانية له بشخصية مالفوليو مرتدياً زيّ القرون الوسطى المعروف بربط الأحزمة المتقاطعة على الرجلين "cross gartered" (Collins). لا يبرز النص المترجم فكرة الانتقال من صورة إلى أخرى، بل يعطي انطباعاً بأن الوصف يخص نفس الصورة. كما حذف المترجم هيئة شخصية مالفوليو في الصورة، وهو الحذف الذي أخفى على القارئ خصوصية ثقافية إنجليزية مرتبطة بشكل الأزياء الرجالية في العصور الوسطى. واحتوى الهامش المرفق بهذا المثال على معلومات عن المسرحية ومصادرها الأدبية، وهي معلومات مفيدة للقارئ عموماً لكنها لم تسهم كثيراً في إبراز المعاني الموجودة في النص لأن مشكلة الترجمة هنا ليست مرتبطة بالإحالات الأدبية وطريقة ترجمتها. وهذا ما لاحظناه في المثال (9)، فعنوان الكتاب تُرجم بشكل صحيح ومع ذلك يختلف معنى النص المترجم عن معنى النص الأصلي. فبينما يحيل النص الأصلي لفكرة وجود كراس رسم خاص بروبي بجانب كتاب

التشريح، تشير الترجمة إلى أن كتاب التشريح تصدره رسومات للمؤلف. فمشكلة الترجمة الرئيسية هنا هي أنها ليست دقيقة بما يكفي. والهامش المرفق بهذا المثال تعليمي بامتياز ويعرّف القارئ على الكتاب ومؤلفه بشكل جيد على إيجاز عبارته. يشترك المثالان الأخيران في فشل الترجمة في التأويل الصحيح للنص المحيط بالكتب وهو ما جعل استخدام هذه المراجع في النص المترجم مختلف نسبياً عن النص الأصلي.

يتناول المثال (10) مقطعاً مشهوراً من مسرحية هاملت، نقله المترجم حرفياً وأضاف له هامشاً يشرح فيه السياق الذي جاءت فيه العبارة في النص الأصلي لشكسبير، وبهذا المعنى يصبح للهامش دور مباشر في تلقي النص وإيضاحه للقارئ، فيكون بذلك مشتركاً مع بقية الهوامش في وظيفة إبراز الملامح الثقافية الأصلية ولكن يختلف عنها في طبيعة المعلومات المعالجة ومدى تأثيرها في تلقي الرسالة الأصلية للنص. ويركز المثال (11) على نوع محدد من الكتب، "landscape books"، والترجمة العربية "الكتب الخاصة بالطبيعة" ترجمة غير دقيقة لأنها لا توضح ماهية هذا النوع من الكتب والذي يهتم بتجميل الحدائق والأماكن العامة (Cambridge) وأشهر مثال على هذه الحدائق حدائق ضاحية فرساي الفرنسية. ويعد الاهتمام بالحدائق والأماكن العامة جزءاً من الثقافة الأوروبية وتاريخها وهو ما يفسر وجود كتب ومؤلفات بهذا الشأن. لا تُظهر الترجمة العربية أيّاً من هذه المعاني، بل وتوحي للقارئ بمعنى مختلف كلياً. والهامش المرفق بهذا المثال يعرّف القارئ بمدينة فرساي ويذكر في معرض الشرح حدائقها وهو ما يجعل محتوى الهامش مفيد نسبياً لفهم النص لو كانت الترجمة أكثر دقة.

الملاحظة العامة على ترجمة هذه المجموعة من الأمثلة هو لجوء المترجم إلى الهوامش في أغلب الحالات، وهي الهوامش التي ساهمت في معظمها في فتح نافذة على الثقافة الأصلية للقارئ. وساهم بعضها في تعزيز تلقي القارئ لرسالة النص الصحيحة. يعكس اهتمام المترجم بالهوامش في هذا المحتوى أكثر من غيره اهتماماً خاصاً بالأدب الإنجليزي أراد المترجم مشاركته مع القارئ. ومعظم المشاكل التي تمّ

رصدها في الترجمة ناتجة عن قرارات المترجم التي يكون بعضها غير مفهوم، كما أنّ هناك أخطاء واضحة في نقل بعض المعاني.

2.3.1.3.4. نماذج عن ترجمة المحتوى المتعلق بأسلوب النص

يتأثر أسلوب النص في الترجمة بأكثر من طريقة، وفي المدونة التي بين أيدينا تم رصد إخفاء لأسلوب النص الإنجليزي على مستوى التقنيات السردية، وكذا على مستوى التلون اللغوي وإظهار اللهجات المتعددة في النص.

قمنا بتحليل نماذج عن ترجمة التقنيات السردية من خلال مجموعتين تخص الأولى "الكفارة" والثانية "محبوبة". يتضمن الجدول أدناه بعض نماذج الترجمة المتعلقة بالتقنيات السردية في "الكفارة".

الترجمة العربية	النص الأصل
بل إنّ كتابة (قالت) و(بعدنّ) جعلتها تجفل (الكفارة، 30) فالنقود التي يُخفيها وغد داخل جيبه كانت نقوداً مقصورة على فئة قليلة. أمّا قاطع الطريق الذي قُبض عليه وهو يسرق سياراً فبكى بكاءً "بريناً دون حياء"، في حين قامت البطلة بجولة ليلية "خاطفة" على ظهر جوادها الأصيل، وكان حاجب الملك المقطّب علامة تدلّ على امتعاضه. (الكفارة، 31) ربما كانت محاكمات أرابيلا مسرحية ميلودرامية، لكن على مؤلفتها أن تستمع الى هذا المصطلح الجديد (الكفارة، 33) بدأت المزحة الآن تفسح المجال أمام الميلودراما أو الحزن والأسئلة البلاغية لها وقع الهواء الندي، وكانت علامة	1. Even writing out the <i>she said</i>s, the <i>and thens</i>, made her wince (<i>Atonement</i>, 6) 2. the coins a villain concealed in his pocket were “esoteric,” a hoodlum caught stealing a car wept in “shameless auto-exculpation,” the heroine on her thoroughbred stallion made a “cursory” journey through the night, the king’s furrowed brow was the “hieroglyph” of his displeasure (<i>Atonement</i>, 6) 3. <i>The Trials of Arabella</i> may have been a melodrama, but its author had yet to hear the term (<i>Atonement</i>, 8) 4. Now jokiness had made way for melodrama, or plaintiveness. The rhetorical questions had a clammy air;

التعجب الملاذ الأول أمام أولئك الذين يصيحون بأعلى صوتهم ليوضحوا ما يريدون قوله (الكفارة، 131) هذا ما لم يتوقعه أحد، فالأوغاد لم يعلنوا عن أنفسهم همساً أو مناجاة، ولم يأتوا خلسة مجلّين بالسواد وقبيحي الملامح (الكفارة، 225)	the exclamation mark was the first resort of those who shout to make themselves clearer. (<i>Atonement</i>, 85) 5. This was exactly what no one would have expected, and of course villains were not announced with hisses or soliloquies, they did not come cloaked in black, with ugly expressions. (<i>Atonement</i>, 158)

الجدول 30/4: نماذج عن ترجمة التقنيات السردية في "الكفارة"

تلعب اللغة في نصي المدونة دوراً محورياً في أسلوب السرد لكن مع اختلاف الطريقة. الكتابة وصراع الحقيقة والخيال هو ما يجعل لغة رواية *Atonement* تعتمد على مصطلحات الكتابة لتمير الكثير من رسائل النص. في رواية *Beloved* تلعب اللهجة السوداء ببساطتها وبعدها عن مثالية الإنجليزية الفصيحة الدور الأكبر في نقل مشاعر الشخصيات ومعاناتها. والترجمة في الحالتين لم توفق كثيراً في إظهار هذه الخصوصيات الأسلوبية. ففي الرواية الأولى لم يهتم المترجم ببناء نصه وفقاً لطريقة الكاتب الأصلي، ولم يحتفظ بهذا الجانب إلا في الحالات التي يكون فيها استعمال المصطلحات مباشراً لا تلميح فيه. أما الرواية الثانية فقد جاءت في لغة عربية فصيحة لا تظهر شيئاً من التلون اللغوي. ولولا الترجمة الحرفية التي مكّنت من نقل التراكيب البسيطة والمقتضبة لما تجلّى شيء من أسلوب موريسون في الترجمة.

يصف المثال (1) كيف تلجأ بريوني لتكرار استعمال ألفاظ بعينها عند الكتابة وهو ما يفسر استعمال الجمع، "she said" و "thens". واستخدام المترجم للمفرد مفهوم لأنّ اللغة العربية لا تسمح بمثل هذه التراكيب، لكنّ عدم التلميح للمعنى بإضافة في النص يجعل فكرة ممارسة الكتابة والتكرار المصاحب لها غير ظاهرة في الترجمة. ويتعلق المثال (2) بشق مختلف من تجربة الكتابة عند بريوني وهو التتميق واستعمال الألفاظ الرنانة حتّى حين لا تكون هناك ضرورة بغرض استعراض تمكّنها من اللغة. لم تنقل

الترجمة هذه الفكرة، ولم تحاول المبالغة باستخدام ألفاظ معقدة، بل اكتفت بالنقل الحرفي، والذي لم يكن مفيداً، بل إنه طمس المعنى بشكل ما. فصحيح أن "esoteric" تعني أن معنى شيء ما غير ظاهر للعامة وفهمه مقصور على فئة قليلة من الناس، الأذكياء عادة (Collins). لكن العبارة "نقوداً مقصورة على فئة قليلة" غير مفهومة ولا تنقل معنى النص الأصلي وهو في هذه الحالة "مستترة". وأهم ما في الموضوع هو أن المطلوب ليس نقل المعنى ولكن نقله بطريقة توحى للقارئ بأن الكلمات المستعملة فيها شيء من التكلّف إذا ما أخذ السياق بعين الاعتبار. وكذلك الحال مع لفظ "auto-exculpation" ويعني محاولة ادّعاء البراءة خاصة حين يكون الشخص مذنباً (Cambridge) والذي ترجم بـ "بريء"، وهي ترجمة لم تنجح في نقل المعنى ولا في الحفاظ على أسلوب النص الأصلي فليس فيها أي نوع من البلاغة. ولنا في حاجة لتحليل ترجمة ما تبقى من كلمات للوقوف على مدى إخفاق الترجمة في التعامل مع هذا الملمح في أسلوب النص والذي يحاول التطرق لفكرة الكتابة على اعتبارها جزءاً من القصة وليس كوسيلة لسردها. فما يمكن استخلاصه بالنسبة لهذين المثالين هو أن اعتماد المترجم على النقل الحرفي وعدم التفاته إلى أهمية هذه التفاصيل في بناء نسيج النص فوّت على القارئ العربي فهم موضوع الرواية من خلال أدوات الكاتب الأسلوبية.

ويأتي المثال (3) في إطار انتقال بريوني في مسرحيتها الأخيرة إلى نوع مختلف من الكتابة، الميلودراما، ولكنها نظراً لسنّها المبكر لا تعرف المصطلح المسرحي الدقيق الذي يستعمل لوصف الأعمال المسرحية. أي أن بريوني في هذه المرحلة تملك ملكة الكتابة دون أدواتها. وتعني عبارة "the author had yet to hear the term" أن بريوني ستتعرف على هذا المصطلح، وغيره طبعاً، في مرحلة قادمة من حياتها تكون فيها أكثر نضجاً. ركّزت الترجمة على فكرة أن المصطلح جديد بالنسبة لبريوني وهذا ليس دقيق تماماً ولا يوضح فكرة تطور مراحل الكتابة المقصودة في النص الأصلي. ويدور المثال (4) هو الآخر حول فكرة الكتابة، لكن هذه المرة يحاول روبي كتابة رسالة إلى سيسيليا. وينعكس صراع

روبي الداخلي في الانتقال في رسالته من الهزل إلى الجد، "from jokiness to melodrama"، ويظهر هذا الانتقال من خلال الأسلوب، على غرار استعمال الأسئلة البلاغية مثلاً. ولأن أدوات الكتابة هنا مذكورة بشكل مباشر فقد نقلها المترجم كما هي إلى النص العربي. لكنّه حين نقل عبارة "clammy air"، والتي تصف أثر الأسئلة البلاغية في النص، جعل هذا الأثر جميلاً ورقيقاً، "الهواء الندي"، في حين يرمي النص الأصلي إلى الإحساس المزعج الذي يخلّفه الهواء الثقيل الرطب (Collins). ومع ذلك تسمح الترجمة بالانتباه إلى تفاصيل عملية الكتابة مما يحافظ على أسلوب النص.

ويستخدم المثال (5) عدداً من مصطلحات الكتابة الروائية مثل "villains" و "soliloquies"، والمشهد بأكمله يصف طريقة ظهور الشخصيات الشريرة في القصص ويقارن بينها وبين الحقيقة أين يصعب التعرّف على الأشرار لأن مظهرهم لا يختلف عن مظهر الأشخاص العاديين. ورغم استعمال النص العربي للمقابلات الصحيحة، فإنّه لا يظهر أنّ المقصود هو المصطلح الروائي وليس المعنى العام. فمثلاً بالنسبة لـ "villains" كان من الأنسب نقلها بـ "الشخصيات الشريرة"، ولا تخدم ترجمة العبارة "cloaked in black, with ugly expressions" بـ "خلسة مجلّين بالسواد ووجوههم قبيحة" فكرة النص لأنها لا تعطي الصورة المألوفة والمكررة المقصودة، وكان من الأنسب نقلها بـ "يلفّهم السواد وملامحهم مقرزة". وأضاف المترجم لفظ "خلسة" مع أنّه غير موجود في النص الأصلي. إنّ مشكلة هذا المثال، شأنه شأن الأمثلة السابقة، هي عدم وضوح فكرة استعمال أدوات الكتابة ومصطلحاتها في النص المترجم ما نتج عنه طمس واضح لأسلوب النص ولغته في الترجمة.

وهناك ملاحظة أخيرة تخص أسلوب رواية *Atonement* لم يتم توضيحها بمثال وهي استعمال أسلوب الرسائل. وجاءت الرسائل في النص الأصلي مندمجة مع النص يمكن فصلها فقط من خلال القراءة وعلامات الوقف ليست دائماً موجودة. حاولت الترجمة وضع حدود مرئية واضحة للرسالة من

خلال إضافة مزدوجتين وإمالة الخط لتمييزه عن باقي نص الرواية، وهو ما جعل الفصل بين الخطابين أبرز في الترجمة.

يتضمن الجدول أدناه بعض نماذج الترجمة المتعلقة بالتقنيات السردية في "محبوبة".

النص الأصل	الترجمة العربية
6. "man ain't nothing but a man," said Baby Suggs. "But a son? Well now, that's <i>somebody</i> (<i>Beloved</i> , 27)	قالت بيبى سجز: "الرجل هو الرجل ولكن الإبن؟ حسنا اذن، انه شخص ذو شأن". (محبوبة، 58)
7. "God take what He would," she said. And He did, and He did, and He did and then gave her Halle who gave her freedom when it didn't mean a thing (<i>Beloved</i> , 28)	كانت تقول "ليأخذ الرب ما يشاء". وفعل، وفعل، وفعل ثم وهبها هال الذي منحها حريتها حين لم تكن تعنى شيئاً (محبوبة، 59)
8. I used to think it was my rememory . (<i>Beloved</i> , 43)	كنت أظن أنني أستعيد الذكرى (محبوبة، 79)
If a house burns down, it's gone, but the place--the picture of it--stays, and not just in my rememory , but out there, in the world. (<i>Beloved</i> , 43)	إذا احترق مكان فإنه يختفي، لكن المكان -صورته -تبقى، ليس فقط في ذاكرتي، ولكن هناك بالخارج، في العالم (محبوبة، 79)
You rememory me? Yes. I remember you. (<i>Beloved</i> , 254)	هل تذكرني؟ نعم أذكرك. (محبوبة، 364)

الجدول 31/4: نماذج عن ترجمة التقنيات السردية في "محبوبة"

يتعلق المثال (6) بلغة رواية *Beloved*، اللهجة الإنجليزية السوداء (Sumalatha, 2020, 201)،

والتي تعمّدت موريسون استخدامها لأنها مرتبطة بهوية السود في أمريكا، ولجانباها الشفهي المتعلق بالموروث الإفريقي لهذه المجموعة العرقية (المرجع نفسه، ص205). كما أنّ استعمال هذه اللهجة يضع

القارئ في السياق التاريخي الصحيح، لأنّ الأمريكيين السود في تلك الفترة لم يكونوا يتقنون اللغة

الإنجليزية. ومن المؤكد أنّ استعمال اللغة العربية الفصيحة في النص المترجم لا يُظهر أيّاً من هذه

الملاحم للقارئ. من منظور واقعي، لا يتوفر للمترجم الكثير من الحلول بهذا الشأن، فمن الواضح اهتمامه

بالحفاظ على بناء النص ومحاولته نقل تفاصيله بدقة في الترجمة، لكنّ نقل هذا التنوع اللغوي إلى اللغة العربية يتطلب الكثير من الجهد والوقت ونتائجه ليست مضمونة. واهتمام المترجم لا ينفي أنّ لغة كتابة النص الأصلي وأسلوبه لا ينعكسان في النص المترجم وهو ما يؤثر على فهم النص وتلقيه في إطاره الصحيح ويجعل التواصل الثقافي من هذا الجانب مهمة مستحيلة. وحتى محاولات المترجم للإبقاء على شكل النص الأصلي، كأن يوضّح كتابةً ما تم التركيز عليه من خلال شكل الكتابة في النص الأصلي لا يجدي نفعاً كبيراً. ففي نفس المثال جاء لفظ "*something*" بخط مائل، واستعمل النص العربي الخط الغليظ لنفس الغرض في "شخص ذو شأن"، لكن الفكرة الأساسية هنا هي كيف يمكن للفظ يكاد يخلو من المعنى مثل "*something*" أن يحمل كلّ الدلالات التي حملتها رسالة بيبي سجز، والتي اختار منها المترجم دلالة واحدة هي الأهمية.

يعكس المثال (7) جانباً لا يقل أهمية في أسلوب موريسون وهو الموسيقى، خاصة الأسلوب المسمى المناداة والإجابة، وهو أسلوب يعتمد على فكرة إشراك القارئ في بناء المعنى والتواصل مع الشخصيات تماماً كما يتواصل عازف موسيقى الجاز مع جمهوره. كما تنعكس هذه الموسيقى في لغة النص من خلال التكرار والنهايات المفتوحة التي تسمح للقارئ بأن يتفاعل بشكل تام مع ما يقرأه. تتذكر بيبي سجز أبنائها الذين فقدتهم، وابنها الوحيد الذي عمل بمشقة بالغة ولسنوات طويلة ليشتري حرية أمّه، وهي الحرية التي تكاد تكون بلا قيمة في ظلّ التعاسة التي تحيطها من كل جانب. نلاحظ التكرار في العبارة "*he did, and he did, and he did*" والتي نقلها المترجم ب "وفعل وفعل وفعل". تُبرز الترجمة التكرار لكننا نجدّها غير ملائمة، إذ كان من الأنسب وضع الفعل "أخذ" في الماضي لأن المقصود هو أنّ الله هو من أخذ أبنائها، ومن ثمّ تكرار الفعل أخذ، فتكون النتيجة كما يلي: "أخذ الربّ ما شاء، وأخذ، وأخذ، وأخذ"، وبهذه الطريقة يكون المعنى أوضح. وقد سبق وأنّ أشرنا إلى أنّ الترجمة الحرفية ساعدت في الإبقاء على بعض من ملامح النص الأسلوبية ومنها القصص غير المكتملة والنهايات المفتوحة التي

تُجبر قارئ النص المترجم، تماماً مثل قارئ النص الأصلي، على جمع المعلومات المتفرقة في النص وتكوين فهمه الخاص لها.

يركز المثال (8) على مصطلح ابتكرته موريسون وهو "rememory"، ويحيل في الرواية إلى الطريقة التي تتذكر بها الشخصية الأحداث والتي تخضع للانتقاء وليست دائماً موضوعية، وأحياناً يستحيل هذا المفهوم شيئاً مادياً يمكن للآخرين لقائه ومعرفته حتى وإن كان لا يخصهم. إنّ ماضي السود الأليم مع العبودية لا يحيا إلا في الذاكرة، والتي ومهما حاولت الشخصيات تجاهلها لإبقاء الماضي بعيداً لشدة قسوته، فإنّها ما تفتأ تطفو على السطح بشكل ما وتذكر الذين يعيشون في الحاضر أنّ ما عاشوه سابقاً أيضاً كان حقيقة (Scarpa, 1991-1992, 97). لم يتعامل المترجم مع هذا المصطلح بالحدز المطلوب، ولم يفرّق بينه وبين الذاكرة التي يعرفها عموم الناس، وهو ما طمس هذا المفهوم كلياً في النص المترجم ولم يمكّن القارئ من الاندهاش ثم التساؤل الذي يكون هذا المصطلح قد ولّده عند قارئ النص الأصلي.

لاحظنا أنّ الترجمة في معظم الحالات لم توفق في الحفاظ على أسلوب الكتابة الأصلي، وهذا أمر وارد ومفهوم. لكن، ونظراً لخصوصية الأسلوب في نصي المدونة التي بين أيدينا، فقد كان لهذا الأمر آثاره الواضحة ليس فقط على تركيب النص ولكن بشكل أكبر على المعنى وهو ما يعيق ربما تلقي النص والتواصل مع جوانب ثقافية مهمة كان الأسلوب الوسيلة الوحيدة لفهمها.

يشتمل الجدول الموالي على بعض النماذج عن ترجمة عبارات فيها تلون لغوي.

النص الأصل	الترجمة العربية
1. "We'd like to be excused, Aunt Emily. Please can we go to the lavatory?" "Of course. But it's may, not can . And there's	معذرة يا عمتي إيميلي هل يمكننا الذهاب إلى المرافق الصحية. مؤكد ولكن قل أيجوز لنا ولا نقل يمكننا ثم لا ضرورة لكل، هذه الخصوصية (الكفارة، 202).

"سوف نهرب لأنّ لولا وبيتتي مقرفتان ونريد العودة إلى بيتنا. المعذرة لأننا أخذنا بعض الفواكه ولأنّ المسرحية لم تعرض". (الكفارة، 206) أما صوتها فكان حادا: "مستحيل يا سيد لا يمكنكم البقاء هنا" (الكفارة، 268) كانهم مواطنو بلدة إيطالية في ساعة رحيل (الكفارة، 336) هتف نيتل بصوت عال بلهجة الكوكني (الكفارة، 299) كانت لهجة فيونا لهجة خاصة بها، مستمدة من عامية حي لامبث. وبمبالغة قاسية عرفت مدى جهل بعض المرضى وتوسلاتهم وأصواتهم الشاكية الباكية. هذا أنا أيتها الممرضة، دوماً في الجانب غير الصحيح. أمي مثلي تماماً (الكفارة، 384) مظهراً متميزاً بما فيه الكفاية في ذلك العالم من نساء يهدلن، كلّ واحدة منهن تنادى بكلمة "أمي" (محبوبة، 70) "وهذان القدمان هما ما تهربين عليهما؟ يا للمسيح" جلس القرفصاء، وحملت في قدمي شيث. "هل معك أي شيء يا فتاة يمكن اعتباره طعاماً؟" (محبوبة، 73)	no need to be quite so specific." (Atonement, 140) 2. We are gong to run away becase Lola and Betty are horid to us and we want to go home. Sory we took some frute And there was 'nt a play. (Atonement, 142-143) 3. Her voice was sharp. "C'est impossible, M'sieur. Vous ne pouvez pas rester ici." (Atonement, 195) 4. like citizens of an Italian town in the hour of the passeggi. (Atonement, 248) 5. "It's a braw bricht moonlicht nicht the nicht," Nettle called out in Cockney. (Atonement, 218) 6. Fiona had her own version of Lambeth Cockney, and with heartless exaggeration caught the ignorance of some patients, and their pleading, whining voices. It's me 'art, Nurse. It's always been on the wrong side. Me mum was just the same. (Atonement, 290) 7. singularity enough in that world of cooing woman each of whom was called Ma'am (Beloved, 37) 8. "Them the feet you running on? My Jesus my." She squatted down and stared at Sethe's feet. "You got anything on you, gal, pass for food?" (Beloved, 39)

الجدول 32/4: نماذج عن ترجمة عبارات فيها تلون لغوي

تعكس هذه المجموعة من الأمثلة جوانب عدّة من التّلون اللّغوي الذي تم رصده في نصوص

المدونة، والذي لم تنجح الترجمة في معظم الحالات في إبرازه في النصوص العربية. ويتعلق المثال (1)

بخصوصية التربية الإنجليزية الصارمة للأطفال منذ سن مبكرة والتي من أهم مقوماتها طريقة توجيه الحديث إلى الأشخاص الأكبر سناً. وتحاول السيدة تاليس توجيه الطفلين للفعل الناقص (modal verb) الذي يتوجب عليهما استخدامه لطلب الإذن بشكل صحيح، كما نبهتهما إلى أنه من غير الضروري التصريح بالمكان الذي يقصدانه. لم تظهر الترجمة شكل اللغة المختلف في هذا المثال، كما أنّ اختيار المقابلين العربيين للفعلين الناقصين "may" و "can" لم يسمح بنقل المعنى، بحيث يعني الأول في المثال "هل تسمحين لنا" أو "هل بإمكاننا"، بينما يعني الثاني "تستطيع". كما أنّ "specific" هنا يُقصد بها "واضح". بالمجمل، لم تنجح الترجمة في إبراز جانب الصرامة في التربية الذي تعكسه التراكيب اللغوية المستعملة وهو ما يؤثر سلباً على التواصل مع الثقافة الأصلية. ويتعلق المثال (2) برسالة تركها الطفلين قبل أن يلوذا بالفرار، وجاءت الرسالة في النص الأصلي بخط مائل، لتفريقها عن باقي نص الرواية. وتعتمد الكاتب ترك الأخطاء الإملائية لمحاكاة لغة الأطفال وأسلوبهم في الكتابة. النص العربي لا يفرق نص الرسالة عن باقي النص، كما أنّ الترجمة جاءت خالية من الأخطاء الإملائية. وفي هذه الحالة تكون الترجمة قد أخفت اللغة الطفولية حرفياً، بعدم إظهارها بشكل منفصل كما في النص الأصلي، كما أخفت لغة الترجمة السليمة الجانب الطفولي الذي أراده الكاتب. ففي هذا المثال أيضاً لم تأخذ الترجمة التلون اللغوي للنص الأصلي بعين الاعتبار.

يدور المثال (3) حول استعمال لغة أجنبية، الفرنسية، في النص الأصلي، وهو ما لم يظهر في الترجمة التي لم تشر حتى إلى أنّ ما قيل قد قيل بالفرنسية. فطمس النص المترجم فكرة أن المرأة تتحدث اللغة الفرنسية، وهو ما يقلل من المصادقية في النص المترجم، لأنّ الجنود البريطانيين كانوا في مهمة بالشمال الفرنسي، ومن الطبيعي أن يتحدث سكان فرنسا الفرنسية وليس الإنجليزية. وحتى ولو لم يكن المترجم مضطراً لإقحام لغة أجنبية في النص فإن مجرد تنبيه القارئ إلى هذه الفكرة يجعله يدرك وجود هذا التلون. كما استخدم الكاتب في المثال (4) لفظاً إيطالياً "passeggio" للتعبير عن فكرة الاكتظاظ في

ساعات الذروة. ويبدو أن استعمال المترجم للفظ "رحيل" يأتي من باب التعبير على الأعداد الكبيرة من الناس وقت الخروج من العمل، وفي كل الأحوال فإن الترجمة في هذا المثال أيضاً لم تُظهر إيّ اختلاف لغوي، ولا يمكن الجزم بأنّ المقابل الذي اختاره المترجم مكّن القارئ من معالجة النص بشكل فعال. واختلف الوضع شيئاً ما في حالة الأمثلة المتعلقة باللهجات البريطانية (5، 6). فعلى الرغم من حذف المترجم للعبارة التي قالتها الشخصية بلهجة "الكوكني"، وهي لهجة سكان شرق لندن (OLD) في المثال (5) إلّا أنّه نبّه القارئ إلى وجود اختلاف لغوي. صحيح أنّ هذا التنبيه لا يوازي استعمال أشكال لغوية مختلفة في الترجمة لمحاكاة النص الأصلي، لكنّه على الأقل يوفّر المعلومة للقارئ، ويظهر جزءاً بسيطاً من الفكرة. وقام المترجم بترجمة ما قالته فيونا بلهجة كوكني حي لامبث بلغة عربية فصيحة (6) مع الإشارة إلى أنّها قد قالتها بلهجتها، وهذا الحل كما قلنا لا يضمن أيّ تلون لغوي حقيقي في النص المترجم، لكنّه يلفت انتباه القارئ لوجوده. كما أنّ الجانب الفكاهي الذي كفله استعمال اللهجة في النص الأصلي اختفى كليّة في الترجمة.

وتتعلق الأمثلة (7، 8) بلهجة الأمريكيين السود والتي سبق وأشرنا إلى أنّها تركز على الجانب الشفهي من اللغة. ولم تتجح الترجمة الحرفية في نقل هذا الملمح اللغوي، لأنّها على حرفيتها حرصت على سلامة اللغة والتراكيب وهذا تحديداً ما يبعدها عن النص الأصلي. وتزداد الأمور تعقيداً في المثال (7) بترجمة "ma'am" بـ "أمي"، بينما المقصود "سيدتي" (OLD)، وهي في العموم شكل من أشكال إظهار الاحترام، لكنّها في سياق النص أمر مفروض على السوداوات، إذ كان يُفرض عليهن مناداته حتّى أمهاتهنّ بهذا اللقب، وبالتالي مصادرة حقهن في أن يكنّ بنات أمهاتهن وهو ما يجردهن من إنسانيتهن ويجعلهن مجرد ممتلكات للبيض. فمشكلة هذا المثال أعمق من إخفائه اللهجة، إذ أدّى خطأ المترجم لطمس جانب تاريخي مهم، ليس هذا فحسب، بل إنّ الترجمة تعطي معنى معاكس لمعنى النص الأصلي. وأدّى عدم ظهور اللهجة المستعملة في المثال (8) إلى طمس التراكيب اللغوية الخاطئة وغير

المألوفة، وكذا إلى حجب الجانب الساخر في العبارة والمرتبطة بطريقة شخصية إيمي في التعبير عن دهشتها وكذا رغبتها في بعض الطعام. فمثلاً لا يتجلى للقارئ استعمال "gal" بدل "girl"، ولا الخلل النحوي في الجزء الأول من المثال، وهو ما يؤثر لا محاله على تلقي النص ولا يمنح أيّ فرصة لاكتشاف هذا الجانب الثقافي اللغوي والتاريخي الذي حرصت الكاتبة على تصويره.

على ما يبدو فإنّ أسلوب النص هو أكبر ضحايا الترجمة دون منازع، فقد أكدت لنا الأمثلة المحلّلة في هذه المجموعة أن الترجمة تجد نفسها عاجزة أمام بعض الملامح الأسلوبية ولا تتجح في إبرازها في النص العربي. ويكون لهذا العجز بصمته الواضحة على لغة النص، ولكنه أحياناً يطل المعنى ويشوّه رسالة النص الأصلية.

2.3.4. الإيضاح والتضمنين وعلاقتهم بالخطاب

يتناول هذا القسم من البحث تحليل مدى تأثر خطاب النص الأصلي بأساليب الإيضاح والتضمنين المطبقة من طرف المترجم. والغرض من ذلك هو فحص مختلف الأسباب التي قد تكون وراء حجب السياق الثقافي في الترجمة وإعطاء القارئ فكرة مغلوطة أو صورة غير دقيقة عن الثقافة الأصلية.

1.2.3.4. نماذج عن ترجمة المحتوى المتعلق بالسياق التاريخي والسياسي

يُركز هذا الجزء من البحث على كيفية تأثر تلقي المحتوى التاريخي والسياسي بقرارات المترجم واختياراته. وقد اخترنا لهذه الغاية ثلاث مواضيع زخرت بها نصوص المدونة وهي الحرب العالمية الثانية، تاريخ الأمريكيين السود، والثقافة الأوروبية.

يتضمن الجدول الموالي نماذج عن ترجمة محتوى مرتبط بالحرب العالمية الثانية، ويكون متبوعاً

بتحليل الترجمة.

النص الأصل	الترجمة العربية
1. spending on the Armed Forces must go on increasing if Mr. Hitler did not pipe down; there was even a chance that the bar could become part of the standard-issue ration pack (<i>Atonement</i>, 50) 2. what would her bluestocking teachers—the ones with silly nicknames and “fearsome” reputations—have to tell her about that? Those self-important women gained local immortality for the blandest, the most timid of eccentricities—walking a cat on a dog’s lead, riding about on a man’s bike, being seen with a sandwich in the street. A generation later these silly, ignorant ladies would be long dead and still revered at High Table and spoken of in lowered voices. (<i>Atonement</i>, 65) 3. “Or French Nazis. German sympathizers. Like we got Mosley,” Mace said. (<i>Atonement</i>, 197) 4. Among the British troops the view was that the French had let them down. No will to fight for their own country. Irritated at being pushed aside, the Tommies swore, and taunted their allies with shouts of “Maginot!” For their part, the <i>poilus</i> must have heard rumors of an evacuation. And here they were, being sent to cover the rear. “Cowards! To the boats! Go shit in your pants!” (<i>Atonement</i>, 234)	الإنفاق على القوات المسلحة ينبغي أن يزداد ما لم يهدأ السيد هتلر ويكف عن الكلام والصياح، بل كانت هنالك فرصة في أن تغدو قطعة الشوكولا جزءاً من الحصاة التموينية الأساسية (الكفارة، 84) ما عسى معلماتها من ذوات الجوارب الزرق أن يعلمنها - المعلمات من ذوات الألقاب السخيفة والسمعة الفظيعة؟ لقد غدت النسوة العظيمات الشأن خالداً في المنطقة بفضل ما عُرف عنهن من تصرفات غريبة، مثل جعل قطة يقودها كلب، وركوب دراجة هوائية رجالية، وظهورهن في الشارع وهن يأكلن شطيرة. وبعد جيل كامل يكون قد مضى زمن طويل على وفاة أولاء السيّدات الجاهلات والغبيّات، وأن يجري الحديث عنهن بوقار من حول مائدة الأساتذة في قاعة الطعام، وبأصوات خفيضة. (الكفارة، 105) قال ماسي: - أيها النازيون الفرنسيون أيها المتعاطفون مع الألمان تماماً مثلما أن لدينا موزلي (الكفارة، 270) وساد الاعتقاد في أوساط الجنود البريطانيين بأن الفرنسيين خذلوهم، وأنهم لم تكن لديهم الإرادة للدفاع عن بلدهم. وانزعج الجنود البريطانيون بعد أن اضطروا إلى التنحي جانباً وسبوا وشتموا وهتفوا بحلفانهم "ماجينو!" أما الجنود الفرنسيون فلا بد أنهم سمعوا، بدورهم شائعات عن الإخلاء وها هم هنا لتغطية الجانب الخلفي، "أيّها الجبناء! هيا إلى القوارب! إذهبوا وفرّغوا امعاءكم في سراويلكم!" (الكفارة، 318-319) الغزو الألماني يوشك أن يبدأ الكل يتحدث عن الغزو بدءاً بالحمالين الذين كانوا يشكلون وحدتهم الخاصة بهم،

بمتطوعي الدفاع المحلي عن المستشفى وانتهاءً بتشرشل نفسه الذي ابتكر صورة للبلاد مستعبدة تموت جوعاً باستثناء البحرية الملكية التي لا تزال سالمة (الكفارة، 419)	5. The Germans were about to invade. Everybody said it was so, from the porters who were forming their own hospital Local Defence Volunteers unit, to Churchill himself who conjured an image of the country subjugated and starving with only the Royal Navy still at large. (Atonement, 315-316)

الجدول 33/4: نماذج عن ترجمة المحتوى المتعلق بالحرب العالمية الثانية

يتناول المثال (1) تحليل بول مارشال، رجل الأعمال وصاحب مصنع الشوكولاتة، للوضع الاقتصادي في بريطانيا على خلفية تهديدات حقيقية باندلاع الحرب. وبالنسبة له سيكون اندلاع الحرب سبباً في ازدهار أعماله لوجود احتمالات كبيرة بأن تكون منتجاته ضمن الطعام المخصص لجرايات الجنود. وعليه يأتي استعمال الفعل الناقص "must" بمعنى "منطقياً" أو "من البديهي"، وليس "ينبغي" الذي يتضمن معنى الإلزام (معجم المعاني الجامع). كما أنّ استعمال الفعل المركب "pipe down" يحيل إلى معنى الكف عن الفوضى والتحلي بالهدوء (Cambridge) وتمالك الأعصاب حتى لا تخرج الأمور عن السيطرة، والترجمة الحرفية "ويكف عن الكلام والصياح"، تُظهر الزعيم الألماني بشكل كاريكاتوري، وكأن تهديداته غير حقيقية، وهذا ما يتعارض مع المعنى الأصلي. ولا توضح العبارة "الحصة التموينية الأساسية" بدقة المعنى المقصود بـ "ration pack"، والذي يقابله في اللغة العربية لفظ "جِراية" (رضا، 2006م، 461) أي حصة الطعام اليومي للجندي. بالمحصلة، وبالنظر لكلّ التغييرات في المعنى التي أفرزتها الترجمة، نجد أنّ جدية الخطاب وارتباطه باستعدادات الجيش للحرب وما يتضمنه من معلومات حول المستفيدين من هذه الحرب، وطريقة الإشارة إلى العدو جاءت أقلّ جدية وأقلّ وضوح، ودون شك هناك اختلاف، وإن كان جزئياً، بين الخطاب الأصلي وخطاب النص المترجم.

يصف المثال (2) نظرة إيميلي تاليس، والدة سيسيليا وبريوني، للنساء المتعلمات والمتحركات، وهي نظرة سلبية لأنَّ اهتمام سيسيليا كان يجب أن يكون منصباً على الزواج والإنجاب وليس التعليم. لهذا الغرض يستعمل النص مصطلحاً تاريخياً وأدبياً وهو "bluestocking" ويعني النساء المتعلمات والمهتمات بالثقافة والأفكار (OLD)، وفي الأصل استعمل المصطلح للإشارة إلى النساء اللواتي قررن تنظيم مجالس أدبية ودعوة الأدباء من الرجال إليها في إنجلترا منتصف القرن الثامن عشر، وهي خطوة مهمة في تاريخ تحرر المرأة الفكري (Encyclopedia Britannica). والترجمة العربية لا تعطي القارئ أي فكرة عن المعنى المقصود، وفي ظل عدم وجود هامش فإننا نشك في تمكن القارئ من تلقي المعنى. ولأن إيميلي تاليس لا تحترم كثيراً هذه الفئة من النساء فإنها تستعمل ألفاظاً تقلل من شأنهن مثل "silly nicknames"، و "fearsome reputation" و "silly ignorant ladies"، وهي العبارات التي نُقلت حرفياً في الترجمة مما حافظ على شيء من معنى الخطاب في النص العربي. وبالنسبة للسيدة تاليس، تحظى هذه المجموعة من النساء بالشهرة لأسباب أقلّ ما يُقال عنها أنَّها سخيصة على غرار التجوّل مع قطة أو ركوب دراجة، ولم يوفق المترجم في توضيح هذه المعاني في النص العربي الذي جاء مبهماً في هذا الجزء، فعبارة "جعل قطة يقودها كلب" غير مفهومة وخاطئة في نفس الوقت، لأنَّ المقصود هنا هو أنَّ هؤلاء النسوة كنَّ يقمن بالتجول رفقة القطط، في حين أنَّ المجتمع اعتاد رؤية الكلاب فقط رفقة البشر. كما أنَّ عبارة "تقود دراجة رجالية" توحي بوجود دراجات نسائية وأخرى رجالية وهذا أيضاً عارٍ عن الصحة، فالمقصود هنا هو أنَّ المجتمع الذي اعتاد على رؤية الرجال فقط يقودون الدراجات، ينظر إلى هؤلاء النسوة على أنَّهن يتعدّين على شيء لا يخصّهن. وتحيل عبارة "High Table" إلى طاولة موضوعة على منصة تتوسط غرفة الطعام في المدرسة أو الجامعة وتكون مخصصة لأعضاء هيئة التدريس والضيوف المهمين (Collins)، وقد حاول المترجم نقل هذا المعنى من خلال استعمال "مائدة الأساتذة"، وهو مقابل يعكس الفكرة إلى حدّ بعيد، لكن سياق ظهوره في النص قد يدفع القارئ للاستغراب. يعكس خطاب النص

الأصلي موقف الأشخاص المحافظين من خروج المرأة للتعليم والعمل، وإحساسهم بأن النساء الرائدات اللواتي ألهمن هذه الحركة يتم تقديرهن دون أي سبب منطقي، سنوات بعد رحيلهن. صحيح أن الترجمة تنتقل الفكرة بشكل عام، لكن وجود أخطاء في الترجمة، وأخطاء في تركيب الجمل، تُفقد الخطاب اتساقه، وتجعله مفكك المعنى والمبنى. فمن الصعوبة بمكان الحكم على مدى فهم قارئ النص لهذه الصفحة من التاريخ البريطاني.

وغيّرت الترجمة جذرياً مغزى الخطاب في المثال (3)، إذ يحاول روبي ومرافقيه في النص الأصلي تخمين سبب عدااء الفرنسيين (المرأة وأبناؤها) لهم مع أنهم جاؤوا لمساعدتهم، لكن النص العربي يأخذ موقفاً واضحاً باستعماله "أيها" مكافئاً لـ "or". فالمعنى المقصود في النص الأصلي هو أن أبناء المرأة الفرنسية قد يكونون من المتحمسين للجانب الألماني، لكن النص العربي جعل من الاحتمال أمراً مؤكداً. ولم يساعد الهامش الذي أضافه المترجم حول "موزلي" القارئ لأنه اكتفى بتعريفه على أنه رجل دولة ولم يفسر المعنى المقصود بذكره في النص، والذي يرتبط بخطّة السياسي، إذ كان مؤمناً بالإيديولوجية النازية وأسس الإتحاد البريطاني للفاشيّين (British Union of Fascists) عام 1932 (Encyclopedia Britannica). أدّت الترجمة في هذا المثال إلى طمس الخطاب الأصلي وإعطاء خطاب بديل لا يعكس المعنى ويحث القارئ على تصور خاطئ للأحداث.

يتناول المثال (4) الخلاف الفرنسي البريطاني أثناء الحرب، وتحميل كل طرف مسؤولية خسارة الحرب للآخر. وينقل النص العربي هذه الفكرة بالمجمل، لكن هناك بعض التفاصيل التي تجعل الخطاب في الترجمة يختلف نسبياً عن الخطاب الأصلي. فالمقصود بالعبارة "irritated at being pushed aside" هو أن قرار انسحابهم لم يكن قرارهم، أي فرض عليهم وهو ما أثار غيظهم. ونجد هذا المعنى قد تغير نسبياً في العبارة "وانزعج الجنود البريطانيون بعد أن اضطروا للتنحي جانباً"، فمن الواضح أن ما انتاب الجنود هو الغضب والغيظ وليس مجرد انزعاج، كما أن الجنود فاعلين في النص العربي، مفعول بهم في

النص الأصلي. وقد تبدو هذه الاختلافات بسيطة، وهي كذلك حين يتعلق الأمر بالمعنى بشكل عام، لكن فيما يخص الرسالة أو الخطاب يُصبح لكل كلمة وزنها، وتؤدي مجموعة الاختلافات البسيطة التي سنذكرها إلى تغيير شكل الخطاب. ففي نفس العبارة استخدم المترجم "الجنود البريطانيين" مكافئاً لـ "Tommyes"، اللفظ العامي الذي يحيل إلى نفس المعنى (Cambridge)، والذي ينبئ باهتمام الكاتب بإبراز سياق الحرب بشتى تفاصيله ومنها طريقة منادات الجنود، "Tommyes" للإنجليز و "poilus" للفرنسيين (Larousse). وعدم ظهور المصطلحين في النص العربي يطمس الجانب العامي في اللغة وكذلك ملمحاً تاريخياً له دلالاته ضمن أحداث الرواية. وما زاد النص العربي غموضاً هو تضمينه لاسم السياسي الفرنسي "ماجينو" بغرض التعبير عن الشتم، دون أي مساعدة للقارئ تمكّنه من فهم العلاقة بين الشخص وشم الجنود الفرنسيين. والحقيقة أنّ الشخص المذكور كان وزيراً للحرب في فرنسا وهو صاحب فكرة "خط ماجينو" وهو عبارة عن منشآت دفاعية على الحدود الفرنسية الألمانية، والتي أثبتت فشلها أمام الألمان (Encyclopedia Britannica)، فاسم الوزير في النص جاء بغرض السخرية، ولأنّ احتمالات معرفة القارئ العربي بهذا الشخص ضعيفة، فإن تلقيه لفكرة السخرية غير وارد. ونفس الأمر ينطبق على المعنى المضمن في "هيا إلى القوارب"، وهي القوارب التي من المفترض أن تعيد الجنود الإنجليز إلى بلادهم، فما يفصل البلدين هو فقط بحر المانش، ولا يمكن الجزم بالنقاط القارئ لهذا المعنى الجغرافي وبالتالي الإجابة على تساؤل لماذا قد يكون ركوب القوارب أمراً معيباً في حق الجنود. يمكننا القول بعد كلّ ما جاء في التحليل أنّ الترجمة لم تتقل الخطاب الأصلي في تفاصيله واكتفت بالمعنى العام وهو ما أدّى كما أوضحنا إلى طمس جوانب عدّة ترتبط بلغة النص وسياقه التاريخي على حدّ سواء.

يصف المثال (5) الوضع السياسي والاجتماعي في بريطانيا قبيل سقوط فرنسا على يد الألمان بفترة قليلة. وكان الناس في حالة ترقب، يتوقعون الأسوأ في أي لحظة، ولم يخفف خطاب تشرشل، رئيس الوزراء، من مخاوف البريطانيين الذين بدأوا بتشكيل وحدات دفاع محلية. يورد الكاتب في النص الأصلي

ما جاء على لسان رئيس الوزراء في أحد خطابه (Toye, 2013) وينتقد في الوقت ذاته محتوى الخطاب الذي أظهر بريطانيا عاجزة وخائفة. لا تُظهر الترجمة أنّ العبارات جاءت على لسان تشرشل وليس الكاتب، كما أنّها لا تُظهر اختلاف الرؤى بين الكاتب وتشرشل والذي يعكسه استعمال الفعل "conjure". إنّ هذا الخطاب هو من أشهر خطابات تشرشل، ونظراً لارتباطه بالتاريخ البريطاني إبّان الحرب العالمية الثانية فلا نتوقع أن تكون لدى قراء النص الأصلي صعوبة في فهم الإحالة الموجودة في النص. على العكس من ذلك، وعلى الرغم من البعد الدولي للحرب العالمية الثانية، لا نعتقد أنّ قارئ النص العربي سيتعرّف على الخطاب المقصود. فمشكلة هذه الترجمة هي أنّها لا تمكّن القارئ من ربط النص بسياقه السياسي، كما أنّ استخدام الفعل "ابتكر" والذي يشير إجمالاً إلى جانب إيجابي، يوحي بأن الكاتب يتفق مع تشرشل وهذا غير صحيح، فمن الواضح في النص الأصلي أنّ الكاتب غير راضٍ عن صورة بريطانيا التي ساقها خطاب تشرشل. باختصار نجد أنّ الترجمة طمست السياق وغيّرت موقف الكاتب وبالتالي نتج عنها خطاب مغاير للخطاب الأصلي.

لاحظنا في معظم الأمثلة المحلّة تأثيراً واضحاً للترجمة على خطاب النص الأصلي. ومن تبعات هذا التأثير طمس بعض الجوانب التاريخية والسياسية ما يجعل تلقي النص منقوصاً. كما أثرت الترجمة في لغة الخطاب وأسلوبه، وأعطت رسائل مغايرة للرسائل الأصلية.

يتضمن الجدول الموالي نماذج عن ترجمة محتوى مرتبط بتاريخ الأمريكيين السود، ويكون متبوعاً بتحليل الترجمة.

النص الأصل	الترجمة العربية
1. Anybody Baby Suggs knew, let alone loved, who hadn't run off or been hanged , got rented out , loaned out , bought up ,	كان كل من عرفته بيبي سجز، ناهيك عن أنها أحبته، ولم يهرب أو يشنق، كان يؤجر، يُعار، يُشترى، يُعاد، يختزن، يرهن، يُكسب، يُسرق أو يقبض عليه (محبوبة، 58)

من اختبأوا، مثله، في كهوف وصار عوا البوم من أجل الطعام؛ من سرقوا، مثله، من الخنازير، من ناموا، مثله، في الأشجار نهارا وساروا ليلا، من دفنوا أنفسهم، مثله، في الوحل وقفزوا في الآبار ليتجنبوا المسؤولين عن النظام، والمغيرين، والخفراء، وقدامى المحاربين، ورجال التلال، والحشود، والملاهي (محبوبة، 128) لكن منعه قانون ابتكره البيض بشأن الأماكن التي ينبغي أن يستقر فيها الموتى (محبوبة، 292) كانت قدمه قد وطئت هذا البيت مرة واحدة بعد الشقاء، (وهو ما أطلقه على استجابة سيث الخشنة لمشروع قانون الهاربين) (محبوبة، 291) فقد كان البيض يعتقدون أنه مهما كان السلوك، فتحت كل جلد داكن تكمن غابة. مياه سريعة لا تصلح للملاحة، قردة ضخمة تصرخ وتتأرجح، ثعابين نائمة، وثلاث حمراء في انتظار دمهم الأبيض العذب. (محبوبة، 340)	brought back, stored up, mortgaged, won, stolen or seized (<i>Beloved</i>, 28) 2. Who, like him, had hidden in caves and fought owls for food; who, like him, stole from pigs; who, like him, slept in trees in the day and walked by night; who, like him, had buried themselves in slop and jumped in wells to avoid regulators, raiders, paterollers, veterans, hill men, posses and merrymakers. (<i>Beloved</i>, 78) 3. but was prevented by some rule the whites had invented about where the dead should rest. (<i>Beloved</i>, 201) 4. He had stepped foot in this house only once after the Misery (which is what he called Sethe's rough response to the Fugitive Bill). (<i>Beloved</i>, 201) 5. Whitepeople believed that whatever the manners, under every dark skin was a jungle. Swift unnavigable waters, swinging screaming baboons, sleeping snakes, red gums ready for their sweet white blood. (<i>Beloved</i>, 234)

الجدول 34/4: نماذج عن ترجمة المحتوى المتعلق بتاريخ الأمريكيين السود

من بين أهداف رواية *Beloved* كتابة تاريخ السود الذي لم يهتم الآخرين بكتابته وتوثيق رحلة العذاب الطويلة لهذه الفئة في ظل نظام الرق وغطرسة الرجل الأبيض. يذكر المثال (1) مختلف الاحتمالات الممكنة أمام العبد الأسود في حال حالفه الحظ ونجا من الموت، وكلها احتمالات تجرّده من إنسانيته وتُنزله منزلة السلع يُباع ويُشترى. وقد استعملت الكثير من الأفعال المركبة في النص الأصلي مثل "rented out" وهو فعل مثير للاهتمام لأنّ معناه لا يختلف عن معنى "rent" إلا في تفصيل واحد. فبينما الأخير يعني

التأجير من وجهة نظر المستأجر فإنَّ الأول يعني التأجير من وجهة نظر المالك. وتظهر عبقرية موريسون في التركيز على فكرة أنَّ السود ليس لهم الحق في أن يؤجِّروا فهم مخلوقون فقط ليؤجِّروا شأنهم شأن أي متاع. وينطبق الأمر نفسه على الفعل "loan out" الذي لا يختلف معناه عن "loan" ولكنَّ استعماله في النص جاء بهدف إظهار فكرة أنَّ السود في المعادلة مفعول بهم ولا يمكن أن يكونوا فاعلين. ويحيل الفعل "buy up" إلى معنى خاص من الشراء وهو شراء ما توفر من سلعة معينة (Cambridge) بهدف الاحتكار مثلاً. كما يعني "store up" تخزين السلع ومن ثمة عرضها للبيع حين يكون الوقت مناسباً لذلك (Collins)، وهو ما يجعل المعنى مختلف نسبياً عن الفعل "store". فجميع الأفعال المذكورة تسهم في تنبيه القارئ إلى أنَّ الأمريكي الأسود في الماضي لم يكن أكثر من سلعة. يدفعنا هذا التحليل لمعاني الأفعال للقول بأنَّ النصَّ العربي نقل المعنى الذي حمله النص الأصلي من خلال ترجمة حرفية للأفعال المذكورة. لكن بقليل من التأمل نجد أنَّ الخطاب الأصلي أكثر دقة وخصوصية من الترجمة التي اعتمدت على المعاني العامة للأفعال.

يدور المثال (2) حول وجه آخر للعبودية وهو الفرار، وكل ما قد ينطوي عليه من عوائق وصعوبات. وتحاول موريسون في هذه الفقرة التوثيق لمرحلة مهمة في تاريخ السود وهي المرحلة الانتقالية بين العبودية والحرية التي تزامنت مع الحرب الأهلية الأمريكية. وتضع الكاتبة القارئ أمام مشاهد في غاية القسوة ولكنها تستعمل لغة توحى بأنَّ ما يحدث عادي ومألوف لشدة تكراره ولكثرة الأشخاص الذين عانوا في رحلة الفرار شمالاً سعياً وراء الحرية. فاللغة المستعملة بسيطة ونقلها حرفياً كان كفيلاً بالحفاظ على فكرة إظهار المأساة في ثوب المألوف، لكن بعض التفاصيل التاريخية المرتبطة بهوية الأشخاص الذين يقرّ منهم السود جعلت المعنى أقل وضوحاً في النص العربي. فـ "regulators" هم الأشخاص المسؤولين عن تطبيق القانون (Collins)، وسبب فرار السود منهم هو وجود قانون يُلزم بإعادتهم إلى أسيادهم فور القبض عليهم. وعبرة "المسؤولين عن النظام" تقترب في معناها من النص الأصلي لكنَّها لا تسمح بتلقي السياق التاريخي

المقصود. و "raiders" هنا تعني المرتزقة، أو الأشخاص الذين يحاولون الاستفادة من الوضع والإمساك بأكبر عدد من العبيد الفارين بهدف التربح وهذا أيضا لا يظهر في المقابل العربي "المغيرين". و "hill men" تعني الهنود أو السكان الأصليين وكان فيهم المتعاونين مع الجنوب، والمقابل الحرفي "رجال التلال" قد لا يسمح للقارئ بتلقي هذا المعنى. إنّ إحاطة القارئ بهوية الأشخاص المقصودين في النص ضرورية ليس فقط لفهم صحيح لخطاب النص الأصلي، ولكن أيضاً لفهم طبيعة معاناة السود والتحديات التي كانوا يواجهونها.

بوجه عام لم يتأثر الخطاب سلباً بالترجمة في المثال (3)، والتي مكّنت القارئ من تصور واضح لشكل العقوبات الجماعية التي كانت مفروضة على السود في لغة بسيطة واضحة تحاكي الخطاب الأصلي. فالترجمة الحرفية نقلت المعنى كما جاء في النص الأصلي، لكنّ الإحالة الموجودة في "قانون ابتكره البيض" غير واضحة، فالقارئ على الأغلب لا يمكنه معرفة القانون المقصود، وبالتالي سيكون فهمه للمعنى عام وتعوزه معرفة أعمق بالسياق التاريخي. والحقيقة أنّ بيبي سجز كانت أوصت بدفنها في الساحة الخالية، المكان الوحيد الذي كانت تشعر فيه بالراحة والذي يذكرها بموطنها الأصلي، لكن حتى الراحة بعد الموت لم تكن ممكنة لأنّ البيض كان لهم رأي حتى بالنسبة للأماكن التي يُسمح بالدفن فيها.

ينطوي المثال (4) على إحالتين ينبغي للقارئ التنبه لهما ليُحصّل فهماً صحيحاً، أولاً "Misery"، ويشير إلى حادثة مقتل "محبوبة" على يد أمّها. ومن السهل على القارئ فهم المعنى من خلال سياق النص، لكننا نعتقد أنّ كلمة "مأساة" كانت ستعبّر بشكل أفضل عن الفكرة من الترجمة الحرفية "شقاء". والإحالة الثانية هي "Fugitive Bill"، وتشير إلى قانون تمّ المصادقة عليه عام 1850، والذي يُلزم بإعادة السود إلى مالكيهم حتى وإن تمّ القبض عليهم في ولايات الشمال التي لا تعترف بنظام الرق (Encyclopedia Britannica). وفي المثال يذكر ستامب بيد أنه لم يدخل بيته القديم منذ الحادثة المذكورة والتي يفصّل أن يصفها ب "ردّة فعل سيث العنيفة تجاه قانون الهاربين"، فقرار سيث بذبح طفلتها جاء ليعكس محاولة يائسة

من الأم لتجنّب ابنتها مصيراً مشابهاً لمصيرها. وحتى وإن عرف قارئ النص بوجود قانون يسمّى "قانون الهاربين"، فهذا لا يضمن له معرفة بطبيعة القانون في ظلّ إصرار المترجم على عدم إدراج هوامش في ترجمته. ونجد أنّ الخطاب في هذه الحالة قد تأثر بالترجمة التي لم توضح للقارئ معنى القانون المذكور، وبالتالي أبقت فهمه ناقصاً من جهة، كما تأثر بقرارات المترجم التي أنتجت نصاً أقلّ قوة من النص الأصلي بسبب المقابلات التي اختارها لـ "Misery"، و "rough response" والتي قدّمت لها ترجمات بديلة في التحليل. ويتعرض المثال الأخير (5) لنظرة البيض للسود والتي يطبعها التوجس وعدم الثقة. فبالنسبة للبيض السود كلّهم متشابهون، ولا يجب الثقة حتّى بأولئك الذين يظهرون الولاء، فمتى كانت الفرصة سانحة لن يتردد العبيد في إيذاء الأسياد. وتُخلّي هذه النظرة مسؤولية البيض من الوحش الذي يرقد داخل هذه الفئة لأنّه موجود فيهم بالأساس، منذ أن كانوا يعيشون في الأدغال. وتردّ الكاتبة في الجزء الموالي من النص مباشرة لتوضح أنّ البيض هم المسؤولون عن أيّ عنف يُظهره السود. ونجد أنّ الترجمة بشكل عام نقلت الخطاب الأصلي دون تغييرات لافتة تسمح بالقول أنّ النص العربي لم يكن فعّالاً بما يكفي في نقل الصورة الأصلية بتفاصيلها. ومع ذلك فهناك بعض الملاحظات على عدد من الخيارات الترجمية. فيما يخص "تحت كل جلد داكن تكمن غابة"، نعتقد أنّ فكرة التربص والخطر الكامن يمكن التعبير عنها بـ "تحت كل جلد داكن تتوارى أدغال"، فلفظ الأدغال ربما أنسب لأنّه يستدعي لدى القارئ فكرة الظلام والخطر بدرجة أكبر مما قد يحيل إليه لفظ "غابة". وعبارة "مياه سريعة" غير دقيقة بما يكفي وربما البديل "مياه تياراتها قوية" ينقل الفكرة بشكل أفضل.

لقد لاحظنا أنّ نقل الخطاب في هذه المجموعة من الأمثلة تأثر بدرجة أقل في الترجمة. والسبب الرئيسي في رأينا يعود لاعتماد المترجم على الترجمة الحرفية في أغلب الأحوال، وهي الترجمة التي تضمن نقل الحد الأدنى من المعنى دون عوائق. وفي الحالات التي تأثر فيها الخطاب بالترجمة كان السبب في

الغالب ثقافي، يتعلّق بمعلومات غير متوفرة لقارئ النص العربي تسمح له بالحصول على الصورة الكاملة. ويتحمل المترجم المسؤولية في هذه الحالة، لعدم اعتماده ولو بشكل محدود على الهوامش.

يتضمن الجدول الموالي نماذج عن ترجمة محتوى مرتبط بالسياق الثقافي الأوروبي، ويكون

متبوعاً بتحليل الترجمة.

الترجمة العربية	النص الأصل
تلك كانت مناسبات تستحق الخدمات الفضية الموغلة في القدم (الكفارة، 84-85)	1. These were awesome occasions worthy of the ancient silver service (<i>Atonement</i> , 50-51)
كانا يعلمان أنّ قضية الصحافة آنية: زلازل واصطدام قطارات، ما تفعله الحكومة والشعب يوماً بيوم، وعمّا إذا كان من الضروري إنفاق المزيد من المال على المدفعية في حال هاجم هتلر إنكلترا. كانوا مذهولين، ولكنهم غير متفاجئين تماماً من أنّ كارثتهم ترقى إلى مستوى هذه القضايا، وكان لهذا صدها الواقعي. (الكفارة، 96)	2. they knew that the business of newspapers was momentous: earthquakes and train crashes, what the government and nations did from day to day, and whether more money should be spent on guns in case Hitler attacked England. They were awed, but not completely surprised, that their own disaster should rank with these godly affairs. This had the ring of confirming truth. (<i>Atonement</i> , 59)
الحق أنهما قد شاهدتا عرضاً صامتاً من عروض ما بعد الظهيرة على مسرح بالاديوم بلندن (الكفارة، 99)	3. They had in fact seen a matinee pantomime at the London Palladium (<i>Atonement</i> , 60)
كل تلك الشخصيات الثنائية السعيدة أو المأساوية التي لم يلتقيا بها! تريستان وايزولد، دوق اورسينو وأوليفيا (ومالفوليو أيضاً) وترويلوس وكريسيدا، السيد نايتلي وإيما، فينوس وأدونيس، تيرنر وتاليس. وفي إحدى حالات يأسه المريرة يتذكّر بروميثيوس المكبل إلى	4. those happy or tragic couples they had never met to discuss! Tristan and Isolde, the Duke Orsino and Olivia (and Malvolio too), Troilus and Criseyde, Mr. Knightley and Emma, Venus and Adonis. Turner and Tallis. Once, in despair, he referred to Prometheus, chained to a rock, his liver

صخرة فيتغذى نسر على كبده المتجددة يومياً. في بعض الأحيان هي غريسيلدا الصبور. (الكفارة، 281-282)	devoured daily by a vulture. Sometimes she was patient Griselde . (<i>Atonement</i> , 204)

الجدول 35/4: نماذج عن ترجمة المحتوى المتعلق بالثقافة الأوروبية

تحتوي هذه المجموعة من الأمثلة على كثير من المعلومات التاريخية الخاصة بالقارة العجوز، ومن الوارد أن يتأثر الخطاب في ترجمة هذه النصوص لهذا السبب تحديداً. يصف المثال (1) أحد تقاليد تقديم الطعام الإنجليزية "silver service"، وهو تقليد كثيراً ما يحضر في مناسبات الأثرياء ومآدبهم، ويتلخص في تقديم النادل الطعام من طبق كبير بيده مستخدماً شوكة وملعقة فضيتان يحملهما بيده اليمنى (Collins). وصحيح أن النص يصف اللوائيم التي كان يقيمها آل تاليس، لكن الجزم بأن القارئ سيتلقى المعنى المقصود غير ممكن خاصة في غياب هامش، كما أن النص العربي لم يحمل أي إضافة قد توجه الفهم نحو أصول التقديم المقصودة. كما أن عبارة "الخدمات الفضية الموغلة في القدم" بالنسبة لشخص لا يعرف أصلاً معنى المصطلح لا تساعد كثيراً في تلقي الخطاب، خاصة وأن هدفه الأساسي هو السخرية، فالشقيقتين سيسيليا وليون كانا يجدان في هذه المناسبات فرصة للاستمتاع والسخرية من الضيوف. لا يوجد تغيير حقيقي في الخطاب على المستوى التركيبي، فالنص العربي لا يختلف عن النص الإنجليزي من حيث المعنى، لكن مشكلة الخطاب المترجم تكمن في التلقي الذي سيختلف حتماً عن تلقي النص الأصلي في ظل غياب المخزون الثقافي الضروري للفهم.

يعلم الطفلان في المثال (2) أن قضية طلاق والديهما قد نشرت في الصحافة، وأن هذا وحده سبب كافٍ للتأكد من أن الطلاق أمر واقع. من المهم فهم أن الفكرة تأتي من منظور الطفلين وفي لغتهم البسيطة، فعبارة "the business of newspapers was momentous" يُقصد به أن عمل الصحافة يتلخص في إعلام الناس بالأخبار المهمة، والترجمة "قضية الصحافة آنية" لا تعكس هذا المعنى ولا تعطي

الانطباع بأن هذه رؤية طفل صغير، وعلى ما يبدو فإن المترجم ربط "momentous" بـ "moment" وهذا صحيح حين يتعلق الأمر باللحظات الفارقة أو المهمة (Collins). ونفس الملاحظة تنطبق على مختلف الأحداث التي تغطيها الصحافة في العادة، بحيث جاءت لغة النص العربي فصيحة خالية من الإشارة إلى أي طفولية في التفكير. وأخفى حذف الصفة "godly" مزيداً من نبرة الخطاب الأصلي ولم يسهم في إبراز شكله المختلف. وفي حين يرى الطفلين أن حديث الصحافة عن والديهما ما هو إلا "a ring of confirming truth"، أي أنه حقيقي، فإن النص العربي لا يعكس هذا المعنى بوضوح. فما يمكن قوله باختصار في حالة هذا المثال هو أن عدم أخذ المترجم فكرة النبرة الطفولية في الخطاب بعين الاعتبار جعل النص العربي مختلف نسبياً عن الأصل الإنجليزي، وإن كانت الفكرة واحدة في النصين.

ويعني مصطلح "pantomime" في المثال (3) عرضاً خاصاً بالأطفال، يعتمد على الضحك والموسيقى ويروي القصص الخيالية المعروفة (Cambridge). ومن الواضح أن عبارة "عروض صامتة" في النص العربي اعتمدت على معنى ثانٍ للمصطلح الإنجليزي ليس هو المقصود هنا. ففي المثال تكون لولا قد ادّعت أمام بول مارشال أنها حضرت عرض "هاملت" لتظهر له أنها فتاة ناضجة، ليعلم القارئ بعدها مباشرة أنها في الحقيقة حضرت عرضاً للأطفال. وأخطأ المترجم في نقل الاقتراض الفرنسي "matinee" والذي يعني الصبيحة وليس بعد الظهر. فتكون أخطاء الترجمة في هذه الحالة هي المتسبب الرئيسي في تغيير محتوى الخطاب في الترجمة وحجب بعض ملامح الثقافة الإنجليزية قبيل الحرب العالمية عن القارئ.

احتاج المترجم في المثال (4) لإضافة ستة هوامش كاملة لتوضيح مختلف الإحالات الأدبية المذكورة، والملاحظ أنه ركّز بشكل ملحوظ على قصص "تريستان وإيسولد"، "فينوس وأدونيس"، و "غريسيلدا الصبور". إن هذا المقطع الدسم أدبياً يتطلب معرفة بالأعمال الأدبية المذكورة وقصصها ولكن ليس إلّا، فهدف الاستخدام والكيفية لا يقلان أهمية عن القصص المأساوية لهؤلاء الأبطال. فعلى الرغم

من المساعدة التي تلقاها القارئ من الهوامش، إلا أنَّ النص العربي لم يتمكن من إظهار فكرة المقطع وهي الاعتماد على هذه الشخصيات للتعبير عما يجول بخاطر البطلين كما أن أسلوب السرد الماورائي لم يستغل كما ينبغي في النص العربي. يتبادل روبي ويسييليا الرسائل وفيها يتحدثان عن الشعر والأدب، لأن فرصة اللقاء والحديث وجهاً لوجه لم تكن ممكنة، وهذا هو المقصود بـ "never met to discuss"، وليس لقاء الشخصيات الروائية. واستعمل روبي "referred to" في إحدى رسائله لوصف حالته وليس للتذكّر كما جاء في الترجمة. ومع كل الهوامش التي أضافها المترجم إلا أنه لم يُخبر القارئ عن الإله الإغريقي "بروميثيوس" الذي يشبه روبي حاله به، ولكن مع وجود الأسطورة المرتبطة بهذا الإله في النص، فإنَّ القارئ يستطيع فهم المعنى حتى ولو لم تكن له معرفة بالإله المذكور. ومن خلال الرسائل أيضاً شبّهت سيسييليا حالها بحال غريسيلدا الصبور. يختلف الخطاب في الترجمة عن خطاب النص الأصلي من حيث القدرة على مزج أحداث الرواية بشخصيات من أعمال مختلفة وجعلها جزءاً من القصة. فالترجمة لم تتمكن من محاكاة الأسلوب حتّى تظهر الفكرة للقارئ بالشكل الصحيح.

2.2.3.4. نماذج عن ترجمة المحتوى المتعلق بالآراء الفكرية والإيديولوجيا

سنقوم في هذا الجزء من الدراسة التحليلية بعرض نماذج ترجمة ترتبط بموضوع الآراء الفكرية

والإيديولوجيا. وقد تمّ جمع الأمثلة في الجدول أدناه.

النص الأصل	الترجمة العربية
1. the study of English literature seemed in retrospect an absorbing parlor game , and reading books and having opinions about them, the desirable adjunct to a civilized existence . But it was not the core , whatever Dr. Leavis said in his lectures. It was not	دراسة الأدب الإنكليزي، استبطاناً، لعبة في ردهة تستحوذ على الانتباه كلّها، وأن قراءة الكتب وتكوين الأفكار عنها إنّما هي مساعدة مطلوبة من أجل حياة متمدنة. لكنّ هذا ليس لبّ القضية، بصرف النظر عما قاله دكتور ليفز في محاضراته وليس هو الكهانة الضرورية، ولا أشدّ المساعي حيوية في عقل يُثير أسئلة، ولا أوّل أو

آخر دفاع ضد حشود متوحشة، قدر ما هو دراسة اللوحة أو الموسيقى أو التاريخ أو العلوم. (الكفارة، 139)	the necessary priesthood, nor the most vital pursuit of an inquiring mind, nor the first and last defense against a barbarian horde, any more than the study of painting or music, history or science. (Atonement, 91)
فالفرنسيون الذين التقاهم كانوا إما كريمين أو مستغرقين في أحزانهم وشقائهم. كانت المرأة ضعيفة ولكنها نشطة، لها وجه نكد الملامح ونظرة حرون. (الكفارة، 268)	2. The French he had met were generous, or otherwise lost to their own miseries. The woman was frail and energetic. She had a gnarled, man-in-the-moon face and a wild look. (Atonement, 195)
الجيش البريطاني في شمالي فرنسا "يقوم بانسحابات استراتيجية نحو مواقع اعدت سلفاً". وفهمت بريوني، وهي التي لا تفقه شيئاً في الاستراتيجية العسكرية أو التقاليد الصحافية، ما تنطوي عليه كلمة انسحابات. (الكفارة، 377)	3. The British army in northern France was "making strategic withdrawals to previously prepared positions." Even she, who knew nothing of military strategy or journalistic convention, understood a euphemism for retreat. (Atonement, 284)
لكن ذلك كان قبل أن يكف عن الحديث بالإنجليزية لأنها لا مستقبل لها (محبوبة، 61)	4. But that was before he stopped speaking English because there was no future in it. (Beloved, 30)
لو أنها انتظرت قليلاً لرأت نهاية الحرب ونتائجها القصيرة الزاهية (محبوبة، 292)	5. Had she waited just a little she would have seen the end of the War, its short, flashy results. (Beloved, 201)

الجدول 36/4: نماذج عن ترجمة المحتوى المتعلق بالآراء الفكرية والإيديولوجيا

لقد دمّرت الترجمة في المثال (1) خطاب النص الأصلي باعتمادها على النقل الحرفي لنص فيه الكثير من العبارات المجازية. يتذكر روبي قراراً سابقاً له بدراسة الأدب الإنجليزي ويلاحظ أنّ نظرتة لهذا الحقل المعرفي قد تغيرت. ولفظ "استبطان" يعني طلب بواطن الأمر (معجم المعاني الجامع)، وهذا مختلف عن "in retrospect" والذي يعني الرجوع إلى الماضي وتأمله (Cambridge)، ولكن حتى مع

الفرق في المعنى يمكن فهم قرار المترجم، كما أنّ اللفظ العربي يشير بشكل ما للمعنى الأصلي. المشكلة الحقيقية هي في ترجمة عبارة "absorbing parlor game" بـ "لعبة في ردهة تستحوذ على الانتباه كلّها"، وهي ترجمة قد لا تكون نقلت المعنى، كما أنّ تركيب الجملة ليس سليماً تماماً. فالمقصود بـ "parlor game" في المثال "لعبة الكلمات" (Collins)، وربما يقصد الكاتب أنّ الأدب ما هو إلاّ استنزاف للذهن باللّعب بالكلمات. كما تعني عبارة "desirable adjunct to a civilized existence" أنّ المعرفة بالأدب تساعد على الانخراط بشكل أفضل في الحياة الاجتماعية الإنجليزية القائمة على المظاهر. والجملة "مساعدة مطلوبة لحياة متمدنة" ليست واضحة بما يكفي، ولا يمكن التكهن بنوع الرسالة التي يمكن تلقيها من هذه العبارة. ويجب التنبيه إلى أنّ المثال من أوله إلى آخره يدور حول الأدب الإنجليزي، والذي يحيل إليه الكاتب بالضمير "it". فالعبارة "but it was not the core, whatever Dr Leavis said in his lecture" تعني أنّ الأدب ليس أهم مجالات العلوم، وهذا بغض النظر عما يعتقده الأستاذ والناقد الأدبي د. ليفز. ولم توضح الترجمة هذا المعنى، بل زادت من صعوبة التلقي، خاصة وأنّ المترجم ربطها بالعبارة التي تليها وجعل الأستاذ وليس الأدب هو المقصود بـ "necessary priesthood"، وهذا غير دقيق أيضاً. فالعبارة الأخيرة تأتي ضمن جملة طويلة يحاول فيها روبي أن يُظهر للقارئ أنّ الأدب ليس بالقداسة التي كان يتصورها في الماضي، وتعني ببساطة أن الأدب ليس المرجعية الضرورية التي يجب على الشخص أن يحوزها. وهو ما ينسجم مع العبارة الموالية "the most vital pursuit of an inquiring mind"، أو الهدف الأسمى الذي ينبغي للعقل الباحث السعي وراءه، وهذا المعنى أيضاً غير ظاهر في الترجمة. وبينما يشرح روبي في نهاية العبارة بأنّه اليوم يرى الأدب مثله مثل حقول المعرفة الأخرى ولا شيء يميّزه عنها، نجد أنّ النص العربي لا يعبر عن هذه الفكرة بشكل مفهوم للقارئ. مع كلّ مشاكل الترجمة التي تمّ رصدها، من البديهي أنّ يكون الخطاب الأصلي قد تأثر سلباً بمختلف قرارات المترجم.

يتناول المثال (2) وصف الفرنسيين من وجهة نظر روبي، فهو كان قد سمع الكثير عن الذين استغلوا حالة الحرب وراحوا يبيعون حتى الماء للجنود البريطانيين. لكنه لم يلتق فرنسيين بهذه الأخلاق، فمن التقاهم كانوا إما كرماء أو تعساء. والملاحظ أن المترجم نقل حرفياً الجزء الأول من المثال، واعتمد في الجزء الثاني على نقل المعنى بما يتناسب مع طبيعة اللغة العربية من صيغ وعبارات. وفي الحالتين وُفقت الترجمة في نقل الخطاب الأصلي، مع بعض التغييرات التي لم يكن لها في رأينا تأثير كبير على طبيعة الخطاب المنقول. فمثلاً اختار المترجم عبارة "نكد الملامح" لترجمة "gnarled"، وهذا صحيح فالوجه المليء بالتجاعيد يبدو حزيناً وغاضب. ومع أن العبارة الاصطلاحية "man in the moon face"، والتي تعني الوجه الذي قد يتراءى للمرء عندما ينظر للقمر بسبب تضاريسه وانعكاس الضوء عليها (Collins)، قد تم حذفها في الترجمة إلا أن المعنى لم يتضرر كثيراً لأن عبارة "نكد الملامح" تشير إلى هذا المعنى أيضاً. ولم ينقل المترجم "wild look" بـ "النظرة المتوحشة" ولكنه اختار المكافئ "نظرة حرون" والذي ينقل ربما المعنى بشكل أفضل. وبالمجمل، يمكن القول بأن الترجمة حافظت على الخطاب الأصلي وسمحت للقارئ بتلقي رسالة الكاتب بكل سلاسة.

يتعرض المثال (3) لفكرة الخطاب الصحفي، والذي تُختار كلماته بعناية لإيصال هذه الفكرة أو تلك للقراء. فيورد العنوان المذكور خبراً عن انسحاب الجيش، ويصفه بالاستراتيجي حتى لا يعطي للقارئ انطباع بأن جيشه في حالة تقهقر وانهزام. ويُقرأ الخبر من وجهة نظر بريوني والتي انتبعت إلى أن خطاباً ما في العنوان على الرغم من قلة خبرتها بعالمي السياسة والصحافة. ومشكلة الترجمة العربية الوحيدة تتعلق بمصطلح "euphemism"، وهو مصطلح بلاغي يُراد به استخدام لفظ أو عبارة للتعبير بطريقة غير مباشرة عن أشياء بغیضة أو غير مقبولة اجتماعياً أو أخلاقياً (OLD) بغرض التلطيف. والترجمة "تنطوي" صحيحة لأنها تعني "تتضمن" ولكنها ليست مصطلحاً بلاغياً. فالقارئ لن يتمكن من تلقي الفكرة من منظور بريوني الكاتبة والتي تستعمل مصطلحات الكتابة للتعبير عن رؤيتها لما يحيط بها. كما يجب

التنبّه إلى أنّ النص الإنجليزي استخدم لفظين مختلفين هما "withdrawl" و "retreat"، ويحيل الأول إلى أنّ الانسحاب اختياري، بينما يستخدم الثاني للإشارة إلى الانسحاب المفروض عليك بسبب تقدم العدو مثلاً (Merriam Webster). ولا يظهر هذا التنوع اللفظي في الترجمة، كما لا يوضح للقارئ فكرة تلطيف المعنى التي يقوم عليها المثال، فالمترجم استعمل في الحالتين لفظ "انسحاب"، وربما يكون مصطلح "تراجع" أنسب للاحتفاظ بشيء من الفكرة في الترجمة. ما يمكن استخلاصه هو أنّ الترجمة وإن كانت إجمالاً تعكس فكرة النص الأصلي فإنّها لم تأخذ بعين الاعتبار ترجمة الألفاظ المفاتيح في المثال ترجمة دقيقة وهي الألفاظ التي تحدد طبيعة الخطاب، ما جعل الأخير يتأثر سلباً بقرارات المترجم.

يصف المثال (4) قرار سيكسو، أحد رجال سويت هوم، بالتوقف عن تعلّم اللّغة الإنجليزية لأنّه اقتنع بأن لا فائدة تُرجى من ذلك. فمن قبل كان قرار تعلّم اللّغة محاولة للانخراط بشكل أفضل في مجتمع يحكمه البيض والفوز برضاهم، لكنّ سيكسو أدرك أنّ هذه المؤسسة القائمة على العنف لن تغير أبداً نظرتها إلى السود، وهو ما جعله يتوقف عن محاولات جعل الأبيض يراه أو يتقبله وهو ما يرمز إليه العدول عن فكرة التعلّم (Dzregah, 2013, 494). اعتمد المترجم على ترجمة حرفية كانت لتكون مقبولة لو أنّه استعمل شكل الإحالة الصحيح. ففي "there was no future in it"، يقصد سيكسو أن لا مستقبل له هو حتّى وإن تعلّم اللّغة الإنجليزية. ولا يسمح استعمال المترجم لـ "لأنّها لا مستقبل لها" بهذه القراءة، بل إنّه يعطي انطباعاً بأنّ اللّغة هي التي لا مستقبل لها. وقد أدّى هذا الخطأ البسيط إلى تغيير في الرسالة الأصلية للنص ومنح القارئ فهماً لا يتفق مع المعنى الأصلي. وفي المثال (5) والأخير، يتعرض النص لخيبة الأمل التي تعرّض لها السود بعد نهاية الحرب، مع إدراكهم بأنّ أحلامهم بشأن الحرية مازالت بعيدة المنال. ففي طريق دفن بيبي سجز، يتمنى ستامب بيد لو أنّها لم ترحل بهذه السرعة وانتظرت قليلاً لتشهد على فرحة السود الآنية بنهاية الحرب. ونقل المترجم النص حرفياً، ولم يتأثر الخطاب سلباً بهذا الخيار،

بل على العكس، نجد أنّ قارئ النص العربي تلقى نفس الرسالة، وبإمكانه من خلال الترجمة التفاعل مع المعنى والإحساس بالمرارة والحسرة شأنه شأن قارئ النص الأصلي.

إنّ ما يمكن استخلاصه من هذه المجموعة من الأمثلة هو أنّ الترجمة غير الدقيقة قد تؤدي إلى طمس تام للرسالة الأصلية في النص المترجم. كما أنّ عدم انتباه المترجم للكلمات المفاتيح في الخطاب والتعامل معها دون أي خصوصية يجعل الترجمة قادرة على نقل المعنى دون أن تنقل النبوة والأداة. ويجني المترجم عموماً نتائج إيجابية حين يعتمد على الترجمة الحرفية، والتي كثيراً ما تسمح بحصول القارئ على نفس رسالة النص الأصلي.

3.2.3.4. نماذج عن ترجمة المحتوى المتعلق بإبراز للآخر

نحاول من خلال تحليل المجموعة الموالية من الأمثلة الوقوف على مدى نجاح الترجمة في إبراز الآخر. وقمنا بجمع النماذج في الجدول أدناه.

الترجمة العربية	النص الأصل
ولكن كم يبدو هذا القرب مصطنعاً الآن وهما يتجاذبان أطراف الحديث العابر وتبادل الأسئلة والأجوبة على نحو مؤدب (الكفارة، 282-283)	1. but how artificial that closeness seemed now as they embarked on their small talk , their helpless catechism of polite query and response . (<i>Atonement</i> , 205)
لأن للجيش أساليبه الحديثة وان ذلك الجيش انتهج التحديث فيما بقي جيشنا على حاله لم يتغير. كان ينبغي على الجنرالات أن يقرأوا كتاب ليدل هارت، أو أن يأتوا إلى منزل حمال المستشفى ويستمعوا بكل وضوح له أثناء استراحة الشاي (الكفارة، 382)	2. They had the new tactics and we didn't, they had modernized, and we had not. The generals should have read Liddell Hart's book , or have come to the hospital porter's lodge and listened carefully during tea break . (<i>Atonement</i> , 288)
	3. To a place he knew. A deserted stone structure that Redmen used way back

إلى مكان بغرفة بناء حجري مهجور، كان الهنود الحمر يستخدمونه في سالف الأزمان عندما كانوا يظنون أن الأرض أرضهم (محبوبة، 59-60) كان بنسان وإهانة شينا ينفق عن طيب خاطر إذا كان يعنى رؤية مشهد البيض وهم يجعلون من أنفسهم فرجة. ولذا، فعلى الرغم من أن الكرنفال كان أقل بكثير من متوسط (وهو سبب موافقته على تخصيص يوم خميس للملونين) إلا أنه كان يعطي الأربعمئة زنجي من جمهوره إثارة بعد إثارة بعد إثارة. (محبوبة، 100) خطوة واحدة خارج تلك الأرض ليصبحوا منتهكي أراضي بين الجنس البشري. كلاب حراسة بلا أسنان، ثيران مخصية بلا قرون، جياذ جر مخصية لا يمكن ترجمة صهيلها إلى لغة يتكلمها بشر مسؤولون (محبوبة، 226) وهو في عام 1874 وكانت جماهير البيض مايزالون طلقاء من قيود الأخلاق والنظام. مدن بأسرها محي منها الزوج، سبع وثمانون عملية إعدام بدون محاكمة قانونية في عام واحد فقط في كنتاكي؛ إحراق أربع مدارس للملونين وإبادتها من الوجود؛ رجال ناضجون يجلدون كأنهم أطفال؟ وأطفال يجلدون كأنهم ناضجون، النساء الزنجيات يغتصبهن البحارة، الممتلكات يستولى عليها، والرقاب تكسر (محبوبة، 307)	when they thought the land was theirs (<i>Beloved</i>, 29) 4. Two pennies and an insult were well spent if it meant seeing the spectacle of whitefolks making a spectacle of themselves. So, although the carnival was a lot less than mediocre (which is why it agreed to a Colored Thursday), it gave the four hundred black people in its audience thrill upon thrill upon thrill. (<i>Beloved</i>, 58) 5. One step off that ground and they were trespassers among the human race. Watchdogs without teeth; steer bulls without horns; gelded workhorses whose neigh and whinny could not be translated into a language responsible humans spoke. (<i>Beloved</i>, 148) 6. And him. Eighteen seventy-four and whitefolks were still on the loose. Whole towns wiped clean of Negroes; eighty-seven lynchings in one year alone in Kentucky; four colored schools burned to the ground; grown men whipped like children; children whipped like adults; black women raped by the crew; property taken, necks broken. (<i>Beloved</i>, 212)

الجدول 37/4: نماذج عن ترجمة المحتوى المتعلق بإبراز الآخر

يعكس المثال (1) بعضاً من العادات البريطانية في الحديث، وصحيح أن هذه العادات موجودة في أنحاء مختلف من العالم، ولكنّها في المثال مرتبطة بالثقافة البريطانية والتي تولي أهمية بالغة لطريقة الحديث واللغة المستعملة. في المثال يلتقي روبي ويسييليا بعد طول غياب، فيعكس شكل الحديث حالة التوتر الموجودة. من جهة يحاول الطرفان إخفاء التوتر باللجوء إلى ما يسمى "small talk"، وهو نوع من أحاديث المجاملة في المناسبات العامة وتتسم عادة بالسطحية (Collins). والترجمة العربية "حديث عابر" تنقل هذا المعنى لكنّها لا تبرز ارتباط هذا النوع من الأحاديث بالمناسبات الاجتماعية، ويجب التنبيه إلى أنّ هذه المناسبات هي جزء لا يتجزأ من الهوية والحياة الاجتماعية الإنجليزية. وتنطبق نفس الملاحظة على "polite query and response"، والتي تشير إلى نمط الحديث القائم على الأسئلة والأجوبة (Collins)، وإضافة "catechism" تعطي هذا الحديث طابعاً رسمياً وتنفي عنه صفة العفوية، كما أنّ المصطلح يستعمل أساساً في إطار التعليم الديني (Merriam Webster). واستعمال "تبادل الأسئلة والأجوبة على نحو مؤدب" ينقل المعنى لكنّه لا يعطي القارئ الانطباع بأنّ للأمر علاقة بأيّ خصوصية ثقافية. فمشكلة الترجمة في هذا المثال ليست في نقل المعنى ولكن في جعل القارئ يعي بأنّ أساليب الحديث المذكورة مرتبطة بالحياة الاجتماعية الإنجليزية، وفي هذا نوع من الإسقاط على الذات وتجاهل لاختلاف الآخر.

يركز المثال (2) على أسباب فشل الجيش البريطاني وتفوق نظيره الألماني، والتي يرجعها الكاتب إلى فشل الجيش في الاستماع إلى الآراء القيمة الموجودة أمامه سواء من أكثر الأشخاص تخصصاً في الاستراتيجية الحربية مثل ليدل هارت أو الأشخاص الأقل خبرة مثل الحمّالين، حتّى أنّ الكثيرين يرون أنّ أحد أسباب التفوق الألماني في الحرب العالمية الثانية هو تطبيقه للاستراتيجيات التي يذكرها الضابط البريطاني ليدل هارت في مؤلفاته (Encyclopedia Britannica). والملاحظ أنّ الترجمة لا توجد بها مشاكل بالمعنى المعروف، ولكنّ الخطاب ليس واضح بما يكفي فيما يتعلق بالصراع وانتقاد الجيش،

خاصة وأن المترجم لم يرفق المثال بهامش يساعد القارئ على فهم السياق. فالنص العربي لا يبرز أسباب امتعاض الكثير من البريطانيين من أداء جيشهم، كما أن عدم المعرفة بالضابط المذكور وآرائه تلمس جانباً من المعنى. لم تحاول الترجمة في هذا المثال التعميم وإنكار اختلاف الآخر، لكنّها مع ذلك أخفت على القارئ شيئاً من الغيرية بترك معلومات ضرورية لفهم الفكرة دون توضيح. أما المثال (3) فيعكس إحساس التضامن والإشفاق الذي يحمله السود للهنود الحمر، السكان الأصليين لأمريكا، بعدما استولى عليها المستعمرون الأوروبيون. إذ يذهب سيكسو إلى مكان كان في الأصل مأهولاً بالهنود الذين يصفهم بـ "Redmen"، فيما استعملت الترجمة المقابل العربي الدارج "الهنود الحمر". وهذه الترجمة الصحيحة لا تظهر طريقة تعبير السود عن غيرهم، فهم يشيرون إلى السكان الأصليين بطرق مختلفة: "redmen"، "hillmen"، بينما تميل الترجمة إلى التعميم، فالمصطلح العربي لا خصوصية فيه مقارنة بالألفاظ الإنجليزية، وهو ما يطمس هوية السود ويُخفي طابعهم الخاص في التعبير. ونعتقد أن الترجمة الحرفية في هذه الحال، "الرجال الحمر" أنسب، لأنها تنقل رؤية السود بشكل أدق.

يتناول المثال (4) فكرة بغض السود للبيض بصورة مثيرة للاهتمام. فمشاهدة البيض في عروضهم وهم يجعلون من أنفسهم أضحوكة، ويعطون السود فرصة نادرة للضحك عليهم دون أن يكون لذلك عواقب، هو أمرٌ يبعث الرضى في النفس. ونقل النص العربي هذه الفكرة، فالقارئ يمكنه أن يستشف طبيعة المشاعر التي يكنّها السود للبيض، حتى وإن لم يأخذ بعين الاعتبار خصوصية الأسلوب في تكرار لفظ "spectacle". والاحتفاظ بفكرة الصراع ووضوح موقف أحد الفريقين من الآخر في الترجمة يعني نجاحاً في الإبقاء على الاختلاف الموجود في النص الأصلي دون محاولة التأثير عليها سلباً أو إيجاباً. وتختلف الأمور نسبياً في المثال (5) والذي يتناول فكرة تجريد السود من إنسانيتهم. ففي وجود السيد جازنر، كان رجال سويت هوم من العبيد ينظرون لأنفسهم بنوع من التقدير بسبب معاملة السيد جازنر الجيدة لهم. لكن هذه النظرة تغيرت بقدوم المدرّس، والذي أعادهم إلى مكانهم الطبيعي، مخلوقات

لا ترقى لمستوى البشر. وترجمة العبارة "trespassers among the human race" بـ "منتهكي أراضي بين الجنس البشري" لا توضح فكرة نفي صفة الإنسانية عن السود، وكان من الأبسط القول "ليكونوا دخلاء على جنس البشر". وللتأكيد على هذا المعنى، تُتبع العبارة بأدلة عن لا إنسانية السود، فهم مجرد حيوانات في خدمة السيد الأبيض، ولا أدلّ على ذلك من اللغة التي يتكلمونها، مجرد أصوات غير مفهومة. وأوضحت الترجمة الحرفية هذه الفكرة، لكنّها لم تأت بقوة النص الأصلي، فمن الممكن فهم الفكرة الأهم وهي تجريد السود من إنسانيتهم، لكن دون أن يصل للقارئ الإحساس القوي الموجود في الخطاب الأصلي. يمكن القول بأنّ الترجمة سمحت بإظهار للآخر على استحياء، فعمق الوصف لا يبرز في النص العربي. ودائماً في نفس الإطار، يسلط المثال (7) والأخير الضوء على جانب آخر من الظلم الذي تجرّعه السود على أيدي البيض، وكيف كانت هذه الجرائم والفظائع تمر دون حساب. أضاف المترجم عند نقل العبارة "were still on the loose" توضيحاً لنوعية الحرية المقصودة، "طلاقاً من قيود الأخلاق والنظام" وهو ما يضع القارئ في الإطار الصحيح للمعنى. وساعدت الترجمة الحرفية في نقل الصورة التي رسمتها موريسون في نصّها الأصلي بوضوح، في العموم كانت الترجمة موفقة في إبراز الأسود بوصفه ضحية، وفي إبراز الأبيض المعتدي كما صوّرها النص الأصلي.

تُظهر الأمثلة المحلّة أنّ الترجمة قد تتسبب في طمس الاختلاف وغيرية الآخر حين لا تنتبه لخصوصية استعمال بعض الألفاظ أو حين لا تعطي القارئ الشرح الكافي ليفهم ماهية الاختلاف المقصود. في معظم الحالات يكون خيار الترجمة الحرفية في صالح إبراز هذا التباين في النص العربي.

خلاصة

لقد قمنا في هذا الفصل التطبيقي بتحليل مختلف طرق عمل أساليب الإيضاح والتضمنين في الترجمة من الإنجليزية إلى العربية في ضوء المقاربات الثقافية للترجمة. وتشير نتائج التحليل إلى ميل مقدمات المترجمين لإبراز سياق النص الأصلي بما يساعد القارئ على تلقي النص دون أي محاولة لتوجيه فهم القارئ نحو تأويل معين. لم يشارك المترجمين أي معلومات عن الصعوبات التي واجهاها ولا القرارات المهمة التي كان يتوجب أخذها بخصوص الترجمة، وهو ما حرم المهتمين من فهم المترجمين أكثر واستقراء طبيعة مقاربتهم الترجمة. كما لاحظنا تبايناً في أسلوب المترجمين كان له أثره الواضح على مدى نجاح أو فشل التفاعل الثقافي. فمترجم *Atonement* استعمل عدداً كبيراً من الهوامش، عززت في الكثير من الحالات تواصل القارئ مع الثقافة الأصلية. أما مترجم *Beloved* فلم يلجأ إلى الهوامش أبداً، وهو ما صعب المهمة على القارئ في بعض الأحيان. في نفس الوقت رصدنا عدد غير قليل من أخطاء الترجمة في النص الأول، أدت إلى لبس الفهم على القارئ وتقويض تلقي النص الأصلي. فيما كان اعتماد مترجم النص الثاني على الترجمة الحرفية بشكل لافت سبباً في الاحتفاظ بالكثير من ملامح النص الأصلي. كما يرتبط نجاح التفاعل الثقافي بطبيعة المحتوى المنقول، فحظوظ القارئ في فهم بعض المعلومات الدينية أقل من حظوظه في فهم المعلومات الخاصة بالأسلحة. أما فيما يتعلق بالخطاب، فهو الآخر يتأثر بالترجمة التي قد تغير معنى الرسالة الأصلية. وأخيراً، وجدنا أن إبراز الآخر يتأثر بشكل محدود بالترجمة التي قليلاً ما تحاول فهمه عبر الذات.

خلاصة الدراسة التطبيقية

خلاصة الدراسة التطبيقية: تحليل نتائج الدراسة ومقارنتها

لقد قمنا في هذه الدراسة بتحليل 174 مثال من المدونة العربية/الإنجليزية و216 مثال

من المدونة الإنجليزية/العربية، إضافة إلى عتبات النصوص من مقدمات وعناوين وأغلفة. وقد تعمدنا

تسليط الضوء على أكبر عدد ممكن من الجوانب الثقافية الموجودة في النصوص بغرض إعطاء نتائج

الدراسة مصداقية أكبر وكذا تأكيد اتساع مفهوم الثقافة وصعوبة الإحاطة به في دراسة واحدة. وتظهر

الجدول الموالية بعض النتائج الإحصائية التي تمّ التوصل إليها في الدراسة التحليلية وتكون متبوعة

بتحليل لنتائج الدراسة ومقارنتها.

رقم الجدول	الموضوع	عدد الأمثلة الكلي	تأثر إبراز الملامح الثقافية للنص الأصلي إيجاباً باستراتيجيات الإيضاح والتضمين	تأثر إبراز الملامح الثقافية للنص الأصلي سلباً باستراتيجيات الإيضاح والتضمين
3/3 - 1/3	الأطعمة	21	4 (%19.05)	17 (%80.95)
4/3	الأواني والأثاث	6	0 (%0)	6 (%100)
6/3 - 5/3	الأزياء والمظهر	17	3 (%17.65)	14 (%82.35)
7/3	أسماء الأماكن	9	2 (%22.22)	7 (%77.77)
8/3	أسماء متنوعة	10	1 (%10)	9 (%90)
-9/3 16/3	المحتوى الديني	41	7 (%17.07)	34 (%82.92)
-17/3 21/3	خصوصية اللغة	25	5 (%20)	20 (%80)

22/3-	خصوصية الأسلوب	19	2	17
24/3			(%10.52)	(%89.47)
25/3-	السياق التاريخي والسياسي	11	3	7
27/3			(%27.27)	(%72.72)
28/3	الآراء والإيديولوجيا	5	2	3
			(%40)	(%60)
29/3-	إبراز الآخر	10	2	8
30/3			(%20)	(%80)

الجدول أ: تأثير إبراز الملامح الثقافية في المدونة العربية/الإنجليزية باستراتيجيات الإيضاح والتضمين

تُظهر نتائج الجدول. "أ" أن أساليب الإيضاح والتضمين في الترجمة من العربية إلى الإنجليزية

لها في الغالب أثر سلبي على إبراز الملامح الثقافية لنصوص المدونة العربية المترجمة إلى الإنجليزية.

رقم الجدول	الموضوع	عدد الأمثلة الكلي	تأثير إبراز الملامح الثقافية للنص الأصلي إيجاباً باستراتيجيات الإيضاح والتضمين	تأثير إبراز الملامح الثقافية للنص الأصلي سلباً باستراتيجيات الإيضاح والتضمين
3/4 - 1/4	الأطعمة	20	7	13
			(%35)	(%65)
5/4 - 4/4	الأثاث والّلوازم المنزلية	13	2	11
			(%15.38)	(%84.62)
8/4 - 6/4	الأزياء والمظهر	16	6	10
			(%37.50)	(%62.50)
-9/4 10/4	أسماء الأماكن ومصطلحات العمران	16	6	10
			(%37.50)	(%62.50)

11/4	المصطلحات الفنية	7	2	5
			(%28.57)	(%71.42)
-12/4	المصطلحات الموسيقية	11	1	10
14/4			%9.09	%90.90
-15/4	النباتات والحيوانات	19	5	14
17/4			(%26.31)	(%73.68)
-18/4	المحتوى التاريخي	40	16	24
25/4			(%40)	(%60)
-26/4	خصوصية اللغة	33	8	25
29/3			(%24.24)	(%75.75)
-30/4	خصوصية الأسلوب	16	2	14
32/4			(%12.50)	(%87.50)
-33/4	السياق التاريخي والسياسي	14	4	10
35/4			(%28.57)	(%71.42)
36/4	الأراء والإيديولوجيا	5	2	3
			(%40)	(%60)
37/4	إبراز الآخر	6	3	3
			(%50)	(%50)

الجدول ب: تأثير إبراز الملامح الثقافية في المدونة الإنجليزية/العربية باستراتيجيات الإيضاح والتضمن

تُظهر نتائج الجدول. "ب" أنّ أساليب الإيضاح والتضمن في الترجمة من الإنجليزية إلى العربية

لها في الغالب أثر سلبي على إبراز الملامح الثقافية لنصوص المدونة الإنجليزية المترجمة إلى العربية.

لكنّ هذا الأثر أقل نسبياً من الأثر الذي تمّ رصده في النصوص المترجمة من العربية إلى الإنجليزية

(الجدول "أ"). وتجدر الإشارة إلى أنّ هذه النسب كثيراً ما تكون تقريبية نظراً لتداخل عدد من الأساليب

في ترجمة المثال الواحد، وكذا حدوث إبراز للثقافة من جهة وإخفاء من جهة مختلفة في نفس المثال

أحياناً. ولمزيد من التعمق في نتائج الدراسة التحليلية ومقارنتها سنحاول فيما يلي تناول العناصر المحلّة، كل عنصر على حدة وإبداء الملاحظات حولها بشكل منفرد.

عتبات النص

المقدمات

بشكل عام، تشترك كلّ مقدمات المدوّنة في أنّها تعمل على تعريف القارئ بسياق النصوص الأصلية. فقد لاحظنا أنّه بغض النظر عن اتجاه الترجمة فإنّ المقدمات، إن وجدت، تضع التعريف بالكاتب والرواية والسياق أولوية. كما أظهرت نتائج التحليل أنّ ما تختلف فيه مقدمات الترجمات هو طبيعة السياق الذي تختار تسليط الضوء عليه. ففي المدونة العربية/الإنجليزية والتي حوت سبعة أمثلة عن المقدمات، وجدنا أنّ ما يضمن مدّاً لجسور التواصل بين القارئ والثقافة الأصلية هو تقديم الأخيرة بشكل عام دون الدخول في التفاصيل التي قد يكون حولها جدل، فالتركيز على نوعية المعلومات المُقدّمة للقارئ وتعريفه على السياق الأصلي دون محاولة إقناعه بصحة هذا الموقف أو ذاك هو ما قد يضمن نقل صورة أكثر واقعية ويساهم في معرفة الآخر وفهمه دون قولبة أو تنميط.

كما توصّلنا بعد الدراسة التحليلية إلى أنّ خطاب المقدمات في المدونة العربية/الإنجليزية جاء في كثير من الأحيان متسقاً مع السردية الغربية التي لا تنتظر إلى الآخر على نحو إيجابي إلا إذا قدّم فروض الولاء والطاعة وأظهر خضوعاً تاماً للرؤية التي تمجّد الغرب وقيمه. بالمقابل لم نلاحظ ميل المقدمات في المدونة الإنجليزية/العربية لهذا النوع من الخطاب، على الرغم من الاطّلاع على عدد كبير من الترجمات إلى اللّغة العربية بغية الحصول على فكرة أوسع حول طبيعة الخطاب الموجود في هذا النوع من النصوص. فقد كان تركيز المترجمين في المقدمات منصّباً على توضيح السياق الثقافي بشكل تعليمي يتسق مع الخلفية الأكاديمية للمترجمين اللّذين اشتغلا بالتدريس.

كما خلصت الدراسة إلى أنّ مقدمات المدونة العربية/الإنجليزية أكثر تنوعاً من نظيرتها الإنجليزية العربية من حيث المحتوى والتأليف، فقد احتوت الأولى على مقدمات لنقاد أدبيين إضافة إلى مقدمات المترجمين، فيما تضمنت الأخيرة مقدمات للمترجمين فحسب. لكننا وجدنا أنّ الترجمات العربية أيضاً قد تحوي مقدمات لغير المترجمين، لكن في حالات قليلة جداً. وعموماً يكون هدف المقدمات بغير أقلام المترجمين مختلف ومرتبطة بالضرورة بشخص المؤلف، وهو النوع الذي يقل فيه التركيز على إظهار الثقافة الأصلية، وتزيد فيه محاولات تمرير الرسائل والتعبير عن آراء ومواقف فكرية وسياسية. بشكل عام وجدنا أنّ المقدمات كلّها تعمل على توضيح السياق الأصلي وتحاول تزويد القارئ بمعلومات قد تعينه في فهم النص. لكنّ ما يحدّد طبيعة الصورة المنقولة وقربها أو بعدها عن الواقع هو نوعية الخطاب ولغته، وهو ما يفسر في نظرنا نجاعة النقل الثقافي في بعض المقدمات، وفشله في البعض الآخر.

إنّ أهم ما يميّز المقدمات الإنجليزية عن نظيرتها العربية هو تسليطها الضوء على عمل المترجم وصعوبات الترجمة. فقد استفدنا كثيراً من ملاحظة وإيماننا في آخر مقدمته عن أسلوب الترجمة الأنجع. كما أجابت مقدمة كينيث كراغ على الكثير من الأسئلة حول قراراته الترجمة، سواء تعلق الأمر بالعنوان أو بأسلوب النص. وغياب هذا المحتوى عن الترجمات العربية ترك الكثير من الأسئلة دون إجابة، فقد ركّز كلّ من المترجمين على خصوصية اللغة والأسلوب في النصين الروائيين اللذين تصدّيا لترجمتهما دون أيّ إشارة لما قد يكونا واجهاه من صعوبات ولا تفسير لما قد يكونا قد اتخذاه من قرارات. وغياب هذا النوع من المحتوى لا يخفي على القارئ الجانب المتعلق بأسلوب المترجم فحسب، ولكن أيضاً شخصيته وتكوينه الفكري وفهمه الخاص للترجمة.

العناوين والأغلفة

اعتمدت كل نصوص المدونة تقريباً ترجمة حرفية للعناوين، ويستثنى من ذلك أجزاء "الأيام" الثلاثة. وقد خالصنا بعد الدراسة التحليلية إلى أنّ خيار النقل الحرفي قد يطمس بعض المعاني المرتبطة بالثقافة الأصلية، كما أنّ تغيير العنوان بما يتناسب مع محتوى النص له أيضاً تداعياته على السياق الأصلي. وتمكن بعض المترجمين من تعويض النقص الناجم عن النقل الحرفي بشرح مفصل للسياق الثقافي في المقدمة (مترجم "الزلال")، وهو ما ساعد القارئ على فهم العنوان بشكل أعمق. هذا وتسمح الترجمة الحرفية للعناوين بالإبقاء على نوع من الصلة بين النصين الأصلي والمترجم غير متوفرة عند تغيير العناوين.

فيما يتعلق بالأغلفة، لاحظنا أنّ النظرة الدونية للنصوص المترجمة مقارنة بالأصلية بارزة أكثر في الترجمات الإنجليزية، التي تميل إلى إخفاء حقيقة أنّ النص مترجم، بعدم الإشارة إلى ذلك، وبعدم وضع اسم المترجم على الغلاف مثلاً. لكن في حالة الترجمات العربية نجد أنّ طبيعة النص مُشار إليها من خلال تنبيه القارئ إلى أنّ الرواية من الأدب الأمريكي مثلاً. وقد تظهر أسماء المترجمين على الغلاف أو على صفحة العنوان الداخلية، لكنّها تكون دائماً أصغر بكثير من أسماء المؤلفين الأصليين، كما أنّ أسماء المترجمين العرب جاءت مع إضافة اللقب أو الدرجة العلمية "د"، وهو تقليد غير موجود لدى المترجمين الأجانب. كما لم تحتفظ أي ترجمة بغلاف النص الأصلي، وتفاوتت قدرة الأغلفة على إبراز شيء من السياق الأصلي، فمنها من نجح إلى حدّ كبير في محاكاة موضوع الرواية مثل "The Earthquake" و"محبوبة"، ومنها من فضّل التركيز على الجانب التجاري على غرار "الكفارة".

تحليل نصوص المدونة

التفاعل الثقافي

دلّت نتائج التحليل على أنّ إمكانية إبراز الخصوصية الغذائية في الترجمة يرتبط برؤية المترجم وأنّ الهوامش لا تكون دائماً مفيدة لأنها قد تحتوي معلومات غير دقيقة. لكن أخطاء الترجمة في المدونة الإنجليزية/العربية كانت سبباً إضافياً في تقليل حظوظ التفاعل الثقافي من هذا الجانب. أما فيما يتعلق بالألوان والأثاث فقد لاحظنا في كلا المدونتين ميل الترجمة إلى التعميم والإضافة، وهو ما أدّى إلى طمس تفاصيل الحياة اليومية للثقافات المختلفة في النصوص المترجمة. وزاد على ذلك في المدونة الإنجليزية/العربية نقص الدقة في معلومات الهوامش.

وبالنسبة للمظهر وجدت الدراسة أنّ طمس ملامح الثقافة الأصلية في المدونة العربية/الإنجليزية ينتج غالباً عن محاولات المترجمين لتقريب المفاهيم بإسقاطها على الذات مستعاضين عن غير المؤلف بالمألف. أما المدونة الإنجليزية/العربية فقد كان فيها الكثير من الحذف للتفاصيل المتعلقة باللباس، لكثرتها على الأغلب، في *Atonement* خاصة. كما لوحظ إهمال للجانب التاريخي للغة النصوص، إذ يعكس استعمال مصطلحات قديمة لم تعد دارجة الاستعمال اليوم رغبة في محاكاة الفترة الزمنية التي تدور فيها الأحداث. ولم تتمكن الترجمة من عكس هذا الملمح إطلاقاً في النص العربي. كما وجدت الدراسة أنّ الكثير من قرارات الترجمة بالتعميم أو الحذف كانت سبباً في حجب جانب من الحياة الاجتماعية البريطانية التي تولي أهمية لمظهر الفرد ونوعية الملابس التي يرتديها وتصنّفه وفقاً لذلك. وتؤكد الأمثلة المحلّة في المدونتين على وجود نوع من التعارض بين إبراز هذا الجانب من الثقافة ولجوء المترجم لأساليب الإيضاح المختلفة بغرض تسهيل معالجة النص على القارئ.

ونفس الأمر تمت ملاحظته على ترجمة المحتوى الخاص بالأماكن والعمران، ففي المدونة العربية/الإنجليزية كشف تحليل الأمثلة أنّ الترجمة كثيراً ما تطمس خصوصية الأماكن وبعدها التاريخي

في الترجمة. أما في المدونة الإنجليزية/العربية فقد أخفت الترجمة الكثير من التفاصيل الخاصة بالعمران الأوروبي والحياة العامة في بريطانيا قُبيل الحرب العالمية الثانية. كما كان لأخطاء الترجمة وأسلوب التعميم والحذف أثر واضح على نقل الكثير من خصوصيات الثقافتين الإنجليزية والأمريكية المرتبطة بالموسيقى والرسم وكذا أسماء الأزهار والحيوانات.

بالنسبة لنقل الخصوصية الدينية في المدونة العربية/الإنجليزية وجدت الدراسة أنَّ هناك نوع من الإسقاط على الذات في ترجمة أنواع الصلوات المختلفة والتميز بينها وبين الدعاء حجب عن القارئ تفاصيل عدّة حول تجلّي الجانب الديني في حياة الأفراد اليومية في الثقافة الأصلية. وطمست ترجمة الإحالات القرآنية اعتماداً على أسلوب الإيضاح في معظمها الرابط الموجود بين النص والنص القرآني وأوحت للقارئ بأنّ حالات الغضب قد تمّ التعبير عنها بالشكل المألوف دون أي نوع من التميّز في الأسلوب. وكان للإيضاح مع ذلك أثره الإيجابي في ترجمة العناصر المكونة للحديث النبوي. ونتج عن محاولة تقريب المفاهيم الدينية باستعمال مصطلحات دينية مسيحية، إبهام للكثير من المعاني الدينية الإسلامية وحثّ للقارئ على تلقي معاني مغلوطة. وكان هناك نوع من الميل لتسليط الضوء على المواضيع الجدلية عن طريق الهوامش، وهو ما نحسبه رغبة في ترسيخ صورة نمطية عن الإسلام وربطه بالعنف.

وعلى الجانب الآخر، كشف تحليل ترجمة الخصوصية التاريخية في المدونة الإنجليزية/العربية أنَّ نقل المصطلحات والأحداث التاريخية يتأثر أقل من غيره بأسلوب المترجم، وأنّ ما يضمن التفاعل الثقافي في هذه الحالة هو إما إلمام مسبق للقارئ بالسياق المذكور أو وجود هامش، ومشكلة مترجم رواية موريسون هو عدم استخدام الهوامش نهائياً، الأمر الذي قد يقوض التواصل الثقافي في بعض المواضيع في النص. أما نقل المصطلحات العسكرية والحربية فقد كان أنجح نسبياً بالنظر لطبيعة هذا المحتوى والذي لا يتطلب من القارئ معرفة عميقة بالأسلحة لفهم النص، ومعظم المشاكل التي تمّ رصدها كان

سببها نقص الدقة في الترجمة. وعلى ما يبدو فإن صعوبات نقل المحتوى الديني لا تختلف كثيراً عن تلك الموجودة في المدونة العربية/الإنجليزية، فأحياناً تكون قرارات المترجم وراء إبهام بعض المفاهيم الدينية، وفي أحيان أخرى يكون البون الموجود بين الثقافتين المسؤول الأكبر عن إخفاء الجانب الديني في الترجمة.

وتلعب اللغة والأسلوب في نصوص المدونة الأربع دوراً كبيراً في بناء المعنى، ووعي المترجم بخصوصية الأسلوب ومحاولة العمل على إبرازه في الترجمة هي أكثر من ضرورة إذا كان الهدف هو نقل عمل فني متكامل وليس الاكتفاء بنقل المعاني دون تدبر الثوب الذي تظهر فيه. وقد خلصنا بعد تحليل المدونة العربية/الإنجليزية إلى أن محاولات نقل خصائص اللغة العربية المنطوقة في الترجمة لم يكن موفقاً في بعض الأحيان بسبب الاختلافات الموجودة بين اللغتين. وعلى الرغم من وجود مكافئات في اللغة الإنجليزية للكثير من المصطلحات النحوية العربية فإنه بقليل من التمعن نجد أن طبيعة كل لغة تفرض فهماً خاصاً لهذه المصطلحات وبالتالي يصبح التكافؤ الذي ذكرناه نسبياً.

وفي بعض الحالات يؤدي تجاهل الجانب البياني في اللغة إلى طمس الجانب الأهم في المعنى بسبب فرط التركيز على المعنى اللفظي. فلم يسلم المصطلح الشعري العربي من الإخفاء في الترجمة التي آثرت استعمال اللغة الشعرية الإنجليزية وتجاهل خصوصية القصيدة العمودية وبحور الشعر، كما تسبب المحتوى غير الدقيق لأحد الهوامش من الحجب التام لمفهوم "البردة" في النص الإنجليزي. كما توصلنا بعد الدراسة التحليلية إلى أن لأسلوب المترجم دور لا يمكن إنكاره في كيفية نقل عناوين الكتب، فبينما حرص مترجم الجزء الثاني من كتاب "الأيام" على تهميش معظم العناوين التي جاءت في النص، كان قرار مترجم الجزء الثالث بالاقتراض دون أي إيضاح سبباً في خلق صعوبة للقارئ دون أن يساهم في أي نوع من النقل الثقافي الفعال، فمن المستبعد أن يجني قارئ النص الإنجليزي أي فائدة من قراءة عناوين الكتب مقترضة دون تفسير أو توجيه.

بالمقابل، ونظراً لصعوبة فصل الأسلوب عن خصوصية اللغة الإنجليزية في المدونة الإنجليزية/العربية، أكدت الأمثلة المحللة أن أكثر جانب تم طمسه هو ذلك المتعلق بمصطلحات اللغة والكتابة والتي تم تجاهلها بشكل كبير في الترجمة. ونجحت الترجمة في بعض المواضع في إبراز الجانب الشفهي للغة اعتماداً على ما توفر في اللغة العربية من بدائل، لكن في بعض الحالات تسبب النقل الحرفي في حجب الفكرة تماماً على القارئ. كما تسببت الترجمة الحرفية للكثير من العبارات المجازية في جعل النص العربي مفككاً وغير مفهوم في مناسبات عدة. والحقيقة أن أسلوب كاتب *Atonement* لصعوبته دفع المترجم لإضافة هامش يشرح فيه للقارئ إحدى الصور البيانية مؤكداً على صعوبة الفكرة في النص الأصلي. ومحتوى هذا الهامش مثير للاهتمام وغير مألوف، فتركيز الهوامش في الغالب يكون على شرح ما قد يصعب فهمه على القارئ من جانب السياق الثقافي، لكن أن يحل المترجم عقدة في النص وينبّه القارئ لطبيعة الصعوبة فهذا أمر قليل الحدوث.

ولم يكن مصير المقاطع الشعرية والأغاني مختلفاً، فلم توفق الترجمة في الحفاظ على موسيقية النص، وهذا أمر وارد الحدوث، لكن تداعياته تختلف باختلاف السياق الذي تستعمل فيه هذه المقاطع. وأدى ارتباط الأغاني بجانب تاريخي مهم في رواية موريسون إلى زيادة درجة إخفاء الثقافة الأصلية، لأن ادعاء أي فهم حقيقي للنص يمر حتماً عبر فهم العلاقة الموجودة بين الأغاني وتاريخ السود الطويل مع المعاناة. وتتعلق الملاحظة الأخيرة بترجمة عناوين الكتب، والتي حرص المترجم على إرفاق معظمها بهوامش ساعدت القارئ على الاطلاع على جوانب أدبية عدة من الثقافة الإنجليزية، كما ساعد بعضها في فهم رسالة النص بشكل أفضل. وقد يشير العدد الكبير من الهوامش في هذه الحالة إلى اهتمام المترجم الخاص بالأدب الإنجليزي ورغبته في مشاركة هذا الاهتمام مع القارئ. ومعظم مشاكل الترجمة التي تم رصدها تسببت فيها أخطاء في الترجمة وليس أي نوع من الحواجز الثقافية.

وكان أسلوب النص أكبر ضحايا الترجمة في المدونتين، لكن بشكل أكبر بكثير في المدونة الإنجليزية/العربية، وهذا بسبب الدور المحوري للأسلوب في بناء المعنى في الروايتين. فقد خلصت الدراسة إلى أنّ الفشل في الحفاظ على أسلوب النص كان له أثره الواضح على المعنى المنقول في الترجمة وعلى تلقي رسائل النص الأصلي. وبينما زحرت النصوص الأصلية بألوان لغوية مختلفة، أخفى استعمال الترجمات للغة العربية الفصيحة كلّ أثر للتلون اللّغوي في النصوص العربية، وهو ما أدى بدوره لإبهام جوانب مهمة في الثقافة الأصلية.

وبالمقابل توصلت الدراسة إلى أنّ أثر الترجمة على الأسلوب كان بارزاً في المدونة العربية/الإنجليزية في ترجمة الجزء الثالث من كتاب "الأيام" على وجه الخصوص، أين قرر المترجم تغيير أسلوب السرد من ضمير الغائب إلى ضمير المتكلم، وتجاهل أسلوب سرد الرسائل المضمن والاستعاضة عنه بملخصات لمحتوى الرسائل. كما لم توفق الترجمات الإنجليزية، تماماً مثل نظيرتها العربية، في الحفاظ على التلون اللّغوي الموجود في النصوص العربية التي جاءت غنية بالعبارات العامية الجزائرية والمصرية.

الخطاب

وجدنا من خلال الدراسة التحليلية أنّ تأثر الخطاب بالترجمة في المدونة العربية/الإنجليزية أكبر من ذلك الملاحظ في المدونة الإنجليزية/العربية. ففي بعض الحالات سجل تغيير للخطاب صاحبه ترسيخ لبعض الصور النمطية التي من شأنها أن تكرس مفاهيم خاطئة لدى المتلقي. وفي حالات أخرى لوحظ تغيير لهجة الخطاب وحدّته جعلت الصراعات الأصلية تبدو أكبر وأعمق مما هي عليه في الواقع. وتأرجحت الترجمة بين الفشل والنجاح فيما يتعلق بالسياق التاريخي الجزائري، إذ سمحت أساليب الإيضاح المختلفة في بعض المواضع بالاحتفاظ بالخطاب الأصلي في الترجمة وإبراز بعض محطّات

تاريخ الجزائر المعاصر بشكل فعال، لكن كثيراً من تفاصيل الحياة الاجتماعية والعسكرية تم طمسها بسبب عدم التفات المترجم لخصوصية الخطاب المستعمل ونقله في معناه العام.

وتأثرت صورة الثقافة المصرية هي الأخرى بسبب الترجمة غير الموفقة للخطاب الأصلي والتي نتج عنها في مناسبات كثيرة حرمان القارئ من التعرف على التاريخ المصري المعاصر وبعض أبرز ملامحه الفكرية. كما كشف تحليل الأمثلة قدرة الترجمة على التأثير بدرجات متفاوتة على بعض الآراء والمواقف، وفي أكثر الحالات شذوذاً، قد يؤدي هذا التأثير إلى تشويه صورة الثقافة الأصلية.

وتميل الترجمة أحياناً إلى تفسير خصوصية الآخر من خلال إسقاطه على الذات، ويكون لهذا الإسقاط انعكاساته المختلفة باختلاف أسلوب المترجم. فقد تنجح الترجمة في إبراز الآخر، وقد تتسبب في إخفائه، أو اختزاله، أو تسخيفه، كما قد تكون ذريعة لفرض وجهة النظر الأوروبية. بالمقابل أظهرت الأمثلة المحللة في المدونة الإنجليزية/العربية أنّ جانباً من أحداث الحرب العالمية الأولى تمّ طمسه في الترجمة التي تجاهلت أحياناً معلومات تاريخية ضرورية للفهم، كما أنتج نقص الدقة في الترجمة في بعض المواضيع نصاً مفككاً وغامضاً يصعب فك طلاسمه. وتأثر الخطاب حول تاريخ السود بدرجة أقل في الترجمة نتيجة اعتماد النقل الحرفي والذي سمح بالحفاظ على جانب كبير من الخطاب، والصعوبات التي تمّ رصدها مرتبطة ببعض المعلومات التي اختار المترجم عدم توضيحها عن طريق الهوامش. وتسببت

أخطاء الترجمة في طمس جوانب من الثقافة الأوروبية، وتأثر الخطاب كان مرهوناً بحجم الأخطاء الموجودة. في حالات قليلة كانت العوائق الثقافية هي ما يخلق صعوبة في تلقي الرسائل الأصلية. ولوحظ الأمر نفسه في ترجمة الآراء والأفكار والتي تأثرت بأخطاء الترجمة أكثر بكثير من تأثرها بأسلوب المترجم. ولم تكن محاولات الإسقاط على الذات بنفس درجة المدونة العربية/الإنجليزية، فقد سمحت الترجمة الحرفية في كثير من الأحيان بالاحتفاظ برسالة النص الأصلية في الترجمة وإبراز الآخر.

الختامة

تناولت هذه الدراسة موضوع الثقافة وتجلي الآخر في الترجمة من منظور مختلف نسبياً. إذ تمّ من جهة مقارنة الفعل الثقافي الحاصل من خلال الترجمة في إطار استراتيجيتي الإيضاح والتضمين، واللّتان تعدّان من أساليب الترجمة الشائعة، الإيضاح خاصة. من جهة ثانية حاولت الدراسة مقارنة تأثير استعمال هاتين الاستراتيجيتين عند تغيّر اتجاه الترجمة، وهو جانب يعدّ اهتمام الباحثين به قليل نسبياً. ففي حين اهتمت الكثير من الدراسات بمقارنة الترجمات المتعددة للعمل الواحد مثلاً، لم نجد دراسات كثيرة تسلط الضوء على الاختلافات الممكنة في استعمال أساليب الترجمة والتي يمكن ربطها بالثنائية اللغوية. وقد اخترنا ميدان الترجمة الأدبية تحديداً نظراً لثراء النصوص الأدبية أكثر من غيرها بالمحتوى الثقافي الذي يعدّ مادة البحث الأساسية. وجاء اختيار نصوص المدونة متماشياً مع هذا النهج، إذ حرصنا على اختيار نصوص تعكس تنوعاً ثقافياً، عملنا على فحص آليات ظهوره أو طمسه في الترجمة. وعليه فقد اخترنا صياغة عنوان البحث كما يلي: "استراتيجيتا الإيضاح والتضمين في الترجمة الأدبية من الإنجليزية إلى العربية والعكس في ظل المقاربات الثقافية للترجمة، دراسة تحليلية مقارنة في مجموعة من الروايات"، حتّى نتمكن من الإجابة على الإشكالية الرئيسية التالية: هل تختلف الترجمة الأدبية من العربية إلى الإنجليزية عن نظيرتها من الإنجليزية إلى العربية في استخدامها لاستراتيجيتي الإيضاح والتضمين؟ وهل تميل الأولى إلى إخفاء الآخر أكثر كشكل من أشكال الهيمنة كما تفترض بعض المقاربات الثقافية للترجمة؟ وهي إشكالية عامة لا تتأتى الإجابة عنها إلا بالإجابة عن عدد من التساؤلات الفرعية تمّ صياغتها في المقدمة وسنحاول تلخيص ما خلصت إليه الدراسة حولها فيما يلي من الفقرات.

أولاً، وفيما يتعلق بالفروقات الموجودة بين الترجمة الأدبية إلى الإنجليزية والترجمة الأدبية إلى العربية والمرتبطة بإظهار الثقافة الأصلية في الترجمة على اعتبارها الهدف الأسمى للترجمة، أظهرت

نتائج البحث وجود ميل أكبر في الترجمة إلى الإنجليزية إلى الإسقاط على الذات وبالتالي إخفاء الآخر، وهو ما يتسق مع ما ذهب إليه فينوتي (1995م، 1998م) عندما أشار إلى الطبيعة التوطينية للترجمات إلى اللغة الإنجليزية. وصحيح أن الترجمات العربية تميل بدرجة أقل إلى إخفاء الآخر، لكن الملاحظ أن سبب الإخفاء يكون مرتبط في حالات كثيرة بنقص في دقة الترجمة وليس برغبة حقيقية في الإسقاط على الذات.

ثانياً، وفيما يخص الدور الذي تلعبه عتبات النص من غلاف وعنوان ومقدمة في توجيه فهم القارئ والتأثير عليه، وأهمية دراسة النصوص المترجمة في كليتها ضمن المقاربة الثقافية للترجمة، خلصت الدراسة إلى أنه وعلى الرغم من اشتراك كل مقدمات المدونة في استغلال هذا الفضاء لإبراز السياق الثقافي الأصلي، إلى أن مقدمات الترجمات الإنجليزية تبدو أكثر منهجية من نظيرتها العربية من حيث لغة الخطاب وطبيعة المعلومات المنتقاة. كما تتميز بتسليط الضوء على صعوبات الترجمة وبعض قرارات المترجم وهي الجوانب التي تفتقر إليها الترجمات العربية. كما أن الاختلافات في طبيعة تصميم الأغلفة تكاد تكون غير موجودة، لكن تبدو الترجمات الإنجليزية خاضعة لمعايير نشر أكثر صرامة من الترجمات العربية.

بالنسبة للعناوين، وجدنا أن الترجمات عموماً تفضل أسلوب الترجمة الحرفية المباشرة، وهو أسلوب يختلف انعكاسه على التفاعل مع الثقافة الأصلية باختلاف النصوص. ولم يُترجم العنوان حرفياً في حالة وحيدة، ووجدنا بعد التحليل أن هذا الاختيار له انعكاسات سلبية وأخرى إيجابية على تجلّي الثقافة الأصلية في الترجمة. باختصار يمكن القول أن تحليل ترجمة عناوين نصوص المدونة يشير إلى صعوبة الخروج بحكم نهائي بهذا الخصوص من حيث وجود فروقات بين الترجمات العربية ونظيرتها الإنجليزية. كما تشير نتائج التحليل إلى أنه وبشكل عام تسمح دراسة عتبات النصوص المترجمة بفهم أفضل لرؤية

المترجم وأسلوبه وطبيعة العلاقة التي تربطه بالنص الأصلي، وكلها معلومات تساعد على تحديد نوع التفاعل الثقافي الذي تتيحه الترجمة وتفسر بعض من قرارات المترجم واختياراته.

ثالثاً، وفيما يخص مدى تأثير رؤية المترجم وأسلوبه في إظهار أو إخفاء الثقافة الأصلية في الترجمة الأدبية، خلصت الدراسة إلى أنّ لأسلوب المترجم تأثير مباشر وواضح على نوعية النص المترجم وبالتالي على نوعية صورة الثقافة الأصلية المنقولة. ففي الترجمات العربية لاحظنا أنّ اعتماد أحد المترجمين على الاستعمال المكثف للهوامش واستغناء الآخر عنها تماماً كان له أثره على طبيعة تلقي القارئ للثقافات الأصلية. فقد ساعد وجود الهوامش في تذليل الكثير من الصعوبات أمام القارئ وبالتالي سمح بتلقي أفضل للثقافة الأصلية في الكثير من الأحيان. غير أنّ ما يؤخذ على بعض الهوامش هو المحتوى غير الدقيق، والذي من شأنه أن يوجه فهم القارئ نحو أفكار مغلوطة. كما أنّ هناك من المنظرين (نيومارك، 1988م) من ينظر إلى الهوامش الكثيرة على أنّها عائق أمام استمتاع القارئ بالنص الأدبي. ونفس الأمر لوحظ على الترجمات الإنجليزية التي اختلفت طبيعة الهوامش فيها وعددها باختلاف المترجمين.

رابعاً، بالنسبة إلى مدى تأثير استراتيجيات الإيضاح سلباً أو إيجاباً على إبراز الآخر في النص المترجم، توصلنا بعد تحليل عتبات الترجمات وعدد لا بأس به من الأمثلة (حوالي 400 مثال)، إلى أنّ أساليب الإيضاح كثيراً ما تتعارض مع فكرة تجلّي الآخر في الترجمة، بينما تؤدي أساليب التضمين إلى طمس للاختلاف في الترجمة. وبينما تعتبر الحالة الأخيرة طبيعية ومنطقية، فإنّ الحالة الأولى تعدّ مؤشراً على أنّ التفاعل الثقافي الناجع يحتاج أكثر من مجرد توضيح لغوي عن طريق إضافة أو هامش. فطبيعة المعلومات المضافة في متن النص وتلك التي تحويها الهوامش لها القدرة على تشكيل صورة الثقافة الأصلية بما يتناسب مع رؤية المترجم. وبشكل عام أظهرت الإحصائيات (جدول "أ"، جدول "ب") أنّ

أساليب الإيضاح تؤثر سلباً على إبراز الثقافة الأصلية في الترجمة، لكنّ هذا الأثر السلبي أشد في الترجمات الإنجليزية مقارنة بالعربية.

خامساً، وفيما يتعلق باعتبار استغلال عتبات النص عاملاً مساعداً على إظهار الاختلاف، وما إذا كان أسلوب استغلال هذه المساحة نفسه في الثقافتين العربية والغربية، أظهر التحليل أنّه بشكل عام يبدو استغلال الترجمات لهذه المساحات متشابهاً، لكن بقليل من التمييز نجد أنّ الترجمات الإنجليزية فيها ميل أكبر لإخفاء الثقافة الأصلية ومحاولة ترسيخ الصور النمطية الموجودة ربما لدى المتلقي أساساً. فقد وجدنا عدّة أدلة على تعاطي الترجمات الإنجليزية بنوع من التعالي فيما يخص تقديم الثقافة الأصلية ومحاولات واضحة لانتقاء السياق. ولم تخل الترجمات العربية هي الأخرى من انتقائية في السياق، لكنّها انتقائية ترتبط أكثر بنهج توجيهي تعليمي أكثر منها محاولة لفرض إيديولوجيا بعينها.

سادساً، خلصت الدراسة إلى أنّه يمكن لأساليب الإيضاح والتضمين أن تحتفظ، تشوّه، أو تطمس صورة الثقافة الأصلية لدى متلقي النص المترجم. ففي حالات قليلة سمح استعمال هذه الأساليب بإبراز ملامح الثقافة الأصلية وعزّز من حظوظ تلقي القارئ لصورة واقعية نسبياً عن السياق الأصلي. وفي حالات كثيرة تعارض استخدام هذه الأساليب مع مهمة التفاعل الثقافي المنوطة بالترجمة، بحيث غالباً ما ينجم عن محاولات التبسيط والإفهام حجب لبعض معالم الثقافة الأصلية، الأمر الذي ينعكس على طبيعة الصورة المنقولة عبر الترجمة والتي قد تختلف بشكل كلي أو جزئي عن المحتوى الثقافي الأصلي.

أخيراً، لم نلاحظ من خلال تحليل الأمثلة المختلفة وجود علاقة واضحة بين اتجاه الترجمة، أو الثنائية اللغوية المعنية، وطريقة معينة في اللجوء لاستراتيجيات الإيضاح والتضمين. ولا نحسب أنّ لاتجاه الترجمة تأثير على طريقة استعمال هذه الأساليب. بالمقابل وجدنا أنّ لأسلوب المترجم ورؤيته وفهمه للترجمة الدور الأكبر في آليات عمل هاتين الاستراتيجيتين. فمثلاً، أدّى عدم لجوء بعض المترجمين إلى

الهوامش (العيوطي وكراج) إلى خلق بعض الصعوبات في التلقي، وسمح الاستعمال المعتدل لهذه المساحات (غراناو ووايماننت) بمساعدة القارئ نسبياً في فهم شيء من السياق الأصلي. كما أدى الاستعمال المبالغ فيه للهوامش (درويش) إلى تنوير القارئ حيناً وتضليله حيناً آخر بسبب تباين في طبيعة المعلومات المدرجة والتي تفتقد أحياناً للدقة. ولا يقتصر الأمر على الهوامش ولكن يظهر أيضاً في طريقة تعامل المترجم مع المحتوى الثقافي في متن النص والتي تخضع لرؤية المترجم من جهة، وإلى الإمكانات المتاحة لنقل محتوى بعينه بالنظر لما يميزه من خصائص، على غرار المحتوى الديني أو اللغوي.

لقد اعتمدنا في هذه الدراسة على مدونة تضم أربع روايات وترجماتها، وهو ما يجعل النتائج المحصل عليها مفيدة لكنها غير قابلة للتعميم. غير أنّ العمل على موضوع مقارنة النصوص المترجمة في لغتين ومحاولة الحصول على نتائج تتعلق بالاختلافات التي قد تكون موجودة والتي يمكن ردها إلى خصوصية اللغة والثقافة يعدّ إضافة متواضعة للدراسات الأكاديمية التي تهتم بالترجمة الأدبية في الجزائر والتي عادة ما يكون تركيزها على الترجمة باتجاه واحد، وكثيراً ما تقتصر الدراسات المقارنة فيها على مقارنة الترجمات المتعددة للعمل الواحد.

نعتقد أن دراسات مستقبلية تتبنى فكرة المقارنة وتعمل على مختلف مكونات النص الأدبي بشكل منفرد (المقدمات، العناوين، الهوامش، الأسلوب وغيرها) من شأنها أن تفتح الباب أمام عدد غير قليل من البحوث التي تحاول فهم الروابط الموجودة بين الثقافات المختلفة ومقارنتها من خلال النصوص المترجمة. فقد وجدنا في موضوع عتبات النص وحده إمكانات كبيرة لدراسة الترجمة من منظور اجتماعي وإيديولوجي والوقوف ليس فقط على طبيعة مقارنة النص والثقافة الأصليين في الثقافة المستقبلية، ولكن

أيضاً على ظروف إنتاج وانتشار النصوص المترجمة ونوع القوى المتحركة فيها. وكلها أمور تسمح بفهم أفضل وأكثر واقعية للنصوص المترجمة أولاً، ولأوجه الاختلاف والتشابه بين الثقافات ثانياً.

قائمة المصادر والمراجع

المدونة

- حسين، طه. (2010). الأيام. عين مليلة، الجزائر: دار الهدى للطباعة والنشر.
- موريسون، توني. (1989). محبوبة. (أ. العيوطي، مترجم). القاهرة، مصر: مركز الأهرام للترجمة والنشر.
- ماك إيوان، إيان. (2012). الكفارة. (م. درويش، مترجم). بيروت، لبنان: دار الآداب.
- وطار، الطاهر. (2007). الزلزال (الطبعة الأولى). لبنان: الدار العربية للعلوم.
- Hussein, T. (1932). *An Egyptian childhood* (E. H. Paxton, Trans.). London, UK: Routledge. Retrieved August 22, 2022, from https://web.english.upenn.edu/~cavitch/pdf-library/Hussein_Egyptian_Childhood_Paxton_translation.pdf
- Hussein, T. (1948). *The stream of days: A student at the Azhar* (H. Wayment, Trans., 2nd rev. ed.). Cairo, Egypt: Dar Al Maaref. Retrieved August 22, 2022, from https://web.english.upenn.edu/~cavitch/pdf-library/Hussein_Stream_of_Days.pdf
- Hussein, T. (2006). *The Days*. The American University in Cairo Press.
- McEwan, I. (2002) *Atonement*. Vintage Books London.
- Morrison, T. (2005). *Beloved*. Vintage Books London.
- Wattar, T. (2000). *The earthquake* (W. Granara, Trans.). London, UK: Saqi Books.

- المراجع باللغة العربية

- ابن خلدون، عبد الرحمن. (2004). مقدمة ابن خلدون (الجزء الثاني). دمشق، سوريا: دار يعرب.
- ابن كثير، الحافظ. (1999). تفسير القرآن العظيم (الجزء 8، الطبعة الثانية). الرياض، المملكة العربية السعودية: دار طيبة للنشر والتوزيع.

- ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم. (1993). لسان العرب (ج. 1-13). بيروت، لبنان: دار صادر.
- أحكام التجويد (n.d.)

- <https://surahquran.com/Tajweed/>

- الأشقر، محمد سليمان عبد الله. (1995). معجم علوم اللغة العربية (الطبعة الأولى). مؤسسة الرسالة.
- أرويل، جورج. (2015). مزرعة الحيوان. (أ. إسماعيل، مترجم). عصير الكتب للنشر والتوزيع.

- براون، دان. *شيفرة د/ فينتشي (الطبعة الأولى)*. (س. محمد عبد ربه، مترجمة). بيروت، لبنان: الدار العربية للعلوم.
- البعلبكي، منير. (2007). *المورد (قاموس إنكليزي عربي، الطبعة 41)*. بيروت، لبنان: دار العلم للملايين.
- بن يحيى، شادية. (2013، 4 ماي). "الرواية الجزائرية ومتغيرات الواقع". موقع ديوان العرب. تم الاسترجاع بتاريخ 13 سبتمبر 2022 من: <https://www.diwanalarab.com>
- بوزواوي، محمد. (2022). *معجم العامية الجزائرية، معجم عربي لهجي في أصول العامية الجزائرية وجنورها*. الجزائر: المجلس الأعلى للغة العربية.
- التهانوي، محمد علي. (1996) *موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم (الطبعة الأولى)*. بيروت، لبنان: مكتبة لبنان ناشرون.
- التونجي، محمد، والأسمر، راجي. (2001). *المعجم المفصل في علوم اللغة (الألسنيات، الطبعة الأولى)*. بيروت، لبنان: دار الكتب العلمية.
- تيمور، أحمد. (2002). *معجم تيمور الكبير في الألفاظ العامية (الطبعة الثانية)*. القاهرة، مصر: دار الكتب والوثائق القومية، مركز تحقيق التراث.
- جودي، عبد العزيز. (2019، 20 أكتوبر). "أسلوب الفنقلة عند الزمخشري في تفسيره وبيان خصائصه وفوائده". مركز تفسير للدراسات القرآنية. تم الاسترجاع بتاريخ 15 جويلية 2013 من موقع: https://tafsir.net/article/5212/aslwb-alfnqult-and-az-zmkhshry-fy-tfsyrh-wbyan-khsa-is-h-wfwa-id-h#_ftn1
- جويس، جايمس. (2001). *ستيفن د. منفين. (أ. العيوطي، مترجم)*. الكويت: وزارة الإعلام.
- جويس، جايمس. (2007). *عولس (الطبعة الأولى)*. (م. ل. جمعة، مترجم). المركز القومي للترجمة.
- جويس، جايمس. (1994). *عوليس (الطبعة الثانية)*. (ط. م. طه، مترجم). الدار العربية للطباعة والنشر والتوزيع.
- جويس، جايمس. (2001) *بوليسيس (الطبعة الأولى)*. (ص. نيازي، مترجم). دار المدى للثقافة والنشر.
- حسن، حبيبة. (2018، 4 فبراير). "إنحيازات المترجم". مجلة ضفة الثالثة (مقالة إلكترونية). تم الاسترجاع بتاريخ 5 جويلية 2023 من موقع: <https://diffah.alaraby.co.uk/diffah//opinions/2018/2/2/انحيازات-المترجم>

- خريف، محي الدين. (2003). *الأمثال الشعبية التونسية*. سوسة، تونس: دار المعارف للطباعة والنشر.
- "دار المأمون تحقيقي بنصف قرن من الإبداع الترجمي العراقي. محمد درويش أنموذجاً" (2022، 20 ماي). وكالة نخل عراقي، بغداد. تم الاسترجاع بتاريخ 04 أوت 2023 من موقع:
<https://iraqpalm.com/ar/n10777>
- الربيعي، فالح. (2001). *تاريخ المعتزلة، فكرهم وعقائدهم* (الطبعة الأولى). القاهرة، مصر: الدار الثقافية للنشر.
- رضا، يوسف محمد. (2006). *معجم العربية الكلاسيكية والمعاصرة* (الطبعة الأولى). بيروت، لبنان: مكتبة لبنان ناشرون.
- رمضان، بلال. (2017، 13 ديسمبر). "مفاجأة... ثلاثة مترجمين خانوا "عشيق الليدي تشاترلي". اليوم السابع. تم الاسترجاع بتاريخ 04 أوت 2023 من موقع:
<https://www.youm7.com/story/2017/12/31>
- الرويتع، خالد. (2013). *التمذهب دراسة نظرية نقدية* (الطبعة الأولى). الرياض، المملكة العربية السعودية: دار التدمرية.
- زغبنة، عمار. (2004). "شخصية الشيخ العالم وأبعادها في رواية "الزلال" للطاهر وطار". *مجلة البحوث والدراسات* (4)، 259-272.
- زمولي، ي. (2005). "الألقاب العائلية في الجزائر من خلال قانون الحالة المدنية أواخر القرن التاسع عشر ميلادي: مدينة قسنطينة نموذجا 1870-1900". *مجلة إنسانيات*. 129-142.
<https://doi.org/10.4000/insaniyat.4559>
- سعيد، علي لفته. (2023، 11 جويلية). "في رحيل محمد درويش: رحلة الترجمة التي توقفت". *مجلة ضفة ثالثة*. تم الاسترجاع بتاريخ 12 أكتوبر 2023 من موقع:
<https://diffah.alaraby.co.uk/diffah/herenow/2023/7/11/في-رحيل-محمد-درويش-رحلة-الترجمة-التي-توقفت>
- السكوت، حمدي وجونز، مارسدن. (1982). *أعلام الأدب المعاصر في مصر: طه حسين* (الطبعة الثانية). القاهرة، مصر: دار الكتاب المصري.
- السيوطي، جلال الدين. (1985). *إتمام الدراية لقراء النقاية* (الطبعة الأولى). بيروت، لبنان: دار الكتب العلمية.
- شرف، عبد العزيز. (1992). *أدب السيرة الذاتية*. القاهرة، مصر: الشركة المصرية العالمية للنشر لونغمان ومكتبة لبنان.

- الصالح، صبحي. (1977). *مباحث في علوم القرآن* (الطبعة 10). بيروت، لبنان: دار العلم للملايين.
- عبد الرحمن، محمد. (2023، 9 يوليو). "وفاة المترجم العراقي الكبير محمد درويش". *اليوم السابع*. تم الاسترجاع بتاريخ 23 مارس 2024 من موقع: <https://www.youm7.com/story/2023/7/9/6236517/وفاة-المترجم-العراقي-الكبير-محمد-درويش/>
- عبد الكريم، عبد المقصود. (2018، 30 جانفي). "مقدمة ترجمة عشيق اللّيدي شاترلي". *ملاحق المدى*. تم الاسترجاع بتاريخ 23 مارس 2024 من موقع: <https://almadasupplements.com/print.php?cat=19587>
- العبدية، محمد وعبد الحليم، طارق. (1987). *المعتزلة بين القديم والحديث* (الطبعة الأولى). بيرمنغهام، المملكة المتحدة: دار الأرقم.
- عبود، عبده. (1995). *هجرة النصوص: دراسات في الترجمة الأدبية والتبادل الثقافي*. منشورات اتحاد الكتاب العرب.
- العبيدي، سمير. (2023). *حكم وأقوال مأثورة وقصصها*. عمان، الأردن: دار ورد الأردنية للنشر والتوزيع.
- عتيق، مديحة. (2011، 23 و 24 فيفري). "الرواية الوطارية من منظور استشرافي". *مجلة الأثر*، عدد خاص: *أشغال الملتقى الدولي الخامس في تحليل الخطاب "الخطاب الروائي عند الطاهر وطار، 67-73*.
- العسقلاني، ابن حجر. (2008). *الإصابة في تمييز الصحابة* (الطبعة الأولى). القاهرة، مصر: مركز هجر للبحوث والدراسات العربية والإسلامية.
- "عشيق اللّيدي تشاترلي"، نص وترجمتان. (2018، 11 أبريل). *مركز الإتحاد للأخبار*. تم الاسترجاع بتاريخ 23 مارس 2024 من موقع: <https://www.aletihad.ae/article/27184/2018>
- عطى الله، الناصر. (2018، مارس). "الأدب الجزائري خلال فترة سبعينات القرن العشرين". *مجلة دراسات لسانية*، 2(8)، 249-263.
- العقاد، عباس محمود. (2013). *عقري الإصلاح والتعليم، الإمام محمد عبده*. القاهرة، مصر: مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة.
- عمر، أحمد مختار. (2008). *معجم اللغة العربية المعاصرة* (الطبعة الأولى). القاهرة، مصر: عالم الكتب.

- عمور، محمد. (2018، 30 ديسمبر). "الترجمة الأدبية واستراتيجيات المثاقفة". *مجلة المدونة*، 5 (2)، 455-486. ISSN: 2437-0819. EISSN: 2602-6333.
 - غينتسلر، إدوين. (2007). *في نظرية الترجمة: اتجاهات معاصرة*. (س. مصلوح، مترجم). بيروت، لبنان: المنظمة العربية للترجمة.
 - الفيروزآبادي، مجد الدين أحمد بن يعقوب. (1998). *القاموس المحيط* (الطبعة 6). دمشق، سوريا: مؤسسة الرسالة.
 - الكاشاني، عبد الرزاق. (1992). *معجم اصطلاحات الصوفية* (الطبعة الأولى). القاهرة، مصر: دار المنار.
 - الكتبي، محمد بن شاكر. (1974). *فوات الوفيات* (الجزء 3). بيروت، لبنان: دار صادر.
 - الكناني وآخرون. (2018). "الإيضاح في الترجمة الأدبية من اللغة الإنجليزية إلى اللغة العربية". قصة حديقة النبي لجبران وترجمتها إلى العربية أنموذجاً. *مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية*. *المجلة العربية للعلوم ونشر الأبحاث*، 2 (5)، 103-123.
- DOI: 10.26389/AJSRP.T250318
- لطفي، غسان. (2019). *المطلق النقدي: نظرية الترجمة عند أنطوان برمان*. بيروت، لبنان: منشورات ضفاف.
 - لطفي، غسان. (2016). "تسقية التدمير في ترجمة روايات نجيب محفوظ إلى الفرنسية: نماذج عن نزعة الإيضاح في ترجمة روايات زقاق المدق وثرثرة فوق النيل وأولاد حارتنا". *مجلة العلوم الإنسانية*، ب (46)، 351-365.
 - "محمد درويش.. مترجماً". (2023، 21 جوان). *جريدة المدى*، 2824. تم الاسترجاع بتاريخ 25 مارس 2024 من موقع: <https://almadapaper.net/view.php?cat=87578>
 - مسعود، جبران. (1992). *الرائد: معجم لغوي عصري* (الطبعة 7). بيروت، لبنان: دار العلم للملايين.
 - مطلوب، أحمد. (2006). *معجم المصطلحات البلاغية وتطورها* (الطبعة الأولى). بيروت، لبنان: الدار العربية للموسوعات.
 - معجم المعاني الجامع (n.d.)

- معلوف، لويس. (د.ت.). *المنجد في اللغة والأدب والعلوم* (الطبعة 19). بيروت، لبنان: المطبعة الكاثوليكية.
- وايلد، أوسكار. (2008). *نثرات مختارة*. (د. السليمان، مترجمة). العراق: دار إنانة للنشر والتوزيع.
- وايلد، أوسكار. (1989). *الفوضويون* (الطبعة 2). (ع. ح. القيسي، مترجم). الدار العربية للموسوعات.

المراجع باللغات الأجنبية

- Allen, R. (2000). *An introduction to Arabic literature*. Cambridge University Press.
- Arrojo, R. (2014). The power of originals and the scandals of translation: A reading of Edgar Allan Poe's *The Oval Portrait*. In M. C. Pérez (Ed.), *Apropos of ideology: Translation studies on ideologies—Ideologies in translation studies* (pp. 167–180). Routledge.
- Baker, M. (2006). *Translation and conflict: A narrative account*. Routledge.
- Bandia, P. F. (1995). Is ethnocentrism an obstacle to finding a comprehensive translation theory? *Meta*, 40(3), 488–496. <https://doi.org/10.7202/001966ar>
- Bandia, P. F. (2006a). African European-language literature and writing as translation: Some ethical issues. In T. Hermans (Ed.), *Translating others* (Vol. 2, pp. 349–361). St. Jerome Publishing Ltd.
- Bandia, P. F. (2006b). Decolonizing translation. *The Translator*, 12(2), 371–378. <https://doi.org/10.1080/13556509.2006.10799223>
- Bandia, P. F. (2012). Postcolonial literary heteroglossia: A challenge for homogenizing translation. *Perspectives*, 20(4), 419–431. <https://doi.org/10.1080/0907676X.2012.726233>
- Bassnett, S. (2002). *Translation studies* (3rd ed.). Routledge.
- Bassnett, S. (2007). Culture and translation. In P. Kuhiwczak & K. Littau (Eds.), *A companion to translation studies* (pp. 13–23). Multilingual Matters.
- Bassnett, S. (2014). *Translation*. Routledge.
- Bassnett, S., & Levevere, A. (1998). *Constructing cultures: Essays on literary translation* (Topics in Translation, Vol. 11). Routledge.
- Bassnett, S., & Trivedi, H. (1999). *Post-colonial translation*. Routledge.

- Becher, V. (2010). Abandoning the notion of “translation-inherent” explicitation: Against a dogma of translation studies. *Across Languages and Cultures*, 11(1), 1–28. <https://doi.org/10.1556/Acr.11.2010.1.1>
- Becher, V. (2011). *Explicitation and implicitation in translation: A corpus-based study of English-German and German-English translations of business texts* (Doctoral thesis). Hamburg University.
- Bentley, N. (2008). *Contemporary British fiction*. Edinburgh University Press.
- Berman, A. (1985). La traduction comme épreuve de l'étranger. *Texte, revue de critique et de théorie littéraire*, 4, 67–81.
- Blum-Kulka, S. (2000). Shifts of cohesion and coherence in translation. In L. Venuti (Ed.), *The translation studies reader* (pp. 298–313). Routledge. (First published 1986 in J. House & S. Blum-Kulka (Eds.), *Intercultural communication: Discourse and cognition in translation and second language acquisition* (pp. 17–35). Tübingen: Narr).
- British Red Cross, VAD. (n.d.). *The origin of the Voluntary Aid Detachment (VADs)*. Retrieved from <https://vad.redcross.org.uk/volunteering-during-the-first-world-war>
- Bush, P. (2001). Literary translation: Practices. In M. Baker, *Routledge encyclopedia of translation studies* (pp. 127–130). Routledge.
- Cachia, P. (1956). *Ṭāhā Ḥusayn: His place in the Egyptian literary renaissance*. Luzac.
- Cambridge Online Dictionary. (n.d.). Retrieved from <https://dictionary.cambridge.org>
- Chambrlain, L. (2012). Gender and the metaphors of translation. In L. Venuti (Ed.), *The translation studies reader* (3rd ed., pp. 254–268). Routledge.
- Chesterman, A. (1997). *Memes of translation: The spread of ideas in translation theory*. John Benjamins Publishing Company.
- Cohen, S. (2009). *After the end of history: American fiction in the 1990s*. University of Iowa Press.
- Collins Online Dictionary. (n.d.). Retrieved from <https://www.collinsdictionary.com>
- Conley, T. (2012). « Avec Hésitation »: Laverne's footnotes and translations of *Finnegans Wake*. *Scientia Traductionis*, 12, 20–35. <http://dx.doi.org/10.5007/1980-4237.2012n12p20>

- Cox, D. (1997). The novels of Tahar Wattar: Command or critique? *Research in African Literatures*, 1–18. [PDF].
- Cronin, M. (2003). *Translation and globalization*. Routledge.
- Cronin, M. (2006). *Translation and identity*. Routledge.
- Cuddon, J. A. (1999). *Dictionary of literary terms & literary theory*. Penguin Books.
- Dilevko, J., & all. (2011). *Contemporary world fiction: A guide to literature in translation*. Libraries Unlimited.
- Dimitrova, B., & Englund, B. (2005). *Expertise and explicitation in the translation process*. Benjamins Translation Library.
- Dzregah, C. E. (2013, July 9). Men and their portrayal in *Beloved*: The framing of black and white masculinities in a slave-owning world. *European Scientific Journal*. Retrieved from <https://ejournal.org/index.php/esj/article/view/1280>
- Ellam, J. (2009). *Ian McEwan's Atonement*. Continuum.
- *Encyclopedia Britannica*. (n.d.). Retrieved from <https://www.britannica.com>
- Even-Zohar, E. (2000). The position of translated literature within the literary polysystem. In L. Venuti (Ed.), *The translation studies reader* (pp. 192–197). Routledge. (Original work written in 1978, revised in 1990).
- Faiq, S. (2004). The cultural encounter in translating from Arabic. In S. Faiq (Ed.), *Cultural encounters in translation from Arabic* (pp. 1–13). Topics in Translation, 26.
- Ferguson, N. (2006, November 30). A “miracle of deliverance”? *The New York Review*. Retrieved July 13, 2024, from <https://www.nybooks.com/articles/2006/11/30/a-miracle-of-deliverance/>
- Furman, J. (2014). *Toni Morrison's fiction: Revised and expanded edition*. University of South Carolina Press.
- Genette, G. (1997). *Paratexts: Thresholds of interpretation* (J. E. Lewin, Trans.). Cambridge University Press.
- Gentzler, E. (2001). *Contemporary translation theories* (2nd ed., revised). Multilingual Matters Ltd.
- Gentzler, E. (2002). Translation, poststructuralism, and power. In M. Tymoczko & E. Gentzler (Eds.), *Translation and power* (pp. 195–218). University of Massachusetts Press.

- Gentzler, E. (2017). *Translation and rewriting in the age of post-translation studies*. Routledge.
- Gerber, L. (2012). Marking the text: Paratextual features in German translations of Australian children's fiction. In A. Gil-Bardaji, P. Orero, & S. Rovira-Esteva (Eds.), *Translation peripheries: Paratextual elements in translation* (pp. 43–61). Peter Lang.
- Gil-Bardaji, A., Orero, P., & Rovira-Esteva, S. (Eds.). (2012). *Translation peripheries: Paratextual elements in translation*. Peter Lang.
- Guth, D. (1994). "Wonder what God had in mind": *Beloved's* dialogue with Christianity. *The Journal of Narrative Technique*, 24(2), 83–97.
<https://www.jstor.org/stable/30225405>
- Hanna, S. (2016). *Bourdieu and translation studies: The socio-cultural dynamics of Shakespeare translation in Egypt*. Routledge Advances in Translation and Interpreting Studies Series.
- Haroon, H. (2019). The use of footnotes in the Malay translation of *A Thousand Splendid Suns*. *The International Journal of Translation and Interpreting Research*, 11(1), 130–146. <https://doi.org/10.12807/ti.111201.2019.a08>
- Granara, W. (n.d.). William Granara. *CMES Center for Middle Eastern Studies, Harvard University*. Retrieved August 22, 2022, from <https://cmes.fas.harvard.edu/people/william-granara>
- Granara, W. (n.d.). An interview with Professor William Granara. *Department of Near Eastern Languages and Civilizations, Harvard University*. Retrieved August 22, 2022, from <https://nelc.fas.harvard.edu/interview-professor-william-granara>
- Haywood, J. A. (1979). Kenneth Kragg: Taha Husain, *A Passage to France* – the third volume of the autobiography, translated from the Arabic. *Die Welt Des Islams, New Series*, 19(¼), 235–236.
- Heltai, P. (2005). Explication, redundancy, ellipsis and translation. In K. Károly & Á. Fóris (Eds.), *New trends in translation studies* (pp. 45–74). Akadémiai Kiadó.
- Hermans, T. (2007). Literary translation. In P. Kuhiwczak & K. Littau (Eds.), *A companion to translation studies* (pp. 77–91). Multilingual Matters.
- Hermans, T. (2014). *The manipulation of literature: Studies in literary translation*. Routledge. (Original work published 1985).

- Historic UK. (n.d.). *General strike*. Retrieved from <https://www.historic-uk.com/HistoryUK/HistoryofBritain/General-Strike-1926/>
- Irish Central. (n.d.). *It's a long way to Tipperary song*. Retrieved from <https://www.irishcentral.com/roots/history/its-a-long-way-tipperary-song>
- Jacquemond, R. (1992). Translation and cultural hegemony: The case of Arabic-French translation. In L. Venuti (Ed.), *Rethinking translation: Discourse, subjectivity, ideology* (pp. 139–158). Routledge.
- Kamenicka, R. (2007). Defining explicitation in translation. *Brno Studies in English*, 33, 45–57. Retrieved June 13, 2022, from <http://hdl.handle.net/11222.digilib/104439>
- Kamenicka, R. (2008). Explicitation and the translator's style. In A. Pym & A. Perekrestenko (Eds.), *Translation research projects 1* (pp. 117–130). Intercultural Studies Group, Universitat Rovira i Virgili.
- Katan, D. (2009). Translation as intercultural communication. In J. Munday (Ed.), *The Routledge companion to translation studies* (pp. 74–92). Routledge.
- Katan, D. (2014). *Translating cultures: An introduction for translators, interpreters and mediators* (2nd ed.). Routledge. <https://doi.org/10.4324/9781315759692>
- Kerr, D. A. (1998). Cragg, Albert Kenneth. In G. H. Anderson (Ed.), *Biographical dictionary of Christian missions*. Macmillan Reference USA.
- Klaudy, K. (1993a). On explicitation hypothesis. In J. Kohn, K. Klaudy, et al. (Eds.), *Transferte necesse est... Current issues of translation theory: In honour of György Radó on his 80th birthday* (pp. 69–77). Dániel Berzsenyi College.
- Klaudy, K. (1993b). Optional additions in translation. In C. Picken (Ed.), *Translation: The vital link. Proceedings of the XIII FIT World Congress* (Vol. 2, pp. 373–381). ITI.
- Klaudy, K. (2000). Explicitation strategies within lexical and grammatical translational operations. In L. Lendvai (Ed.), *Applied Russian studies in Hungary* (pp. 101–113). Krónika Kiadó.
- Klaudy, K. (2005). Explicitation. In M. Baker (Ed.), *Routledge encyclopedia of translation studies* (pp. 80–85). Taylor & Francis e-Library.
- Klaudy, K. (2009). The asymmetry hypothesis in translation research. In R. Dimitriu & M. Shleisinger (Eds.), *Translators and their readers: In homage to Eugene A. Nida* (pp. 283–303). Les Editions du Hazard.

- Klaudy, K. (2017). Linguistic and cultural asymmetry from and into minor languages. *Cadernos de Literatura em Tradução*, 17, 23–37. (Original work published 2012). In H. Kemppanen, M. Janis, & A. Belikova (Eds.), *Domestication and foreignisation in translation studies* (pp. 33–49). Franke und Timme.
- Klaudy, K., & Karoly, K. (2005). Implication and explication in translation: Empirical evidence for operational asymmetry in translation. *Across Languages and Cultures*, 6(1), 13–28.
- Kuhiwczak, P., & Littau, K. (Eds.). (2007). *A companion to translation studies*. Multilingual Matters.
- Lambert, J. (2001). Literary translation: Research issues. In M. Baker (Ed.), *Routledge encyclopedia of translation studies* (pp. 130–133). Routledge.
- *Larousse Dictionnaire en ligne*. (n.d.). Retrieved from <https://www.larousse.fr>
- Lefevere, A. (1985). Why waste our time on rewrites?: The trouble with interpretation and the role of rewriting in an alternative paradigm. In T. Hermans (Ed.), *The manipulation of literature: Studies in literary translation* (pp. 215–243). Routledge.
- Lefevere, A. (1992). *Translation, rewriting, and the manipulation of literary fame*. Routledge.
- Lefevere, A. (Ed.). (2003). *Translation/history/culture*. Routledge.
- Levy, J. (2011). *The art of translation* (P. Corness, Trans.). John Benjamins Publishing Company.
- Luebering, J. E. (2011). *English literature from the 19th century through today*. Britannica Educational Publishing.
- Malti-Douglas, F. (1988). *Blindness and autobiography: Al Ayyam of Taha Hussein*. Princeton University Press.
- Massing, J. M. (2005, May 9). Obituary: Hilary Wayment, historian of stained glass. *The Independent*. Archived from the original on January 23, 2014. Retrieved October 17, 2023, from <http://www.independent.co.uk/news/obituaries/hilary-wayment-6146534.html>
- McRae, E. (2012). The role of translators' prefaces to contemporary literary translation into English: An empirical study. In A. Gil-Bardaji, P. Orero, & S. Rovira-Esteva (Eds.), *Translation peripheries: Paratextual elements in translation* (pp. 63–82). Peter Lang.

- Mehrez, S. (1992). Translation and the postcolonial experience: The Francophone North African text. In L. Venuti (Ed.), *Rethinking translation: Discourse, subjectivity, ideology* (pp. 120–138). Routledge.
- Mejdell, G. (2011). A modern Egyptian literary classic goes west: Translations of Taha Hussein's novel *Al-Ayyam* and their paratextual features. In *Literature, geography, and translation: Studies in world literature* (pp. 152–171).
- Merriam-Webster Online Dictionary. (n.d.). Retrieved from <https://www.merriam-webster.com>
- Morgan, J. (2008). The aural in *Beloved*. *The Osprey Journal of Ideas and Inquiry*. University of North Florida. Retrieved from https://digitalcommons.unf.edu/ojii_volumes/12
- Munday, J. (2016). *Introducing translation studies: Theories and applications* (4th ed.). Routledge.
- Murtisari, E. T. (2013). A relevance-based framework for explicitation and implicitation: An alternative typology. *Trans-kom*, 6(2), 315–344.
- Murtisari, E. T. (2016). Explicitation in translation studies: The journey of an elusive concept. *The International Journal of Translation and Interpreting Research*, 8(2), 64–81. <https://doi.org/10.12807/ti.108202.2016.a05>
- Newmark, P. (1988). *A textbook of translation*. Prentice Hall.
- Nida, E. (1964). *Towards a science of translating*. E.J. Brill.
- Norberg, U. (2012). Literary translators' comments on their translations and afterwards: The case of contemporary Sweden. In A. Gil-Bardaji, P. Orero, & S. Rovira-Esteva (Eds.), *Translation peripheries: Paratextual elements in translation* (pp. 101–116). Peter Lang.
- *Open Bible*. (n.d.). Soldier of the Christ. Retrieved from https://www.openbible.info/topics/being_a_soldier
- Overas, L. (1998). In search of a third code: An investigation of norms in literary translation. *Meta*, 43(4), 1–20. <https://doi.org/10.7202/003775ar>
- *Oxford Learner's Dictionary* (n.d.). Retrieved from <https://www.oxfordlearnersdictionaries.com>

- Oyoung, W. C. (2017, April 19). Pierre Cachia (1921–2017). *University of Edinburgh*. Retrieved October 19, 2023, from <https://www.ed.ac.uk/news/staff/2017/pierre-cachia-1921-2017>
- Papai, V. (2004). Explication: A universal of translated text? In A. Mauranen & P. Kujamäki (Eds.), *Translation universals: Do they exist?* (pp. 143–164). John Benjamins Publishing Company.
- Pellatt, V. (Ed.). (2013). *Text, extratext, metatext and paratext in translation*. Cambridge Scholars Publishing.
- Pérez, M. C. (2014). *Apropos of ideology: Translation studies on ideologies—Ideologies in translation studies*. Routledge.
- Pym, A. (2005). Explaining explication. In K. Károly & Á. Fóris (Eds.), *New trends in translation studies: In honour of Kinga Klaudy* (pp. 29–43). Akadémiai Kiadó.
- Robinson, D. (1997). *What is translation? Centrifugal theories, critical interventions*. Translation Studies, 4. Kent State University Press.
- Robinson, D. (2003). *Becoming a translator: An introduction to the theory and practice of translation* (2nd ed.). Routledge.
- Robinson, D. (2011). *Translation and the problem of sway*. John Benjamins Publishing Company.
- Robinson, D. (2015a). *The Dao of translation: An East-West dialogue*. Routledge.
- Robinson, D. (2015b). The somatic of tone and the tone of somatics: The translator's turn revisited. *Translation and Interpreting Studies*, 10(2), 299–319. <https://doi.org/10.1075/tis.10.2.09rob>
- Robinson, D. (2017). What kind of literature is literary translation? *Target*, 29(3), 440–463. <https://doi.org/10.1075/target.16064.rob>
- Roseberys London. (2023, September 7). Who were the iconic women immortalised in Pre-Raphaelite paintings? Retrieved from <https://www.roseberys.co.uk/news/who-were-the-iconic-women-immortalised-in-pre-raphaelite-paintings>
- Saldanha, G. (2008). Explication revisited: Bringing the reader into the picture. *Trans Kom*, 1(1), 20–35.
- Scarpa, G. (1991–1992). Narrative possibilities at play in Toni Morrison's *Beloved*. *MELUS*, 17(4), 91–103.

- Schmudde, C. E. (1993, December). Knowing when to stop: A reading of Toni Morrison's *Beloved*. *CLA Journal*, 37(2), 121–135.
<https://www.jstor.org/stable/44322554>
- Séguinot, C. (1988). Pragmatics and explicitation hypothesis. *TTR: Traduction, terminologie, rédaction*, 1(2), 106–113. Retrieved from
<http://id.erudit.org/iderudit/037024ar>
- Sepehri, Z. (2021). The effect of implicitation & explicitation strategies on the acceptance of two different Farsi translations of George Orwell's *Animal Farm*. *International Journal of Linguistics*, 13(5), 21–35.
<https://doi.org/10.5296/ijl.v13i5.18773>
- Shaffner, C., & Kelly-Holmes, H. (1995). *Cultural functions of translation*. Multilingual Matters LTD.
- Simon, S. (1996). *Gender in translation: Cultural identity and the politics of translation*. Routledge.
- Spivak, G. (2012). The politics of translation. In L. Venuti (Ed.), *The translation studies reader* (3rd ed., pp. 312–330). Routledge.
- Sumalatha, D. (2020). The literature engaged in Toni Morrison's *Beloved*. *International Journal of English Language, Literature and Translation Studies (IJELR)*, 7(1), 201–208. <https://doi.org/10.33329/ijelr.7.1.201>
- Summers, C. (2013). What remains: The institutional reframing of authorship in translated peritexts. In V. Pellatt (Ed.), *Text, extratext, metatext and paratext in translation* (pp. 9–31). Cambridge Scholars Publishing.
- Tahir-Gürçaglar, S. (2002). What texts don't tell: The use of paratexts in translation research. In T. Hermans (Ed.), *Crosscultural transgressions: Research models in translation studies II: Historical and ideological issues* (pp. 44–60). St. Jerome.
- Tai, C.-S. (2016). Mapping postmodern in Toni Morrison's *Beloved*. *International Journal of Culture and History*, 2(4), 226–229.
<https://doi.org/10.18178/ijch.2016.2.4.068>
- Tanrıtanır, B. C., & Akşak, Ö. (2008). *Beloved: Showing the dehumanizing effect of slavery on Sethe*. *Atatürk Üniversitesi Sosyal Bilimler Enstitüsü Dergisi*, 11(1), 249–259.

- Toledano Buendía, C. (2013). Listening to the translator voice: A description of translator's notes as paratextual elements. *The International Journal of Translation and Interpreting Research*, 5(2), 149–162.
<https://doi.org/10.12807/ti.105202.2013.a09>
- Toye, R. (2013, December 2). “We shall fight on the beaches”: 3 things you never knew about Churchill’s most famous speech. *No 10 Guest Historian Series*. Retrieved from <https://history.blog.gov.uk/2013/12/02/we-shall-fight-on-the-beaches-three-things-you-never-knew-about-churchills-most-famous-speech/>
- Tymoczko, M. (1995). The metonymics of translating marginalized texts. *Comparative Literature*, 47(1), 11–24. <https://doi.org/10.2307/1771360>
- Tymoczko, M. (1999a). Post-colonial writing and literary translation. In S. Bassnett & T. Harish (Eds.), *Post-colonial translation* (pp. 19–40). Routledge.
- Tymoczko, M. (1999b). *Translation in a post-colonial context: Early Irish literature in English translation*. Routledge.
- Tymoczko, M., & Gentzler, E. (Eds.). (2002). *Translation and power*. University of Massachusetts Press.
- Tymoczko, M. (2007). *Enlarging translation, empowering translators*. Routledge.
- Tymoczko, M. (2014). Ideology and the position of the translator: In what sense is a translator “in between”? In M. C. Pérez (Ed.), *Apropos of ideology: Translation studies on ideologies—Ideologies in translation studies* (pp. 181–201). Routledge.
- Venuti, L. (1995). *The translator's invisibility*. Routledge.
- Venuti, L. (1998). *The scandals of translation: Towards an ethics of difference*. Routledge.
- Venuti, L. (2012). *The translation studies reader* (3rd ed.). Routledge.
- Vinay, J. P., et Darblnet, J. (1972). *Stylistique comparée du français et de l'anglais*. Didier.
- Wardle, M. L. (2012). Alice in Busi-Land: The reciprocal relation between text and paratext. In A. Gil-Bardaji, P. Orero, & S. Rovira-Esteva (Eds.), *Translation peripheries: Paratextual elements in translation* (pp. 27–41). Peter Lang.
- Wolfe, J. (2004, October). “Ten minutes for seven letters”: Song as key to narrative revision in Toni Morrison’s *Beloved*. *Narrative*, 12(3). Ohio State University.

Retrieved August 17, 2024, from

<http://www.jstor.org/stable/20107352?origin=JSTOR-pdf>

- Yalsharzeh, R., Barati, H., & Hesabi, A. (2019). Dissenting voices: When paratexts clash with texts. Paratextual intervention in Persian translations of texts relating to the Iran-Iraq war. *Meta*, 64(1), 103–124. <https://doi.org/10.7202/1065330ar>
- *Yourdictionary Online Dictionary*. (n.d.). Explicitation. Retrieved from <https://www.yourdictionary.com/explicitation>
- Zein, R. (n.d.). *[Video]*. Retrieved from <https://www.youtube.com/shorts/mTIwg0BRig8?feature=share>

المسرد

مسرد إنجليزي عربي

A	
Abstraction change	تغيير التجريد
Abusive translation	الترجمة التعسفية
Acculturation	التثاقف
Accuracy	الوضوح
Acronyms	العبارات المختصرة
Addition	الإضافة
Additions	إضافات
Additions required by grammatical restructuring	إضافات تتطلبها إعادة الصياغة النحوية
Amplification from implicit to explicit status	التوسع من حالة التضمن إلى الإيضاح
Anecdotal	سردي
Assimilative procedures	إجراءات الإدماج
Asymmetric Hypothesis	فرضية اللاتماثل
Assymetry	عدم التكافؤ
Authorship	التأليف

B	
Black English	اللهجة الإنجليزية السوداء

C	
Call and response	المناداة والإجابة
Categorical explication	الإيضاح الفئوي
Categorical shifts	التحولات الفئوية
Categories of the receptor's language	الفئات اللغوية في اللغة الهدف

Cibliste	دعاة النهج الهدي
Clarification	الإيضاح
Classifiers	مصنفات
Cognition	الإدراك
Cohesion change	تغير الاتساق
Coherence change	تغيير الانسجام
Connectives	أدوات الربط
Conjunctions	حروف العطف
Contact zone	منطقة التماس
Cooperation principle	مبدأ التعاون
Corpus based Translation Studies	دراسات الترجمة القائمة على المدونة
Creativity	الإبداع
Cultural assymetry	اللاتناظر الثقافي
Cultural filtering	التنقية الثقافية
Cultural turn	المنعطف الثقافي
Culture filter	مصفاة الثقافة
Cultureme	المصطلحات الثقافية

D	
Decolonizing the mind	تحرير العقل
Deconstruction theory	نظرية التفويض (التفكيك)
Descriptive	وصفي
Destruction of vernacular networks or their exoticization	تخطيط الشبكات اللغوية المحلية أو تغريبها
Destruction of expressions and idioms	تخطيط الصيغ والعبارات الاصطلاحية
Domestication	التوطين

E	
Emphasis	التوكيد
Encoded reference	الإحالة المشفرة
Encodedness	التشفير
Ennoblement and popularization	التنبييل والتفخيم
Epitext	النص الفوقي
Ethnocentrism	المركزية العرقية
Exoticizing procedures	إجراءات التغريب
Expansion	التطويل
Explicit	واضح
Explicitation	الإيضاح
Explicitation Hypothesis	فرضية الإيضاح
Explicitation profile	خصائص الإيضاح

F	
Filling out elliptical expressions	تتمة العبارات المضمنة
Fluency	السلاسة
Focus	التركيز
Foreignization	التغريب
Formulae	الصيغ
Frame narrative	رواية بقلب رواية

G	
Gender	نوع الجنس
Generalization	التعميم

H	
Homogenization	المجانسة

Hybrid code	اللغة الهجينة
Hyponym change	تغيير الاسم المشمول

I	
Implicit	مُضمن
Implication	التضمن
In-betweeness	البينية
Indigenization	التوطين
Inferred reference	الإحالة المستنبطة
Information change	تغيير المعلومات
Informativity	الإخبارية
Interventionist translation	الترجمة التدخلية

L	
Logical visual relations	الروابط المنطقية المرئية

M	
Major languages	لغات مسيطرة
Manipulation	التلاعب
Manipulation school	مدرسة التلاعب
Metafiction	السرد الماورائي
Minor languages	لغات غير مسيطرة
Monolingualism	أحادية اللغة

N	
Normalization	معيارية
Norm-dependent	مرتبط بالمعايير

Novel of Ideas	رواية أفكار

O	
Obligatory specification	التخصيص الإلزامي
Omission	الحذف
Over assimilation	المغلاة في الإدماج

P	
Paraphrase	إعادة الصياغة
Patronage	الرعاية
Patrons	رعاة
Peritext	النص المحيط
Plurilinguism	التعدد اللغوي
Poetics	شعرية
Polysystem Theory	نظرية النسق المتعددة
Post-translation analysis	تحليلية ما بعد الترجمة
Post-Translation Studies	دراسات ما بعد الترجمة
Power	الهيمنة
Prescriptive	توجيهي
Proccessability	إمكانية المعالجة

Q	
Qualitative impoverishment	الإفقار النوعي
Quantitative impoverishment	الإفقار الكمي

R	
Rationalization	العقلنة

Reader-based shifts	تغيّرات مرتبطة بالقارئ
Recognized exoticism	الغريب المعترف به
Relevance Theory	نظرية الصلة
Repetition	تكرار
Rewriting	إعادة الكتابة
Rich explicatory procedures	إجراءات التفسير المسهب

S	
Scalar explication	الإيضاح التدريجي
Scalar shifts	التحويلات التدريجية
Secondariness	المكانة الثانوية
Selective essentialism	الجوهرية الانتقائية
Sentence structure change	تغيير بنية الجملة
Shared evaluative affect	الأثر التقييمي المشترك
Shifts in coherence	تغيّرات في الانسجام
Shifts in cohesion	تغيّرات في الاتساق
Skopos Theory	نظرية الغاية
Somatic	تجسدية
Sourcier	دعاة النهج المصدري
Space between	فضاء بيني
Specification	التخصيص
Specification of reference	تحديد الإحالة
Specificity	الخصوصية
Stream of consciousness	تيار الوعي
Subtractions	المحذوفات
System of representations	نظام التمثيل
Systemic	منهجي

T	
Text-based shifts	تغيّرات مرتبطة بالنص
The remaining	المتبقي
Third space	الفضاء الثالث
Topicality	الارتباط بالموضوع
Transediting	التنقيح
Transitionals	أدوات الربط
Translation project	مشروع الترجمة
Translation standards	معايير الترجمة
Translation Studies	دراسات الترجمة
Translation universal	مبدأ في الترجمة
Translational	العبور اللغوي
Translator's invisibility	اختفاء المترجم
Translator's visibility	ظهور المترجم
Transnational	العبور الجغرافي
Transparency	الشفافية

U	
Unreliable narrator	راوي غير موثوق

V	
Violent rewriting	إعادة كتابة عنيفة
Visual paratext	العتبات المرئية
Vocatives	أدوات النداء

الملاحظات

استراتيجيتا الإيضاح والتضمين في الترجمة الأدبية من العربية إلى الإنجليزية والعكس في ظل

المقاربات الثقافية للترجمة

دراسة تحليلية مقارنة في مجموعة من الروايات

المخلص

يبدو فهم علاقات الثقافات بعضها ببعض وطرق التفاعل بينها أمراً ملحاً اليوم أكثر من أي وقت مضى. وتندرج هذه الدراسة ضمن دراسات الترجمة الأدبية التي تعنى بالبعد الثقافي في ترجمة النصوص الأدبية. اهتم البحث بمقارنة آليات عمل استراتيجيتي الإيضاح والتضمين في الترجمة الأدبية من العربية إلى الإنجليزية والعكس في إطار المقاربات الثقافية للترجمة. ولهذا الغرض تم تحليل ترجمتين لنصين روائيين عربيين إلى اللغة الإنجليزية وترجمتين لنصين روائيين إنجليزين إلى العربية. وحاولت الدراسة فهم كيفية تجلّي هيمنة اللغة الإنجليزية والثقافة الغربية في الترجمة من خلال مقارنة ترجمات إنجليزية وأخرى عربية للوقوف على طبيعة الاختلافات الموجودة من الناحية العملية والتي يمكن ربطها بميل في اللغة والثقافة الإنجليزيتين لفرض رؤية غربية على الترجمة. وقد جاءت الدراسة مقسمة إلى قسمين، قسم نظري مكون من فصلين اهتم الأول بموضوع المقاربات الثقافية للترجمة والثاني باستراتيجيتي الإيضاح والتضمين. أما القسم الثاني فقد خصص للدراسة التطبيقية وجاء هو الآخر في فصلين ركز الأول على تحليل الترجمات إلى اللغة الإنجليزية فيما حفل الثاني بتحليل الترجمات إلى اللغة العربية. وخلصت الدراسة إلى وجود نوع من التعارض بين استعمال استراتيجيات الإيضاح ونجاح مسعى التفاعل الثقافي من خلال الترجمة يبرز بشكل أكبر في الترجمات الإنجليزية. كما وجدنا في الترجمات الإنجليزية ميلاً أكبر للتوطين والإسقاط على الذات وهو ما يؤكد نسبياً فكرة الهيمنة وبسط النفوذ من خلال الترجمة. بالمقابل لم نلاحظ فعالية أكبر في الترجمات العربية فيما يتعلق بإبراز الآخر في الترجمة، لكنّ نقص الفعالية هذا يُعزى إلى نقص في دقة الترجمة منه إلى أيّ دوافع إيديولوجية واضحة.

الكلمات المفتاحية: الترجمة الأدبية من العربية إلى الإنجليزية والعكس، المقاربات الثقافية للترجمة، الإيضاح، التضمين.

Explicitation and Implication Strategies in Literary Translation from Arabic into English and Vice-versa in the Light of the Cultural Approaches to Translation
An Analytical Comparative Study in a Collection of Novels

Abstract

Understanding the relationships between cultures and the ways of interaction between them seems more urgent today than ever. This study falls within the literary translation studies that are concerned with the cultural dimension in the translation of literary texts. The research focused on comparing the use of the explicitation and implication strategies in literary translation from Arabic to English and vice versa within the framework of cultural approaches to translation. For this purpose, two translations of two Arabic novels into English and two translations of two English novels into Arabic were analyzed. The study attempted to understand how the hegemony of the English language and Western culture is manifested in translation by comparing English and Arabic translations to identify the nature of the differences that exist in practice, and which can be linked to a tendency in the English language and culture to impose a Western vision on translation. The study was divided into two parts: a theoretical part consisting of two chapters, the first of which focused on the topic of cultural approaches to translation, and the second on explicitation and implication strategies. The second section was devoted to the practical study and also included two chapters. The first focused on analyzing translations into English, while the second analyzed translations into Arabic. The study concluded that there is a kind of contradiction between the use of explicitation strategies and the success of the endeavor of cultural interaction through translation, which is more evident in English translations. It was also observed that English translations have greater tendency toward domestication and appropriation, which relatively confirms the idea of hegemony and the extension of influence through translation. In contrast, no greater effectiveness was noticed in Arabic translations with regard to highlighting the

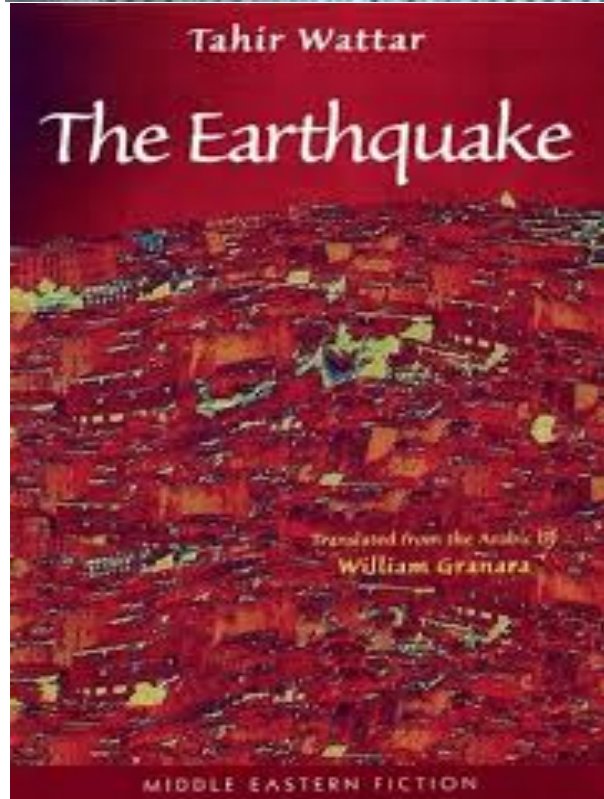
Other in translation, but this lack of effectiveness is attributed to a lack of translation accuracy rather than to any clear ideological motives.

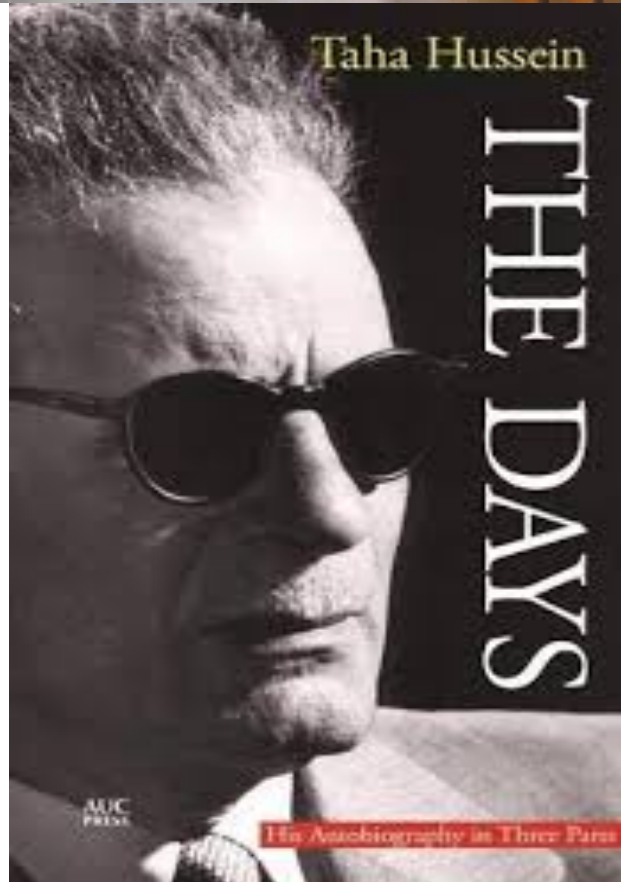
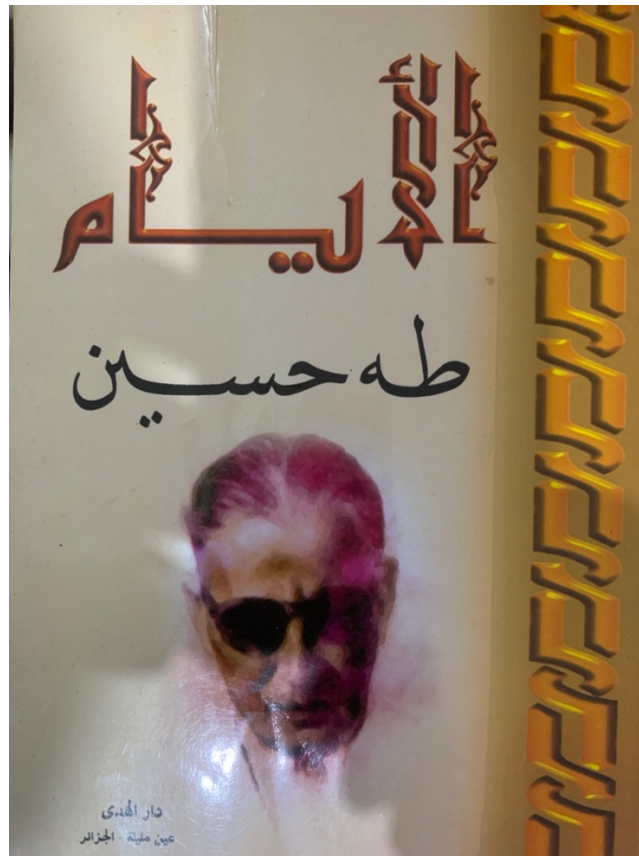
Key terms

Literary translation from English into Arabic and vice versa, Cultural Approaches to Translation, Explication, Implication

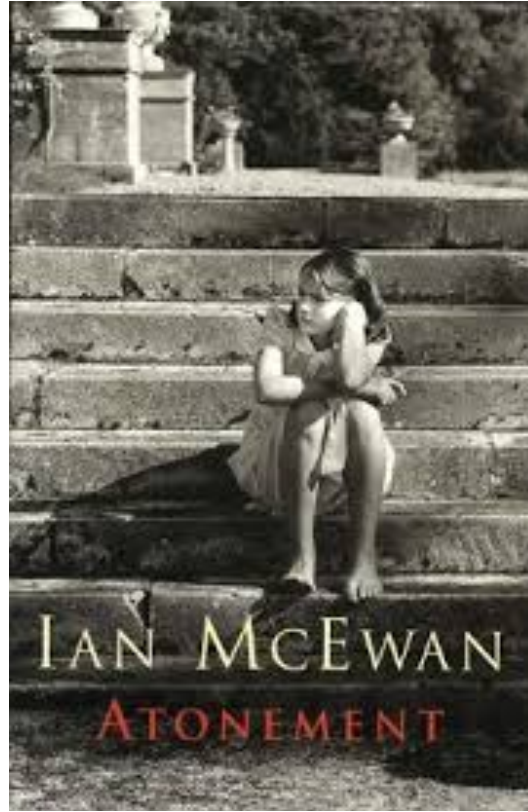
الملاحق

الملحق 1: المدونة العربية الإنجليزية (وجه الغلاف)





الملحق 2: المدونة الإنجليزية العربية (وجه الغلاف)



Copyright © 2001 by Random House

TONI
MORRISON

A Random House Book

AS BY: GARDEN



الملحق 3: "الأيام" طبعات قديمة وطبعات ترجمات قديمة

